اللواء محمد صادق باشا

الرحـــلات الحجازيـــة

إعداد وتحرير

محمد همام فكري



* **الرحلات الحجازية**

* **اللواء محمد صادق باشا**

* الطبعة الأولى: ١٩٩٩

* **الناشر: بدر للنشر والتوزيع**

ص.ب: ٦٤٣٥-١١٣ / بيروت - لبنان
هاتــف: ٧٩٠٦٨٠
فاكس: ٧٩٠٧٦٩ ١ ٩٦١+

اللواء محمد صادق باشا

الرحــلات الحجازيــة

الإهــداء

الى سمو الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني

الفهرس

جاءت فكرة هذا العمل عندما أتيح لي الاطلاع – بالصدفة البحتة– على مؤلفات اللواء محمد صادق باشا أمين صرة المحمل المصري ، في مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني بالعاصمة القطرية الدوحة ، وهي مجموعة من الكتيبات التي تصف في مجملها طريق الحج للأماكن المقدسة منذ أكثر من مائة عام ، وكانت دهشتي كبيرة أمام هذا العملّ القيّم الذي اتبع فيه المؤلف منهجاً علمياً غاية في الدقة والضبط ، فنافس الرحالة والمستكشفين الغربيين في دقة الوصف واتباع المنهج العلمي الصارم .

ووجدت من الأهمية بمكان أن أعيد قراءة هذه المؤلفات في تأن ، فعايشتها فترة ليست قصيرة إلى أن وجدتني متحمساً لإعادة نشرها بعد تيسيرها للقارىء العربي المعاصر فيما يمكن أن أطلق عليه – إعداد وتحرير– بعد أن قمت بعنونتها وتنظيمها حسب سياقها الأصلي ، شارحاً معاني بعض المفردات التي أعتقدت أنها تحتاج إلى تبيان ، خاصة وأن بعضها من أصول غير عربية وفي بعض الأحيان حسب اللهجة المصرية التي لم تعد متداولة الآن .

ولم يكن القصد في ذلك إلا تيسير قراءة هذه المؤلفات التي لم تحظ كمؤلفها بالشهرة الكافية التي تستحقها على الرغم من أهميتها ، خاصة وأنها ومنذ أن نشرت للمرة الأولى خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر، وبشكل محدود ، لم يتطرق إليها الا نادراً رغم المعلومات القيمة التي تحتويها ، وبعثها من جديد لتحتل مكاناً بارزاً ضمن مؤلفات كتب رحلات الحج ، على الرغم من أنها تُشكّل في مجموعها رؤية شاهد عيان للواقع الجغرافي والإجتماعي ، للمناطق التي زارها في الأراضي الحجازية أثناء تأدية فريضة الحج خلال النصف الثاني من القرن التاسع عشر .

وعندما شرعت في الإعداد لهذا العمل ، كان السؤال الذي يشغلني يتعلق أولاً بالمؤلف الذي اشتهر كمصور في المقام الأول ، وبدأت رحلة البحث ، تحرياً لمولده

ونشأته وتكوينه الفكري ، فعكفت عليها بعضاً من الوقت لأجدني في النهاية قد خرجت بترجمة موجزة لحياة هذا الرحالة المصور الرائد الذي تجاهله المؤرخون ، صدّرتُ بها هذه المؤلفات التي اخترت لها هذا العنوان «الرحلات الحجازية : قصة المحمل المصري» ، وهو ما يعبّر بحق عما تضمنته رواية محمد صادق باشا أمين صرة المحمل المصري في مؤلفاته الثلاث .

وقد أعانني على إنجاز هذه المهمة ذلك التشجيع الذي وجدته من سعادة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني الذي بارك الفكرة ودعمها لكي تخرج إلى القارىء العربي ، فله أرفع هذا العمل المتواضع إعزازاً وتقديراً لدوره الرائد في خدمة التراث العربي .

كما أنني هنا أشكر كلاً من الأستاذ الباحث بدر الحاج الذي أهداني نسخة من كتابه المعنون : «صور من الماضي ، المملكة العربية السعودية ، لندن ، ١٩٨٩م» وضمنه مستخلصات مسهبة من مؤلفات محمد صادق ، وعلى ما أمدني به من صور فوتوغرافية أصلية قام بالتقاطها محمد صادق باشا للأماكن المقدسة ، بالإضافة إلى نسخة مصورة من أصل كتاب «مشعل المحمل» .

كما أشكر الدكتور درويش الفار(الخبير بمتحف قطر الوطني) الذي كنت أجد عنده جواباً للعديد من الأسئلة المحيّرة التي كانت تعترضني ، كما أشكر العلاّمة اللغوي الكبير الدكتور عبد العزيز مطر أستاذ اللغة العربية بجامعة قطر ، على تفسيره لمعاني بعض المفردات التي لم تسعفني المعاجم في الكشف عن غامضها ، والشكر موصول للأستاذ سامي حنفي كماله ، تقديراً لقيامه بطباعة هذا المتن من أصوله التي يصعب قراءتها ، وكذلك على قيامه بمراجعة المسودة الأولى من طباعته .

ولروح اللواء محمد صادق باشا أقدم هذه المؤلفات فهو صاحب الفضل الأول فيها ورائد الرحلة العلمية للأراضي الحجازية ، وحنيناً للأراضي المقدسة وشغفاً لزيارة تلك البقاع الطاهرة ، أقدم هذا العمل .

محمد همام فكري

الدوحة في مارس 1999

هذا الكتاب ..

أما بعد ، فإن هذا العمل لا أدعي أنه يدخل في مجال الدراسات التحقيقية الصارمة ، ولو أنني أصبت جزءاً منها خاصة فيما يتعلق بتيسير أو الكشف المعجمي عن معنى بعض العبارات أو المفردات الغامضة، إضافة إلى عنونتها وفهرستها بما يجعل من قرائتها والتعامل معها أمراً هيناً يتفق مع روح كتابات هذا العصر ، على الرغم من أنني التزمت بالنص المطبوع كما جاء في المؤلفات الأصلية، مكتفياً بالتعليقات الهامشية ، وذلك حرصاً على الإبقاء على لغة المؤلف واحتراماً لاسلوبه المتميز والذي يعكس بدوره الأسلوب السائد في القرن التاسع عشر .

كما وضعت فهرساً عاماً ، لما ورد ذكره من أعلام وأماكن لتيسير مهمة الباحث عنها وفقاً لترتيب ورودها في صفحات المتن ، إضافة إلى إنشاء فهرس للمحتويات حسب العناوين التي رأينا من الأهمية ذكرها حسب سياقها الأصلي في المؤلف، وهو في مجمله شكلٍ من اشكال «عصرنة» النص القديم ، وهو مايمكن أن يعتبره البعض جهداً متواضعاً في إحياء التراث وهو أكثر مما أصبو إليه .

وإنني في كل ذلك لم أكن إلا مجتهداً بالقدر الذي لايسلم فيه جهد المرء من الزلل ، فعلى الرغم من اعتمادي على العديد من معاجم وقواميس اللغة التي استعنت بها في الكشف عن الغامض من المفردات الغريبة (حسب اعتقادي) وهي في الغالب الأعم من الدخيل على اللغة إلاّ أن ذلك لم يكن إلاّ من باب الاجتهاد فحسب ، كما لم تسعفني المعاجم بمعاني بعض الالفاظ فاجتهدت في تفسيرها معتمداً على معناها المنطقي حسب ما يؤوله السياق .

ويحتوي متن هذا الكتاب على مؤلفات محمد صادق باشا ، والتي تتضمن روايته لرحلات الحج مرافقا للمحمل المصري وهي المؤلفات التي تصف الرحلة الحجازية والتي نشرت تحت العناوين التالية حسب أولوية النشر :

● نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية وبيان خريطتها العسكرية لحضرة محمد صادق بك قائمقام أركان حرب ، مطبعة عموم أركان الحرب بديوان الجهادية، ١٢٩٤هـ، القاهرة، ويتكون من

٢٨ صفحة . (وهو من قطع الثمن) .

● مشعل المحمل : مطبعة وادي النيل، القاهرة ،(١٢٩٨هـ) ١٨٨١م ، وهو عبارة عن رسالة في سير الحاج المصري براً من يوم خروجه من مصر إلى يوم عودته مذكورا بها كيفية اداء الفريضة ، وقد ذيّله بخريطة تظهر سير المحمل من القاهرة إلى مكة وإلى المدينة ثم القاهرة مع بيان البلدان والمحطات والمحلات الشهيرة بالطريق ، وهي في مجملها عبارة عن تسجيل لرحلته الثانية التي قام بها عام ١٢٩٧هـ الموافق لسنة ١٨٨٠ م إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة برفقة المحمل المصري وقت ان كان أميناً لصرة المحمل بدءاً ، وصف فيه الطريق الذي يسلكه الحجاج بشبه جزيرة سيناء. والذي زينه بالصور الفوتوغرافية التي التقطها بنفسه .

● كوكب الحج : في سفر المحمل بحراً وسيره براً (وهو ذيل لمشعل المحمل في سفر الحج براً، بولاق ، القاهرة ١٣٠٣هـ. ويتكون من ٧٣ صفحة.وهو من قطع الثمن .سجل فيه تفاصيل رحلة الحج الثالثة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة ، ونشر هذه الرحلة في هذا الكتاب .

● دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج : بولاق ، القاهرة ، عام ١٨٩٦م ، ويتكون من ١٥٢ ص ، وهو من قطع الثمن وصف فيه القبر النبوي الشريف وصفاً مميزاً وقد زينه بأثنا عشر لوحة وخريطة .

وحيث أن مادة هذا الكتاب هي مؤلفات محمد صادق باشا التي تصف الرحلة الحجازية فأنني أغفلت التعامل مع مادة كتاب دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج ، على الرغم من وضعه كاملاً ضمن مادة المتن ، حيث إن هذا الكتاب يحتوي على المؤلفات الثلاث الأساسية التي تم التعامل معها ، وهي :

«نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية» وكتاب «مشعل المحمل» وكتاب «كوكب الحج» .

اللواء محمد صادق باشا

(١٨٢٢-١٩٠٢)

لم يكن من السهل تتبّع سيرة محمد صادق باشا، فالمراجع المتوفرة لدينا لم تكفي الرجل حقه بالقدر الذي سعيت إليه ، حتى أقدم ترجمة ذاتية عنه تكون وافية بالقدر الذي نريد ، إلا أنها تجمع على كونه كما جاء في مؤلفاته مهندس، ضابط ، وجغرافي مصري ، هذا الرجل الذي عاش ثمانين عاماً، قُدِّر له أن يكون من رحالة الأراضي الحجازية التي جاءها في النصف الثاني من القرن التاسع عشر (١٢٧٧ هـ - ١٨٦٠م) ليسجل اسمه في قائمة رحالة ومستكشفي شبه الجزيرة العربية ، لكنه لم ينل الشهرة التي نالها غيره من الرحالة الغربيين ، على الرغم من النتائج الجغرافية الهامة التي أحرزها في وصف طريق الحج والأماكن المقدسة وفقاً لمنهج علمي غاية في الدقة ..

محمد صادق عضو البعثة العلمية

ولد محمد صادق عام ١٨٢٢ في القاهرة ، وتلقى علومه الاساسية في مدارسها إلى أن ألتحق بمدرسة «الخانكاه» الحربية التي برز فيها نبوغه العسكري ، ثم انتخب للسفر إلى فرنسا بين أفراد بعثة الجيش الرابعة ، التي أختارها القائد سليمان باشا الفرنساوي [١] عام ١٨٤٤ ، ليلتحق بالمدرسة الحربية المصرية في باريس ، تحت إدارة اسطفان بك ، مع الفوج الثاني الذي ضم أربعة أمراء منهم اثنان من أبناء محمد علي وهما الأمير عبد الحليم والامير حسين ، واثنان من ابناء ابراهيم باشا وهما (الخديوي) اسماعيل والامير احمد ، ولما تخرّج منها دخل مدارس التطبيقات الحربية (البولتكنيك) التي تعلم فيها تقنيات الرسم والزخارف ، واطّلع بوجه عام على جوانب هامة من النهضة العلمية وعلى وجه الخصوص في مجال العلوم التطبيقية ، بفرنسا في ذلك الوقت ، وبعد ان اتم علومه عاد إلى مصر ، وكان ذلك في عهد سعيد باشا فعيّن مدرّساً للرسم في المدرسة الحربية بالقلعة ، تحت نظارة

(١) ابراهيم مصطفى الوليلي : مفاخر الاجيال في سير اعاظم الرجال، ص ١٩

العلاّمة الشهير رفاعه بك الطهطاوي[١].

الرحلة إلى الأراضي الحجازية

قام محمد صادق بزيارة الأراضي الحجازية عدة مرات ، استهلها بزيارته الأولى للمدينة وكانت عام ١٢٧٧هـ الموافق لسنة ١٨٦٠ بمعية الوالي سعيد باشا اتبعها بزيارة ثانية للمدينة أيضاً عام ١٨٦١ ، وسجلها في كتابه «نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية» والثانية والثالثة عامي ١٨٨٠ ، ١٨٨٤ وكانتا بقصد أداء فريضة الحج ، عندما كان أميناً لصرة المحمل ، وسجل وقائعهما في كتابيه «مشعل المحمل ، وكوكب الحج» أما الرحلة الرابعة ، فكانت مهمة رسمية بقصد تسليم قمح صدقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة بجدة عام ١٨٨٥ وجاء ذكرها في ذيل كتابه «كوكب الحج».

وفي هذه الرحلات ، تزود بالأجهزة العلمية ، التي أعانته في تسجيل البيانات ، ورسم الخرائط ، وتعيين المحطات ، وذكر اسماء النباتات وانواع الصخور والجبال وطبيعة الأرض بشكل عام ، فاضافت هذه المؤلفات العديد من المعلومات الجغرافية القيّمة في تاريخ الكشف الجغرافي للحجاز .

الرحلة الأولى

في عام ١٢٧٧هـ الموافق لسنة ١٨٦٠ رافق الوالي محمد سعيد باشا في رحلته إلى الأقطار الحجازية وزار المدينة المنورة ، ورسم خريطة من الوجه إلى المدينة المنورة مبيناً فيها معالم الطريق وكيفية المحطات ومحلات الزيارات [٢] وألف كتاباً عنها طبع بمطبعة عموم أركان الحرب بديوان الجهادية المصرية ونشر عام ١٢٩٤هـ الموافق لسنة ١٨٧٧ تحت عنوان : « نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية وبيان خريطتها العسكرية لحضرة محمد صادق بك قائمقام أركان حرب».

---

(١) أمين سامي : تقويم النيل، ج٢ . ص ٦١١ .

(٢) عمر طوسون : البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد، ص. ٣٠

وذكر فيه معالم هذا الطريق ومسافاته المترية بدقة لم يسبقه إليها أحد ، (وكانت تلك الزيارة مقدمة لرحلته العلمية التي اضطلع بها في العام التالي ١٨٦١)، وقدم عنها تقريراً اشتمل على معلومات جغرافية هامة مستفيداً ببعض المعدات وأجهزة القياس ذكر منها آلة قياس تسمى (هكتومتر) تستخدم في القياسات المترية (مئة متر)وآلة (البوصلة) تستخدم في تحديد الاتجاهات بالأضافة إلى جهاز جديد لم يمض على إختراعه أكثر من عشرين عاماً ، وكان هذا الجهاز الضخم عبارة عن آلة تصوير ضخمة (كاميرا) تعمل بطريقة اللوحات المبتلة [١] ، فأدى لحركة الاستكشاف الجغرافي خدمة لا ينساها له علم الجغرافيـــا الحديث ،بالأضافة إلى ما قدمه من معلومات مستفيضة للأماكن المقدسة ووصف شعائر الحج وصفاً بليغاً وما لها من الأدعية والمآثر المشهورة ،

الهدف من الرحلة :

يختلف المؤرخون في غايته الحقيقية من تلك الرحلات فهناك من يعتبره قد قام برحلاته لتحقيق بعض الأغراض العسكرية وأهمها انتخاب أوفق الأماكن لمبيت الجند وتعيين مواقع المحطات المختلفة على الطريق [٢]، وذلك بقصد إجراء مسح عسكري للمنطقة الممتدة بين الوجه والمدينة المنورة [٣] ، والذي يتتبع وصفه لتلك الأماكن ومواقع المحطات التي أوردها في هذا الكتاب واللغة التي كتب بها، يتفق إلى حد ما مع هذا الرأي فهو يقول في مقدمة كتابه « نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية » بلغة تقارير العسكريين التي تتسم بالإيجاز الشديد وتهتم بالمعلومات البيانية والتفاصيل الدقيقة ، كما يظهر فيه اعتناءه وحرصه على ذكر التوقيت بالساعة والدقيقة :

« وفي الساعة الثالثة وعشرة دقائق من يوم السبت ثاني عشرين من الشهر، سرنا ودخلنا طريقاً أقل عرضه عشرين متراً وعلى مسيرة ثلاثة آلاف وخمسمائة متر صخرة حجر احمر في وسط الطريق تمرّ الجمال من طرفيها ويضيق الطريق بسببها ثلاثة آلاف متر منها صخور وأحجار إلى الف وخمسمائة متر ثم يبدو طريق به أشجار محدقة وأحجار

(١) وليام فيسي وجليان غرانت : المملكة العربية السعودية في عيون اوائل المصورين، ص ١٨

(٢) عبد الرحمن زكي : اعلام الجيش والبحرية في مصر، ص. ١٦ .

(٣) بدر الحاج، صور من الماضي، ص ١٢ .

مفرقة متكونة من طبقات متفتتة من كثرة الحرارة والأمطار » [١] .

وهكذا يستمر الوصف ، يذكر الزمن بالدقائق والمسافات بالأمتار ومعالم الأماكن بلغة دقيقة لا تخلو من البلاغة المتعمدة ، فقد كان ذا ميل خاص إلى الأدب العربي نثراًونظماً [٢] وهو اسلوب القرن التاسع عشر حيث كان الكاتب ينتقي المفردة انتقاءاً، ويرص الكلمات رصاً جميلاً، بين الفصيح والدارج ، ويكشف لنا عن غايته عندما يقول :

« تركت ذكر الأدعية التي تقال في الزيارات خوفاً من الأطالة ، إذ المقصد هنا ذكر الاستكشافات العسكرية واللوازم السفرية وتشخيص الأماكن والمناخات وتعين الطرق والمحطات » [٣].

الرحلة الثانية

مشعل المحمل في سفر الحج براً

سنة ١٢٩٧هـ/١٨٨٠م

بعد أن عُيّن محمد صادق أميناً للصرة سنة ١٨٨٠، عاد في سبتمبر من نفس العام مرة ثانية إلى الأراضي الحجازية على رأس المحمل المصري، ليقدم لنا وصفاً غاية في الدقة لرحلة المحمل المصري، منذ بدء مسيرة المحمل في يوم الاثنين ٢٢محرم سنة ١٢٩٧ هجرية الموافق لتاريخ ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٠ مسيحية [٤] عندما تهيأ محفل المحمل الشريف للانطلاق إلى السويس وحتى عودته إليها وفي يوم الخميس ٢٦ صفر ،كما قدّم وصفاً لكيفية الحج ومعالم الطريق، بات يحتذى من بعده ، وقد وصف رحلة الحج هذه في كتابه «مشعل المحمل في سفر الحج براً» التي عبّر عنها في مقدمة الكتاب السيد أحمد

(١) محمد صادق : نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية، ص ٧.

(٢) عمر طوسون : مصدر سابق. ص ٣٠٢.

(٣) محمد صادق باشا : نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية، ص ١٧.

(٤) ٢٢ محرم ١٢٩٧ هـ، يوافق ٥ يناير ١٨٨٠ م حسب التوفيقات الالهامية، وهو الأرجح.

البرزنجي ، وكيل مفتي الشافعية وخادم العلم بالروضة النبوية بقوله :

(أما بعد) فلما كان عام ألف ومائتين وسبع وتسعين من الهجرة النبوية على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية عند وفود موكب المحمل المصري لأداء سنّة زيارة حرم خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بعد الفراغ من النسك والمشاعر العظام تشرفنا بلقاء أمين صرته الشريفة ذي الشمائل الظريفة والمعارف الجمة والفكرة الثاقبة والغيرة والهمة حضرة عزتلو أفندم محمد بك صادق ذي التدقيق الفائق ، فعند التملي بحسن لقائه والاقتباس من نور سنائه أطلعنا على رسالة رحلته المحتوية على جمل وتفاريق سفرته ، فوجدناها رسالة بديعة البيان كاملة الحسن والإحسان جليلة المعاني جميلة المباني قد أحرزت من كل فن أحسنه ، ومن كل علم اتقنه ، فيما يتعلق بالحرمين المحترمين ، والبلدين المعظمين مما لايفرق معه بين العين والأثر ويجعل الخبر كالعيان والعيان كالخبر، وتفيده من فن الجغرافيا لطائف النكات من وصف الأرض وقطعها المتجاورات المختلفة الألوان والشيات وتوضح له بأبدع نظام ومهمات مسائل الحج والإحرام وكيفية أداء المناسك المطلوبة والمشارع العظام المرغوبة وتشير له إلى حكمة تشريع تلك العبادات وأسرارها الخفية ومحاسنها ومزاياها المطوية إلى تنبيهات من علم التصوف شافية وإرشادات مقتبسة من إشارات القوم كافية وبالجملة فهي حرية بأن تدعى مرآة العجائب ومعرض الغرائب قد احتوت على نوادر الغرر ونفائس الدرر وعلى أصول لطيفة التأسيس أبهج من أجنحة الطواويس فليتخذه المطالع علماً يهتدي به وأما ما يقتدي به فيالها من طرائف ظرائف تصقل الأذهان وتزدهي حسناً على سوالف الغزلان فلازال جامعها مرتقياً في معارج المعالي زينة في صدور المحافل مدى الأيام والليالي موفور السعد والإقبال متشرفاً بين الأقران والأمثال آمين » [١] .

ويوجز محمد صادق غايته من الكتاب بقوله في ديباجة المقدمة :

« أما بعد فيقول الفقير إلى مولاه محمد صادق بيك ميرالاي أركان حرب المصري إني قد استخرت اللّه في أن أشرح ما شاهدته براً في طريق الحج الشريف من كل مأمن أو

---

(١) محمد صادق : مشعل المحمل، ص ٢٠١ .

مخيف وماهو جار في كيفية أداء هذه الفريضة الإسلامية ليكون دليلاً مختصراً مفيداً للأمة المحمدية وخدمة لأبناء الوطن ولم أذكر شيئاً بمجرد الظن بل عولت في الغالب على الاقتصار على ذكر الحسن وسميته (بمشعل المحمل) وعلى الله سبحانه وتعالى أتوكل ، وإن وجد فيه شيء لاينبغي أن يذكر فإنما ذكرته أداء لحقّ الوظيفة مع التلطيف ليكون قدوة ودليلاً لمن يتوظف من الآن وليس الخبر كالعيان اعلموا وفقنا الله وإياكم لما فيه السداد وهدانا إلى طريق الرشاد إني قد تعينت أمينا لصرة الحج الشريف في طلعته سنة ١٢٩٧ وعودته سنة ٩٨ هجرية وكان سعادة عاكف باشا اللواء أميراً على الحاج في هذا العام ورئيس أورطني السواري حضرة عاطف بيك القائمقام »[١] .

الرحلة الثالثة

كوكب الحج في سفر المحمل بحراً وسيره براً

٢١ من ذي القعدة من شهور عام ١٣٠٢ هـ

(الموافق لتاريخ ٣ سبتمبر ١٨٨٤)

قام محمد صادق في سنة ١٨٨٤ برحلة حج ثالثة إلى مكة المكرمة والمدينة المنورة، والتي بدأت منذ استلام صرة المحمل في يوم الثلاثاء الموافق ٢١ من ذي القعدة من شهور عام ١٣٠٢هـ (الموافق لتاريخ ٣ سبتمبر ١٨٨٤) متجهاً إلى السويس ومنها إلى جدة عبر البحر الأحمر ، إلى أن رست الباخرة أمام بوغاز جدة فضربت الموسيقا والطبول والمدافع فرحاً بالوصول . . لتبدأ رحلة المحمل براً متجهاً في الأراضي الحجازية وتبدأ معها رحلة زيارة المدينة التي يصفها بدقة لا تقل عن وصفه السابق في كتابيه السابقين ، حتى يعود يوم الاثنين ١٦ ص بعد الساعة واحدة وربع ليصل إلى محطة مصر بالعباسية .

وهذه الرسالة المسماة (كوكب الحج) تصف المنازل والأماكن فلا يكاد المرء في ذلك الوقت يحتاج في معرفتها عند مروره عليها إلى معرّف ولا دليل فهي تذكر قبائل العرب الحجازية وفصائلها وأخلاق بعضها ومساكنها على وجه جميل ، فهي على حد قول مصححها الشيخ محمد الحسيني :

---

(١) محمد صادق : مشعل المحمل، ص ٤ .

« مهذبة المباني محررة المعاني نميقة بنان الصنع الذي لايقدر قدره ذكاء ونبلا وبنت فكر الهمام الذي لايدرك شأوه رقة وفضلاً الملحوظ بعين عناية مولاه الخالق حضرة محمد باشا صادق * على ذمة حضرته حفظه اللّه ومن كل سوء وقاه * في ظل الحضرة الخديوية .. أفندينا محمد باشا توفيق أدام اللّه علينا أيامه ووالى علينا أنعامه وحفظ أنجاله الكرام وجعلهم غرّة في جبين الليالي والأيام وأدام لنا خيريه مدى الأعوام وكان تمام طبعه وبدوّ زهره وينعه في أوائل ذي القعدة الحرام من عام ثلاث بعد ثلثمائة وألف من هجرته عليه أفضل الصلاةوالسلام وعلى آله وصحبه البررة الكرام »[1] .

الرحلة الرابعة

(مهمة تسليم قمح صدقتي
مكة المكرمة والمدينة المنورة بجدة)

١٢ ربيع الأول سنة ١٣٠٣هـ/١٨٨٥م

والتي قام بها في شهر (ربيع الأول) سنة ١٣٠٢هـ عندما تعيّن من قِبَل المالية المصرية في مهمة تسليم قمح صدقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة بجدة عن سنة ١٣٠٢هـ الموافقة لسنة ١٨٨٥ مسيحية .

ولقد اورد في الرسالة التي ذيّل بها كتابه كوكب الحج تفاصيل التقرير الذي قدمه عن هذه المهمة والذي تضمن مقدار هذه الصدقة مع ذكر مراسم الاستقبال وطريقة توزيع الصدقة ويقول فيها :

« توجهت من السويس في ١٢ ربيع الأول سنة ١٣٠٣ ووصلت جدة في ١٦ منه صباحاً ومنها توجهت إلى مكة ثاني يوم على حمير الأجرة بدون لجام ولا ركاب كما هي العادة في ظرف اثنتي عشرة ساعة منها ساعة ونصف استراحة بالمحطات .. ثم يذكر تفاصيل لقائه مع والي الحجاز عثمان باشا نوري وسعادة أمير مكة الشريف عون الرفيق .. ويتوجه لمكة ويشهد غسل الكعبة و دعاء نصف شعبان وايام في شهر رمضان ويعود

---

(١) كوكب الحج، ص ٧٣.

مرة ثانية إلى جدة لانتظار حضور الوابور من بومباي بقمح الصدقةَ » [1] .

ويصف إجراءات تسليم وتسلم صدقة القمح قائلاً :

« وجرى إعمال المعدل بها بواسطة القادوس والكيل المصري بحضور قومسيون تشكل لذلك يكون التسليم والتسلم للأهالي بموجبه وتحررت الشروط اللازمة عن ذلك وعند انتهاء التسليم أعطيت السند اللازم إلى وكيل المتعهد. بالمقدار الوارد بالشونة (مخزن الحبوب) كالأصول ..، وفي غرة ج سنة ١٣٠٣هـ ٦ مارث سنة ١٨٨٦م ركبت وابور البحر(الباخرة) ووصلت إلى السويس ثم وصلت إلى مصر ثاني يوم وقدمت أوراق مأموريتي(مهمتي) إلى المالية حسب الأصول والطريقة الحسنة في تسلم قمح صدقتي مكة والمدينة » [2] .

محمد صادق : المصور الرائد

من حسن حظ محمد صادق بك انه وخلال فترة بعثته في باريس كان قد حدث شيء من التقدم في مجال معالجة الصور الفوتوغرافية ، وسرعان ما انتشر هذا الإختراع الرائع الذي يعتمد على ما سمي بالكاميرا ، وانه بلا شك قد بهر بهذا الإختراع الجديد.

كما جاء إدخال هذه الآلة ضمن إتجاه محمد علي باشا في تحديث معدات الجيش المصري وتطويره، مواتياً لرغبة صادق في استخدام هذه التقنية المتقدمة آنذاك ، حتى أتقن استعمالها، واشتهر بين المؤرخين بأنه أول من التقط صوراً فوتوغرافية في المدينة المنورة. ففي معرض حديثه عن الصور الأولى لمكة والمدينة المنورة يقول بدر الحاج :

« كانت معظم مناطق شبه الجزيرة العربية مجهولة بالنسبة للمصورين الأجانب ، باستثناء بعض الصور لمدن جدة وعدن ومسقط والتي التقطت من قِبَل مصورين كانوا في طريقهم إلى الهند ،وعندما أصدر المهندس المصري الميرالاي أركان حرب محمد صادق بك أول أعماله الفوتوغرافية عن مكة المكرمة والمدينة المنورة لاقت هذه الأعمال

---

(١) كوكب الحج، ص ١٨.

(١) كوكب الحج، ص ٧١.

إقبالاً شديداً ونشرت في شتى المجلات العربية والأوروبية »[١] .

ويقول وليام فيسي : « يبدو أن أول صورة شمسية لسعودية اليوم جرى التقاطها قبل نحو مئة عام من ذلك في عام ١٨٦١ : ففي الواحد والعشرين من يناير كانون الثاني نزل عقيد مصري اسمه محمد صادق إلى بر ميناء الوجه الواقع على البحر الأحمر في الساحل الشمالي للحجاز ، كان الضابط النابه يحمل جهازاً نابهاً هو الآخر : كاميرا أو آلة تصوير شمسي التقط بها فيما زعم أنها أولى الصور الشمسية لمسجد الرسول سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم في المدينة المنورة ، وفي عام ١٨٨٠م عاد فصوّر الحرم المكي الشريف ومواقع أخرى يتصل سبيلها بالحج » [٢] .

أما عن موهبته في فن التصوير فتتفق جليان غرانت مع فيسي وبدر الحاج من قبله في أن محمد صادق كان ذا موهبة فذة ، عندما تقول : « لا نعرف عن حياته إلا القليل باستثناء أن موهبته في مجال التصوير الشمسي جرى إعتراف علني بها حين منح شهادة تقدير وميدالية ذهبية في مهرجاني البندقية لعامي ١٨٧٦، ١٨٨١ ، اما في عام ١٨٨٧ فإن الخديوي نفسه قد منحه ميدالية » [٣] .

فقد ذكر صادق أنه منح ميدالية من الذهب ومن الدرجة الأولى عام ١٨٨١ عن هذا العمل الرائد عندما يقول : « وقد تيسر لي في سفري سنة ١٢٩٧هجرية أعني سنة ١٨٨٠ مسيحية أخذ المناظر المقدسة بالبلدين المشرفتين بواسطة الآلة الفطوغرافية حيث لم يسبق لأحد غيري ومنحت بسبب ذلك بمداليا من الذهب ومن الدرجة الأولى بمعرض ڤينا سنة ١٨٨١ » [٤] .

ويقول صادق نفسه عن تجربته في التقاط صورة للمدينة المنورة ، مؤكداً ريادته لتصوير الحرم النبوي الشريف من الداخل :

« أخذت رسم المدينة المنورة بواسطة الآلة الشعاعية المسماة بالفوتوغرافية مع قبة

---

(١) بدر الحاج، صور من الماضي، ص ١٢ .

(٢) وليام فيسي وجليان غرانت : المصدر سابق، ص ٨ .

(٣) وليام فيسي وجليان غرانت، المصدر سابق، ص ١٨ .

(٤) محمد صادق باشا : دليل الحج، ص ٣ .

المقام الشريف جاعلاً نقطة منظر المدينة من فوق الطوبخانة حسبما استنسبته لكي يحوز جزءاً من المناخة أيضاً، وأما منظر القبة الشريفة فقد أخذته من داخل الحرم بالآلة المذكورة أيضاً، وما سبقني أحد لأخذ هذه الرسومات بهذه الآلة أصلاً» (١) .

يذكر بدر الحاج (٢) الذي يُعدُّ من المتخصصين في توثيق الصور التي قام بالتقاطها صادق : أنه استطاع التقاط العديد من الصور الشمسية في مكة المكرمة والمدينة المنورة ومنى ، من بينها صور للأبنية من الداخل ولبعض الشخصيات ، وقد احصيناها في كتابه مشعل المحمل حسب روايته كما يلي :

رسم المسجد المكي والكعبة

« وقد تيسر لي في هذه الأيام أخذ رسم المسجد المكي والكعبة بالفطوغرافيا وأخذ رسم مسطحه على قدر الإمكان مع كثرة الازدحام وعدم الفراغ » (٣) .

رسم مسطح الحرم

« وقد تيسر لي رسم مسطح الحرم بالبيان وأخذ رسم منظره من جملة جهات مع ما حوله من البيوت بواسطة آلة الفطوغرافيا . . » (٤) .

صورة الشيخ عمر الشيبي الموكل بمفتاح بيت الله

« وقد رسمت بالفطوغرافيا صورة حضرة الشيخ عمر المذكور وأرسلتها إلى حضرته مع هذه الأبيات من قولي :

قلبي يصوّر شخصكم في كعبة بنيت على الرحمات والأنوار

فالقلب مشتعل بنار فراقكم أوليس كل مصوّر في النار

---

(١) محمد صادق مشعل المحمل، ص ١٦ .

(٢) بدر الحج : صور من الماضي، ص ١٣ .

(٣) محمد صادق باشا : مشعل المحمل، ص ٣٥ .

(٤) محمد صادق باشا : مشعل المحمل، ص ٢٨ .

بيـدي رسـمت مـثـالكم في رقـعـة أمـلاً لقـرب الـود والتـذكـار » [1]

وفي موضع آخر يذكر : « وأخذت صورة سعادة شيخ الحرم وبعض أغوات الحجرة الشريفة وما سبقني أحد لأخذ هذه الرسومات بالفطوغرافيا أصلاً » [2] .

مقبرة مكة

« وقد رسمت منظر هذه المقبرة بالفطوغرافيا . . » [3] .

منى

« وقد تيسر لي رسم هذا المسجد وبقعة منى بالفطوغرافيا وفي مدة الليل أطلقت المدافع والشنكات . . . . » [4] .

رسم المدينة المنوّرة بالفطوغرافيا مع قبة المقام الشريف

« وقد تيسر لي أخذ خريطة الحرم السطحية بالضبط والتفصيل وأخذت أيضاً رسم المدينة المنوّرة بالفطوغرافيا مع قبة المقام الشريف والخمس منارات وقد أخذت منظر القبة الشريفة من داخل الحرم . . . » [5] .

أما أهم الصور التي قام بالتقاطها في الأراضي الحجازية، واعتمدها مؤلفون آخرون فيشير بدر الحاج [6] إلى الصور التي استعملها صبحي صالح في كتابه « الحج إلى مكة والمدينة . والصادر بالفرنسية في القاهرة سنة ١٨٩٤ » ، وقد وقفنا عليه أيضاً في مكتبة الشيخ حسن بن محمد آل ثاني ، بالدوحة قطر .

وقد أعتمد عليها محمد لبيب البتنوني في وضع رسم نظري للحرم ، حين يلمّح

---

(١) محمد صادق باشا : مشعل المحمل، ص ٢٨ .

(٢) محمد صادق باشا : مشعل المحمل، ص ٤٥ .

(٣) محمد صادق باشا : مشعل المحمل، ص ٢٤ .

(٤) محمد صادق باشا : مشعل المحمل، ص ٣١ .

(٥) محمد صادق باشا : مشعل المحمل، ص ٤٥ .

(٦) بدر الحج : المصدر سابق، ص ١٤ .

لذلك في مقدمة كتابه الشهير الرحلة الحجازية بقوله :

« وضعت في هذا السفر المبارك كثيراً من الخرط الجغرافية والرسوم النظرية التي وضعتها بنفسي أو الصور الفوطوغرافية التي أخذت بمعرفة بعض من كان في معية الجناب العالي الخديوي أو سواهم من أفاضل المصورين الذين سبق لهم السفر إلى تلكم الارجاء من مصريين وغيرهم » [١] .

ويصرح قائلاً :

« ووضعت للحرمين الشريفين رسماً نظرياً معتمداً على الأبعاد التي وضعها لها المرحوم محمد صادق باشا المصري » [٢].

نتائج رحلاته :

■ يرجع له الفضل في كشف ذلك الجزء من بلاد العرب ووصفه قبل أن يكتب ريتشارد بيرتون Richard Burton عن هذا الجزء بستة عشر عام ، فقد كان له السبق في مسح هذا الجزء ووضع خارطة للطريق الذي سلكه ، وعدم اعتماده على ما كان يرويه الذين قابلهم كما كان يفعل معظم الرحالة الغربيين ، بل كان يحقق كل صغيرة وكبيرة .

■ وإليه يرجع الفضل في وصف الجزء الجنوبي للمدينة المنورة وهي منطقة ظلت مجهولة تماماً ولم يرتدْها بيرتون نفسه .

■ ولأول مرة في تاريخ الكشف الجغرافي استعملت آلة التصوير الحديثة (الكاميرا) داخل الحرم النبوي في المدينة المنورة ، وللمرة الأولى أخذت قياسات في غاية الدقة ، ولأول مرة أيضاً عُملت خارطة لقبر النبي ﷺ.

■ دوّن صادق باشا نتائج رحلته في كتيب اشتمل على خارطة للطريق الذي سلكه ووصفه وصفاً دقيقاً ، وقد طبعت نظارة الحربية هذا الكتاب ونشرته عام ١٨٧٧ ، « نبذة في استكشاف طريق الأرض الحجازية من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية وبيان خريطتها

---

(١) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ، ص ٦ .

(٢) محمد لبيب البتنوني : الرحلة الحجازية ، مطبعة والدة عباس الأول ، القاهرة ١٣٢٧ هـ ، ص٦ .

العسكرية » ، ولكن بمرور الأيام أهمل أمره وصار عمله في عالم النسيان.

■ يأخذ عليه عبد الرحمن زكي ، وجود بعض العيوب والأخطاء العلمية في الخارطة التي وضعها ، ولكنه ، يعتبرها « أقدم وأجود مصور عمل إلى الآن لذلك الجزء »[١].

المناصب التي تقلدها :

تنقّل بين عدة مناصب عسكرية ومدنية عديدة وحاز على عدة نياشين ، منها : رتبة اللواء كما حصل أيضاً على لقب باشا ، واعتبر عضواً بارزاً في الجمعية الجغرافية ، كما عيّن في منصب أركان حرب ديوان الحربية ، وذلك في عهد الخديوي إسماعيل ، وعيّن أميناً لصرة المحمل وفي عام ١٨٨٢م عيّن رئيساً لقلم الرسم بمصلحة التاريخ ، تحت رئاسة الجنرال ستون Stoon – رئيس البعثة العسكرية الأمريكية .

وفاته :

توفي اللواء محمد صادق بك، حسب ما ذكره المؤرخون، في عام ١٩٠٢م، وذلك بعد حياة حافلة بالإنجازات العلمية في مجال الكشف الجغرافي ، والعمل الحربي خدمة لبلاده، ولأمته الإسلامية، التي أهداها،سجلاً وافياً عن الأماكن المقدسة في البلاد الحجازية والطريق إليها،ووصفاً صادقاً ودقيقاً لشعائر فريضة الحج .

مؤلفاته :

يقول محمد صادق عن مؤلفاته في مقدمة كتاب « دليل الحج » الذي نشره عام ١٨٩٦م :

« أني استخرت الله بأن أجمع كتبي الثلاثة التي ألّفتها مدة سفري إلى الأراضي الحجازية أحدها ، جريدة استكشافية من الوجه إلى المدينة المنورة ومنها إلى ينبع البحر حين كنت مهندساً بمعية المرحوم سعيد باشا والي مصر وتبعته في سفره إلى المدينة في رجب سنة ١٢٧٧ هجرية وفي سنة ١٢٩٧ تعينت أميناً للصرة وتوجهت مع المحمل في شهر شوال بطريق البر وعند عودتي ألّفت كتاباً في كيفية الحج ومعالم الطريق وسميته

---

(١) عبد الرحمن زكي : مصدر سابق، ص ١٦١ .

بمشعل المحمل ، والثالث بتلك الوظيفة أيضاً بطريق البر في ذي الحجة سنة ١٣٠٢ هـ وسميته « كوكب الحج » شارحاً بها سير المحمل من يوم خروجه من مصر المحروسة إلى وصوله مكة المكرمة والمدينة المنورة وعودته إليها مع رسم خريطة الطريق وبيان المسافة بين المحطات بالضبط وذكر نوع أرضها وصلاحيتها وما بها من آمن ومخوف ، والبلاد المار عليها والحج وسكانها وعاداتهم وتعدادهم حسب الاستكشافات العسكرية وكيفية الحج ومناسكه ورسم مسطح الحرمين الشريفين المكي والمدني فجاءت بفائدة عظيمة للمسافر والمقيم ونفع عميم فاهتممت وجمعتها في كتاب واحد ليتخذه المطالع والحاج علماً يهتدي به »(١) .

وبالاضافة إلى هذه المؤلفات – التي وقفنا عليها في مكتبة الشيخ حسن بن محمد بن علي آل ثاني بالدوحة قطر– له أيضاً كتاب في الرحلات بعنوان : نبذة سياحية إلى الأستانة العلية(٢) لكننا لم نقف عليها حتى حينه ٠

المراجع :

- الوليلي ، إبراهيم مصطفى : مفاخر الأجيال في سير أعاظم الرجال، المطبعة المحمودية ، القاهرة ، ط٢، ١٩٣٤٠
- سامي ، أمين باشا : تقويم النيل ، القاهرة ، ج ٢ ، ص ٦١١ .
- الحاج ، بدر : صور من الماضي ، المملكة العربية السعودية ، رياض الريس ، لندن، ١٩٨٩ ٠
- الزركلي ، خير الدين : الأعلام ، ج ٧ ، ط ٣، القاهرة ، ص ٣١.
- غربال ، شفيق : الموسوعة العربية ، القاهرة ، ١٩٦٤ ، ص ١٦٦١٠
- زكي ، عبد الرحمن : أعلام الجيش والبحرية في مصر أثناء القرن التاسع عشر ، الجزء الأول ، مطبعة الرسالة ، القاهرة ، ١٩٤٧ ، ص ١٦٠ - ١٦٢ .
- طوسون ، عمر : البعثات العلمية في عهد محمد علي ثم في عهدي عباس الأول وسعيد ، مطبعة صلاح الدين بالإسكندرية ، ١٩٣٤م ، ص ٣٠٠ - ٣٠٣.
- البتنوني ، محمد لبيب : الرحلة الحجازية ، مطبعة والدة عباس الأول، القاهرة ١٣٢٧هـ ، ص ٦.
- وليام فيسي وجليان غرانت : المملكة العربية السعودية في عيون أوائل المصورين، مركز الدراسات العربية ، لندن ، ١٩٩٦م.

(١) محمد صادق : دليل الحج، بولاق، ١٨٩٦، ص ٢٤.

(٢) خير الدين الزركلي، الأعلام، ج ٧، ص ٣١.

(نبــذة)

في استكشاف طريق الأرض الحجازية

من الوجه وينبع البحر إلى المدينة النبوية

وبيان خريطتها العسكرية

(لحضرة محمد صادق بك قائمقام أركان حرب)

وقد أدرجت في شهر جماد آخر سنة ٩٤ بنمرة ٤ و ٥ و ٦ من الجريدة العسكرية

بمطبعة عموم أركان حرب بديوان الجهادية
سنة ١٢٩٤ هجرية

المحتويات

بداية الرحلة

العودة

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين (أما بعد) فيقول العبد الفقير محمد صادق أحد المهندسين المصريين إني لما رسمت خريطة من الوجه إلى المدينة المنوّرة على صاحبها أفضل الصلاة والتحية ومنها راجعاً إلى ينبع البحر وبينت فيها ما يلزم من الأبعاد بآلة مقياس تسمى (هكتومتر)[1] والاتجاهات بالبوصلة بكل دقة جاءت بحمد الله وعونه طبق المرام ولم يسبقني بها أحد إلى هذا الأمر ولكن الرسم مهما كان لايسع إيداع الاستكشافات اللازم إيضاحها فأحببت أن أشرح جميع ما تراءى(ترآى) لي في الطريق ومعالم كل متسع ومضيق مع ذكر كيفية المحطات ومحلات الزيارات وما لها من الأدعية المأثورة والمآثر المشهورة .

وصف الأدوات

وها أنا أقدّم ذكر الآلة المقياسية مع رسمها فأقول : «هي عجلة مستديرة نصف قطرها أربعون سنتيما (سنتيمتر) وبوسط أحد وجهيها قطعة نحاس ثابتة بها وفيها ثقبان صغيران ونافذ من مركز العجلة والصفيحة محور ثابت وهو قطعة حديد في سمك أصبع طرفاه داخلان في طرفي قطعتي خشب مربعتين طول كل منها خمسة وخمسون سنتيما (سنتيمتر) وكل من عرضهما وسمكهما أربعة سنتيما (سنتيمتر) والخشبتان المذكورتان ينتهيان لعلبة مستديرة من خشب لها غطاء من زجاج مستدير بأسفله مينة في قطر عشرين سنتيما (سنتيمتر) مثل الساعة وتلك المينة منقسمة إلى عشرة أقسام كل قسم منها منقسم إلى عشرة أقسام أيضاً وبها عقربان [2] كعقربي الساعة يقطع العقرب الكبير كل قسم من الأقسام في مسيرة متر واحد والصغير في مسيرة مائة متر فيكون

---

(١) هيكتومتر: جهاز لقياس المسافات بالمئة متر (Hectometer).

(٢) عقربان: يقصد مؤشران، والتسمية نسبة لمؤشر الساعة.

قطع العقرب الكبير لجميع الدائرة في مسيرة مائة متر وبقطعه تلك المسافة يقطع العقرب الصغير منها قسماً واحداً يعني واحداً من المائة فحينئذ يقطع العقرب الصغير الدائرة في مسيرة عشرة آلاف متر وبذلك تتم الدورة ويستأنف العمل ودوران هذين العقربين بواسطة تروس كالساعة يحركهما قضيب داخل طولاً في أحد الزراعين الطرفين وأحد طرفيه متخلل بتروس العقربين المذكورين والطرف الآخر حلزوني [1] متخلل بترس صغير من داخل طرف الذراع ناتىء [2] منه مسماران صغيران داخلان في الثقبين الموجودين في القطعة النحاس المذكورة الثابتة في وسط العجلة بحيث إذا دارت هذه العجلة دارت معها القطعة النحاس ، ولكون المسمارين المذكورين داخلين في ثقبي الصفيحة يدوران بدورانها ويديران الترس الصغير المذكور وبتحركه يتحرك القضيب المتخلل به ولتخلل طرفه الآخر بتروس العقربين يتحركان بحركته ، وبالدائرة المذكورة يد مستديرة من خشب بواجه اليدين معدّة للقبض فمتى كرّت [3] العجلة على وجه الأرض دار العقربان بحسب كرّها فمن أراد القياس بها فليقبض على اليد المعدّة للتسيير ويجذبها أماماً أو خلفاً فيدور العقربان كذلك ومن أراد معرفة ما قطعته من المسافة نظر إلى العقربين فما قطعه العقرب الصغير من الأقسام دل على عدّة المئين والألوف وما قطعه الكبير دل على ما دون المائة .

---

(١) حلزوني: لولبي.

(٢) ناتىء: بارز.

(٣) كرّت: لفّت أو دارت.

بداية الرحلة

من القاهرة إلى السويس ثم ميناء الوجه

(الثلاثاء ١١ رجب - السبت ١٥ رجب - الاثنين ١٧ رجب)

ولقد ابتدأت في السير من مصر المحروسة بوابور البر [١] ووجهت آمالي لهذا الارب[٢] في الساعة الثانية من يوم الثلاثاء المبارك حادي عشر رجب الفرد عام سبعة وسبعين ومائتين بعد الألف قاصداً ثغر [٣] السويس ووصلت إليه في أربع ساعات ونصف وأقمت به لصباح السبت خامس عشر الشهر المذكور أقلعنا منه بوابور البحر[٤] ورسينا بمينة «الوجه» في الساعة الثانية من يوم الاثنين سابع عشر الشهر وهي مينة متوسطة من مين بحر القلزم [٥] معدة للسفن وبها برج به مدافع على شاهق جبل مشرف على البحر وذلك الجبل من حجر أصم أصفر في ارتفاع واحد وخمسين متراً يصعد له بطريقين أحدهما من جانب البرج والآخر من الطريق الموصلة للقلعة وله سفح متسع تنزل به القوافل ولقد نزلنا به وفيما بين الجبل والمينة بيوت صغيرة .

وصف قلعة الوجه

وفي الساعة السادسة وخمس وعشرين دقيقة من غدوة قدومنا سرنا قاصدين المدينة المنورة وكان جميع سيرنا على سير الجمال في غاية الانتظام والأمن والراحة ونزلنا من السفح لدرب منحدر يمر به الجبل فالجبل ينتهي إلى واد بين سلسلة جبال وملنا للطريق التي تتصل بالدرب الآتي من جهة البحر وسرنا بها حتى وصلنا لقلعة

(١) وابور البر: قطار.

(٢) الإرب: الهدف، القصد، الغاية.

(٣) ثغر: ميناء.

(٤) وابور البحر: باخرة.

(٥) بحر القلزم: البحر الأحمر.

الوجه ونزلنا تجاهها بعد مضي ساعة وخمسين دقيقة من ابتداء سيرنا على مسيرة تسعة آلاف متر وهي قلعة من البناء موضوعة بين جبال من حجر أحمر صواني بها مدافع ومعدّة لخزن ميرة الحجاج[١] والمحامل الواردة من مصر بطريق مينة الوجه وهناك زلط كثير وقد يتقاطع هناك ثلاثة دروب الأول موصل للسويس ويسمى طريق العلا والثاني يسمى الستار والثالث موصل للمدينة المنورة ، وتجاه تلك القلعة قطعة أرض مستوية بها بعض أكمات[٢] ومياه تلك الجهة آبار ماء قيسوني [٣] ومحافظو تلك القلعة مقيمون داخلها خوفاً من العربان [٤] الذين لا يأمنونهم ومسيرهم على إبل تسمى عندهم بعرانا جمع بعير وبلا محرف عن إبل وهي دون جمال [٥] مصر والشام بكثير بها نحافة وهزال ووبر زائد لا تقدر على حمل المثقلات وسيرها بسرعة على غير انتظام وتزعجها أصحابها وتوقفها بأصوات ولقلقة [٦] معروفة عندهم ولايمكن شدّ المحفات [٧] عليها لهزالها وعدم ائتلافها ولكن البعض منها يشدون عليه شيأ (شيئاً) شبيه المحفة يسمونه شقدفا وهو شطران مصنوعان من خشب الخيزران مقضب بقشرة يوضع على جنبي البعير وظهر الشطر محدب مرتفع يتصل بزميله عند شده على البعير بحيث يسع كل شطر منهما نومة إنسان ويصير الظهران مظللين على الراكبين بهما وهي معدة لركوب نساء أغنياء العرب وتارة يستأجرها الحجاج من نحو المدينة ومكة ويغطيها بعضهم بأبسطة لإظهار الافتخار وتلك الإبل تقتات بحشيش معروف وأحياناً يسففونها معجون مدقوق نوى التمر ولها صبر على الجوع والعطش كأصحابها .

---

(١) ميرة الحجاج: مؤن الحجاج.

(٢) أكمات: مرتفعات رملية.

(٣) ماء قيسوني: ماء بئر عذب.

(٤) العربان: البدو.

(٥) جمال: إبل.

(٦) لقلقة: يقصد جلجلة.

(٧) المحفات: جمع محفة وهي عبارة عن كرسيان من الخشب إذا ضما الى ظهر الجمل جلس فيه راكبان على مثال جلوسهما على الكراسي ووجههما إلى رأس الجمال.

من قلعة الوجه إلى المدينة المنورة

(الخميس ٢٠ رجب - الجمعة ٢١ رجب)

وفي الساعة الثانية وربع من يوم الخميس الموفي [١] لعشرين شهرنا سرنا من تجاه القلعة المذكورة وسرنا تارة نجوب أرضاً سهلة وتارة نمرّ بجبال أو صخر وحجارة في رمال وهناك بعض أعشاب وأشجار مثل عبل [٢]وشوك نابتة من السيول ووصلنا في الساعة السابعة وربع من ذلك اليوم إلى واد متسع يسمى «بوادي المياه» على مسيرة أربعة وعشرين ألف متر من القلعة واسترحنا نحو نصف ساعة ثم نهضنا ووصلنا منه لواد آخر يسمى «بفرش النعام» ومنه لواد متسع معدّ لنزول القوافل وبه محطة تسمى «بأم حرز» أو «مفرق الدربين» وبه طريقان إحداهما تأخذ للميمنة [٣]موصلة إلى مكة المشرّفة والثانية إلى الميسرة وهي الموصلة إلى المدينة المنوّرة فنزلنا هناك في الساعة العاشرة وثلث على مسير أربعة عشر ألف متر من «وادي المياه» وثمانية وثلاثين ألف متر من قلعة الوجه وهذه المحطة لم يكن بها آبار ولا مياه ولا أعشاب وإنما الحجاج تحرز [٤] المياه مما قبلها ونزل علينا بها أمطار طول ليلتنا من غير أن تتجمع منه سيول لوجود الرمال وفي العادة أن أغلب الأمطار في تلك الجهات وما يليها لجهة القطب تكون في الصيف ويكون أكثر ابتدائها من قبل الغروب وتمطر أحياناً للشروق وقلّ أن تكون بالنهار إلا في زمن الشتاء .

من وادي أبي العجاج إلى محطة مطر

(٢١ رجب - ٢٢ رجب)

وفي الساعة الثانية من نهار الجمعة حادي عشرين رجب سرنا من وادي «أبي العجاج» وعلى مسيرة ثمانية عشر آلاف متر وصلنا لوادي متسع يسمى

---

(١) الموفي: المتمم.

(٢) عبل: أشجار، وفي اللغة هو كل ورق مفتول غير منبسط كورق الأثل والطرفاء.

(٣) الميمنة: الجهة اليمنى.

(٤) تحرز: تحصل أو تؤمن.

«بالرويضة» واسترحنا به قدر ربع ساعة ثم سرنا بميمنة جبل سبعة آلاف متر وانتهينا إلى جبال شاهقة من صخر أسود أصم يقال لها «جبال سلع» يتقطع الغمام من فوقها يصعد منها أبخرة كثيرة وارتفاعها من خمسمائة متر إلى ثمانمائة يعسر صعودها جداً لملاستها والطريق تمرّ من بينها مفازات [1] ضيقة وهذه المفازات من أعظم الدربندات [2] ولكن لم يكن هناك من الأعراب من يسكن بها لعدم صلاحيتها لسكناهم ثم بعد عشرة آلاف متر وخمسمائة متر وصلنا لواد متسع به أشجار صنط [3] ومنه إلى ألفين وخمسمائة متر تضيق الطريق كالأول إلى مسير ألف متر منه ثم تأخذ في الاتساع إلى ألف متر وهناك المحطة ونزلنا بها في الساعة العاشرة وتسمى «بالخوثلة» وكان السير من «أم حرز» أربعين ألف متر ومن قلعة الوجه ثمانية وسبعين ألف متر وهذه المفازة التي نفذنا منها يسمى ابتداؤها بـ«المبحرة» والدرب كله يسمى بـ«درب المحشرة» ومسافته أربعة عشر ألف متر والجبل الذي بميمنة المبحرة يسمى «رال» والطريق هناك تكون تارة في اتساع خمسين متراً وتتسع أحياناً إلى مائة وثلاثين متراً وبعض المحلات عسر السير جداً لكثرة الزلط وأشجار الصنط التي بها ونزل علينا في هذا اليوم أمطار وامتدت طول الليل واشتد البرد والصقيع وهذه المحطة متسعة محيط بها جبال شاهقة عجيبة الشكل والحجاج يبيتون بها وفيها مياه عذبة وبلغني أن بقرب المحطة على مسافة ساعتين نهر جارٍ.

وفي الساعة الثالثة وعشرة دقائق من يوم السبت ثاني عشرين الشهر سرنا ودخلنا طريقاً أقل عرضه عشرين متراً وعلى مسير ثلاثة آلاف وخمسمائة متر صخرة من حجر أحمر في وسط الطريق تمرّ الجمال من طرفيها ويضيق الطريق بسببها وعلى ثلاثة آلاف متر منها صخور وأحجار إلى ألف وخمسمائة متر ثم يبدو طريق به أشجار محدقة وأحجار مفرقة متكونة من طبقات ومتفتتة من كثرة الحرارة والأمطار وفي الساعة السابعة ونصف وصلنا إلى واد متسع وأقمنا به نصف ساعة وسرنا منه

---

(١) مفازات: جمع مفازة، وهي الصحراء الموحشة التي لا زرع فيها ولا ماء.

(٢) دربندات: جمع دربند وهي كلمة فارسية تعني مكان للمراقبة او للحراسة.

(٣) صنط: نوع من الشجيرات الصحراوية يكثر به الشوك ويسمى في الجزيرة العربية «سمر» Acacia.

إلى «محطة مطر» على مسير إحدى وثلاثين ألف متر من «الخوثلة» و«محطة مطر» هذه لم يكن بها مياه ولوجود المياه معنا بكثرة ونشاط دوابنا سرنا فيها بدون مكث قبل الغروب بنصف ساعة وأنخنا [1] بمحل بين جبلين شاهقين من حجر أسود على مسير خمسة آلاف وخمسمائة متر منها وبتنا بها فيكون سير هذا اليوم من «الخوثلة» ستة وثلاثين ألف متر وخمسمائة متر ومن «قلعة الوجه» مائة وأربعة عشر ألف متر وخمسمائة متر وأحياناً يوجد بهذا الطريق شجر وبه رمل وحجر والجبال لم تزل يميناً وشمالاً وبعض الأودية واسع وبعضها لمرآى العين ومرتفع الجبل أكثر من منخفضه .

من وادي العقلة - القصر الأحمدي (قصر حجي) - محطة الفقير

(الأحد ٢٣ رجب - الثلاثاء ٢٥ رجب)

وسرنا في الساعة ٣ و ٤٠ دقيقة من يوم الأحد ٢٣ الشهر ودخلنا طريقاً به أشجار وزلط كثير إلى مسافة ثمانية آلاف متر ثم مررنا بطريق ذي رمل كثير طوله اثنا عشر ألف متر ووصلنا لـ«وادي العقله» وكانت الساعة ٦ ونصف من النهار فنزلنا به قدر نصف ساعة وهو واد ذو أشجار ورمل وأحجار متطفلة [2] ثم سرنا منه ثلاثة عشر ألف متر ومائتي متر حتى وصلنا إلى «محطة العقلة» في الساعة عشرة فيكون سير هذا النهار ثلاثة وثلاثين ألف متر ومائتي متر والسير من «قلعة الوجه» مائة ألف وسبعة وأربعين ألفا وسبعمائة متر وهذه المحطة بها مياه مالحة لاتصلح إلا لشرب البهائم وتحرز الحجاج لها المياه مما قبلها ويتلاقى بهذه المحطة طريقان إحداهما طريق الحج المعتادة والثانية أقرب من الأولى بنحو ٤ ساعات لكنها عسرة السلوك وخطرة المناخ ولايمكن سير العربانات [3] والمدافع بها وفيها أشجار صنط بكثرة كما علمنا .

---

(١) أنخنا: أرحنا، للراحة.

(٢) أحجار متطفلة: أحجار ذات تركيب طفلي.

(٣) عربانات: عربات تسير على عجل تشدها الخيل أو الحيوانات.

وفي صباح يوم الاثنين رابع عشرين الشهر سرنا في الساعة واحدة وخمسين دقيقة من طريق الحج المعتاد إلى الساعة ٦ و ٤٠ دقيقة مسافة أربعة وعشرين ألف متر واسترحنا نصف ساعة وهناك جبال من حجر أحمر وأرض مرملة [١] بها شجر ثم سرنا من ذلك المحل أربعة آلاف وخمسمائة متر فوجدنا آثار بناء على يمين الطريق ظاهر طلله [٢] في صورة شكل مربع ضلعه خمسون متراً ويسمى بـ «القصر الأحمدي» وشهرته على لسان العامة «قصر حجي» وبه حائط قائم فيه باب ووصلنا من ذلك المحل لواد يقال له «عمودان» وانتهينا منه إلى «محطة الفُقَيّر» بضم الفاء وفتح القاف وتشديد الياء ونزلنا بها بعد الغروب بساعة واحدة و ٥٠ دقيقة وكان سيرنا هذا اليوم من «محطة العقلة» ٥١ ألف متر ويكون السير من «قلعة الوجه» إلى هناك ١٩٨ ألف و ٧٠٠ متر وأقمنا بها يوم الثلاث للاستراحة لوجود المياه بها وفقدانها في المحطة التي بعدها .

من الفقير - النقارات - محطة أبي الحلو

(الأربعاء ٢٦ رجب - الخميس ٢٧ رجب)

وفي صباح يوم الأربع سادس عشرين الشهر سرنا في الساعة الواحدة و ٣٥ دقيقة وفي ابتداء هذه الطريق صعوبة لامتلائها بالعبل [٣] وأرضها مسبخة [٤] وعليها طبقات ملح متكون من تجمع مياه المطر على السبخ وهناك أيضاً جداول مياه جارية من الوادي وانقطع العبل على ٥ آلف متر وعلى الميمنة جبل من حجر أسود كالح ثم يتسع الوادي وعلى يساره زلط وكيمان [٥] بكثرة لمسافة ٧ آلاف و ٥٠٠ متر ثم يكثر الزلط والتلول في شكل الشقافة وفي الساعة ٥ وربع نزلنا للاستراحة على سير ١٦ ألف متر من ذلك النهار ونهضنا في الساعة ٦ وثلث وسرنا بين تلول

(١) أرض مرملة: منطقة بها رمال.

(٢) طلّل: الطلل يعني الموقع المرتفع الشاخص من الآثار.

(٣) العبل: الشجر الكثيف المتشابك.

(٤) أرض مسبخة: أرض رطبة بها طبقات من الملح.

(٥) كيمان: يقصد أكوام، جمع كوم.

لا نشاهد جبالاً حتى وصلنا لـ «محطة النقارات» في الساعة ٨ وثلث على مسير ٢٩ ألف متر من «الفُقَيّر» وهذه المحطة تنزل بها الحجاج وليس بها آبار وحيث كان الوقت وقت عصر سرنا منها ٨ آلف و ٥٠٠ متر ودخلنا وادياً سهلاً لانرى حدوده، بتنا به فكان سير هذا اليوم ٣٧ ألف و ٥٠٠ متر فيكون السير من قلعة الوجه إلى هنا ٢٣٦ ألف و ٢٠٠ متر .

وفي الساعة واحدة ونصف من صباح يوم الخميس ٢٧ رجب سرنا ودخلنا في واد متسع سهل به حشيش [١] ذكي الرائحة يميل إلى طعم النعناع أو البان وهو مرعى الأرانب والغزلان وعلى الجهتين جبال مرملة ولدى سير ٢٤ ألف متر وصلنا في الساعة ٦ر٥٠ دقيقة إلى محطة «أبي الحلو» وتسمى بالآبار الحلوة وفي الساعة ٨ أخذنا في المسير وأخذنا الماء للمحطة التي بعدها حيث لم يكن بها مياه وكان السير بين جبلين من رمل وزلط وأنخنا قبل الغروب بنصف ساعة على مسيرة ٤٠ ألف و ٥٠٠ متر من مسير ذلك اليوم وبتنا في واد متسع محاط بتلول وعلى هذا تكون المسافة من قلعة الوجه ٢٧٦ ألف و ٧٠٠ متر .

اصطبل عنتر

(الجمعة ٢٨ رجب - الأحد ٣٠ رجب)

وفي صباح يوم الجمعة ٢٨ رجب قمنا من هذا المحل في الساعة واحدة ونصف وبعد مسافة قليلة انتهى الوادي لتل يتخطاه الطريق ومنه دخلنا في طريق متسع ذي أشجار من صنط وعبل وتراءى لنا من بُعد عن جهة اليمين جبل شاهق في ارتفاع ٥٠٠ متر وفوقه صخرة عظيمة كهيئة أعظم مايكون من الطوابي [٢] العسكرية يظنها الرائي مركبة من بناء تُعرف عند العامة بـ «اصطبل عنتر» وهو على مسير

(١) حشيش: نوع من النباتات البرية المنبسط على الأرض وله رائحة ذكية.

(٢) الطوابي: أبنية من الطوب أشبه بالحصون.

١٩ ألف متر من سير هذا اليوم ومازال منا بمرأى العين لثاني يوم وفي الساعة ٧ و ٥٠ دقيقة وصلنا إلى «محطة الشجوى» على مسير ١١ ألف و ٥٠٠ متر من «اصطبل عنتر» وبهذه المحطة آبار وقلعة مهجورة قيل إنها منذ سنتين نهبتها العربان وشتتت محافظيها وعندها يجتمع ويفترق طريقا الحج الشامي والمصري فانخنا بها على مسيرة ٣٠ ألف و ٥٠٠ متر من سير هذا اليوم فيكون المسير من قلعة الوجه ٣٠٠ ألف و ٧ آلاف و ٢٠٠ متر واشتدّ الحر في هذا النهار حتى وجدنا درجة الحرارة داخل الخيمة بلغت ٢٨ درجة من الترمومتر الثمانيني[١] وكان ذلك في شهر طوبه [٢]وفي الصباح الساعة ١١ نزلت الحرارة لدرجة صفر وكانت درجة الحرارة خارج الخيمة أربعة تحت الصفر وقارب الماء أن ينجمد .

وفي الساعة ٢ و ٤٠ دقيقة من صباح السبت ٢٩ رجب قمنا من هذا المحل واعتدلنا إلى الطريق وعلى مسافة ٢٠ ألف و ٢٠٠ متر وصلنا بواد متسع أرضه سهلة مرملة تصلح للزراعة وبعضه طين صلب أبيض كشقافة القلل [٣] ثم انحرفنا لطريق بين جبلين ابتداؤه في عرض ٥٠ متراً ثم يأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً وبه زلط كثير وجبال من صخر أسود وبعض أشجار من صنط وخلافه وجميع أشجار تلك المحلات غير مثمرة ولاتنفع لشيء سوى الحريق لكون الشمس أخذت قواها وامتصت ماءها وجدواها وكبيرها قليل بسبب الأملاح والزلط والأحجار التي تصادف جذورها وتعطلها عن النموّ وفي الساعة ٧ و ٢٠ دقيقة أنخنا للاستراحة قدر نصف ساعة على مسير ٢٣ ألف متر وكانت الشمس كثيرة الحرارة في هذا اليوم مع أن الشمس كانت في الحوت [٤] والفصل فصل الشتاء ولولا كثرة المياه التي معنا لاتعبتنا شدّة الحر ثم سرنا وأنخنا على مسيرة ٣٥ ألف متر من سير هذا اليوم «بمحطة المليح»

---

(١) الترمومتر الثمانيني: مقياس درجة حرارة.

(٢) شهر طوبة: أحد الشهور القبطية.

(٣) القلل: إناء من الفخار لشرب الماء.

(٤) الحوت: نسبة الى برج سماوي.

وكانت الساعة ١٠ ونصفاً فيكون المسير من قلعة الوجه ٣٠٠ ألف و ٢٤٢ متراً وهذه المحطة بقعة سهلة الأرض بها آبار ماء حلو .

من محطة المليح - الضعيني

(الأحد ٣٠ رجب - الاثنين ١ شعبان)

وفي صباح يوم الأحد سلخ [1] الشهر الساعة واحدة و ٥٠ دقيقة قمنا من هذا المحل وبه طريق توصل لينبع النخل على مسير ثلاثة أيام وهي قريبة جداً لكن بها عقبة ضيقة لايمر منها إلا الجمل الواحد في طول ساعة ولايمكن سلوك عربانه مدفع ولا تختروان منها وهي مسلوكة للسعاة كما دلت عليه الاستكشافات وتبعنا في سيرنا طريقاً عرضها من ألف متر إلى ألفي متر أرضها سهلة ورملها ثابت بها أشجار في بعض مواضع ذات جبال كالتلول ووصلنا إلى «محطة الضعيني» في الساعة ٧ و ٥٥ دقيقة على مسير ٢٩ ألف و ٥٠٠ متر وهذه المحطة محل متسع به آبار قليلة واسترحنا إلى الساعة ٩ و ١٠ دقائق وسرنا إلى الساعة ١١ و ٥٥ دقيقة ونزلنا بمحل به زلط على مسير ٤٢ ألف و ٦٠٠ متر من سير هذا اليوم فيكون السير من قلعة الوجه ٣٨٤ ألف و ٨٠٠ متر .

في المدينة المنورة

(الاثنين ١ شعبان - الجمعة ٥ شعبان)

وفي صباح الاثنين الساعة واحدة وثلثين قمنا من هذا المحل وسلكنا درباً به زلط كثير محدق بجبال من الطرفين من نوع الصوان [2] إلى أن وصلنا الساعة ٦ وربع آبار عثمان على سير ٢٠ ألف و ٣٠٠ متر وهو محل متسع به بعض محلات مزروعة تروى من آبار عند عدم السيل وهناك حوض لطيف بجانبه مصلى تنسب

---

(١) سلخ الشهر: نهاية الشهر.

(٢) صوان: نوع من الحجر غاية في الصلابة وعند احتكاك حجرين منه تنطلق شرارة نار، ويسمى بالإنجليزية FlitStone.

لسيدناعثمان بن عفان رضي اللّه تعالى عنه ويرى جبل أُحُد عن ميسرة هذا المصلى وهناك مقام سيدنا حمزة عم النبي صلى اللّه عليه وسلم ورضي اللّه عنه فاسترحنا هناك للساعة سبعة وسرنا بين جبلين أحدهما جهة اليمين يقال له «سلع» والآخر قطعة من صخر جهة اليسار ولما خلصنا من بينهما دخلنا أضاحي «المدينة المنوّرة» على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهي بقعة في غاية الاتساع وعلى مرأى العين منها جبال شاهقة وهذه البقعة كادت أن تكون كبستان محدق بأشجار وأنهار وفي وسطها «المدينة المنوّرة» النبوية محاطة بسور عظيم مشيد منيع والحرم النبوي بوسط المدينة كمشكاة فيها مصباح وقبته الخضراء ترى من بُعد كأنها قباب ملك وسط معسكره والمنارات الخمسة كأعلام النصر يحصل للرائي عند مشاهدتها الانشراح والسرور وجبل سلع غربي المدينة فاصل بينهما الطريق الموصلة إلى مكة وعلى مسير ٢٧٠٠ متر من آبار عثمان قصر وبستان على يسار الطريق لسعادة داود باشا وعلى الميمنة قبة شيخ وجبل سلع وباب المدينة تجاه الطريق ويسمى بالباب الشامي .

وحينئذ يكون مقام سيدنا حمزة خلف الداخل إلى المدينة وعلى ألف متر من القصر المذكور باب المدينة المنوّرة المذكورة وعليه غفر من العسكر ومن داخل الباب محل على اليمين يسمى بالطوبخانه [١] وفي الساعة ثمانية إلا ربعاً وصلنا باب المناخة على مائة متر من الباب الشامي وعن يسار باب المناخة من خارج طريق موصل لداخل المدينة فيكون سير هذا اليوم ٢٤ ألف و ١٠٠ متر والمسير من قلعة الوجه إلى باب المناخة ٤٠٠ ألف و ٨ آلاف و ٩٠٠ متر وبانضمام التسعة آلاف متر التي من مينة الوجه إلى قلعته تصير المسافة من مينة الوجه لباب المناخة ٤١٧ ألف و ٩٠٠ متر والمناخة محل متسع من ضمن المدينة يقفل به الحج وبينها وبين المدينة سور به باب كبير عليه غفر [٢]. يوصل أيضاً لداخل المدينة وبها جامع صغير يقال له «جامع الغمامة» لأنه صلى اللّه عليه وسلم صلى به في يوم شديد الحر فظللته من

(١) الطوبخانة: يعني بالتركية «المدفع».

(١) غفر: حرس.

الشمس غمامة مدة صلاته وباب السور المذكور يغلق عند صلاة الجمعة لتكون الصلاة متفقاً عليها عند الأئمة حيث إن الشافعي رضي الله تعالى عنه لايقول بتعدد الخطبة ولذلكترى السادة الشافعية يصلون الظهر عقب صلاة الجمعة في البلدة التي تتعدد بها المساجد الجامعة ولم يكن بالمدينة مسجد جامع غير الحرم الشريف وهذا علة غلقهم باب السور المذكور عند صلاة الجمعة لتصير المناخة منفصلة كبلد أخرى ثم إني بعد النزول بالمناخة دخلت من باب المدينة إلى السوق ووجدت به دكاكين من الطرفين على هيئة قيسرية ممتدة إلى باب الحرم المسمى بباب السلام وبيساره سوق آخر موصل لباب الرحمة وباقي الأبواب ليست بالأسواق وعرض أزقة المدينة أقل من ٥ أمتار وقد اجتمعت هناك بأحد المزورين أعني المرشدين للزوار على رسوم الزيارة ولديهم أدعية مأثورة تُتلى ويُدعى بها عند كل مشهد والمزور بالمدينة كالمطوف بمكة ولولاهما لم ينتظم للحجاج بهاتين البلدتين حال .

داخل الحرم النبوي

ودخلت برفقته الحرم الشريف النبوي برسم الزيارة من باب السلام وهو موضوع على شكل ظريف به أعمدة و ٥ منارات وله ٥ أبواب وبداخله الحجرة النبوية والروضة الشريفة التي قال في حقها صلى الله عليه وسلم : «ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة» ، ثم سرت من باب السلام في الطرقة الموصلة للمواجهة الشريفة ومررت من بين المنبر والمحراب وصليت ركعتين تحية المسجد بالروضة الشريفة ثم خرجت من بين المحراب النبوي والمقام الشريف ودخلت في الطرقة التي كنت بها وتوجهت إلى شباك التوبة وهو الشباك المتوسط بين شباكين من نحاس منقوش كالشباك ومكتوب عليها آيات قرآنية وذلك الشباك مواجه للقبر الشريف يقفون أمامه للزيارة وهو من ضمن باب الحجرة النبوية ومكتوب على هذا الباب بخط جلي (شعر)

من عوّد الناس بإحسانه وعم بالفضل جميع الأنام
تزاحم الناس على بابه والمنهل العذب كثير الزحام

وبهذا الشباك ثلاث طاقات [1] مستديرة في اتساع اليد يرى من الأولى الكوكب الدري المعلق على ستر المقام الشريف من داخل الحجرة على علو ذراع من الأرض وهو قطعة من حجر ألماس كبير كبيضة الحمامة في وزن اثنين وتسعين قيراطاً وبأسفلها فص من زمرد كبير مثمن وهما في شبكة من الذهب معلقان بالمواجهة الشريفة ومن تحتهما فجوة صغيرة مستورة بستائر المقام يوضع فيها تراب الصندل[2] في السابع عشر من ذي القعدة الحرام في كل عام وعند دوران الحول تقتسمه الأغوات [3] ويعطون منه الزوار بقصد التبرك ومن العادة الجارية في المدينة أنهم يضعون في هذه الفجوة كل مولود يوم أربعينه ويسبلون [4] عليه الستر كما أن أهل مكة يضعون المولود كذلك على عتبة الكعبة المشرفة والبرزخ الشريف بعيد عن الشباك بقدر ثلاثة أذرع معمارية يقف الزائر بعيداً عن الشباك المذكور بذراعين واضعاً يديه على صدره خافضاً بصره داعياً بما يلقنه المزور ثم يتقدم خطوة إلى اليمين حتى يحاذي الدائرة الثانية وهي بمواجهة الصديق الأعظم رضي اللّه تعالى عنه ويدعو ويتزحزح إلى اليمين خطوة ويحاذي الدائرة الثالثة المواجهة للفاروق عمر بن الخطاب رضي اللّه تعالى عنه ويسلم ويدعو كذلك ثم يتوجه لشرق المقام من الطرقة الثانية أمام الشباك الوسطاني من الثلاثة شبابيك التي هي شبابيك مهبط الوحي والستائر المحيطة بالمقام الشريف ترى من جميع هذه الشبابيك والستائر المذكورة مسدولة إلى الأرض موصلة بمحيط قاعدة القبة الشريفة بحيث لايرى الزائر القبة من داخل الحرم أياً كان وعند هذا الشباك يُسلِّم على الملائكة الأربعة الكرام ويدعو ويتقدم يميناً للشباك الثالث ومنه لباب يقال له باب السيدة فاطمة ويسلم ويدعو وبجواره البقعة التي سيدفن فيها عيسى ابن مريم عليه الصلاة والسلام بعد نزوله من السماء

---

(١) طاقات: فتحات صغيرة.

(٢) تراب الصندل: الصندل، نبات زكي الرائحة (ويقصد به مسحوق من الصندل).

(٣) الأغوات: خدام الحرم حراسه، وهم من الرجال الذين تم خصيهم.

(٤) يسبلون: يرخون عليه.

والسيدة فاطمة رضي الله عنها لم تكن مدفونة بتجاه هذا الباب وانما هو من جملة أبواب الحجرة الشريفة تسمى بها وهي مدفونة بالبقيع بجوار العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم على القول الصحيح .

وهذا الباب معدّ للدخول إلى الحجرة النبوية في كل ليلة للخدمة ثم بعد أن يدعو الزائر هناك يستدبره [١] ويُسلِّم على أهل البقيع ويدعو لأن البقيع من وراء هذه الجهة خارج المدينة معد لدفن أمواتها ثم يلتفت إلى شماله ويستدبر القبلة ويستقبل جبل أحد ويسلم على حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم وعلى الشهداء ويدعو ثم يرجع القهقري إلى مبدأ هذه الجهة حتى يأتي قبلة المدّعي فيدعو الله بما شاء بدون واسطة المزور ثم يستدير على يمينه حتى يواجه الشباك النبوي ويُسلِّم ويدعو ثانياً ويلتفت خلفه ويتوجه لمحراب عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو في الحائط الذي عن يمين الطرقة [٢] المبدوأة من باب السلام ويدعو وبذلك تتم الزيارة ثم يدخل الحرم ويزور الجزع وهو جزع كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر الشريف وبعد اتخاذ المنبر حنّ ذلك الجزع لفراقه وبقي هناك مدة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ثم أحرز في هذا المحل بجوار المحراب ثم يتوجه لزيارة المحراب والمنبر والروضة ويصلي بها ركعتين ويميل لزيارة المصحف العثماني من وراء الشبكة وهو موضوع على رحلة على يمين الداخل للحجرة الشريفة من باب الوفود ولا يفتح هذا المصحف إلا عند حادث عظيم كحرب أو وباء فتجتمع العالم بالحرم ويدخلون الحجرة من الباب الشامي لهذا المقصد ويفتحون المصحف ويقرأون فيه ما تيسر من القرآن وهذا المصحف أحد المصاحف السبع الأولى التي استكتبت عند جمع القرآن الشريف من أفواه حملته وهذا المصحف الشريف هو الذي قُتِلَ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو في حِجْره ووقع دمه فيه على قوله تعالى : (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وباق به هذا الأثر إلى الآن ومن أراد دخول

(١) يستدبره: يجعله خلفه.

(٢) الطرقة: يقصد الممر.

الحجرة الشريفة يتيسر له ذلك بواسطة الأغوات قبل الغروب بنيّة قيادة القناديل والشمع ويلبسونه أثواباً من أثوابهم بيضاء وأما زيارة أهل البقيع وحمزة رضي اللّه تعالى عنهم فقد جعلت في الحرم تسهيلاً على المسافر وليكرر زيارتهم مع زيارة النبي صلى اللّه عليه وسلم وإن كان ولابد للحاج أن يزورهم ويتوجه إليهم، والحرم النبوي مهيب مزخرف تتلألأ فيه الأنوار موضوع بشكل جميل طوله من داخل ١٥٥ ذراعاً اسلامبوليا وعرضه من جهة القبلة مائة وخمسة عشر ذراعاً ومن الشمال ثمان وثمانون ذراعاً وأحجاره تجلب من جبل بالقرب من المدينة وعواميده مجصصة [١] مغطاة بأدهان ونقوش ولم تكن أعمدة من رخام لعسر نقلها من محلها وأرضه مفروشة بالرخام والحرم له بابان من الجهة الغربية وهما باب السلام في ابتداء الجدار الغربي من زاويته القبلية وفوقه مأذنة ويبتدىء الزائر بالدخول منه وفي وسط الباب الثاني وهو باب الرحمة وخارجه مأذنة صغيرة وحنفيات [٢] للوضوء ويمكن للزائر أن يدخل من هذا الباب ويميل على يمينه ويسير في الطرقة الموصلة إلى طرقة باب السلام ومنها يتوجه للزيارة كما سبق وبابتداء الحائط الشرقي مأذنة تواجه باب السلام وباب جبريل بالحائط الشرقي بالقرب من البرزخ أمام باب السيدة فاطمة وباب النساء بالحائط المذكور أيضاً مواجهاً لباب الرحمة والجدار الشمال في كل طرف منه منارة وفي وسطه باب التوسل وفي وسط الحرم صحن يقال له الحصوة به جنينة[٣] صغيرة بها بئر ونخل تسمى بجنينة السيدة فاطمة والمقام الشريف له أربعة أبواب باب صغير في شباك التوبة وباب السيدة فاطمة والباب الشامي يقابل شباك التوبة وباب الوفود مواجه لشباك الوحي كان يخرج منه النبي صلى اللّه عليه وسلم للصلاة بالحرم والحجرة الشريفة هي بيت السيدة عائشة رضي اللّه تعالى عنها والحرم الشريف تغلق أبوابه في الساعة الثالثة من الليل فيما عدا موسم الحج ولا يبقى به إلا الأغوات المختصة بالخدمة .

---

(١) مجصصة: مطلية بالجبس (الكلس).

(٢) حنفيات: جمع حنفية وهي الصنبور.

(٣) جنينة: حديقة نخل.

أول صورة فوتوغرافية للحرم النبوي الشريف

هذا وقد أخذت خريطة الحرم السطحية بالضبط والتفصيل ووضعت هنا صورتها باعتبار المترسنتو (سنتميتر) واحد وأخذت كذلك رسم المدينة المنوّرة بواسطة الآلة الشعاعية[1] المسماة بالفوتوغرافية مع قبة المقام الشريف والمنارات [2] جاعلاً نقطة منظر المدينة من فوق الطوبخانة حسبما استنسبته [3] لكي يحوز جزءاً من المناخة أيضاً وأما منظر القبة الشريفة فقد أخذته من داخل الحرم بالآلة المذكورة أيضاً وما سبقني أحد لأخذ هذه الرسومات بهذه الآلة أصلاً .

زيارة البقيع

ثم خرجت من الحرم النبوي مرافقاً للمزور وزرت عبد اللّه والد النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو مدفون داخل المدينة في دار مالك أحد أخواله ومنه توجهت للبقيع وبه مزارات آل البيت والشهداء وأولاد النبي صلى اللّه عليه وسلم وهم زينب وفاطمة وإبراهيم والقاسم والطاهر والطيب وبه من أزواجه الطاهرات التي توفي عنهنّ عائشة وحفصة وميمونة ورملة وسودة وصفية وأم سلمة وزينب وأم حبيبة وبه أيضاً مقام العباس وعقيل والحسن بن علي وسفيان وعبداللّه بن جعفر الطيار وعائشة وصفية عمتا النبي صلى اللّه عليه وسلم وسعد وسعيد والزبير من العشرة المبشرين وعثمان بن عفان وحليمة السعدية مرضعة النبي صلى اللّه عليه وسلم وكذلك قبر الإمام مالك ونافع شيخ القرّاء وإسمعيل بن جعفر الصادق وأبي سعيد الخدري ولكل منهم مزار مشهور وهناك قبة تسمى قبة الحزن تنسب لفاطمة بنت النبي صلى اللّه عليه وسلم وزيارة البقيع يوم الخميس .

---

(١) الآلة الشعاعية: الكاميرا.

(٢) المنارات: الأعمدة.

(٣) استنسبته: يقصد جعله دليلاً لأبعاد الصورة.

وصف البقيع

والبقيع مدفن أموات المدينة في شكل مستطيل طوله مائة متر محاط بسور ومشاهد مقابره منخفضة وبه قبب للمزارات المشهورة ويوضع على القبور ريحان [1] بدل الخوص [2] بمصر ويجانبه بعض أزهار ومن وراء البقيع يرى الوادي كالبساتين مزيناً بالنخيل ومن هناك يُرى «جبل أُحُد» والناس تقصده يوم الخميس لزيارة حمزة وشهداء أُحُد رضي اللّه تعالى عنهم على مسير ٤٥ دقيقة وفي الطريق أشجار ومزروعات من الجهتين تتنزه بها أهل المدينة وهناك قبة للثنيتين اللتين وقعتا إذ أصاب أحد الأعداء النبي صلى اللّه عليه وسلم بحجر وهناك محلات مبنية ومصلى لا حاجة للإطالة بذكرها وكذلك تركت ذكر الأدعية التي تقال في الزيارات خوفاً من الإطالة إذ المقصد هنا ذكر الاستكشافات العسكرية واللوازم السفرية وتشخيص الأماكن والمناخات وتعيين الطرق والمحطات .

الأغوات

وأما خدماء الحرم فشتى وأكثرهم من الأغوات وهم أهل صلاح يتعممون بعمامة بيضاء ويسبلون وقت الخدمة على أثوابهم ثوباً أبيض ويشدّون عليه حزاماً وأخبرني محمود أفندي مهندس تعمير الحرم النبوي أنه لما أراد وضع العمود الذي بجانب باب الوفود من الحجرة نبت عند فحت ثمانية أذرع عين ماء أبيض في أشدّ الحلاوة بخلاف ماء المدينة النبع فإنه قيسوني ووجد لديه جذور نخل تخاطفها الحاضرون للتبرك وأرسل من الماء المذكور للآستانة العلية وسدّ على هذه العين بوضع الأساس الجديد وقد شاهدت قطعة من هذه الجذور . وأما الماء المعد للشرب فهو ماء العين الزرقاء وهي التي أنشأها عبد الملك بن مروان أحد خلفاء الدولة الأموية وهي منخفضة عن سطح أرض المدينة ينزل إليها بدرج متسع للملء منها وهي غير نبع آتية من الجبال المجاورة للمدينة بواسطة طرق تحت الأرض مغطاة وماؤها عذب .

---

(١) ريحان: عشب حولي طيب الرائحة، ويسمى في دول الخليج بـ(المشموم).

(٢) الخوص: وريقات سعف النخيل.

أهل المدينة

وأما أهل المدينة فهم في الأصل من الأنصار ولكن الآن أغلب أهلها من ذرية الهنود والأتراك المجاورين بها وغيرهم من الغرباء ولايتمكن غير المسلم من الدخول إليها مطلقاً ولا يدخلها إلاّ في غاية التستر مع تبديل القيافة [1] وبها كثير من التكايا والخانقاهات [2]والزوايا وبيوتها غير متسعة ووضعها تجاري بدون حيشان[3] في الغالب وأغلبها طبقتان ويوجد بها ثلاث طبقات وقلّ أن يوجد بها طبقة واحدة وأكثر شبابيكها خرط دقي [4]ولون أهلها السمرة المائلة إلى السواد وبعضهم أسمر فاتح ويوجد فيها البيض وتغلب عليهم النحافة وهم قوم أرقاء ظرفاء يميلون للخلاعة يحبون من هاجر إليهم وتجارتهم تجلب إليهم مع الحجاج من كل نوع وبها تجار معتبرة ويوجد بها من الثمر ما لاتكاد تحصر أنواعه لكثرة النخيل المحيط بها وفواكهها نادرة وبها نوع كالبرتقال في طعم النارنج يسمى ليم وبها الليمون المالح والحلو والجزر والفجل والبصل وبعض من الخضارات وأما الحنطة فإنها تزرع بها لكنها قليلة وإنما تجلب بعضاً للتجار وبعضاً لمرتبات التكايا من مصر وأسعار العملة بها دون القاهرة ويوجد بها من أنواع النقود كثير والريال أبو طاقة وهو النمساوي[5] أرغب العملة لائتلاف العرب له حتى إنهم يأخذونه بسعر الريال أبو مدفع ويطلقون على الريال دورو .

---

(١) القيافة: المظهر، الملبس.

(٢) الخانقاهات: مكان لشرب الشاي وهي في الأصل استراحة.

(٣) حيشان: جمع حوش، وهو المكان الخالي من البناء.

(٤) خرط دقي: حديد مخروط باتقان.

(٥) الريال أبو طاقة: الكلمة مقتبسة من «ريال» الأسبانية بمعنى «الملكي» والمقصود هنا الريال النمساوي الذي كان يُسمى في مصر باسم «أبو طاقة» نسبة للنافذة أي «الطاقة» المرسومة على صدر النسر المرسوم على أحد وجهيه.

العودة

من المدينة إلى سلع إلى بوغاز الجديدة - ينبع البحر

(الجمعة ٥ شعبان - الجمعة ١٣ شعبان)

ولما كان يوم الجمعة المبارك خامس شعبان عام سبع وسبعين صلينا الجمعة بالحرم النبوي وأخذنا أهبتنا للسفر وقفلنا في الساعة الثانية من يوم السبت قاصدين العود على طريق ينبع البحر وسرنا في الطريق التي بين المدينة وسلع وفي نهاية البلدة تكية [١] مصرية أنشأها أفندينا جنتمكان محمد علي باشا وعلى مسير ١٠ آلاف و ١٢٥ متراً وصلنا إلى آبار علي الساعة ٤ وربع وهو محل متسع به آبار عذبة قريبة القاع وبيوت كالعشش وببعضه زرع من شعير وكزبرة وثوم وبصل وفجل ونخل وأرضه صالحة للزراعة فبتنا وقلبنا مجذوب متولع بتلك المعاهد والمشاهد لا حرمنا اللّه من العود إليها ومازلنا نتذكر ما تم لنا من الصفاء بها وللّه در من قال :

إذا لم نطب في طيبة عند طيب   به طيبة طابت فأين نطيب

إذا لم يجب في حيه ربنا الدعا   ففي أي حيّ للدعاء يجيب

وفي الساعة الواحدة ونصف من يوم الأحد سابع شعبان سرنا وعلى مسافة ١٢٠٠٠ متر محجرة في عرض ١٠ أمتار طولها ٥٠ متراً بين جبلين قليلي الارتفاع ثم يتسع الطريق ويتعالى الجبلان في بعض المواضع ولمسير ٧٠٠٠ متر منها يتسع الطريق لعرض ألف متر مسيرة ٢٥٠٠ متر ثم يضيق لما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ و ٥٠٠ متر وأقل وأكثر تارة وتارة إلى سير ٦٥٠٠ متر وهناك بئر يقال له «بير الشريوفي» على مسيرة ٢٨٠٠٠ متر من مسير هذا اليوم وهناك محل متسع وكان الوصول إليه في الساعة ٦ و ٤٥ دقيقة فنزلنا واسترحنا للساعة ٩ و ٥٠ دقيقة وسرنا ٣٥٠٠ متر فوجدنا مغارة في عرض ١٠ أمتار وطولها كذلك تنتهي بواد طوله ألف متر

(١) تكية: محطة للراحة والمبيت يُطعم فيها الزائر ويُسقى، وتموّل من قبل أحد الميسورين.

وعند مسافة ٣٥ ألف متر من مسير يومنا واد آخر متسع عن الأول سرنا به ١٥٠٠ متر ونزلنا وقت الغروب في غير محطة على غير ماء على مسير ٣٦٥٠٠ متر من آبار علي فيكون السير من المدينة ٤٦٦٢٥ متر وفي الساعة واحدة وثلث من يوم الاثنين ٨ الشهر نهضنا ومررنا بين جبال من صخر شاهقة ارتفاعها من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ متر والطريق تارة تتسع وتضيق وعلى ألفين و ٥٠٠ متر مضيق في طول وعرض ١٠ أمتار على يساره جبل وعلى يمينه صخرة تنتهي لمحل عرضه ألف متر وطوله كذلك ثم تضيق الطريق إلى ٥٠ متراً مسيرة ٢٠٠ متر ثم تضيق ١٠ أمتار مسيرة ١٠ أمتار بين صخرتين وتتسع وتضيق لخمسين متراً فأكثر إلى مسير ٢٦٠٠ متر وعلى اليمين طلل سبيل خراب ومنه تتسع الطريق لعرض ١٥٠٠ متر فأكثر وتضيق بعد ٢٧٠٠ متر لعرض ١٠٠ متر وأقل مسيرة ٥٠٠ متر وهناك قبور الشهداء على مسير ٩٥٠٠ متر من سير هذا اليوم فيكون السير من المدينة ٥٦ ألف و ١٢٥ متر وهم قوم من أهل البيت قتلوا هناك ظلماً في سوق ذلك المحل الذي كان يعقد به وقبورهم متكونة من كيمان حجارة وزلط في وسط الطريق ويمينه وهذه الكيمان علامة لذلك وعلى سير ١٨ ألف و ٥٠٠ متر منها تتسع الطريق لعرض ألفي متر وفي آخر الاتساع بئر يقال له بئر الراحة بجانبها أثر حوض استرحنا هناك من الساعة ٧ و ٤٠ دقيقة إلى الساعة ٩ ونصف على سير ٣٠ ألف و ٨٠٠ متر من سير هذا اليوم وسرنا بين جبال وتلول وعلى ٤٤٠٠ متر عين ماء بيسار الطريق تحت الجبل وعلى ٢٣٠٠ متر منها واد في عرض ألفي متر به أشجار من شوك وبعد ١٥٠٠ متر ينتهي عرضه إلى ثلاثة آلاف متر ثم بعد خمسة آلاف متر من هذا الاتساع بئر يُقال له بئر عباس وبجانبه قلعة نزلنا تجاهها بعد غروب الشمس بنصف ساعة على مسير ٤٤ ألف متر من سير هذا النهار فيكون السير من المدينة ٩٠ ألف و ٦٢٥ متراً .

وسرنا في الساعة الثانية من يوم الثلاث تاسع الشهر ودخلنا من «بوغاز الجديدة» وهو يبتدأ بعرض ٤٠ متراً ثم يتسع إلى ٢٠٠ متر بين جبال شاهقة من الطرفين ممتدة والجبال في ارتفاع ٣٠٠ و ٥٠٠ متر وعلى مسير ٥ آلاف متر يبلغ

عرض الطريق ٥٠٠ متر بيسارها أرض مزروعة وعلى مسير ٩٠٠ متر من هذا الاتساع قطعة أرض يميناً مزروعة أيضاً وبعدها بنحو ٢١٠٠ متر قطعة أرض كذلك مزروع فيها دخن وشعير محاطة بآثار بناء ومنها إلى ٧٠٠ متر بير على اليسار بجانبها أرض مزروعة بجوار بعض عشش وعلى سير ٣٣٠٠ متر منها آثار حوض وعلى ٢٨٠٠ متر منه بير على اليسار بجانب الجبل ويليه سبيل وآثار بناء وعلى ألف متر زرع جهة اليمين وبعد الزرع بمائة متر آثار بناء فوق الجبل وبعد ألف متر بلدة الجديدة على يمين الطريق وهي بلدة كهيئة عشش موضوعة من أعلى الجبل لأسفله وبعد مسير مائة متر منها طابية وجامع سيدي عبد الرحيم البرعي مادح النبي صلى الله عليه وسلم وهذا الجامع على مسيرة ١٧ ألف متر من بوغاز الجديدة وهناك سوق يباع به مايلزم للحجاج من حناء ودهن بلسان [1] وبلح ومراوح مصنوعة من خوص ويوجد هناك القاوون [2] والبطيخ والبادنجان وهي بلدة كثيرة النخيل بها أعين ماء تجري كالزلال من بين هذه الجبال في جداول كالترع ثم مررنا من بين جبلين في ارتفاع ٢٠٠ متر وعرض ٢٠ متراً على مسير ٥٠٠ متر من جامع البرعي وتتسع الطريق إلى ٥٠٠ متر بعد ٩٠٠ متر وتضيق إلى ٢٥٠ متراً بعد سير ٣٠٠ متر منها ثم يقل عرضها لمائة متر ثم يصير العرض أربعين متراً عند ألفي متر من الجامع وهذا آخر بوغاز الجديدة وخرجنا منه لقطعة أرض متسعة في تربيع ألف [3] متر استرحنا في أولها تحت نخيل بالقرب من مزارع ورياض مخضرة وهناك حشيش طبيعي يشبه البرسيم والماء متدفق من كل جانب وكان نزولنا في الساعة ٦ و ١٠ دقائق وكان هذا اليوم شديد الحر وهذا المحل مظلل بالنخل والنسيم يهب من خلالها فتذكرنا رياض مصر يوم نوروزها [4] وفي الساعة ٧ و ٤٥ دقيقة سرنا في واد بين جبلين شاهقين بعد أن قطعنا محل الاستراحة وكانت أرض هذا الوادي صالحة جداً

(١) بلسان: شجر له زهر أبيض صغير بهيئة العناقيد يُستخرج منه دهن عطر الرائحة.

(٢) القاوون: نوع من الشمام ثماره كروية الشكل.

(٣) تربيع الف: ألف متر مربع.

(٤) نوروزها: الأزهار المتنوعة الألوان (وهي فارسية) ويسمى في مصر عيد شم النسيم.

للزراعة وعلى ثمانية آلاف متر منه طريق صعوده سبعة أمتار يتخطى أكمة وينخفض ويتصل بطريق متسعة كالتي قبلها إلى القلعة الحمراء طولها أربعة آلاف و ٥٠٠ متر فيكون السير من «بير عباس» ٣٢ ألف متر ومن المدينة ١٢٢ ألف و ٢٦٥ متراً وكان وصولنا إليها الساعة عشرة ونصف وهي قلعة حصينة عامرة بها مدافع ومحافظون وبتنا هناك تلك الليلة وكانت شديدة الحر وبهذا المحل بيوت كالعشش وسوق يباع فيه الثمر والحناء وبعض أدهان وبجانبه قطعة أرض مرتفعة بها نخيل ومزروعات كباذنجان وفجل وبصل وبطيخ .

وفي يوم الأربع [١] العاشر من شعبان قمنا من هذه القلعة والساعة واحدة ونصف وسرنا عن يسار القلعة في طريق عرضها يتزايد من مائة متر إلى ألف متر وعلى مسير ٢٥٠٠ متر وجدنا مجمع طريقين اليسرى توصل للصفراء وبدر وحنين واليمين لدرب بير سعيد فعطفنا على درب بير سعيد ومررنا من طريق في عرض عشرين متراً مخنق موصل لواد مستطيل في عرض ألف متر وعلى جهتيه تلول وأحجار وعلى مسيرة ٥ آلاف متر منه أخذ في الضيق إلى ٥٠٠ متر ومن بعده بألفين و ٥٠٠ متر طريق تعطف للميمنة وأمامها بير ومن بعد أن تخلف هذه الطريق بخمسمائة متر تضيق طريقنا إلى ٥٠ متراً ثم يتسع إلى مائة وإلى مائتين ولمسير ألف ومائة متر يتهيأ للإنسان أن الطريق قد انسدت باتصال الجبلين فتخطى هذه القطعة اللاحمة بينهما وهي ذات صعود وهبوط طولها مائة متر وعرضها ٣٥ متراً ثم مررنا من عقبة تسمى «نقر الفار» لايمكن منها إلا عبور جمل جمل وتارة جملين جملين وبه مدقان [٢] وصعوبة سلوكه من كثرة الأحجار ومسافته ١٥٠ متراً ثم تمتد الطريق وتتسع أحياناً إلى مائة متر وعلى مسير ٢١٠٠ متر من انسداد الطريق واد متسع به أكمات وصخور وأحجار والجبال محدقة به وعلى مسير ١٢ ألف و ٥٠٠ متر يلتحم الجبلان والطريق تتخطاهما مستوية الهبوط والصعود عرضها من ٥ أمتار إلى ٢٠ متراً ثم تبتديء أكمات زلط وحجر أكثرها متصلة ببعض وفي الساعة سبعة

(١) يوم الأربع: يقصد به يوم الاربعاء.

(٢) مدقان: طريقان مسلوكان أو معبدان من أثر كثرة السير عليهما.

ونصف وصلنا للقرب من بير سعيد على مسير ٢٥ ألف متر من القلعة الحمراء وبير سعيد هذه منعطفة عن الطريق بخمسمائة متر وفي الساعة تسعة وثلث سرنا ومررنا بين صخرتين في طريق عرضها ١٠ أمتار ومازلنا نتخلل كيمانا بعد كيمان إلى ستة آلاف و ٨٠٠ متر انتهينا لواد سهل متسع كله رمال وسرنا فيه ٥ آلاف و ٥٠٠ متر وأنخنا به بعد الغروب بربع ساعة وكان على مسير ١١ ألف متر من بيرسعيد و ٣٦ ألف متر من قلعة الحرير فيكون السير من المدينة ١٥٨ ألفا و ٦٢٥ متراً .

وفي يوم الخميس الساعة واحدة و ٤٠ دقيقة قمنا وسرنا من هذا الوادي الذي بتنا به واشتدّ بنا الخبب [١]في الرمل عند انتهائه وكان يرى على بعد من طرفيه جبال من حجر وتلول من رمل وبعض أخشاب منثورة في الطريق وكثير من الشوك الذي يقال له أم غيلان ومازلنا حتى وصلنا ينبع النخل الساعة ١٠ من دون استراحة في الطريق على مسير ٣٩ ألف متر فيكون السير من بيرسعيد ٥٠ ألف متر ومن المدينة ١٩٧ ألفاً و ٦٢٥ متراً ونزلنا بمحل متسع بين جبال به بيوت وأراض مزروعة وعيون نابعة تجري في قنوات متتابعة ماؤها صاف كالزلال والنخل مردوم [٢] في الرمال وسطح الماء أوضع من سطح الأرض بنحو ذراعين وبذلك المحل خضراوات وبه كثير من البامية وكان يمكننا التوجه من محل مبيتنا إلى ينبع البحر بطريق أقصر من هذه الطريق المرملة لكن لقلة المياه بينبع البحر وغلو أسعارها وكون مائها مخزوناً في صهاريج من الأمطار عطفنا [٣]العنان إلى طريق ينبع النخل وتحملنا مشقة السفر بقصد الاستقاء من ينبع النخل وأقمنا هناك يوم الجمعة إلى الساعة ١٠ ونصف من النهار ثم قمنا وسرينا إلى أن أقبل الليل وأضاء القمر واستمر بنا السير ومررنا على مسير ١١ ألف متر بطريق بين كيمان من رمل خفيف عرضها من ٥٠٠ إلى ٢٠٠

---

(١) الخبب: الغامض المطمئن من الأرض.

(٢) مردوم: مغطى.

(٣) عطفنا: ملنا، أي انحرف.

متر ثم انقطعت الكيمان من الجهة اليمنى وبقيت التي بالجهة اليسرى بعدها ١٥٠٠ متر وانتهت الطريق لواد متسع جدابه عبل وشوك وعلى مسيرة ٣٧ ألفا و ٤٠٠ متر لاقينا رشحات البحر المالح [١] ومازلنا مجدين في السير حتى دخلنا ينبع البحر في الساعة السادسة من ليلة السبت ثالث عشر شعبان المعظم على مسيرة ٣٩ ألف و ٥٠٠ متر من ينبع النخل فيكون السير من المدينة المنوّرة إلى ينبع البحر ٢٣٧ ألفاً و ١٢٥ متراً وينبع البحر مينة متوسطة من مين بحر القلزم بها دكاكين وقهاوي ومساجد وبيوت وأهلها عربان .

العودة من ينبع إلى السويس

(السبت ١٣ شعبان - ١٧ شعبان)

وعند طلوع نهار يوم السبت أخذنا الأهبة وركبنا وابور البحر وسرنا في الساعة التاسعة منه وعند الغروب اشتدت الرياح من أمامنا وكان هذا الوابور يقطع في الساعة الواحدة سبعة أميال ونصف ومن شدة الأرياح تعطل عن سيره العادي وصارت الأرياح تلعب به كالأكرة في مصدم الصولجان ولعب الهواء بعقل الركاب فتراهم صرعى كأنهم سكارى وماهم بسكارى وما هدأ الريح إلا في الساعة العاشرة من يوم الاثنين لدى مواراة الوابور بين جبلين وفي الساعة السادسة من ليلة الأربعاء رسا الوابور بغاطس السويس عند العتبة الخضراء[٢] حيث لايتجاوزها السفن الكبار وانتقلنا منه بوابور صغير إلى البر وطلعنا للساحل في الساعة التاسعة من الليل وفي الساعة واحدة من يوم الأربعاء ١٧ شعبان ركبنا وابور البر ووصلنا لباب الحديد[٣]من المحروسة الساعة ستة من النهار وحمدنا اللّه على نيل المأمول وحسن الوصول وزيارة الرسول صلى اللّه عليه وسلم وهذا آخر ما لخصناه مما قصدناه حسبما رأيناه وشاهدناه ليكون تذكاراً لنا وخدمة لأوطاننا أدامها اللّه آمنة بصاحبها

---

(١) رشحات البحر المالح: السبخات القريبة من الشاطىء.

(٢) العتبة الخضراء: منطقة في قلب مدينة القاهرة، ولا تزال موجودة بنفس الاسم مع إهمال كلمة «الخضراء».

(٣) باب الحديد: محطة القطار الرئيسية وتقع في وسط القاهرة (ميدان رمسيس حالياً).

مستمكنة ومتمكنة آمين وصلى اللّه على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

(في أدعية الزيارة)

لايخفى أن هيئة زيارته صلى اللّه عليه وسلم أن يدخل واضعاً يديه على صدره ويتوجه إلى ناحية الروضة الشريفة ويقول في أثناء توجهه «اللّهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دارك دار السلام تباركت ربنا وتعاليت ياذا الجلال والإكرام» ثم يدخل الروضة المطهرة وهي ما بين المنبر والقبر الشريف ويصلى بها ركعتين تحية المسجد ويدعو بعد صلاته ويقول «اللّهم إن هذه روضة من رياض الجنة شرفتها وكرمتها ومجدتها وعظمتها ونوّرتها بنور نبيك وحبيبك سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم ، اللّهم كما بلغتنا في الحياة قبل الممات زيارة حرم نبينا ومآثره الشريفة فلا تحرمنا يااللّه في الآخرة من فضل شفاعته واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته وسنته واسقنا يااللّه من حوضه المورود بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبداً إنك على كل شيء قدير برحمتك ياأرحم الراحمين يارب العالمين» ثم يخرج من باب الروضة الذي بين المحراب النبوي والحجرة الشريفة ويتوجه إلى شباك الرسول ويقول «رب اغفر لي ولوالدي وارحمهما كما ربياني صغيرا» ثم يقف أمامه واضعاً يديه على صدره شاخصاً لجهة خير الأنام ويقول «بسم اللّه الرحمن الرحيم الصلاة والسلام عليك ياسيد الأنام ومصباح الظلام وقمر التمام ورسول اللّه الملك العلام ، الصلاة والسلام عليك يامن كلمك الحجر وانشق لك القمر وسعت إلى إجابتك الشجر ، الصلاة والسلام عليك ياسيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا وملاذنا وقرّة أعيننا ياسيدي يارسول اللّه ، الصلاة والسلام عليك يانبي اللّه ، الصلاة والسلام عليك ياحبيب اللّه ، الصلاة والسلام عليك يامن بسيف النصر قلدك اللّه ، الصلاة والسلام عليك ياشفيع المذنبين عند اللّه، الصلاة والسلام عليك يا أول خلق اللّه وخاتم رسل اللّه ، الصلاة والسلام عليك يامحمد يا ابن عبداللّه يا ابن عبد المطلب يا ابن هاشم يا طه يا يس يا بشير يا نذير يا سراج يا منير يا مقدم جيش الأنبياء والمرسلين أتيناك زائرين وقصدناك راغبين وعلى بابك

وأعتابك واقفين لاتردّنا خائبين[1] ولا عن باب شفاعتك محرومين الصلاة والسلام عليك يامن أنزل اللّه على قلبك ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه توّاباً رحيماً وها أنا ياسيدي يارسول اللّه قد جئتك هارباً من ذنبي ومن عملي ومستجيراً ومتشفعاً بك إلى ربي فاشفع لي ياشفيع الأمة اشفع لي ياكاشف الغمة[2] أنت الشفيع أنت المشفع أنت الذي ترجى شفاعتك عند الصراط إذا ما زلّت القدم نشهد أنك قد بلّغت الرسالة وأدّيت الأمانة ونصحت الأمة وجليت الظلمة وجاهدت في سبيل اللّه حق جهاده وعبدت ربك حتى أتاك اليقين ، نسألك الشفاعة أن تشفع لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمن علمنا ولجيراننا ولمن أوصانا واستوصانا وقلدنا عندك بدعاء الخير والزيارة والصلاة والسلام عليك سلطان الأنبياء والمرسلين والحمد للّه رب العالمين» ثم يتوجه أمام الدائرة التي تجاه سيدنا أبي بكر ويقول «السلام عليك أيها الصدّيق الأكبر والعلم الأشهر وخليفة رسول اللّه في الحضر والسفر ، السلام عليك ياسيدنا أبابكر الصديق ، السلام عليك ياصديق رسول اللّه على التحقيق ، السلام عليك يامفرج كل هم وغم وكرب وضيق ، السلام عليك ياصاحبه في الغار وفي الحضر والأسفار ، السلام عليك يامن قال اللّه في حقه (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لاتحزن إن اللّه معنا) (سورة التوبة رقم الآية ٤٠)، السلام عليك يامن قال في حقك سيد البشر ما طلعت الشمس ولاغربت بعد النبيين على رجل أفضل من أبي بكر السلام عليك يامن أنفق ماله كله في حب اللّه وحب رسوله حتى تخلل بالعبا ، رضي اللّه تعالى عنك وأرضاك أحسن الرضا وجعل الجنة منزلك ومسكنك ومحلك ومأواك جزاك اللّه عنا أفضل الجزاء ، السلام عليك ياأول الخلفاء وتاج العلماء وعلى صهرك النبي المصطفى ورحمة اللّه وبركاته» ثم يتوجه أمام دائرة سيدنا عمر رضي اللّه عنه ويقول السلام «عليك يافاروق الدين وكهف المستخلفين من أتمّ اللّه بك الأربعين وأنزل في حقك ياأيها النبي حسبك اللّه ومن اتبعك من المؤمنين ، السلام عليك ياسيدنا عمر

(١) عبارات لايخلو البعض منها من الشرك.

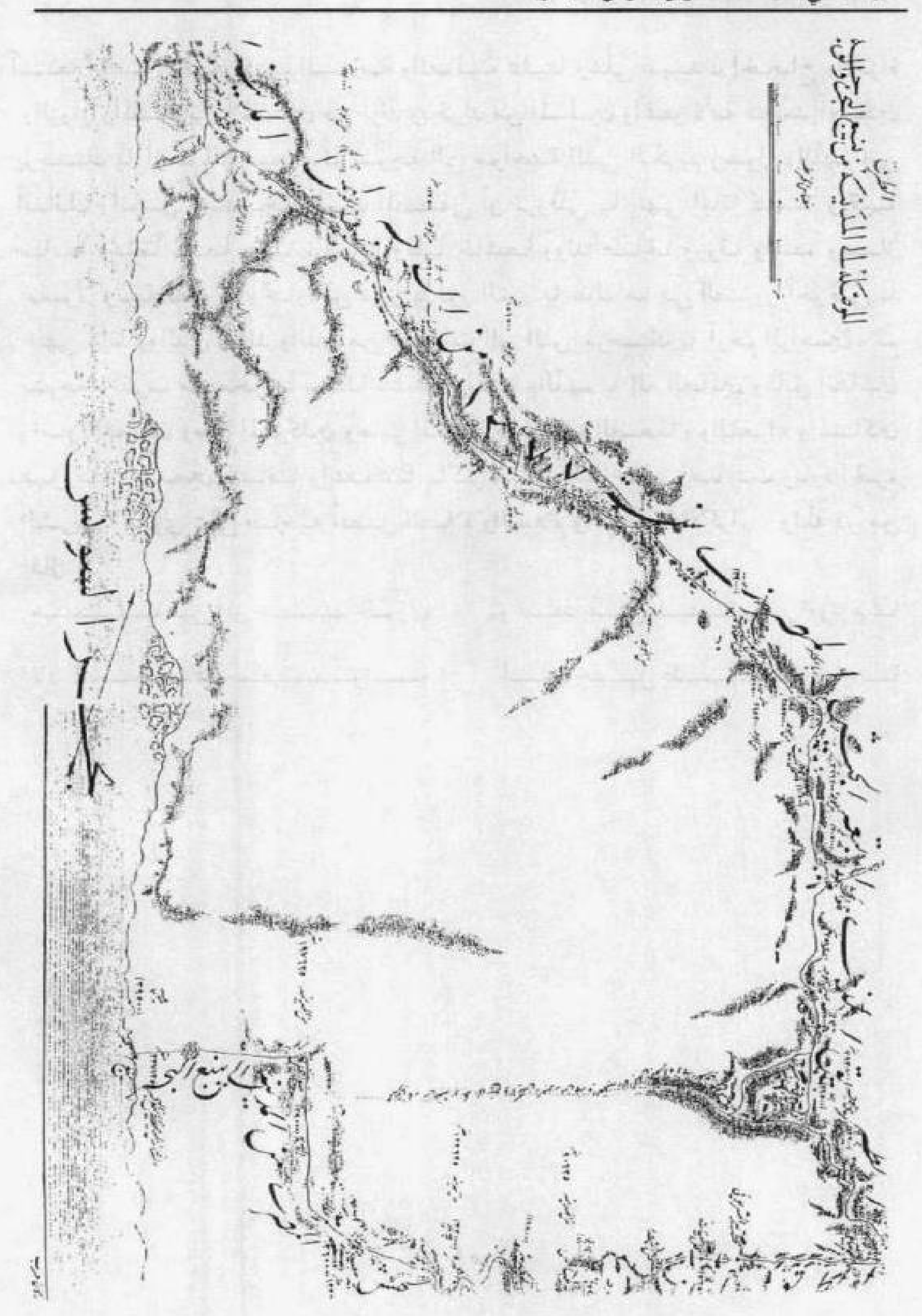
(٢) عبارات ينفرد بها الله سبحانه وتعالى.

بن الخطاب ، السلام عليك ياحنفي المحراب، السلام عليك يامكسر الأصنام ، السلام عليك يامظهر دين الإسلام السلام عليك يا من فرّ منك الشيطان ، السلام عليك يامن قال في حقك سيد البشر لو كان نبي بعدي لكان عمر ، السلام عليك ياسراج أهل الجنة جزاك الله عنا أفضل الجزاء رضي الله عنك وأرضاك أحسن الرضاء وجعل الجنة منزلك ومسكنك ومحلك ومأواك السلام عليك يا ثاني الخلفاء وتاج العلماء وعلى صهرك النبي المصطفى ورحمة الله وبركاته» ثم يتوجه إلى شباك الملائكة الذين هم موضع مهبط الوحي ويقف أمام الوسطاني ويقول «السلام عليك ياسيدنا جبرائيل السلام عليك ياسيدنا ميكائيل، السلام عليك ياسيدنا اسرافيل ، السلام عليك ياسيدنا عزرائيل ، السلام عليكم ياملائكة الله المقربين المشرفين المعظمين المنورين من أهل السموات وأهل الأرضين ياربنا ياكريم ياحليم يا رؤوف يارحيم أتمم لنا نورنا واغفر لنا ذنوبنا وكفّر عنا سيآتنا وتوفنا مع الأبرار برحمتك ياأرحم الراحمين يارب العالمين» ثم ينتقل إلى باب السيدة فاطمة الزهراء ويقول «السلام عليك ياسيدتنا فاطمة الزهراء ، السلام عليك يا ابنة رسول الله ، السلام عليك يا ابنة نبي الله ، السلام عليك يا ابنة المصطفى، السلام عليك ياست النساء ، السلام عليك ياخامسة أهل الكساء ، رضي الله تعالى عنك وأرضاك أحسن الرضاء ، السلام عليك وعلى أبيك المصطفى وبعلك علي المرتضى وأبنيك الحسنين ورحمة الله وبركاته» ثم يستدير إلى جهة البقيع ويقول «السلام عليكم ياأهل البقيع ياأهل الجناب الرفيع أنتم السابقون ونحن إن شاء الله تعالى بكم لاحقون أبشروا بأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور آنسكم الله ثبتكم الله بقول أشهد أن لا إله إلاّ الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ثم يستدير إلى مواجهة جبل أُحُد ويقول «السلام عليك يا سيدنا حمزة ، السلام عليك يا عم رسول الله ، السلام عليك يا عم نبي الله ، السلام عليك يا عم المصطفى، السلام عليكم يا شهداء يا سعداء يا نجباء يا أصفياء يا أتقياء يا أهل الصدق والوفاء جاهدتم في سبيل الله حق جهاده وعبدتم ربكم حتى أتاكم اليقين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ثم يتوجه إلى قبلة المدّعي ويقول «اللّهم ياالله ياالله يا حنّان يا منّان يا ديّان يا سلطان يا برهان يا مُستعان يا قديم الإحسان يا من علمه في كل مكان يا من إذا سُئل أعطى وإذا

أستعين أعان اللّهم أكتب السلامة والعافية علينا وعلى عبيدك الحجاج والغزاة والزوار والمسافرين والمقيمين في برّك وبحرك من المسلمين واغفر لأمة محمد أجمعين برحمتك يا أرحم الراحمين» ثم يتوجه إلى مواجهة النبي الكريم ويقول «اللّهم إني أسألك وأتوسل إليك بجاه نبيك المصطفى أن ترزقني يا إلهي إيماناً كاملاً ويقيناً صادقاً وعلماً نافعاً وبدنا ناصحا وقلباً خاشعاً وولداً صالحاً ورزقا واسعاً وعملاً مقبولاً وتوبة نصوحاً وتجارة لن تبور يا نور النور يا عالم ما في الصدور أخرجني يا إلهي وأنا ووالدي ووالد والدي من الظلمات إلى النور برحمتك يا أرحم الراحمين» ثم يتوجه بالقرب من محراب سيدنا عثمان ويقول «اللّهم يا إله العالمين وقابل التائبين وأمان الخائفين وحرز المتوكلين وجابر المنكسرين وراحم الضعفاء والفقراء والمساكين تقبل منا أجمعين وعافنا واعف عنا ياكريم بسر الفاتحة» وهنا تمت زيارة الحرم الشريف النبوي على صاحبه أفضل الصلاة والسلام والتحية والإكرام . ولله درّ من قال :

هنيئاً لمن زار خير الورى ... وحط عن النفس أوزارها

لأن السعادة مضمونة ... لمن حل طيبة أوزارها



يوميات الرحلة الأولى من ١٠ رجب إلى ١٦ شعبان ١٢٧٧هـ

	اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
١رجب ١٢٧٧هـ	الثلاثاء	١٠رجب ١٢٧٧هـ	٢٢يناير ١٨٦١م	بداية سير المحمل من المحروسة الى السويس
	الأربعاء	١١	٢٣	البقاء في السويس استعدادا لركوب البحر
	الخميس	١٢	٢٤	البقاء في السويس استعدادا لركوب البحر
	الجمعة	١٣	٢٥	البقاء في السويس استعدادا لركوب البحر
	السبت	١٤	٢٦	الاقلاع بوابور البحر في اتجاه الوجه
	الأحد	١٥	٢٧	مواصلة الابحار
	الأثنين	١٦	٢٨	الوصول لميناء الوجه
	الثلاثاء	١٧	٢٩	البقاء في الوجه
	الأربعاء	١٨	٣٠	البقاء في الوجه
	الخميس	١٩	٣١	السير في اتجاه قلعة الوجه
١ فبراير ١٨٦١م	الجمعة	٢٠	١ فبراير ١٨٦١م	السير من وادي ابي العجاج إلى الرويضة
	السبت	٢١	٢	المرور بالحوثلة ومحطة مطر
	الأحد	٢٢	٣	المرور بوادي عقلة
	الأثنين	٢٣	٤	المرور بمحطة الفقير
	الثلاثاء	٢٤	٥	المرور بمحطة العقلة
	الأربعاء	٢٥	٦	المرور بمحطة النقارات
	الخميس	٢٦	٧	المرور بمحطة ابي الحلو
	الجمعة	٢٧	٨	المرور بمحطة الشحوي
	السبت	٢٨	٩	المرور بمحطة المليح

اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
الأحد	٢٩	١٠	المرور بينبع النخل
الاثنين	٣٠	١١	الوصول للمدينة المنورة
الثلاثاء	١شعبان ١٢٧٧هـ	١٢فبراير ١٨٦١م	زيارة الاماكن المقدسة
الأربعاء	٢	١٣	زيارة الاماكن المقدسة
الخميس	٣	١٤	زيارة الاماكن المقدسة
الجمعة	٤	١٥	الصلاة في الحرم النبوي
السبت	٥	١٦فبراير ١٨٦١م	العودة في اتجاه ينبع البحر
الأحد	٦	١٧	المرور بقبور الشهداء
الأثنين	٧	١٨	المرور ببئر عباس
الثلاثاء	٨	١٩	البقاء في قلعة بئر عباس
الأربعاء	٩	٢٠	مواصلة السير
الخميس	١٠	٢١	مواصلة السير
الجمعة	١١	٢٢	المرور بمحطة ينبع البحر
السبت	١٢	٢٣	ركوب وابور البحر في اتجاه السويس
الأحد	١٣	٢٤	ابحار
الأثنين	١٤	٢٥	ابحار
الثلاثاء	١٥	٢٦	ابحار
الأربعاء	١٦	٢٧فبراير ١٨٦١م	الوصول للسويس ومنها للقاهرة

١شعبان ١٢٧٧هـ
٢٧فبراير ١٨٦١م

المصدر : التوفيقات الإلهامية ، ويلاحظ ان محمد صادق قد أشار إلى أن يوم الثلاثاء

يوافق يوم ١١ رجب بينما التقويم يعتبره يوم ١٠ رجب وقد اعتمدنا على تقويم التوفيقات.

مشعل المحمل

رسالة في سير الحاج المصري براً من يوم خروجه
من مصر إلى يوم عودته مذكور بها كيفية
أداء الفريضة لحضرة محمد صادق بيك
ميرالاي أركان حرب وأمين الصرة
عن طلعت سنة ١٢٩٧
هجرية
م

المحتويات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مقدمة

الحمد للّه الذي فطر السموات والأرضين ، وأودع فيهن من باهر آياته مايكون عبرة للناظرين وسخر الليل والنهار وأرسل الرياح ثير السحب الغزار وبسط الأرض وسلك فيها سبلاً فجاجا ، وأنزل من المعصرات ماءً ثجاجا فأخرج به حباً ونباتا وجنات ألفافا وكور الليل على النهار والنهار على الليل اختلافا فأنشأ من ذلك فصولاً متفرعة تكتسب منها الهواء صفات متنوعة برداً وحراً وزمهريرا وقيظا لتستمد كل من الطبائع والعناصر نصيباً وحظا ، وجعل في مطويات هذه البسيطة من الأسرار العديدة والمعادن المفيدة وأسكن هذه المعمورة آدم وذريته وأمرهم بالسير في مناكبها والاعتبار بعجائبها لتستنير بذلك بصائرهم وتهتدي ببدائع حكمته ضمائرهم فلقد أجاد من قال مشيراً إلى اتقان صنع ذي الجلال (ففي كل شيء له آية تدل على أنه الواحد) والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي بعث خاتماً للمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين فأرشد العباد إلى طريق الفوز بمنافع المعاش والمعاد وكان من جملة ما شرعه من الفرائض فريضة الحج التي هي إحدى قواعد الإسلام الخمس التي لايمكن أداؤها إلا بضرب أكباد الإبل وسير القفار واعتساف الأوعار وتحمل شدائد الصعود والهبوط من عقاب الجبال وركوب الفلك التي تجري في البحار الجمة الأخطار والأهوال فيحصل بذلك أنواع من العبر وآيات لكل من تبصر وتذكر.

(أما بعد) فلما كان عام ألف ومائتين وسبع وتسعين من الهجرة النبوية(١٢٩٧ هـ) على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحية عند وفود موكب المحمل المصري لأداء سنة زيارة حرم خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام بعد الفراغ من النسك والمشاعر العظام تشرفنا بلقاء أمين صرته الشريفة ذي الشمائل الظريفة والمعارف الجمة والفكرة الثاقبة والغيرة والهمة حضرة عزتلو أفندم محمد بك صادق ذي التدقيق الفائق ، فعند التملي بحسن لقائه والاقتباس من نور سنائه أطلعنا على رسالة رحلته المحتوية على جمل

وتقاريق سفرته ، فوجدناها رسالة بديعة البيان كاملة الحسن والإحسان جليلة المعاني جميلة المباني قد أحرزت من كل فن أحسنه ، ومن كل علم اتقنه ، فيما يتعلق بالحرمين المحترمين ، والبلدين المعظمين مما لايفرق معه بين العين والأثر ويجعل الخبر كالعيان والعيان كالخبر ، وتفيده من فن الجغرافيا لطائف النكات من وصف الأرض وقطعها المتجاورات المختلف الألوان والشيات وتوضح له بأبدع نظام ومهمات مسائل الحج والإحرام وكيفية أداء المناسك المطلوبة والمشارع العظام المرغوبة وتشير له إلى حكمة تشريع تلك العبادات وأسرارها الخفية ومحاسنها ومزاياها المطوية إلى تنبيهات من علم التصوف شافية وإرشادات مقتبسة من إشارات القوم كافية وبالجملة فهي حرية بأن تدعى مرآة العجائب ومعرض الغرائب قد احتوت على نوادر الغرر ونفائس الدرر وعلى أصول لطيفة التأسيس أبهج من أجنحة الطواويس فليتخذه المطالع علماً يهتدي به وأما ما يقتدي به فيا لها من طرائف ظرائف تصقل الأذهان وتزدهي حسناً على سوالف الغزلان فلا زال جامعها مرتقياً في معارج المعالي زينة في صدور المحافل مدى الأيام والليالي موفور السعد والإقبال متشرفاً بين الأقران والأمثال آمين .

وكيل مفتي الشافعية وخادم

العلم بالروضة النبوية

السيد أحمد

البرزنجي

م

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مقدمة المؤلف

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيد المرسلين سيدنا محمد النبي الأمي وعلى آله وصحبه أجمعين ، أما بعد فيقول الفقير إلى مولاه محمد صادق بيك ميرالاي [1] أركان حرب المصري إني قد استخرت الله في أن أشرح ما شاهدته براً في طريق الحج الشريف من كل مأمن أو مخيف وماهو جار في كيفية أداء هذه الفريضة الإسلامية ليكون دليلاً مختصراً مفيداً للأمة المحمدية وخدمة لأبناء الوطن ولم أذكر شيئاً بمجرد الظن بل عولت في الغالب على الاقتصار على ذكر الحسن وسميته (بمشعل المحمل) وعلى الله سبحانه وتعالى أتوكل ، وإن وجد فيه شيء لاينبغي أن يذكر فإنما ذكرته أداء لحق الوظيفة مع التلطيف ليكون قدوة ودليلاً لمن يتوظف من الآن وليس الخبر كالعيان .

صرة المحمل

اعلموا وفقنا الله وإياكم لما فيه السداد وهدانا إلى طريق الرشاد . إني قد تعينت أمينا لصرة الحج الشريف في طلعته سنة ١٢٩٧ (الموافق لسنة ١٨٨٠م) وعودته سنة ٩٨ هجرية (الموافق لسنة ١٨٨١م) وكان سعادة عاكف باشا اللوا أمير أعلى الحاج في هذا العام ورئيس أورطني [2] السواري [3] حضرة عاطف بيك القائمقام [4] وهاتان الأورطتان عبارة عن ثمانية بلوكات معها مدفعان جبليان من الششخانة وثلاثة وعشرون طوبجيا [5] وكان عدد الجميع بضباطهم مائتين

---

(١) ميرآلاي : مركب من(مير) مختصر أمير، ومن آلاي) بمعنى الفيلق، ويقال فيها أمير فيلق (كتيبة) .

(٢) أورطة : هي باللغة التركية بالتاء، وتتألف من حوالي ٨٠٠ جندي في الغالب .

(٣) السواري : الفرسان .

(٤) القائمقام : أي قائم مقام الامير في رئاسة (اللواء) .

(٥) طوبجيا : مدفعياً .

مائتين وواحداً وأربعين شخصاً تابعين الصرة لحفظها وحفظ المحمل والحجاج ووكب المحمل في البنادر [١]التي يمر بها وكان مبلغ الصرة ١٣٦٣٤١٧ غرشاً عنها جنيه إنكليزي عدد (٥٦١٩) ، ريال بطاقة عدد (٣٩٦٠٠) ، غروش (٢٢٣١٠) من ذلك مصروفات خدمة الصرة ذهاباً وإياباً ومرتبات العربان ومجاوري مكة والمدينة والتكايا وغيرها فضلاً عن الأمانات التي ترسل إلى أربابها من دواير[٢]ونحوها ثم ثلاثون قنطاراً من الحلواء وثلاثة قناطير من الشمع السكندري وعدد من الاكراك والبنشات والأقمشة والشيلان الكشميرية والشاش الأبيض [٣] والمستخدمون مع أمين الصرة هم حكيم وأجزجي [٤] برتبة يوزباشية وصراف وكاتبان وبيرقدار المحمل ومبلغ الجبل وضوئية [٥] وعكامة [٦]وفراشون لنصب خيام المتوظفين وسقاؤون وأمينا كسا ولتفرقتها على العربان وغيرهم ومقدار كاف من الجمال لحمولتهم وحمولة مؤن العساكر والمياه وجميع الترتيبات المتعلقة بالمحمل والصرة والمشتروات والتجهيزات جار إعمالها سنوياً بمعرفة الروزنامجه [٧] بناء على أمر الداخلية وأن مرتب أمير الحاج خمسمائة جنيه إنعاماً سوى ماهية الرتبة ومرتب الأمين خمسة وسبعون جنيهاً إنعاماً [٨] سوى ماهية الرتبة [٩] مع خرج أحد عشر شخصاً ولسائر مستخدمي الصرة مرتبات على حسب درجاتهم .

---

(١) البنادر: جمع بندر، والأصل فارسي محض وهو المرسى.

(٢) دواير: جمع دائرة أي الجهة.

(٣) الشاش الأبيض: قماش قيق شفاف.

(٤) أجزجي: صيدلي.

(٥) ضوئية: أو ضوية، جمع ضاوي، وهو الشخص غير المرموق أو غير المعتبر وهم الخدم.

(٦) عكامة: الذين يشدون الحبال، والأصل فيها، «عكم» المتاع اي شده وجمعه معاً «بالعكام» وهو الحبل أو الخيط الذي يُشد به.

(٧) الروزنامجه: أوقاف الصرة.

(٨) إنعاماً: مكافأة.

(٩) ماهية الرتبة: الراتب الشهري المعتاد.

موكب المحمل

وفي يوم الاثنين ٢٢ ل سنة ١٢٩٧ هجرية * ١٨ توت سنة ١٥٩٧ قبطية * ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٠ مسيحية تهيأ محفل المحمل الشريف بميدان محمد علي الساعة ثلاثة بحضور ذي العز والطبع الشفيق جناب الخديوي الأعظم محمد باشا توفيق أدامه اللّه وأبقاه وبلغه من الأمل ما اشتهاه واستلم سعادة أمير الحج ذمام جمل المحمل كالعادة من اليد الشريفة الخديوية بحضور النظار العظام وقاضي أفندي وشيخ الإسلام والعلماء وجميع الذوات الفخام والأمراء الكرام وسار في موكب عظيم إلى أن وصل إلى العباسية الساعة س ٥ بالقرب من سيدي المحمدي عند صوان[١] الأمير .

وفي يوم الثلاثاء ٢٣ ل سنة ٩٧ (٢٨ سبتمبر) صار استلام الصرة من خزينة الروزنامجه [٢] كالمبين سابقاً بحضور أمير الحاج وأمين الصرة والكاتب والصراف والروزنامجي ونائب الشرع والشهود .

كسوة الكعبة

وفي يوم الأربعاء ٢٤ ل (٢٩ سبتمبر) صار حزم كسوة الكعبة الشريفة وهي إحدى عشرة قطعة من مقام سيدنا الحسين سبط خير الأنام .

قيام المحمل من العباسية

وفي يوم الخميس ٢٥ منه (٣٠ سبتمبر) في ابتداء الساعة الأولى أطلقت مدافع القيام وقام الركب متوكلاً على الملك العلام ولم يكن فيه من الحجاج الأغنياء أحد لتوجه جميعهم بحراً وكان السير في أرض سهلة مرملة [٣] من اليمين ومزروعة من اليسار إلى أن وصل إلى محطة (بركة الحاج) الساعة س ٣ وهي بشرقي كفور الجاموس التابعة للقليوبية وهناك ترعة كبيرة نيلية وسواقي عذبة المياه ، وقد بلغت الحرارة الجوّية في وقت الزوال ٣١ درجة ريومور داخل الخيمة .

(١) صوان : أو صيوان وهو السرادق المعُد للاحتفال .

(٢) الروزنامجه : أوقاف الكسوة .

(٣) أرض سهلة مرملة : أرض يكثر فيها الرمل .

وفي يوم الجمعة ٢٦ منه (غرة أكتوبر) قام الركب الساعة ٦ ووصل الساعة ١١ إلى محل يسمى (أبواب المصاطب) وفي الساعة واحدة ليلاً جدّ السير إلى الساعة الخامسة وثلث وحطت الرحال للاستراحة بجوار محل البوسطة [١] القديمة وبعد خمس وعشرين دقيقة استمر السير إلى الساعة س ٨ وأناخ [٢] بجوار (الشيخ التكروري).

وفي يوم السبت ٢٧ منه (٢ أكتوبر) سار الركب الساعة س ٧ ونزل في س ١١ ق ٤٠ بجوار بوسطة مهدومة [٣]، وفي الساعة الأولى من ليلة الأحد شرع في المسير واستمر السير طول الليل وحصل استراحتان قدر الواحدة منهما عشرون دقيقة.

موكب المحمل في السويس

وفي يوم الأحد ٢٨ ل (٣ أكتوبر) الساعة واحدة إلا ربع نزل بالقرب من بئر السويس فكانت المسافة من الشيخ التكروري إلى البئر بسير الجمال ساعة ١٥ و ق ١٠ وفي الساعة الثانية تهيأ المحمل بكسوته المزركشة واصطفت أمامه الضباط والعساكر والطبول والأشاير وسار الموكب إلى أن قرب لبندر السويس [٤] وتقابل مع محافظها وعساكرها وأعيانها ومشايخها ومن بها من أهل الطريق وساروا جميعاً أمام المحمل بموكب عظيم وجم [٥] من الأهالي المتفرجين حتى مروا من قنطرة الترعة الحلوة ووصلوا إلى ميدان محطته المعتاد الساعة س ٣ ودخل كل من المستخدمين خيمته وبارك أمراء السويس لأمراء الحاج بسلامة الوصول كما هي الأصول وفي وقت الظهر بلغت الحرارة ٣٣ درجة وبعد العشا أطلقت الصواريخ وضربت الطبول أمام خيمتي الأمير والأمين ثم أمام بيت محافظ [٦] السويس.

---

(١) محل البوسطة: مكتب البريد.

(٢) أناخ: استقر على الأرض، والمعنى استناخ الإبل.

(٣) مهدومة: من هدم.

(٤) بندر السويس: مدينة السويس.

(٥) جم: جمع.

(٦) محافظ: منصب إداري وهو عمدة المدينة.

وفـي يـوم الاثنـين ٢٩ ل (٤ أكتوبـر) جـرى استلام خـرج [*]المستخدمـين[٢] مــن شونــة[٣] السـويس من قنيطة وأرز وعدس ومسلى وعلايق[٤] للمواشي على حسب المرتب لمدة السفر منها إلى (نخِل) بكسر النون والخاء وقد ارتقت الحرارة ظهر هذا اليوم إلى أربعة وثلاثين درجة ونصف .

في وصف الطريق بوادي التيه

وفي يوم الثلاثا غاية ل (٥ أكتوبر) كانت الحرارة صباحاً ستة عشر درجة وفي الساعــة واحدة إلا ثلــث قام الركب ووصل إلى قنطرة الترعة المالحة س ١ ق ٤٠ وكان البحـر منجزراً[٥] فانتظرنـا مـدة حتى علت المياه وأغلقت أبواب القنطرة ومرّ جميع الركب من الساعة ٥ ق ١٥ إلى س ٦ وكان عدد الركب ١١٠٣ أنفس و ٢٤٧ حصاناً و ٤٨٨ جملاً و ١٠٠ حمار ولم يكن معه من هو قاصد للحج من الأهالي إلا شرذمة[٦] قليلة من الفقراء وأما الأغنياء من الحجاج فتوجهوا جميعاً بحراً ووصل الركب إلى الناطور[٧] الأول الساعة س ٨ وهذا الناطور مبني بالحجر الزلط فوق تل من رمل كهيئة طاحون الهواء عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه أربعة وفي س ١٠ ق ٤٥ وصل إلى الناطور الثاني وهو على شكل العمود ارتفاعه ثلاثة أمتار مبني بحجر النحت[٨]وصار المبيت بجانبه في واد متسع مرمل به بعض أكمات صغيرة ورمال منتقلة وفي الساعة التاسعة من ليلة الأربعاء سار الركب ومرّ على الناطور الثالث الساعة عشرة وهو مثل الثاني ومعد لمبيت الحاج وقد جعلت هذه النواطير في هذا

(*) خرْج : إتاوة، ويعني المقدر من المأكل.

(٢) المستخدمين : الموظفون .

(٣) شونة : مخزن الحبوب .

(٤) علايق : علف .

(٥) منجزراً: في حالة جزر (Low Tide) وهي إنحسار مياه البحر.

(٦) شرذمة : مجموعة قليلة من الناس.

(٧) الناطور : الاستراحة، والأصل مخفر (وهي دخيلة ومعناها : حافظ النخل والشجر) وهو عبارة عن بناء على شكل طاحونة عُمل لإرشاد السفار .

(٨) حجر النحت : الحجر المستقطع من الجبل، ويكون منحوتاً .

الوادي المتسع إعلاماً لتدل المسافر على الطريق ، وفي الساعة س ١١ وصل لمحل يسمى العلواية [١] واستراح قدر نصف ساعة ثم سار في طريق كلها رمال بين صعود وهبوط محاطة بتلال .

وفي يوم الأربعاء أول ذي القعدة سنة ٩٧ (٦ إكتوبر) وصل بعد مضي أربعين دقيقة من النهار إلى سلسلة تلال تمتد شرقاً إلى اليمين وعلى س ١ ق ٥ تتجه الطريق شرقاً بينها ثم تنحرف مبحراً ثم تعتدل شرقاً وبعد الساعة س ١ تتجه غرباً ثم تبحر مع تعرج بتقوس كبير مسافة خمسة دقايق[٢] ثم تشرّق بين رمال كثيرة متسلسلة ما بين الشرق والجنوب محاطة يساراً بسلسلة التلول المار ذكرها وفي س ٣ ق ٥ تمرّ فوقها مشرقة مقبلة إلى س ٣ ق ٤٠ ثم تمرّ على سلسلة أخرى مشرّقة ثم مبحّرة ثم تعتدل شرقاً ، وفي س ٤ تمرّ بمحجر وتنحرف بين الشرق والشمال وتصير سلسلة التلال يميناً ثم بعد مسير خمس دقايق تتجه شرقاً وبعد خمس دقائق أخرى تتجه قبلياً ثم تُشرّق في واد متسع ذي أرض صلبة صالحة للزراعة بها حشايش قصيرة وفي س ٥ ق ١٥ استراح الركب وفي س ٥ ق ٤٥ سار وفي س ٦ ق ٢٠ مرّ بطريق بين جبلين بها زلط ورمل عرضها من ١٥٠ متراً إلى ٢٠٠ متر تستمر إلى س ٦ أعني مسافة عشرة دقايق ثم تتجه ما بين الجنوب والشرق إلى س ٦ ق ٤٣ فتعتدل بتقوس بتعرج إلى الشرق بين خيران[٣] صغيرة من مجرى السيل ثم تنحرف إلى الجنوب الشرقي ثم شرقاً وهكذا تارة وتارة على حسب امتداد الجبال بها من الطرفين إلى س ٧ ق ١٥ ثم تنحرف جنوباً قدر ثلاث دقايق ثم تتجه إلى الشرق وبعد س ٧ ق ٥٣ تتجه جنوباً وتضيق وبعد مسير خمس دقائق تشرق مع صعود قليل ممتد ثم تنحدر في خور وفي نهاية س ٨ ق ١٠ تتجه إلى الجنوب الشرقي ثم شرقاً وفي نهاية س ٨ ق ٤٥ تتسع الطريق ويقل الزلط ويثبت الرمل ، وفي نهاية

---

(١) العلواية : نسبة لارتفاعها .

(٢) دقايق : دقائق .

(٣) خيران : جمع خور .

س ٨ ق ٥٣ يصل الركب إلى محجر مضيق اتساعه عشرون متراً ثم يتضايق[١] إلى خمسة أمتار ويمتد مع صعود وهبوط على طول ثلثمائة متر ثم يتسع الطريق ثم يضيق مع صعود ثم يتسع ويميل إلى الجنوب الشرقي ثم إلى الشرق ثم ينحرف إلى الجنوب الشرقي إلى نهاية س ٩ ق ٤٢ ثم يتجه قليلاً إلى الشرق ، وبعد س ٩ ق ٥٠ يتجه إلى الجنوب بتعرج بتقوس متسع بين جبلين ثم إلى الشرق وبعد س ١٠ يهبط من محجر مضيق وبعد س ١٠ ق ٣٠ تقل الجبال ويتسع الطريق بين صعود وهبوط في حجارة وفي س ١١ انتهت التلال إلى واد سهل متسع يسمى بوادي (جبال الحصن) وفي الساعة س ١١ نزل الركب للمبيت وكل هذه الطريق مار من وادي التيه وفي الساعة الثامنة من ليلة الخميس ضرب مدفع التحميل[٢] وفي س ٩ سار الركب وكانت حرارة الجو ١٢ درجة وفي س ١١ ق ٤٥ نزل للاستراحة .

قلعة نِخِل

وفي يوم الخميس ٢ ذي (٧ أكتوبر) بعد مضي ق ١٥ من النهار جد السير في واد شرقي قبلي متسع صلب الأرض صالح للزراعة به عاقول [٣] وبعض حشايش وبعد س ٥ نزل للاستراحة وبعد س ٦ ق ٤٠ أخذ في السير وبعد س ٧ ق ٥٠ مرّ مشرقاً بين أكمات محجرة قليلة الارتفاع وقريبة المسافة وفي نهاية الساعة س ٩ مرّ بمحجر مستو على يمينه جبل مرتفع عليه أكمتان هرميتا[٤] الشكل ثم امتد الطريق بين جبلين متباعدين إلى واد متسع جداً محاط بجبال بعيدة يسمى وادي نخل وبعد الغروب بعشر دقايق وصل الركب إلى (قلعة نِخل) وهي قلعة مربعة الشكل مبنية بالحجر النحت ذات مزاغل طول كل ضلع منها ٢٨ متراً ما عدا الأبراج التي في زواياها وقطر كل منها ستة أمتار وهذه القلعة مرتفعة عن سطح الأكمة التي هي عليها بنحو سبعة أمتار ونصف والأكمة مرتفعة عن أرض الوادي بخمسة

---

(١) يتضايق : يزداد ضيقاً .

(٢) مدفع التحميل : للإعلان عن بدء عملية التحميل .

(٣) عاقول : نبات بري شوكي، يسمى الحاجي، واسمه العلمي Alhgimaurorum Medik .

(٤) أكمتان هرميتا الشكل : كومتان ذات شكل هرمي .

أمتـار وبداخـل القلعة حواصل معدة لذخاير[1] الحجـاج والمستخدميـن وبهـا محافـظ ويوزباشـي[2] وملازم مخزنجي وبلوكباشي[3] وستة وعشرون عسكرياً ببندق طرز قديـم بشطفـة[4] وستة طوبجيـة[5] ومدفع واحد نحاس طرز قديم بري وطول حوشها من الداخل ٢٣ متراً في ١٥ وفي سفل البرج الشرقي البحري ساقيـة ماؤها قيسونـي[6] عمقها ٢٢ متراً يديرها ثوران[7] فيصل ماؤها إلى خارج القلعة إلى ثلاثة أحواض مبنية معدة للحجاج والقوافل أحدها طوله ١٤ متراً في ٢٨ بعمق ثلاثة أمتار خرب من منذ سنتين والآخران كل منهما طوله عشرة في تسعة أحدهما ملآن والآخر يملأ عند رجوع الحاج وبجانب هذه الأحواض أحواض صغيرة مستطيلة تملأ لشرب الدواب وفي كل عام قبل طلوع الحاج بشهر يبعث الميري[8] بأربعة أثوار مع لوازم الساقية لإدارتها مدة طلوع ونزول الحجاج ثم ترجع الأثوار إلى مصر مع الحج المصري وفي بقيـة العام يستخـرج سكان القلعـة الماء بواسطة حبال ودلاء[9] مع المشقـة الزائـدة وبخارج القلعـة ساقية[10] خربة وبئر مبنية عمقها ١٦ متراً قليلة الميـاه وهنـاك عشـش[11] لسكنـى العساكر وهذا الوادي أرضه سهلة صالحة للزراعة به ثلاثة مجار للسيل فمتى أتى ارتوى أغلبها وزرعتها العربان لأن طينتها التي تعلو الرمل خزفية بيضاء صلبة بحيث إذا مطرت[12] ومشى عليها إنسان أو

---

(١) ذخاير: مواد أو مهمات الحجاج توضع في خزائن (حواصل).

(٢) يوزباشي: رئيس لألف عسكري.

(٣) بولكباشي: رئيس البلوك وهو لقب عسكري تركي الاصل.

(٤) بندق طرز قديم بشطفة: بنادق بهيئة أو شكل من النوع القديم.

(٥) طوبجية: مدفعية.

(٦) ماؤها قيسوني: ماؤها ارتوازي.

(٧) ثوران: مثنى الثور وهو ذكر البقر.

(٨) الميري: الحكومي، الرسمي.

(٩) دلاء: جمع دلو، وهو حاوية من الصاج أو الحديد تدلى في البئر.

(١٠) ساقية: الناعورة.

(١١) عشش: أكواخ أو شبره.

(١٢) مطرت: تخفيف أمطرت.

حيوان وترك أثر قدمه فيها ومضى عليها زمن تحجرت وصار الأثر كأنه أصلي في الحجر وعلى هذه القلعة يمر الحاج المغربي ذهاباً وإياباً وبالقرب من الجهة الشرقية القبلية للقلعة مقام شيخ يسمى الشيخ النخل باسمه سميت البقعة والقلعة وفي أوان الحج يوجد هناك البطيخ والبلح[1] والتين العلبي والجبن والدخان .

وفي يوم الجمعة ٣ ذي (٨ أكتوبر) استلم الخرج والعلائق وكانت الحرارة عند طلوع الشمس ٩ درجات وفي س ٧ ق ٤٥ من ليلة السبت سار الركب وفي س ١١ ق ٣٠ نزل للاستراحة .

بير ام عباس

وفي يوم السبت ٤ ذي (٩ أكتوبر) جد السير ابتداء الساعة الأولى من النهار في واد متسع سهل وكانت السماء قد أندت ليلاً بحيث استمر الجو غيماً إلى الساعة س ٣ وقد انحرف الدرب عن الشرق إلى قبلي نحو عشرين درجة وفي الساعة ٥ تراءت من بعد جبال على طرفي الطريق وفي الساعة س ٥ استراح الركب وفي الساعة ٦ ق ٧ سار وفي الساعة ٩ ق ٣٥ مرّ فوق محجر بجانبه خور[2] ثم بعد خمس دقائق مرّ في واد محاط بجبال بعيدة وفي الساعة ١٠ ق ٤٠ وصل إلى محطة (بيرام عباس باشا) للمبيت وهناك بير ساقية مبنية بالحجر ليس بها عدة للملء عمقها ١٦ متراً وبجانبها حوض كبير طوله ١٥ متراً في عشرة وعمقه ثلاثة أمتار وهي خربة معطلة ماؤها مُرّ جداً لعدم النزح لانقطاع مرتبها فلذا تحمل الحجاج المياه اللازمة لهم من نخل ومن ذلك يصعب على الحجاج والمواشي قلة المياه بهذا المكان وفي الساعة ٧ من ليلة الأحد ضرب مدفع التحميل وفي الساعة ٧ ق ٤٥ سار الركب خلف الدليل[3] وفي الساعة س ٩ مرّ صاعداً بجوار خور وفي الساعة ١١ استراح وفي الساعة س ١١ اتبع البراح وفي يوم الأحد ٥ منه(١٠ أكتوبر)

---

(١) البلح: التمر.

(٢) خور: خليج صغير.

(٣) الدليل: المرشد.

وصل في نهاية الساعة ١ ق ٣٠ إلى جبال ممتدة يميناً تقابلها تلال بعيدة يساراً وفي الساعة ٢ انتهت تلك التلال إلى واد متسع أرضه ذات رمل ثابت وفي الساعة ٣ ق ١٥ مرّ بين جبلين من طريق اتساعه من مائة متر إلى ٥٠٠ ثم يصير عشرين متراً وفي الساعة ٣ ق ٣٥ مرّ بمحجر ثم بمتسع بين جبلين ثم مرّ بمحجر آخر ضيق ثم آخر عرضه عشرة أمتار وكل منهما طوله خمسة دقائق وفي الساعة ٣ ق ٥٠ مرّ من محجر منقور[١] في الجبل مستوي السطح والانحدار عرضه عشرة أمتار في طول ثلثمائة متر وعلى يمين الطريق قبر مبني بحجر نحت وفي الساعة ٤ صعد على جبل مرتفع نحو خمسة أمتار سهل الانحدار عرض الطريق على سطحه ثلثمائة متر وهي محاطة بالجبال وفي الساعة ٤ ق ٥٠ اتجه جبل اليسار إلى بحري وفي الساعة ٥ ق ١٥ نزل الركب للاستراحة وفي الساعة ٦ سار وفي الساعة ٦ ق ٢٥ صعد على تل طفلي[٢] الجنس محاط بجبلين وفي الساعة ٦ اتجه جبل اليسار إلى البحري وفي الساعة ٦ ق ٥٦ مرّ الطريق ما بين جبل اليسار وبين أكمات[٣] من جبل اليمين وفي الساعة ٧ ق ١٠ مرّ على الأكمات وفي الساعة ٧ ق ١٥ صعد الركب على جبل اليمين فرآى وادياً متسعاً يساراً وجبالاً يميناً في أرض مستوية السطح رملها ثابت به بعض زلط خفيف وفي الساعة ٨ ق ٥ مرّ بين أكمات وانتهى جبل اليمين واتجهت الأكمة التي على اليسار إلى الشرق وفي الساعة ٨ ق ٢٥ اتجهت إلى بحري ورؤي الوادي متسعاً محدوداً بالجبال على بُعد وفي الساعة ٩ ق ٤٠ انتهى الوادي ومرّ الطريق بين تلال وفي الساعة ١٠ مرّ على محطة (الامشاش) وهو محل مُعد لنزول الحجاج به ليس به آبار ولا مياه إلا بعض حفائر[٤] مردومة يُقال إن العرب تحفر هذه الحفائر وتأخذ منها المياه بسهولة لقربها من سطح الأرض في

---

(١) منقور: محفور او منحوت.

(٢) طفلي: نوع من الرمل لونه يميل الى اللون البني وهو عبارة عن فتات الصخور القديمة.

(٣) أكمات: مرتفعات وهي ما تجمع من رمال معاً.

(٤) حفائر: منخفضات ممتلئة بالماء، ومفردها حفرة.

هذا المحل ثم تستبدلها بغيرها وفي الساعة ١٠ ق ٣٥ نزل الركب بواد متسع يحدق به شجر عبل [1] رمل أرضه صفراء تعلوه طبقة خفيفة من الزلط وفي الساعة ٧ ق ٤٥ من ليلة الاثنين قام الركب ونزل في الساعة ١١ على (سطح العقبة).

النزول من العقبة

وفي يوم الاثنين ٦ القعدة (١١ أكتوبر) في الساعة الأولى من النهار ابتدأ النزول من العقبة بحيث صار الراكب ينزل عن دابته أو حمله ويتجه للجنوب الشرقي نحو خمسين متراً ثم يميل مبحراً بين أكمات من صخر نحو ثلثمائة وثلاثين متراً ثم يتجه شرقاً قدر ثلثمائة متر ويمر من محجر عرضه عشرة أمتار ثم يسير نحو ستمائة متر وينعطف جنوباً نحو مائتي متر بين أكمات ثم ينعطف إلى الجنوب الشرقي قدر أحد عشر متراً ويتجه إلى الشرق الشمالي قدر مائتين وثلاثين متراً ثم يتضايق المحجر إلى عشرة أمتار بصخر شمالاً وخور يميناً وبعد مائتين وثمانين متراً يصعد الركب مشرّقاً قدر مائة وثلاثين متراً ثم يسير في مستوى من الأرض عرضه خمسون متراً ويتجه مائلاً قليلاً من الشرق إلى الشمال الشرقي وبعد مائتين وخمسة وستين متراً يجد هوياً على اليسار وأكمة ومحجراً خفيف الانحدار على اليمين ثم يتسع الطريق وبعد مائة متر يجد زلطاً ومحجراً وعلى اليسار خوراً وبعد مائة وأربعين متراً يسير في محجر بعده منحدر صعب النزول لايمر منه إلا الجمل فالجمل مسافة عشرة أمتار ثم يميل الطريق إلى القبلي الشرقي بين هوى شمالاً وصخور يميناً وبعد أربعة وعشرين متراً لايمر إلا الجمل فالجمل ويستمر ذلك قدر مائة متر أيضاً لكثرة الصخور مع تقوس الطريق إلى الشرق ثم تتسع وتتجه إلى الجنوب الشرقي وبعد مائتي متر ينتهي الانحدار وتصير الأرض مرملة وبعد ثلثمائة وعشرين متراً يبدو منحدر وجبال ثم بعد مائتي متر يوجد محجر وصعود عرضه ثمانية أمتار ثم رمل وصعود آخر في منحدر عرضه عشرة أمتار وبعد مائة وتسعين متراً ينتهي الصعود ويسهل الهبوط وبعد مائة وخمسة وأربعين متراً يميل الطريق مبحراً قدر مائة وعشرين متراً ما بين

(١) عبل: كل ورق مفتول غير منبسط كورق الأثل والطرفا.

خور يميناً وصخور يساراً ثم يوجد زلط ومحجر ثم يستقيم الطريق مشرقاً مقبلاً نحو خمسة وتسعين متراً ثم يتجه إلى شرقي بحري نحو ثلاثين متراً ثم ينحرف جنوباً بقدر أربعين متراً ثم شرقاً بقدر خمسة وعشرين متراً بين صخور ومحجر صعب ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي وبعد أربعة وأربعين متراً يوجد خور على اليسار ويسهل السير باستواء الطريق قدر مائتين وخمسين متراً ثم يمر من نقب[1] طوله عشرة أمتار وعرضه ثمانية وبعد ستين متراً يظهر الخور الذي على اليسار ويميل الطريق مشرقاً بقدر اثنين وأربعين متراً مع الصعوبة لشدة صلاة الأحجار وشرذمتها وإن كانت قليلة الانحدار نوعاً ثم يتجه مقبلاً إلى نقب في الحجر منحدر لا يمر منه إلا الجمل فالجمل قدر مائة وثمانين متراً ثم يصير الهبوط سهلاً نحو مائة وستين متراً ثم يميل إلى شرقي قبلي عن يسار خور قدر ثلثمائة متر ثم يقبل نحو مائة متر ثم يستقيم بين الشرق والشرقي الجنوبي نحو خمسة وخمسين متراً فينتهي إلى محجر هابط متجه إلى الشرق متقوّس طوله مائتا متر لايمر منه إلا الجمل فالجمل ولايزال إلى الشرق قدر مائتي متر ثم يوجد هبوط صعب ذو حجارة كثيرة كبيرة لايمر منه إلا الجمل فالجمل أيضاً متجه إلى الشرق الشمالي طوله ستون متراً على يساره خور ثم ينعطف الطريق بانحدار يسير إلى الشرق الجنوبي قدر خمسة وخمسين متراً ثم يرجع إلى الشمال قدر مائة وخمسة وعشرين متراً مع الانحدار وهذه النقطة منخفضة عن التي قبلها أعني النقطة التي بعد الستين متراً بنحو عشرين متراً ثم يتجه إلى الشرق الجنوبي قدر خمسة وعشرين متراً ثم يستدير بتقوس مشرقاً مسافة ستة وثمانين متراً في متسع ثم يميل مقبلاً ثلاثين متراً فيستمر ما بين الشرق والشرقي القبلي قدر ستة وسبعين متراً ثم يميل شرقاً إلى مائة وخمسة وعشرين متراً مع انحدار وهوى يميناً ثم يبحر الطريق قدر ثمانين متراً ثم يستدير إلى القبلي بانحدار شديد قدر مائة وثلاثة وسبعين متراً ثم يتجه إلى القبلي الشرقي فوق أساس مقاطع الخور الذي على الطرفين وبعد سبعين متراً توجد قنطرة[2] مبنية

---

(١) نقب: ثقب والقصد ممر.

(٢) قنطرة: معدية (جسر) وهي ما يُبنى على الماء للعبور.

لمجرى السيل النارل[1] في الخور وإلى هنا ينتهي آخر العقبة ومن هذا المحل يسهل سير الجمال بأجمالها إلى القلعة وبعد سير مائة وستين متراً من القنطرة يميل الطريق مشرقاً مبحراً قدر تسعين متراً في عرض عشرة أمتار بين جبلين ثم يميل مشرقاً مقبلاً مائة وثمانين متراً في عرض سبعين متراً على سطح مستوٍ بين الجبال سهل السير ثم يميل الطريق بين القبلي والقبلي الشرقي وبعد ثلثمائة متر يصير عرضه أربعين متراً وبعد ثلثمائة أخرى يتجه إلى الجنوب قدر أربعة وستين متراً ثم إلى الشرق الجنوبي قدر تسعمائة متر مع سهولة السير واستواء سطح الأرض ثم يستقيم بين الشرق والشرقي الجنوبي وبعد مائة متر يوجد صعود سهل بين اكمتين وبعد مائة وتسعين متراً ينتهي الصعود وينحرف الطريق إلى الشرق وبعد مائتي متر يبتدأ صعود بين صخرتين ثم بعد مائتي متر ينتهي إلى هبوط مستوٍ قدر ثلثمائة متر ثم بعد مائتين وثلاثين متراً يبتدأ صعود آخر وبعد مسير خمسة وسبعين متراً من الصعود يوجد خور يميناً ثم بعد خمسين متراً يتجه الطريق شرقياً قبلياً نحو خمسين متراً ثم يستقيم شرقاً وبعد مائة متر يوجد مجرى سيل ثم بعد مائة وعشرين متراً ينتهي الصعود ويبتدىء الهبوط في متسع مستوٍ ما بين الشرق والشرقي الجنوبي قدره خمسمائة متر على يمين جبل ثم بعد مسير أربعمائة متر يمر بين تلال طولها تسعون متراً ويكون عرضه تارة عشرة أمتار وتارة عشرين ثم يميل مشرقاً مقبلاً قدر مائة وخمسين متراً ويتسع بين تلال ورمال سهلة السير نحو خمسمائة متر ثم بعد خمسمائة متر أخرى تنقطع التلال ويمر الطريق على يمين جبل وبعد مائة وعشرة أمتار يميل شرقاً مسافة أربعمائة متر ثم ينعطف يسيراً إلى الجهة البحرية الشرقية مسافة مائة وعشرة أمتار ثم يتجه إلى الشرق الجنوبي قدر ستمائة وثمانين متراً ثم يمر بين تلال في عرض ثلاثين متراً ويستمر ما بين الشرق والشرقي الجنوبي ثم بعد خمسمائة متر يصعد بين تلال وبعد مائتي متر ينحدر إلى خمسمائة متر فيتسع في أرض مرملة محاطة بتلال وبعد ثلاثة آلاف ومائة متر ينتهي إلى رمال البحر المالح ثم بعد أربعمائة متر يصير

---

(١) النازل: الهابط.

البحر المسمى ببحر العقبة[١] عن يمينه فيمر على شاطئه وهذا البحر متصل ببحر السويس أي القلزم[٢] والمرور من هذه العقبة شديد الصعوبة جداً فيلزم كل الحذر في نزولها وصعودها وخصوصاً الصعود وقد أجرى تنظيمها نوعاً المرحوم عباس باشا ومع هذا فصعوبتها لم تزل شديدة ثم إن ابتداء النزول كان في أول الساعة الأولى والوصول إلى الشاطىء الشرقي من بحر العقبة كان في الساعة الثالثة وهناك صار وكب المحمل بجوار نخيل وسار عن يمينه البحر المالح وعن يساره أرض مرملة يعلوها البحر عند المد وبانتهاء عرض البحر سلك طريقاً محتفة[٣] بالنخيل إلى أن وصل (القلعة) بعد خمس وأربعين دقيقة وهي قلعة متينة مبنية بالحجر النحت على ثلثمائة متر من الشاطىء أنشأها السلطان مراد بن السلطان سليم طولها ٦٣ متراً في عرض ٦٣ وفي أركانها أربعة أبراج اثنان منها آيلان إلى السقوط وعن يمين الباب برج وعن يساره آخر وحوشها[٤] طوله ٤٥ متراً في مثله وفيه بئر معين[٥] عذب عمقه عشرون متراً ومسجد صغير للصلاة وحواصل للذخائر وهذه القلعة فيها محافظ يوزباشي جهادي طوبجي وأربعة مدافع أحدها نحاس من عيار خمسة والثلاثة حديد وبها ٣٣ عسكريا بياده[٦] وسبعة طوبجية[٧] وبجوارها بيوت صغيرة وعشش[٨] وهي أكبر قلاع طريق الحاج وسكان هذه البقعة يبلغون مائة شخص وتأتي إليها العربان في موسم الحاج للتجارة بالفواكه مثل الخوخ والرمان والعنب من (معان) التي هي بلدة في حدود الشام وأما البادية والخضارات تنزرع بها وهناك نخيل ومياه عذبة ويحفرون حفائر بجانب البحر الماليح[٩] فتنبع منها مياه أعذب من ماء البئر التي في القلعة وقد شاهدت هناك بعض عجائب صنع

(١) ببحر العقبة: خليج العقبة.

(٢) القلزم: البحر الأحمر والمقصود خليج السويس.

(٣) محتفة: يحيطها.

(٤) حوشها: الحوش هو الشبيه بالحظيرة (المكان الفضاء).

(٥) معين: مياه جوفية.

(٦) بيادة: مشاه.

(٧) طوبجية: مدفعية.

(٨) عشش: الكوخ من فروع الأشجار أو سعف النخيل وما شابهه.

(٩) الماليح: المالح.

ربي وذلك أنه حمل إلى سمك غريب الشكل ظهره زمردي اللون وجانباه بنفسجيان أشبه بالطير المسمى بالدرة لوناً وشكلاً فأن فمه وعينيه كمنقاره وعينيه .

وفي يوم الثلاثاء ٧ منه سنة ٩٧ (١٢ أكتوبر) صرف للعربان مرتباتهم من دراهم وبنشات[١] والكراك[٢] وشيلان كشميرية[٣] وشاش وحلويات وقد بلغت الحرارة بعد الظهر ٢٥ درجة وبعد استلام الخرج[٤] والعلايق سار الركب في الساعة العاشرة عن يمينه البحر وعن يساره الجبال في أرض تارة مرملة وأخرى متحجرة وفي الساعة ١ ق ٤٠ من ليلة الأربعاء أناخ للاستراحة وفي الساعة ٢ جدّ السير وفي الساعة ٢ ق ٤٠ صعد على سطح متباعد عن البحر وفي الساعة ٤ هبط منه وفي الساعة ٤ ق ١٥ مرّ بجوار البحر وفي الساعة ٤ ق ٤٥ مرّ من مضيق متحجر بين الجبل والبحر لايمر منه إلا الجمل فالجمل بهبوط وصعود صعب في أرض تارة مرملة وتارة متحجرة ومتقطعة بمجاري السيول الآتية من الجبال إلى البحر وفي الساعة ٥ سار في نخل كثير ممتد إلى المحطة محصور بين الجبل والبحر وتضايق الطريق في بعض المحلات إلى عشرة أمتار وفي الساعة ٥ ق ٤٥ وصل الركب إلى محطة (ظهر حمار) فحط فنزل ببقعة مرملة غربيها البحري البحر والنخيل وسائر جهاتها محاط برمال وتستخرج المياه هناك من حفائر بجوار البحر ولا سكن بها إلا أن العرب تأتي إليها في أوان[٥] البلح يجنونه ليبيعوه في جهات أخرى ولا يوجد هناك شيء للمبيع إلا حشيش للجمال بدلاً عن التبن[٦] .

---

(١) بنشات : جمع بنش وهي السترة الرسمية وتطلق على كل العطايا.

(٢) الكراك : حاويات كبيرة من الاطعمة.

(٣) شيلان كشميرية : صوف كشميري نسبة الى كشمير.

(٤) الخرج : الاتاوة وهي المخصص للفقراء.

(٥) أوان البلح : وقت أو موسم نضج البلح.

(٦) التبن : قش عيدان القمح بعد تكسيرها فأكلها الجمال (علف).

وفي يوم الأربعاء ٨ منه (١٣ أكتوبر) صرف للعرب صباحاً ما هو مرتب[١] لهم وفي الساعة ٧ ق ٤٠ سار الحاج صاعداً على جبل مرتفع نحو العشرين متراً صعب الصعود وبعد الاستواء على سطحه استراح نحو أربعين دقيقة ثم اتجه مقبلاً في واد متسع عن يمينه البحر وعن يساره جبال وفي الساعة ٨ ق ٥٠ مرّ في خور وفي الساعة ٩ وصل إلى أرض مرملة بشاطىء البحر وفي الساعة ٩ ق ٣٠ نفذ من بين جبلين صاعداً إلى واد مرمل به أكمات وخيران كثيرة يتصل بواد سهل مستو بعيد عن البحر وفي الساعة ١٠ ق ٣٠ وصل إلى طريق متسع بين جبال وبعد نصف ساعة من الغروب استراح وفي الساعة الأولى من ليلة الخميس سار فمر من أراض متحجرة ذات هبوط وصعود وفي الساعة ٥ ق ٣٠ اتسع الطريق وكثر الشجر المسمى بالعبل[٢] وفي الساعة ٦ استراح وفي الساعة سـ ٦ جدّ السير وفي الساعة ٧ ق ٣٥ مرّ بمقابر (الشهداء) وبهذا الوادي حشايش وزلط وهو محاط وحواصل وجامع وبرج صغير وهي تابعة لمحافظة المويلح كما نبهنا على ذلك وآبارها عذبة وتجارتها الحطب والفحم والسمك وبها شجر دوم[٣] .

وفي يوم الثلاثاء ١٤ منه (١٩ أكتوبر) الساعة ٨ ق ٣٥ سار الركب وفي الساعة ٨ ق ٤٥ صعد إلى تلال مفضية إلى واد متسع مستوٍ يعلوه زلط عن يمين البحر بعيداً منه بمسافة قليلة ، وفي الساعة ١٠ ق ٣٠ مرّ على قبر الأكفافي وفي الساعة ١١ هبط يسيرا في محجر وفي الساعة ١١ ق ١٥ صعد فوق تلال ثم مرّ بالقرب من البحر وفي الساعة سـ ١١ جاز خوراً ثم وادياً سهل الأرض وفي الساعة ١٢ استراح وفي الساعة الأولى من الليل سار الركب وفي الساعة سـ ١ وصل إلى منحدر خفيف وفي الساعة ٥ ق ١٥ سار في واد مستوٍ سهل به بعض زلط وفي

---

(١) ما هو مرتب : ما هو مخصص .

(٢) العبل : يقصد شجر الأثل فهو يكثر في المناطق الرملية واسمه العلمي Tamarix وسبق شرحها لغوياً .

(٣) شجر الدوم : نوع من الشجر يشبه النخيل لكنه يتميز عنه بتفرعه وهو يتبع الفصيلة النخيلية واسمها العلمي Hypthaenethebaica .

الساعة ٦ ق ١٠ هبط من منحدر وفي الساعة ١٠ ق ٥٥ وصل إلى محطة (ازلم) وهناك قلعة مربعة الشكل مبنية بالحجر النحت خربة من مدة سنين كان قد أنشأها الملك الأشرف أبو النصر في سنة ٥١٦ وليس بهذه المحطة سكن وفيها ثلاث آبار لشرب الدواب فقط عمق كل منها خمسة أمتار وبالصحراء حشايش تسمى بالرمث[1] لا ينتفع بها وقد بلغت الحرارة وقت الظهر ٣٠ درجة .

وفي يوم الأربعاء ١٥ منه (٢٠ أكتوبر) في الساعة ٨ ق ٣٥ سار الركب في هذا الوادي المتسع المحاط بالجبال وفي الساعة ٩ ق ١٠ ظهرت جبال على الجانبين ممتدة إلى المحطة الآتية تارة تبعد وتارة تقرب مع وجود حصى وشجر السنط وبعد ق ٤٥ من الغروب استراح وفي الساعة ١ جدّ السير وفي الساعة ٦ استراح وفي الساعة ٦ ق ٤٥ سار في أرض متسعة محاطة بجبال تارة تعلو وتارة تنخفض .

اصطبل عنتر

وفي يوم الخميس ١٦ منه سنة ٩٧ (٢١ أكتوبر) بعد مضي نصف ساعة من النهار وصل الركب إلى محطة (اصطبل عنتر) وهو محل متسع نوعاً ومحاط بالجبال في وسطه ثلاث آبار إحداها مردومة والأخريان فيهما مياه قليلة مُرّة لعدم نزحهما سنوياً وإن كان الميري يصرف في كل عام مبلغاً لنزحهما وبجوارها حوضان طول كل منهما ١٥ مترا في عرض ١٥ وعمق ثلاثة وبهذه المحطة أعراب يبيعون الحشيش وقد بلغت الحرارة عند الزوال ١٣ درجة وفي الساعة ٨ ق ٤٠ سار الركب ومرّ من فوق أكمة محجرة بين جبلين ومتعرجة كطريق الفار وفي الساعة ٩ ق ٣٥ اتسع الطريق وقرب من المالح[2] بمسافة قليلة مع وجود حصى وفي الساعة ٩ ق ٤٠ سار في واد متسع به جبل فاصل بينه وبين البحر وفي الساعة ١٠ ق ٤٠ صعد على أكمات وفي الساعة ١٢ استراح .وفي الساعة الأولى من الليل سار وفي الساعة ٥

---

(١) الرمث : نبات بري عشبي واسمه العلمي Aellenia subaphylla.

(٢) المالح : نسبة للبحر الاحمر.

ق ٥٥ استراح وفي الساعة ــ ٦ جدّ السير بواد أرضه سهلة بسيطة وفي الساعة ١٠ ق ٢٠ استراح .

قلعة الوجه

وفي الساعة ١١ ق ١٥ وصل إلى قلعة الوجه وهي قلعة حصينة كقلعة نخل في فلاة بين جبال بها جامع ومخازن ومدفع واحد وثمانية أنفار حولها قفار[١] ليس بها إلا بعض نخيل وشجر نبق [٢] لم يسق منذ أربع سنين لعدم نزول السيل في هذه المدة وليس بها بيوت ولا أسواق لكن في أوان الحج تأتي البياعون من المينا التي بساحل البحر وهي على بُعد ساعتين وبالمينا رج[٣] مشيّد به مدفعان من عيار واحد ونصف وثلاثون عسكرياً وصاغقول[٤] أغاسي محافظ وبيوت وسوق وثلاثة جوامع وتجار والخضار معدوم منها ومقدار الأهالي يبلغ نحو خمسمائة نفر ماعدا العربان المقيمين هناك وبها بئر ماؤها عذب تحمل منها المياه إلى القلعة وإن كان بالقلعة سبع آبار مبنية عمق الواحدة منها خمسة أمتار وقطرها متران إلا أن مياهها مُرّة[٥] لاتصلح للشرب إلا إذا غلب عليها السيل أو نزحت كما ينبغي مع أنه في كل عام يصرف الميري مبلغاً لأجل نزحها وتطهيرها[٦] فالمبلغ لايزال يصرف كالمعتاد والآبار لاتنزح في الميعاد وعند نزول الركب هناك وجدت المياه غير صالحة لشرب البهائم بالكلية لمرارتها فتحقق أنها لم تنزح وأضر ذلك بالحجاج حتى اجتمع السقاؤون المتوظفون للحاج فنزحوا بئرين منها في نحو ثلاث ساعات حتى زالت المرارة منهما فارتوت الدواب وأما المستخدمون بالمحمل فقد حملت إليهم المياه من المينا على الجمال

---

(١) قفار : جمع قفر وهي المفازة، الأرض التي لا نبات فيها ولا ماء .

(٢) شجر النبق : هو شجر يُعرف في الجزيرة العربية بالسدر وثمره يؤكل وهو « الكنار » .

(٣) رج : منصة وهو مكان مخصص للمدافع .

(٤) ساغقول : رتبة عسكرية مركب من (صاغ) و(قول) انظر قائمة معاني المفردات .

(٥) مياه مُرّة : مياه عسر .

(٦) نزحها وتطهيرها : تفريغها من المياه وتنظيفها .

وبعضهم استبطا[١] مجيء الماء فاشترى من العربان القربة[٢] الواحدة من الماء بنصف ريال وقد بلغت الحرارة وقت الزوال ٣٤ درجة .

وفي يوم الجمعة ١٧ منه (٢٢ أكتوبر) صرف للعربان حقوقهم من الدراهم والكساوي[٣] فوجد عدد من الكساوي والخلع ناقصاً عن المرتب فسئل من كاتب الصرة عن سبب ذلك فأجاب بأن الروزنامجه[٤] صرفت للصرة أثمان ما ينقص ليصرف إلى أربابه وقد أبى بعض من نقص مرتبه قبض هذا المبلغ وأنفَ من ذلك ومنهم الشيخ سليمان شيخ عربان الوجه فأنه لعدم وجود بنشه الذي هو من العال[٥] أراد كاتب الصرة أعطاءه دراهم في مقابلته فأبى ذلك ورأى أن أخذه للثمن عار وأخذ بنشا من النمرة الدون[٦] .

وصف للعربان

اعلم أن العربان إذا اجتمعوا في مجلس لايتميز بينهم الأمير من الحقير ولسوء أدبهم لايوقر صغيرهم الكبير لا أمان لهم شيمتهم الغدر ولولا الخوف من سطوة الحكام لذبحوا كل من مرّ بهم وسلبوه ومع هذا فأنهم يفعلون ذلك بمن انفردوا به حصونهم الجبال لايبالون بحرام ولا حلال حفاة جفاة شيخهم بلا نعال لايعرف لبس السروال وشرفه في كوفيته[٧] وعقاله وقلما يصغون إلى مقاله وقد شاهدت منهم عدم التوقير وكثرة الجراءة أمام شريف مكة المكرمة مع ما له من الجلالة والعظمة(٨).

---

(١) استبطا : استبطىء.

(٢) القربة : تصنع من جلد الضأن والماعز.

(٣) الكساوي : الملابس.

(٤) الروزنامجه : وقف مالية الصرة.

(٥) لعدم وجود بنشه هو من العال : لعدم وجود سترة من الدرجة الممتازة.

(٦) النمرة الدون : الدرجة الأقل جودة.

(٧) الكوفية : غطاء الرأس، وتُعرف في الجزيرة بالغترة.

(٨) ان وصف المؤلف للعربان لا يخلو من مبالغة وهو وأن كان صادقاً في كثير مما قاله عنهم الا أن ذلك لا يسري الا على البعض منهم.

وفي يوم السبت ١٨ منه (٢٣ أكتوبر) سار الركب في الساعة ٧ ق ٤٠ بين جبال وتلال وفي الساعة ٨ ق ١٠ هبط من محجر وزلط إلى واد متسع ذي سنط أرضه مرملة صلبة وفي الساعة ١١ مرّ من بين جبلين إلى واد متسع به أكمات متحجرة زرقاء مشققة تشققاً رأسياً على شكل ألواح يعسر السير فوقها بدون نعال، وفي الساعة ١٢ استراح وفي الساعة الأولى من الليل جدّ السير وفي الساعة ٥ ق ٤٥ استراح بالقرب من مفرق الدربين أعني الدرب الموصل إلى مكة والذي إلى المدينة وفي الساعة ٦ ق ١٥ سار في واد تارة يعلوه زلط وتارة رمال فيها عبل وفي الساعة ١١ ق ١٥ استراح قدر عشرة دقائق ثم سار .

وادي العكرة

وفي يوم الأحد ١٩ منه (٢٤ اكتوبر) بعد مضي خمس عشرة دقيقة من الساعة الأولى من النهار مرّ بكثير من عبل وسنط في أرض تعلوها طبقات طين صالحة للزراعة وفي الساعة ١ ق ١٥ من النهار صعد فوق أكمة إلى سطح واد مستوٍ فيه زلط كثير يسمى بوادي (العكرة) وهنالك نزل على غير ماء ولا مساكن لأن المياه لاتوجد في نحو هذا المكان إلا عند نزول السيل وقد بلغت الحرارة عند الزوال ٣٠ درجة وفي الساعة ٨ ق ٤٥ سار الركب واستمر في الوادي إلى الساعة ٩ ثم ارتقى على سطح واد آخر به حصى وفي الساعة ١٢ ق ١٥ استراح وفي الساعة ١ ق ٤٥ من الليل جدّ السير وفي الساعة ٦ استراح وفي الساعة ٧ سار وفي الساعة ١٠ ق ١٥ وصل إلى محطة (حنك) ولعدم وجود المياه بها استمر على السير وفي الساعة ١١ ق ٤٥ نزل في محل متسع به سنط وزلط وليس فيه آبار ولا مياه لكن مياه الركب كانت قد حملت قبل ذلك من الوجه .

محطة الحوراء

وفي يوم الاثنين ٢٠ منه سنة ٩٧ (٢٥ أكتوبر) قد بلغت الحرارة وقت الظهر ٢٨ درجة وفي الساعة ٧ ق ٣٥ سار في واد ذي رمل ثابت في بعض مواضع منه

حصى وسنط وحشايش كثيرة للجمال وفي الساعة ١٠ رؤى البحر على بُعد وفي الساعة ١٢ استراح الركب وفي الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء سار وفي الساعة ٢ ق ٥٠ مرّ في محجر عرضه خمسة عشر متراً منحدر بقدر اثنى عشر متراً به أحجار كبيرة لايمر منه إلا الجمل أو الجملان[١] ولم يقطعه إلا بعد نصف ساعة فضلاً عن عشرين دقيقة مضت قبل المرور في تحضير وترتيب المشاعل والماهتابات ثم استراح قدر ربع ساعة وفي الساعة ٤ سار وفي الساعة ٧ استراح ورؤي عن يمينه البحر وفي الساعة سـ ٧ سار وفي س ١٠ ق ٤٥ وصل إلى محطة (الحوراء) في محل متسع به عين ماء عذب تجري إلى بقعة فتخللها النخيل كجنة وسط هذه الصحراء يرى البحر بعيداً عنها بمسافة نصف ساعة وبها أعراب يبيعون التمر والعسل والحشيش للدواب.

وفي يوم الثلاثاء ٢١ منه (٢٦ أكتوبر) لم يزل مقيماً بها وكانت الحرارة عند الزوال ٢٩ درجة .

وكالة الحمير

وفي يوم الأربعاء ٢٢ منه (٢٧ أكتوبر) بلغت الحرارة وقت الزوال ٢٧ درجة وفي الساعة سـ ٧ سار الركب وفي الساعة سـ ٨ مرّ بين جبلين متباعدين وفي الساعة ٩ وصل إلى واد متسع ذي أرض صلبة وفي الساعة ٩ ق ٤٠ مرّ بين تلال وفي الساعة ١٠ ق ٢٥ وصل إلى منحدر مستو عرضه عشرة أمتار ثم إلى اتساع بين الجبال وسنط بكثرة وفي الساعة سـ ١٠ صعد إلى عرض خمسة عشر مترا في زلط كثير وفي الساعة ١٠ ق ٤٥ اتسع الطريق إلى ثلاثين متراً ووجد في أعلى الجبال شجر القفل[٢] المستعمل في تبخير أواني الشرب وفي الساعة ١١ وصل إلى متسع بين جبلين ذي زلط يكثر تارة ويقل أخرى وفي الساعة سـ ١١ وصل إلى منحدر يسير عرضه عشرون متراً ثم إلى متسع كثير الرمل وفي الساعة ١١ ق ٤٠ مرّ في محجر ضيق بين جبلين عرضه من ثمانية إلى عشرة أمتار ثم من أربعة إلى

---

(١) الجمل أو الجملان : أي الجمل الواحد أو الاثنان .

(٢) القفل : ما يبس من الشجر.

خمسة ثم اتسع شيئاً فشيئاً وفي الساعة ١١ ق ٤٥ وصل إلى دربند (أي مضيق) عرضه عشرة أمتار بين صخرتين مرتفعتين نحو ثلاثين متراً ثم اتسع الطريق وفي الساعة ١٢ وصل إلى رمال في مبدا الأرض المشهورة بوكالة الحمير وذلك أن الحمير الضعيفة تنقطع هناك لكثرة الرمال وفي نصف الساعة الأولى بعد الغروب استراح وفي الساعة سـ ١ من الليل جدّ السير وفي الساعة ٣ ق ٢٠ صعد فوق تل رمل وفي الساعة ٦ استراح وفي الساعة سـ ٦ سار وفي الساعة ١١ ق ٣٥ استراح .

محطة الخضيرة

وفي يوم الخميس ٢٣ منه (٢٨ أكتوبر) أخذ في السير في ابتداء الساعة الأولى من النهار وبعد خمس وعشرين دقيقة منها نزل بمحطة (نبك) المعروفة ببير السيد وهي محل متسع مرمل بين جبال من صخر بها معادن الحديد والنحاس والمرقشيثا[١] وبالمحطة أربعة آبار مبنية اثنتان منها مردومتان وبالثالثة ماء يسير لوجود ردم بها وأما الرابعة ففيها ماء عذب وعمقها خمسة أمتار وقطرها من الأعلى ثلاثة أمتار ومن سطح الماء أربعة لوجود أربعة أكتاف كالعمد[٢] مبنية من قرارها إلى الماء وفوق ذلك بني داير البير[٣] أقل قطرا من الأسفل وارتفاعه إلى سطح الأرض نحو أربعة أمتار وفيها أيضاً ردم فإن لم تنزح ارتدمت في أقل زمن كالآخرين وقد بلغت الحرارة عند الزوال ٣٠ درجة وفي الساعة ٩ ق ٤٥ سار الركب في واد مرمل محاط بجبال يسمى (بوادي النار) لاشتداد الحرارة به صيفاً وفي الساعة ١٢ عند الغروب نزل وفي الساعة الأولى من الليل سار وفي س ٦ استراح وفي س ٦ ق ٤٠ سار وفي س ١١ ق ١٠ نزل بذلك الوادي بين جبلين بهما آثار حديد ونحاس بكثرة أرضه سهلة تعلوها حشائش وعند اشتداد الشمس تلمع الرمال كالذهب لكثرة اختلاطها بالمرقشيثا وهذا المكان يسمى (بمحطة الخضيره) .

---

(١) المرقشيثا: حجر بلوري والأصل إنجليزي Marcasite وهو شديد اللمعان ويستعمل للحُلي.

(٢) كالعمد : الأعمدة.

(٣) البير: تسهيل بئر وهي صحيحة.

وفي يوم الجمعة ٢٤ منه (٢٩ أكتوبر) بلغت الحرارة بعد الزوال بساعة ٣١ درجة وفي الساعة ٩ ق ٤٥ سار الركب واستمر بين جبال سود مكونة من حديد وغيره في أرض سهلة جداً في غاية الاستوا صالحة للطرق الحديدية ولم تزل كذلك إلى الغروب وبعد عشر دقائق من الغروب استراح ثم في الساعة الأولى من الليل سار وفي س ٢ ق ٥٠ انتهت الجبال واتسع الوادي ، وأما الأرض فمازالت بحالها وفي س ٧ ق ٣٠ استراح وفي س ٨ سار وفي س ١٠ ق ٢٠ نزل للاستراحة والتهيء للدخول إلى (ينبع البحر) ولم تزل الأرض مستوية جداً .

ينبع

وفي يوم السبت ٢٥ منه سنة ٩٧ (٣٠ أكتوبر) في الساعة الأولى من النهار سار الركب والمحمل واكباً ونزل بجوار بلدة (ينبع) الساعة سـ١ على مسافة ألف متر منها وهذه البلدة على البحر وبها مينا مشهورة وبيوت وسوق يباع بها كل شيء يلزم للحجاج وبعض خضارات وتجارها من مصر والصعيد وعند موسم الحج تأتي إليها العرب للتجارة وأما في غير أوان الحج فلا يوجد بها شيء وتصير[1] كالخراب وتحمل إليها الغلال [2] من مصر لترسل إلى المدينة وبها شونة كبيرة وبرج به مدفع من نحاس وعشرة طوبجية من الترك وبها محل للكرنتينة[3] مبني في غاية الانتظام ومحافظها من أهلها برتبة قائمقام معين من طرف الدولة العلية[4] لأن هذه البلدة تحت حكومة الدولة وسورها منهدم وجميع ما بها من الأبنية الميرية كالشونة والمحافظة والبرج والسور ونحوها قد سار بناؤه في مدة المرحوم محمد علي باشا والي مصر سابقاً ولم يتجدد مما ذكر شيء بعد أن صارت تحت إدارة الدولة بل آل أغلبه إلى السقوط وليس هناك آبار وإنما تخزن مياه السيل في صهاريج[5] وتباع على

---

(١) تصير: من صار، بمعنى أصبح.

(٢) الغلال: الحبوب.

(٣) الكرنتينة: الحجر الصحي، انظر فهرس معاني المفردات.

(٤) الدولة العلية: يقصد الدولة العثمانية.

(٥) صهاريج: خزانات.

الحجاج وثمن زق الماء عندهم غرشان والزق هو قربة صغيرة تستعمله العرب للماء وكل ثلاثة زقاق أو أربعة ملء قربة مصرية وبلغت الحرارة وقت الزوال ٣٠ درجة وبعد الحج تأتي الوابورات[١] إليها لتحمل الحجاج إلى السويس .

محطة السقيفة

وفي يوم الأحد ٢٦ منه سنة ٩٧ (٣١ أكتوبر) س ٥ ق ٤٥ سار الركب وفي س ٦ هبط من منحدر بينه وبين شاطىء البحر خمسة أمتار يستمر كذلك مدة ثم يتباعد عنه أرضه مرملة مستوٍ به السطح سهلة السير وفي س ٨ مرّ في أرض ذات شوك وحشايش وتباعد عن البحر ثم في أرض يعلوها زلط وسنط وحشايش وفي س ١٠ مرّ بأرض صلبة صالحة للزراعة وفي الساعة ١١ ق ٢٥ استراح وبعد نصف ساعة من الغروب سار وفي س ٦ ليلاً استراح وفي س سـ ٦ سار وفي س ١٢ من الليل نزل بمحطة (السقيفة) في صحراء متسعة سهلة مستوية ليس بها سكان ويوجد بها حفاير ماؤها مالح لاتصلح إلا لشرب الجمال .

وفي يوم الاثنين ٢٧ منه (١ نوفمبر) كانت الحرارة صباحاً ١٥ درجة وفي وقت الزوال ٢٩ درجة وفي س ٧ ق ٤٥ سار الركب وفي س ٩ مرّ عن يمين طريق بدر وفي س ١٠ تركت حصاني في الصحراء لشدة ما نزل به من الإعياء وفي س ١١ ق ٤٥ استراح الركب وبعد خمس وأربعين دقيقة من الغروب سار في أرض لم تزل سهلة وفي س ٦ استراح وفي الساعة سـ ٦ سار إلى الصباح .

محطة مستورة

وفي يوم الثلاثاء ٢٨ منه (٢ نوفمبر) بعد مضي خمس وأربعين دقيقة من الساعة الأولى نزل الركب في محل متسع يسمى (القاع) ليس به مياه ولا سكان وبلغت الحرارة وقت الزوال ٣١ درجة وفي س ٧ ق ٣٥ سار في أرض سهلة مستوية

---

(١) الوابورات : البواخر.

وفي س سـ ١١ استراح وبعد نصف ساعة من الغروب سار وفي س ٢ ق ٣٥ هبط في منحدر يسير وفي س ٢ ق ٤٥ وصل إلى محطة (مستورة) وهي محطة بها سوق ومساكن للعربان وبئران ماؤهما عذب ومرّ عليها الركب بدون استراحة وفي س ٦ استراح وفي س ٧ سار حتى طلع النهار .

قلعة رابغ

وفي يوم الأربعاء ٢٩ منه (٣ نوفمبر) في الساعة الأولى نزل الركب ووكب المحمل وأتى إلى هناك الشريف حمزة وأتباعه من طرف أمير مكة الشريف عبد المطلب ليسير مع الركب إلى مكة كما هي العادة ، وفي س ٢ سار ودخل إلى (رابغ) س ٢ ق ٢٠ وهي بلدة بينها وبين البحر نحو ساعة بها بيوت كبيوت الريف[١] وسوق كبير وقلعة تحتوي على مخازن للغلال وذخائر لكل من الحاجين المصري والشامي ولمن بها من العساكر لكن لم يصرف هناك لمستخدمي المحمل المصري إلا قنيطة قديمة مكسرة متربة من السوس فضلاً عن تطفيف[٢] موازين المرتبات وهذا جار في سائر القلاع وهذه البلدة تحت حكم الدولة وبها خمس آبار قيسونية الماء وصهاريج عذبة المياه وهناك يتلبس بالإحرام الحاج إلى بيت الله الحرام الوارد من مصر والشام قبل مسيره إلى محطة أخرى وركاب البحر يُحرِمون عند محاذاتهم لهذه البلدة أيضاً .

الاحرام

وفي يوم الخميس غرة الحجة سنة ٩٧ (٤ نوفمبر) صباحاً حلقت لحيتي ولم أحلق رأسي لاعتيادي ذلك وقصيت[٣] شاربي إلى أن بدت شفتي العليا وقلمت أظفاري وحلقت عانتي وإبطي ثم اغتسلت ناوياً للإحرام ثم إئتزرت بفوطة بيضاء كبيرة من فوط الحمام السلامبولية وارتديت بأخرى أدخلت طرفها في المئزر وأدرتها على

---

(١) الريف : القرى .

(٢) تطفيف : نقص الميزان .

(٣) وقصيت شاربي : قصصت شاربي .

جسمي بحيث سترت ظهري وصدري وكتفي إلى عنقي حتى انتهت وتركت طرفها الآخر مسدولاً على كتفي من غير ربط ورأسي مكشوف وفي رجلي نعلان لا تستران إلا نصف الأصابع دائرهما منحط عن الكعبين ثم صليت ركعتين بنية الإحرام في وقت تجوز فيه صلاة النافلة بالفاتحة ﴿وقل ياأيها الكافرون﴾ سورة الكافرون رقم ١٠٩ الآية ١ في الأولى والفاتحة والإخلاص في الثانية ثم قلت بلسان موافق للقلب نويت الحج وأحرمت به لله تعالى (لبيك اللّهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك) ثم بعد سكتة يسيرة قلت (لاشريك لك) ثلاث مرات متواليات ثم صليت على الرسول بقولي (اللّهم صلّي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) ثم قلت (اللّهم إني أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار) وكررت هذه التلبية عند الركوب والنزول عن الدابة وبعد كل صلاة وتحزمت بكمر على وسطي وإن كان مخيطاً لإباحته لحفظ المعاملة وتقلدت سيفي ومن الواجب على الرجل المحرم التجرد عن المخيط إلا لعذر ويلزمه حينئذ كفّارة فأن وضع رداءاً وبرنسا[1] أو عباءة بدون إدخال يديه في أكمامها فلا تجب فدية وإلا وجبت ويسن الإحرام في منسوج أبيض نظيف كالفوط[2] والقماش والحزام ويجوز التختم[3] وبعد نية الإحرام لا تجوز الحلاقة ولا قص الأظافر ولاحك الجسم بها ولا ستر الرأس إلا بنحو شمسية أو غطاء محفة بشرط أن لايمسه شيء من ذلك عمداً ولا التدهن ولا التعطر ولا قتل القمل وما أشبهه ولا قتل الصيد ولا الإشارة إلى من يقتله ولا الجماع ولا الجدال مع أحد ويفرق في الإحرام بين ملبوس الرجل وملبوس المرأة فالرجل يلبس (المحيط) أي الذي لا خياطة فيه ويحيط بجسمه والمرأة تلبس (المخيط) أي ثيابها المخيطة المعتادة نظيفة لكن مع كشف وجهها وكفيها وإنما

---

(١) برنس: غطاء الرأس المنسدل على الأكتاف.

(٢) الفوط: المحارم.

(٣) التختم: من خاتم الاصبع.

لمنع نظر الرجال إليها والافتتان بها تستر وجهها بقطعة مجدولة من الخوص كالمروحة المعروفة فيها خروق صغيرة للنظر منها يربط أحد جانبيها على الجبهة ويسدل باقيها على الوجه بشرط أن لاتمسه ومنهن من تخيط على الطرف المسدول نحو الشاش و يسترسل إلى الصدر كالبرقع ولايجوز لمن ستر أكفهن بساتر ما ويستحب لهن الخضاب قبل ليلة الإحرام وإن كان في جسم المحرم أذى كجرح أو دمل يحتاج إلى ربطه فلا مانع .

وعند مشاهدة الركب يوم الإحرام محرمين جميعاً على هيئة واحدة صار الكبير كالصغير والأمير كالحقير متجردين عن الثياب وعن زخارف الدنيا لابسين ثياب الإحرام كالأموات المؤتزرين بأكفانهم فإن الله عز وجل استدعى عباده إلى بيته الحرام وشرع الغُسل عند الإحرام إشارة إلى التطهر ظاهراً وباطناً وشرع خلع الثياب إشعاراً بحالة الموتى لأجل تخليهم عن الدنيا وإقبالهم على باب ربهم وعبادته بتركهم الرفاهية وحظوظ النفس فإن التجرد عن الثياب كتجرد الميت عن ثيابه عند المغسل ولبس ثياب الإحرام كلبس الأكفان ليقدم العبد إلى باب مولاه خاضعاً ذليلاً غير مشتغل إلا به تعالى .

وقد قلت برابغ في الحكماء :

حكيمنا دواؤه واهٍ كنسج العنكبوت   إذا مريضاً عاده تركه حتى يموت

الطريق إلى مكة

محطة بير الهندي

وعذره في ذلك أن الأجزخانة [1]والأحمال تربط عند المسير ولا تحل إلا عند المبيت يعني من بعد اثنى عشر ساعة أو أكثر فإذا مرض شخص في مدة السير لم يجد ما يلجأ إليه غير الصبر والتحمل إلى وقت المبيت وهيهات أن يجتمع عليه لأنه متى نزل الركب اشتغل الحكيم[2] بمباشرة نصب خيمته وجمع أمتعته فيها وتحضير

---

(١) الأجزخانة : الصيدلية (صندوق الأدوية المستخدم في الاسعافات الأولية) .

(٢) الحكيم : الطبيب .

عشائه وبذا يضيع زمن طويل لاسيما إن صادف نزول الركب ليلاً فأن الحكيم حينئذ يركن كغيره إلى النوم ولا يلتفت إلى من يشكو مرضاً أو ألماً من القوم إلا إذا كان هذا المريض من العسكر فيجبر على أن يتوجه إليه مع كونه يتضجر[١] وفي الساعة سـ٥ من يوم الخميس سار الركب متوجهاً إلى مكة شرّفها اللّه في فلاة[٢] متسعة أرضها سهلة ثابتة وفي س ٩ مرّ بأعشاب وسنط وحشائش ذكية الرائحة تنتشر منها عند مضغها رائحة النعناع[٣] أو السعتر[٤] وفي الساعة ١١ ق ٤٥ استراح وبعد ق ٤٥ من الغروب سار وفي الساعة ٦ استراح وفي الساعة سـ٦ سار وفي الساعة ٨ ق ٥٠ مرّ بمحطة (بير الهندي) أي القضيمة وهي مكان يوجد به آبار وسوق يباع فيه اللحم والسمن والبطيخ والبلح ولم يقف به الركب بل استمر سائراً إلى الصباح .

محطة عسفان

وفي يوم الجمعة ٢ الحجة سنة ٩٧ (٥ نوفمبر) بعد مضي خمس عشرة دقيقة من الساعة الأولى من النهار نزل بمحل مرمل به حشايش تسمى بالدرن[٥] تأكلها الجمال وبلغت الحرارة وقت الظهر ٣١ درجة وفي س ٦ ق ٥٠ سار الركب وفي س ٨ تعسّر السير لزيادة الرمال وفي س ٨ ق ٤٥ مرّ بعبل يصعب السير فيه ليلاً لكثرته مع عدم استقامة الطريق وعلى يساره جبل وفي س سـ ٩ مرّ بآبار مجاورة للطريق وسط العبل وفي س سـ ١٠ مرّ بجبل على اليمين وفي س ١١ انتهى هذا العبل من جهة اليسار في مكان ذي صخر من الصوان أزرق وأحمر يتجه مشرقاً مقبلاً وسهلت الأرض للمسير وفي س سـ ١١ نزل بمحطة (خليص) في مكان على يساره نخيل وبها سوق وعشش للعربان وبعد ق ٤٥ من الغروب سار الركب وفي س ٢ مرّ بعبل بوادي عسفان وفي س سـ ٤ (مرّ بقهوة العبد) وفي س ٥ ق ٤٥ استراح في مبدء بوغاز

---

(١) يتضجر : يبدي ضيقاً وغماً.

(٢) فلاة : صحراء.

(٣) النعناع : نبات طيب الرائحة ويضاف الى الشاي.

(٤) السعتر : أو الزعتر، نبات طبي يُشرب كالشاي ويُضاف الى الخبز.

(٥) الدرن : اسم نبات.

وادي عسفان وفي س ٦ ق ٤٥ مرّ الركب منه هابطاً من محجر ضيق عسر بين جبلين لايمر منه إلا الجمل أو الجملان ومسافته ألف متر وانتهى في الساعة الثامنة وهناك آثار يُقال لها قصر جحا وفي س سـ ٨ وصل إلى محطة (عسفان أو بئر التفله) وهو محل متسع محاط بجبال به عشش وسوق يباع بها اللحم والسمن والبلح والنارنج المسمى عندهم بالليم وهناك ثلاث آبار عذبة المياه لاسيما بئر التفلة فأن ماءها كماء النيل ويقال إن ماءها كان مراً فتفل فيه الرسول عليه السلام عند مروره هناك فحلا[1] إلى وقتنا هذا بخلاف مياه الآخرين فأنها ثقيلة .

بئر الباشا

وفي يوم السبت ٣ منه (٦ نوفمبر) بلغت الحرارة وقت الزوال ٣١ درجة وفي س ٨ ق ٤٠ سار وفي س ٩ ق ٤٠ مرّ بكيمان[2] وزلط أسود وفي س ١٠ مرّ بسهل به حشائش وفي س سـ ١١ استراح بجوار سبيل[3] (الجوخي) وهو مبني من قديم على يسار الطريق إلا أنه الآن خرب وكان يملأ من بئر الباشا الآتية وبعد نصف ساعة من الغروب سار وفي س سـ ٤ مرّ على يسار بئر الباشا وفي س ٥ ق ٤٥ استراح وفي س ٦ ق ١٥ سار وفي س ٨ ق ٣٠ مرّ بين الشجر المعروف بأم غيلان[4] الذي هو ممتد بطول الطريق وفي س ١١ ق ٤٥ مرّ بوادي فاطمة وفي س ١٢ نزل به في محل متسع يسمى بالجموم محاط بجبال على بُعد وبه سوق يباع بها اللحم والخضار والبطيخ والخبز والفطير وشرقيه بساتين من الموز والليمون وهناك عين عليها خرزة بئر مبنية عمقها متر ونصف ماؤها عذب متوسطة الحرارة جارية من البئر تحت الأرض بواسطة قناة إلى أرض منخفضة بها بعض مزارع وبجوار البئر تل مرتفع وبلغت الحرارة وقت الزوال ٢٩ درجة .

---

(١) فحلا : زالت مرارته .

(٢) كيمان : جمع كومة .

(٣) سبيل : مكان مُخصص لشرب المارة وهو من باب الصدقة .

(٤) أم غيلان : شجر كثيف الأفرع شديد التشابك، والمرجح أنه العوسج .

مكة

وفي يوم الأحد ٤ منه (٧ نوفمبر) استراح الركب وفي ليلة الاثنين س ٣ ق ٣٠ سار وفي س ٤ مرّ على يسار جبل وفي س ٤ ق ١٠ صار الطريق بين جبلين وفي س ٦ ق ٧ استراح عند ضريح السيدة (ميمونة) إحدى زوجات الرسول عليه السلام ورضي عنهن وهو على يمين الطريق وفي س ٨ ق ١٥ سار وفي س ١١ ق ٥ وصل إلى (العمرة) وهو محل مبني على يمين الطريق به مصلى يصلي به من يُحرِم بالعمرة ركعتين للّه تعالى ويدعو ويلبي ويستديم التلبية على قدر الإمكان إلى أن يدخل مكة وبجانبها بركة كبيرة من الأمطار ومن بعد العمرة بخمسين متراً حائط مرتفع بقدر ستة أمتار عرضها خمسة أمتار في سمك اثنين وعليها ثلاث قباب صغار يقابلها على يسار الطريق حائط أخرى مثلها اتساع الطريق بينهما أربعون متراً وهذا البناء علامات بين الحل والحرم ولابد للحاج الآتي من هذا الطريق أن يمر بينهما قبل دخوله مكة وهذا المكان يسمى (بالشهدا) ولايجوز الصيد بين حدود العمرة ومكة لأن ذلك معدود من الحرم .

الجرول

وفي يوم الاثنين ٥ الحجة (٨ نوفمبر) في الساعة الأولى وكب المحمل وسار بين جبلين إلى أن وصل إلى محل يُسمى (الجرول) بعد ق ٤٠ فأناخ [1] هناك بجوار آبار عذبة بعيدة عن مكة بأربعين دقيقة وذلك للخوف من وباء الخيل الذي كان حاصلاً بمكة مع كون هذا المكان أعدل هواء من غيره ومنه إلى المكان المسمى بالشيخ محمود عشرون دقيقة وهو ابتداء مكة المكرمة .

دخول مكة

والسُنّة لداخل مكة الغُسل إن تيسر وإلا فالوضوء وأن يدخل من (كداء) ويمر من (الحجون) وهو اسم لطريق بين جبلين فيه صعود على يساره مجزرة يهبط منه إلى

---

(١) أناخ : برَك واستقر على الأرض .

(المعلاة) وهي مقبرة مكة يفصل بينهما جداران فيمر منهما ويدخل إلى المقبرة التي على اليسار ويتوجه إلى آخرها فيزور عن يساره ضريح السيدة (خديجة) أول زوجات المصطفى صلى اللّه عليه وسلم وأول من آمن به على الإطلاق رضي اللّه تعالى عنها ويزور عن يمينه ضريح السيدة (آمنه) أم الرسول عليه السلام وبعدهما قبتان إحداهما مبنية على ضريح السيد (عبد المطلب وأبيه) هاشم جدي الرسول والثانية مبنية على ضريح عمه أبي طالب الذي هو أبو الإمام علي رضي اللّه عنه وعند خروج الزائر من هذه المقبرة يجد على يساره قبر سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللّه عنه وقبر محمد جان النقشبندي وقد رسمت منظر هذه المقبرة بالفطوغرافيا [1] ثم يخرج منها ويدخل في المقبرة التي أمامها المسماة (بشعبة النور) فيزور قبور جملة من الصحابة وبعد عشر دقائق يبتدأ في دخول سوق مكة المكرمة وبعد عشر دقايق أخرى يصل إلى بيت اللّه الحرام وعند دخول مكة يقول (اللّهم إن هذا البلد بلدك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك متبعاً لأمرك راضياً بقدرك اللّهم إني أسألك مسألة المضطر إليك المشفق من عذابك أن تستقبلني بعفوك وأن تتجاوز عني برحمتك وأن تدخلني الجنة) ثم يبادر إلى دخول بيت اللّه الحرام قبل كل شيء وعند وصوله إلى (باب السلام) ومشاهدة الحرم يقول (اللّهم إن هذا حرمك وحرم رسولك فحرِّم لحمي ودمي على النار اللّهم آمني من عذابك يوم تبعث عبادك) ثم يدخل برجله اليمنى ويقول (أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم اللّهم صلّي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد اللّهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) وإذا وقع بصره على (البيت) وهو موضوع في وسط الحرم كالمصباح يقول (اللّهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً) ويدعو اللّه بما شاء بالقلب مع الخشوع والتذلل ولا يزاحم أحداً ويتجه إلى باب بني (شيبة) وهو مشتمل على عمودين تعلوهما قنطرة أمام مقام إبراهيم عليه السلام ويمر منه قائلاً (رب ادخلني مُدخَل صدق واخرجني مُخرَجَ صدق واجعل لي من لدُنك سلطاناً نصيراً وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) ويتوجه إلى الجهة القبلية من الكعبة ويقف ما بين الركن (اليماني والحجر الأسود) وينوي طواف القُدُوم

---

(١) الفطوغرافيا: الكاميرا.

سبعة أشواط ويتوجه إلى الركن الذي فيه الحجر (الأسود) داعياً اللّه تعالى فيستلم (الحجر) ويُقَبِّلَهُ وهو حجر أسود به تشقق مصون في صندوق من الفضة مبني في الركن الشرقي من الكعبة وفي هذا الصندوق فتحة مستديرة قطرها سبعة وعشرون سانتي(سنتيمتر) أعني شبراً وثُلثاً يرى منها الحجر ويستلم وقد صار ذا شكل مقعر كطاسة[1] الشرب وكيفية استلامه أن يأتي الشخص إليه فيضع يده عليه ويُقَبِّلَهُ مُكبِراً فأن لم يمكن القرب منه للازدحام وقف محاذياً له برهة ثم يشير إليه بيده مع التكبير ويقبّلها ثم يطوف حول البيت من شرقيه بأن يمر أمام بابه خارجاً عن الشاذروان ماراً من وراء الحطيم فأما (الشاذروان) فهو الجدار المحيط بالبيت البارز من أسفله كدرجة سلم عرضه من جهة عشرون سانتي (سنتيمتر) ومن جهة أخرى أربعون وارتفاعه نحو عشرين من جهة وثلاثين من أخرى وأما (الحطيم) فهو بناء مستدير أمام الجهة البحرية من البيت على شكل نصف دائرة ارتفاعه متر وسمكه متر ونصف مغلف بالرخام أحد طرفيه محاذ للركن الشامي والآخر للغربي مسافة مابين كل طرف منهما وبين الركن متران وخمسة وثلاثون سانتي (سنتيمتر) فهما منفذان متقابلان يمر منهما إلى حِجر إسماعيل عليه السلام ومسافة ما بين طرفي نصف الدايرة[2] من داخل ثمانيةَ أمتار وأما نفس (حِجر إسماعيل) فهو المحل المتسع المنحصر بين ضلع الكعبة البحري وبين الحطيم والمسافة ما بين وسط هذا الضلع ووسط تجويف الحطيم من داخل ثمانية أمتار وأربعة وأربعون سانتي (سنتيمتر) وفي أعلى منتصف هذا الضلع من الكعبة (الميزاب)[3] وهو مصوغ من الذهب ووراء الحطيم بمسافة اثنى عشر متراً حد المطاف المستدير حول الكعبة وفي حدود هذا المطاف أعمدة من حديد مزخرفة الشكل متصل بعضها ببعض بواسطة قضبان تعلق فيها قناديل البلور للاستصباح[4] ليلاً فيشترط أن لايطاف خارجاً عنها ويتم دور

---

(١) طاسة : إناء.

(٢) الدايرة : الدائرة.

(٣) الميزاب : المزراب لصرف مياه المطر.

(٤) الاستصباح : الإضاءة.

الطواف بالوصول إلى أمام الحجر الأسود وعند ذلك يقف الطائف برهة مستقبلاً له ومكبراً ثم يمسه بيد إن أمكن والا فيشير إليه مع التكبير وحينئذ يتم أول شوط ويستمر على ذلك إلى تمام السبعة الأشواط والمطوّف معه يلقنه دعاء كل شوط فإن لم يكن مطوّف ولم يكن حافظاً للأدعية قال في جميع الأشواط (سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر ولاحول ولاقوة إلا باللّه العلي العظيم) ثم بعد مس الحجر الأسود في انتهاء الشوط السابع يأتي إلى أمام (الملتزم) وهو ما بين باب الكعبة والحجر الأسود فيدعو اللّه بما شاء ثم يتوجه إلى مقام سيدنا (إبراهيم) المقابل لباب الكعبة البعيد عنه بنحو اثنى عشر متراً داخله الحجر الأسعد الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة وبه أثر قدميه فيصلي ركعتي الطواف ويدعو اللّه ويتوجه إلى بئر (زمزم) فيشرب من مائها ويتضلع وهذه البئر بقبلى المقام بحيث إن الزاوية البحرية الغربية منها محاذية للحجر الأسود على بُعد ثمانية عشر متراً منه طعم مائها قيسوني تعقبه مرارة يسيرة عمقها اثنا عشر متراً ثم يخرج من الحرم من الباب المسمى بباب (الصفا) إلى الشارع ومنه إلى (الصفا) بالجهة الأخرى من الشارع وهو مكان شبيه بالمصلى مقابل للحرم طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة أمتار مرتفع عن الأرض بنحو مترين يصعد إليه على سلم فمن أتى إليه صعد على السلم واستقبل الحرم ونوى السعي سبعة أشواط ثم يتوجه منه إلى (المروة) داعياً بما يلقنه المطوّف في شارع عرضه تارة عشرة أمتار وتارة اثنا عشر متراً ماشياً كالعادة قدر خمسة وسبعين متراً حتى يحاذي (الميلين) الأخضرين أي (العلمين) وهما علامتان خضراوتان إحداهما على الحائط اليمين من الشارع والأخرى حذاها يساراً بجوار باب الحرم المسمى بباب (البغلة) وعند ذلك يسعى مهرولاً كأنه يسعى بدون نعال على رمل وقت اشتداد الحر ويداه قائمتان بجانبيه حتى يأتي بين الميلين الآخرين الذين أحدهما بباب الحرم المسمى بباب (علي) والآخر مقابل له في الحائط الآخر من الطريق ومسافة الهرولة سبعون متراً ثم يمشي مشيه المعتاد قبل الهرولة حتى يصل إلى (المروة) بعد مائتين وستين متراً تقريباً فالمسافة كلها نحو أربعمائة وخمسة أمتار (والمروة) محل مرتفع له سلم كالصفا ثم بعد الدعاء هناك يعود ثانياً إلى الصفا ويهرول ما بين

العلمين كما فعل أولاً حتى يصل إلى الصفا وهكذا سبعة أشواط وبهذا تم السعي والطواف وهذا لمن أحرم بالحج ويبقى بإحرامه ثم يتوجه لقضاء شؤونه والبحث عن مسكنه ويطوف حول البيت كلما أراد إلى أن يتوجه إلى عرفات .

وصف الحرم المكي الشريف

والحرم الشريف في وسط مكة باتساع منيف طوله مشرقاً مغرباً نحو ١٩٢ متراً وعرضه ١٣٢ متراً زاويا أضلعه ليست قائمة في دوائره الأربع قباب على أعمدة من المرمر[١] والحجر النحت بناؤه متين عليه سبع مآذن في وسطه بيت الله الحرام أي الكعبة مربع الشكل تقريباً طوله اثنا عشر متراً في عشرة أمتار وعشرة سانتي (سنتيمتر) فضلاً عن عرض الشاذروان وارتفاعه نحو خمسة عشر متراً فالضلع الذي به الملتزم وباب الكعبة وهو الجهة الشرقية مائل إلى الشمال نحو عشرين درجة وطوله اثنا عشر متراً وذلك مخالف لما ذكره المؤلف (ورجرس) في تاريخه نقلاً عن المؤلف (برخارض) من أن باب الكعبة في الجهة الشمالية والحال أنه كما ذكرناه والضلع الذي به حِجر إسماعيل وبأعلاه الميزاب وهو الشمالي مائل للغرب نحو العشرين درجة وطوله عشرة أمتار ويواجهه من البلاد المدينة المنورة والشام وما وراءهما من البلاد لجهة الشمال وعلى هذا يكون (ركن الحجر الأسود) مابين الشرقي والشرقي الجنوبي تقريباً ويواجهه من البلاد الجزء الجنوبي من بلاد الحجاز لغاية عدن وبلاد هرار ومدغشقر واوستراليا وجنوب الهند والصين وجميع صوماترا[٢] وبورينو وما حولها من الجزائر بحيث أن من صلى في هذه البلاد تكون قبلته هذا الركن وركن حجر إسماعيل أي الركن (الشامي) ويسمى بالعراق أيضاً يكون مابين الشمالي والشرقي تقريباً ويواجهه من البلاد والجزء الأكبر من الحجاز والعجم وتركستان والعراق وشمال الهند والسند والصين وسيبريا والركن الذي يليه المسمى (بالركن الغربي) مابين الغربي والغربي الشمالي ويواجهه من البلاد غربي

---

(١) المرمر: نوع من الرخام.

(٢) صوماترا: سومطرا.

الروسيا وجميع أوروبا مع القسطنطينية وشمال أفريقة نحو الغرب والجزائر ومراكش وتونس وطرابلس ومصر إلى غاية الشلال الثاني من بلاد النوبة والركن الرابع المسمى (باليماني) مابين الجنوبي والجنوب الغربي ويواجهه من البلاد قطعة أفريقة الجنوبية مبتدأ من سواكن بالبحر الأحمر إلى الرأس الخضرة بالأوقيانوس الاتلانتيقي[1] وما دون هذا الخط لغاية رأس الرجا الصالح والبيت المعظم مبني من حجارة الجص الكبار الصماء الزرقاء ويستدير به من أسفل الشاذروان كدرجة سلم (وباب الكعبة) مرتفع عن الأرض بمترين يصعد إليه بمدرج من خشب ويدخل منه إلى جوف البيت وهو مربع به ثلاثة أعمدة من العود الماوردي العال قطر الواحد منها خمسة وعشرون سانتي (سنتيمتر) موضوعة على حذاء واحد في منتصف المحل مبحراً مقبلاً ويسقفه هدايا من الجواهر الثمينة معلقة من عهد الخلفاء إلى الآن وحيطانه مكسوة بالأطلس الأحمر المنسوج عليه مربعات من الحرير الأبيض مرسوم عليها (اللّه جلّ جلاله) وفي زاوية ركن حجر إسماعيل شطره على يمين الداخل فيها باب يصعد منه على مدرج إلى أعلى الكعبة يقال له باب (التوبة) وعلى أربعة جهات البيت من الخارج مسدول من الأعلى إلى الأسفل كسوة من الحرير الأسود من نسيج مصر تحمل إليه منها في كل عام وعلى ارتفاع ثلثي الكسوة طراز مزركش مستدير على البيت كالمنطقة عرضه سبعون سانتي (سنتيمتر) مرسوم فيه بالمخيش[2] آيات قرآنية وفي ٢٧ القعدة (١ نوفمبر) يحاط البيت من الأسفل إلى ارتفاع مترين بالبفتة[3] البيضاء إدعاء أن هذا علامة إحرام الكعبة وحقيقته أن الموكل بها يأخذ هذا الجزء من الكسوة الأصلية ليهديه إلى الحجاج تبركاً وفي ١٠ الحجة (١٣ نوفمبر) توضع على الكعبة الكسوة الجديدة المحمولة من مصر وعلى باب الكعبة ستارة من الأطلس[4] الأخضر

---

(١) الأوقيانوس الاتلانتيقي: المحيط الاطلنطي.

(٢) المخيش: خيط غليظ.

(٣) البفتة: قماش أبيض رقيق.

(٤) الأطلس: الحرير الأخضر اللون.

(٥) المزركشة: المنقوشة، الملونة.

مزركشة[٥] جميعها بالمخيش والعادة أن كسوة البيت تكون في آخر العام لحضرة الشيخ عمر الشيبي من بني شيبة الموكل بمفتاح بيت اللّه المكرم وخدمته ماعدا الأشياء المزركشة فهي لشريف مكة وهذا مالم يكن الحج بالجمعة وإلا فالمزركش يحمل إلى مولانا السلطان وقد رسمت بالفطوغرافيا صورة حضرة الشيخ عمر المذكور وأرسلتها إلى حضرته مع هذه الأبيات من قولي :

قلبي يصوّر شخصكم في كعبة　　بنيت على الرحمات والأنوار

فالقلب مشتعل بنار فراقكم　　أوليس كل مصوّر في النار

بيدي رسمت مثالكم في رقعة　　أملاً لقرب الود والتذكار

وفي بحري مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام (المنبر) من المرمر ووراء زمزم قبتان إحداهما محل للمؤقت والأخرى خزانة للكتب وخلف قناديل المطاف بمترين تجاه الضلع البحري من الكعبة والميزاب محراب (الحنفي) وخلف قناديل المطاف بمترين تجاه الضلع الغربي محراب (المالكي) ومحراب (الحنبلي) مواجه للضلع القبلي وأما محراب (الشافعي) فخلف مقام إبراهيم وأرضية المطاف المنحصرة مابين قناديل (المطاف والكعبة مع حجر إسماعيل والمنبر ومقام إبراهيم وزمزم) هي مفروشة بالمرمر ولايجوز الطواف خارجاً عن هذه البقعة ولا داخل الحطيم ولا فوق الشاذروان ومتى أوقدت (١) قناديل المطاف مع قناديل القباب فالناظر إلى الحرم يشاهده متلألاء بالنور ككوكب دري يسر الناظرين والمصلي في الحرم يستقبل البيت في أي جهة كان فالحرم كدائرة نقطة مركزها البيت كما أن المصلين خارجاً عن الحرم وفي كل البلاد يستقبلونه بحسب الوضع وقد تيسر لي رسم مسطح الحرم بالبيان وأخذ رسم منظره من جملة جهات مع ما حوله من البيوت بواسطة آلة الفطوغرافيا (وبعض) مواضع من صحن(٢) الحرم ليس بها بلاط وإنما يعلوها زلط وباقيه مع ما تحت العقود مبلط(٣) بحجر الجص وأرضية الحرم من تحت العقودات منخفضة عن الشوارع

(١) أوقدت : أنيرت .

(٢) صحن : وسط الحرم.

(٣) مبلط : مُعبد .

بنحو ثلاثة أمتار ويصعد منها إلى الشوارع بسلم والبيت منحدر تدريجاً عن هذه الأرضية نحو متر وبذا يسهل تصريف ماء السيل عند نزوله وأما المراحيض[1] فأنها خارجة عن الحرم في بعض جهات مخصوصة ، وبالحرم (حَمام الحمى) وهو كثير ولاينفر من المارين لأمنه من الصيد لأن صيده وقتله مُحرّم يلقى إليه الحب فيلتقطه بدون نفور ولونه مباينٌ للون غيره من الحمام لأنه أزرق غامق به نقط رمادية وخطوط سود وهو مطوّق بالخضرة المحمرة والقطط مسلطة عليه تصطاده وأما مكة شرّفها اللّه فهي بلدة كبيرة محاطة بالجبال بيوتها تجارية عالية بها خمس طبقات تبنى بالحجر الجص الأصم ليس لها حوش وبمكة خانات ووكايل[2]وحمامان وشوارعها ضيقة بدون انتظام ماعدا شارعاً مشهوراً مبتدؤه الشيخ محمود ماراً بباب العُمرة إلى أمام التكية المصرية ثم

أصناف المعاملة

قرش		قرش	
١٥٦	فالجنيه المصري	٢٧	الريال السنكو
١٥٤	والجنيه الإنجليزي	٢٧	الريال المجيدي
١٤٠	والجنيه الاسلامبولي	١٣	الروبيه
١٢٢	والبنتو	٥	الفرانك
٢٨	والريال البطاقة	١٠	الغرش المصري

على المسعى وعلى طريق القشاشيه وسوق الليل إلى آخر مكة من جهة المعلاة وعرض الشارع يكون تارة ثمانية أمتار وتارة عشرة وتارة عشرين متراً ولحوم الأغنام

(١) المراحيض: دورات المياه.

(٢) وكايل: جمع وكالة وهي الدكاكين الكبيرة.

والخضارات وأنواعها فيها كثيرة ومن فواكهها اللذيذة الرمان والعنب والموز والسفرجل[١] وغيرها تأتي إليها من (الطائف) ومن سائر جهاتها وأصناف المعاملة المستعملة بها دائماً هي الإسلامبولية وأما غيرها فأكثر ما يتعامل به في أوان الحج وبحسب القيمة .

التكية المصرية

وقبالة[٢] الحرم من الجهة القبلية تكية مصرية فتينة[٣] البناء بها ناظر[٤] ومستخدمون وبها أماكن ومخازن وفي دائرها من الداخل أود[٥] ومخازن للغلال ولسائر المرتبات التي ترد إليها من مصر وبها طاحون ومطبخ متسع تطبخ فيه الشوربة[٦] صباحاً فقط وتفرق في كل يوم على نحو أربعمائة فأكثر من الفقرا مع الخبز وهي دور أرضى فقط وليس بها حواصل[٧] تحت الأرض تحفظ الغلال من التسوس واتلافها كالحاصل سنوياً عند اشتداد الحر .

عين زبيدة

ومياه مكة من (عين زبيدة) التي أنشأتها السيدة زبيدة حرم الخليفة هارون الرشيد منبعها (بوادي نعمان) البعيد عن عرفات بنحو ساعتين وهو منحط عن سطح الأرض بثمانية عشر متراً والمسافة من المنبع إلى مكة ثلاثة وأربعون ألف متر وماؤها يجري في قناة مبنية من المنبع إلى مكة كقناة الوابور عرضها من الأعلى متر بل تارة يزيد وفرعاها من خمسين سانتي (سنتيمتر) إلى ستين وعمقها متر ونصف وارتفاع

---

(١) السفرجل : نوع من الشجر المعروف واسمه بالانجليزية Quince .

(٢) قبالة : امام .

(٣) فتينة : بهية، جميلة .

(٤) ناظر : مدير .

(٥) أود : غرف .

(٦) الشوربة : الحساء .

(٧) حواصل : مكان يجمع فيها المحصول .

الماء عن قاعها سبعون سانتي (سنتيمتر) مغطاة ببناء من الحجارة وبالغطا[1] فتحات بقدر خمسين سانتي (سنتيمتر)أو أكثر لأجل الملء .

المحملان المصري والشامي

المحملان المصري والشامي وأميراهما حتى آتيا إلى أسفل جبل الرحمة من مكان مرتفع قليلاً عن سطح الأرض ومعد لهما بأسفل مصطبة مرتفعة في ثلث الجبل فوقها الخطيب راكب على جمل يخطب ويلبي وبجانبه بيرق[2] أحمر لونه طوبي وبجانبه مُبلِّغ[3] مصري يشير بالمنديل للقريب والبعيد ممن حوله ومن الواقفين أمام خيامهم وللحاضرين بعرفة ليلبوا أيضاً ويقولوا (لبيك اللّهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) وكلما أشار بالمنديل لبىّ الحاضرون مع البكا والتضرع والنحيب كيوم العرض بالتقريب وهم في غاية الازدحام عراة الرؤوس حفاة الأقدام ليس عليهم سوى الإحرام خاشعون خاضعون قاصدون باب كريم غفّار وعدهم بغفرانه وكرمه على لسان نبيه المختار صلى الله عليه وسلم مادام الليل والنهار فياله من يوم تعجز عن وصفه رواة الأخبار .

النزول من عرفة

وبعد الساعة الثانية عشر عقب غروب الشمس أطلق ساروخ ليعلم الحاضرون أن المناجات بعرفات قد تمت وربحت كل نفس بقدر ما اهتمت ثم صفت فرسان وعساكر المحملين على الطرفين في وسطهم المحملان متجاوران المصري يميناً والشامي يساراً وأمام كل منهما أميره وأمينه وسارا على هذا الشكل في موكب يسرّ الناظرين لم يشاهد مثله فيما سبق من السنين تميل المحامل تبختراً كالعرائس المجلوه والصلاة من هذا الجم الغفير على خير البرية متلوّة والمدافع والسواريخ تضرب كل مسافة قريبة

---

(١) الغطا: تخفيف الغطاء.

(٢) بيرق: علم.

(٣) مبلِّغ: منادي.

والطبول والمزامير والموسيقة تطرب بكل نغمة غريبة وجميع الحجاج من ركاب الخيول والإبل والتختروانات [1] والشقادف وغيرها والمشاة عن يمين وشمال وخلف المحملين سائرون مع الراحة فرحون مستبشرون بدون أن يحصل أدنى خطر لأحد منهم على خلاف ما كان يحصل في السنين الماضية من الهرج وازدحامهم لسير المحملين متفرقين وكل منهما يريد أن يسبق الآخر بدون فائدة فللّه الحمد والمنة ولم يحصل ذلك في هذا العام ولم يتضرر أحد من الازدحام وقد وصل الركب من جبل الرحمة إلى أول العلمين في خمس وعشرين دقيقة ومنها إلى الثاني كذلك وسار على هذه الصفة إلى أن وصل (المزدلفة) س ٢ ق ٢٥ ليلاً وبعد إطلاق مدافع الوصول نزل كل من المحملين في محله المختص به كالأصول (فالمحمل المصري) شكله معلوم وفي غاية الانتظام والرسوم كسوته من الأطلس[2] الأحمر مزركشة جميعها بالمخيش (وأما الشامي) فشكله أقل عرضاً من المصري وقبته عالية بالنسبة للعرض وكسوته من الأطلس الأخضر الغامق ومزركشة بالمخيش .

جمع الجمرات

وبالمزدلفة كل شخص يلتقط من الأرض تسعة وأربعين حصاة من الزلط بقدر الحمصة أو الفولة لرمي الجمرات ويغسلها سبعاً ويحفظها عنده وقد شوهد عند نزول الحجاج من عرفة صعود حجاج الأعجام ليقفوا بعرفة يوم العيد .

المشعر الحرام

وفي يوم السبت ١٠ منه (١٣ نوفمبر) وهو يوم العيد الأكبر بعد مضي ربع ساعة من النهار وكب[3] المحملان وأتيا إلى قريب من (المشعر الحرام)[4] بجوار

---

(١) التختروانات : التخت بمعنى المقعد أو السرير وهو ما يحمله الجمل وهو مخصص لأعالي القوم .

(٢) الأطلس : أصله فارسي ، ويُعرف في أوروبا باسم Atals وهو الحرير الأخضر .

(٣) وكب : قدِمَ .

(٤) المشعر الحرام : هو جبل قزح بأخر المزدلفة ، وسمي المشعر بذلك من الشعار ، وهو العلامة

سلم في ركن من جدار قد صعد عليه الخطيب وصار يدعو اللّه ويلبي والحاضرون يلبون جميعاً وعند الشروق بعد مضي خمس وثلاثين دقيقة من الساعة الأولى من النهار ختم الدعا وعطفوا أعنة كروباتهم وسار المحملان واكبين في سيرهما كالأمس إلى أن وصلا إلى (منى) وكانت الساعة واحدة وخمساً وأربعين دقيقة ونزل الركبان كل في محله المعتاد ثم كل أحد توجه من الحجاج إلى آخر منى ورمى (الجمرة الأولى) سبع حصيات من حصى المزدلفة واحدة بعد واحدة مع التكبير ثم عاد إلى مخيمه وحلق وفك إحرامه ولبس ثيابه وتحلى بزخارف الدنيا ودخل مكة وطاف بالبيت طواف (الإفاضة) ثم عاد إلى (منى) فضحى وفدى والأغنام بلغ ثمن الواحد منها من ريال ونصف إلى ثلاثة ونصف .

التهنئة بالعيد

وفي يوم الأحد ١١ منه (١٤ نوفمبر) توجهت الأمراء والأمناء إلى حضرة الشريف عبد المطلب بخيمته بمنى لتهنئته بالعيد وبورود فرمان[١] توليته إليه من الآستانه وبعد قراءة الفرمان وضع على ظهر حضرة الشريف بنش[٢] مزركش منظم باللؤلؤ مشابكه من الماس ثم بارك له الحاضرون وشربوا الشربات وانصرفوا شاكرين وبارك ذوات كل من اسلامبول[٣] ومصر ومكة بعضهم لبعض وبعد ظهر هذا اليوم صلى كل حاج ركعتين في مسجد الخيف ثم توجه إلى الجمرة الثالثة أي إبليس الأصغر على اعتقاد العامة ورمى سبع حصيات ثم إلى الثانية ورمى سبعاً أيضاً ثم إلى الأولى ورمى سبعة أخرى وعاد إلى محله فكان الرمي من الظُهر إلى المغرب وقد تيسر لي رسم هذا المسجد وبقعة منى بالفطوغرافيا وفي مدة الليل أطلقت المدافع والشنكات[٤] وقد فاقت الشنكات المصرية على الشنكات الشامية في الصناعة والرونقة بالكلية .

لأنه معلم للوقوف والدعاء عنده من شعائر الحج، ووصف الحرام لحرمته، لأنه في حرم مكة .

(١) فرمان : مرسوم، قرار .

(٢) بنش : سترة رسمية .

(٣) اسلامبول : اسطنبول .

(٤) الشكات : نوع من البنادق الضخمة .

وصف المجازر

وكانت الإقامة يوم العيد وثانيه صعبة لكثرة العفونات والوخامات[1] وإن كان قد عمل خارج منى ببقعة مسجد الخيف مجازر لذبح الفداء بجانبها حفاير لإلقاء الدم والذبايح فيها إلا أن ذلك لم يحصل إلا القليل جداً حتى عند غروب يوم العيد انتشرت رائحة جيف الذبائح من كل ناحية لأن أغلب الناس ذبحوا بالقرب من خيامهم وألقوا ذبائحهم حول خيامهم وتحت أرجل المارين وفي صبح ثاني العيد ازدادت العفونات من تراكم الرمم ووجودها ملقاة حول الخيام وتحت كل قدم حتى حول خيمة الشريف ولولا نزول الحاج إلى مكة في ثالث العيد لحصل ضرر كبير ومع هذا حصل من ذلك فتور في الأجسام لما شاهدت ذلك في نفسي ولم أدر أهو من تأثير العفونات أو لعدم الاعتياد على الإحرام ولولا أن الزمن كان معتدلاً لزاد ضعف أغلب الحجاج ولو نزل السيل بمنى أيام العيد لحصل بمكة وباء شديد من العفونات التي تتحلل من الضحايا (وقد أخذ) الحاكم بجدة عن كل وارد لها بحراً من الحجاج نصف ريال بوسيلة في مقابلة المصروفات السانيتا (الصحية) عرّفها ص: ٢٣٨ «التنظيم الصحي» وحفر وردم الحفائر بمنى وإزالة العفونات ,وعلى هذا إذا كان الوارد لها مائة ألف شخص كان مبلغ المتحصل خمسين ألف ريال فضلاً عن ما خصص على المواشي كما قيل .

الخدمة الطبية

وقد حضر بمكة في هذا العام حكيمان[2]برتبة ميرالاي أحدهما حضرة عبد الرحمن بيك الهراوي أحد خوجات[3] مدرسة الطب بمصر ,والآخر يُدعى أحمد بيك الشافعي حكيم جدة وهما تابعان للحكومة المصرية ليكونا مع الحجاج بمنى ويخبرا بما يشاهدا من وباء أو غيره ومبلغ ما صرف عليهما من الصرة نقداً عشرة الآف

---

(١) الوخامات : المخلفات المتعفنة .

(٢) حكيمان : طبيبان .

(٣) خوجات : جمع خوجه وهو المعلم أو المدرّس .

وتسعمائة وأربعة وعشرون غرشاً فليكن معلوماً وهذا فضلاً على ما حضر معهما من الصناديق المملوءة بالأدوية التي صرفت بمعرفتها .

وفي يوم الاثنين ١٢ منه (١٥ نوفمبر) س ٦ ق ٤٠ سار المحمل المصري واكباً ودخل في شارع (منى) وعند وصوله إلى الجمرة الثالثة رمى كل من الركب سبع حصيات وعند الجمرة التالية وهي الوسطى كذلك ولما وصلوا إلى الأولى رموا السبع الباقية وهي آخر الحصى ثم تقهقروا إلى منى نحو عشر خطوات ثم اتجهوا سائرين إلى مكة وفي س ٧ وصل الركب إلى جبل النور وهو جبل على يمين السائر إلى مكة عليه بناء مربع كالعمود علامة له والجبال من الجانبين شاهقة من الصخر الأزرق وفي س ٨ وصل إلى مبدأ مكة وفي س ٨ ق ٢٠ نزل بباب الحرم المسمى (بباب النبي) وانطوت كسوة المحمل المزركشة ووضعت في الصناديق ووضعت عليه كسوته الخضراء وأدخل في الحرم ووضع على مصطبة بجانب الباب على يمين الداخل .

وفي يوم الثلاثاء ١٣ منه (١٦ نوفمبر) كان ثالث أيام التشريق أعني رابع العيد .

وفي يوم الأربعاء ١٤ منه (١٧ نوفمبر) كان صرف مرتبات .

طواف العُمرة

وفي يوم الخميس ١٥ منه (١٨ نوفمبر) توجهت إلى العمرة لتأخري عنها بسبب الفتور الذي عرض لجسمي عقب نزولي من منى إلى مكة فأحرمت بها بعد الاغتسال وأتيت الكعبة وطفت طواف العمرة سبعة أشواط ثم سعيت بين الصفا والمروة سبعة أشواط ثم حلقت وتحللت من الإحرام وبذا تم لي الحج والعمرة والمنة لله تعالى وحده .

بيان صرف المرتبات

وقد جرى بالتكية المصرية بمكة صرف مرتبات العربان والمشايخ والشرفا وسائر المرتبات والأمانات المرسلة بخصوص بعض الأهالي والمجاورين المقيمين بمكة من الصرة المصرية في كل من الأيام الآتية وهي :

يوم الجمعة ١٦ ذي الحجة (١٩ نوفمبر) .

يوم السبت ١٧ منه (٢٠ نوفمبر) .

يوم الأحد ١٨ منه (٢١ نوفمبر) .

يوم الاثنين ١٩ منه (٢٢ نوفمبر) .

يوم الثلاثاء ٢٠ منه (٢٣ نوفمبر) وقد تيسر لي في هذه الأيام أخذ رسم المسجد المكي والكعبة بالفطوغرافيا وأخذ رسم مسطحه على قدر الإمكان مع كثرة الازدحام وعدم الفراغ .

الطريق إلى المدينة

وفي يوم الأربعاء ٢١ منه (٢٤ نوفمبر) دعا حضرة الشريف عبد المطلب أمراء وأمناء الحاجين ووالي مكة والمدينة وبعضاً من المتوظفين من أعيان مكة إلى مجلس عقده بقصره بالبياضية ليتشاوروا في الطريق المستحسنة لوصول المحملين إلى المدينة من الطرق الثلاث الموصلة إليها التي إحداهما تسمى بالدرب الشرقي وهي بعيدة والثانية تسمى بالفرعي ومسافتها اثنا عشر يوماً والثالثة تسمى بالدرب السلطاني وهي طريق الجديدة وكان اتيان المحمل الشامي في هذا العام منها وأما المحمل المصري فلم يمر منها منذ سبع عشرة سنة فحصل إتفاق المجلس بحضرة الشريف على مرورهما من السلطاني وإن لم يستحسن سعادة أمير الحاج الشامي مرورهما من هناك لعدم إئتمان من هناك من العربان فأمنه حضرة الشريف واستصوب الطريق السلطاني للمحملين إلا أنه حصل من خليل بن حذيفة بن سعد وعمه عمر المندوبين نيابة عن حذيفة شيخ مشايخ الدرب السلطاني ليضمنا مرور الحاج من هناك مع الأمن والراحة أنهما في آخر هذا المجلس إدّعيا أن لهم على الحاج المصري مبلغاً جسيماً خلاف ما صرف إليهم في كل عام من الأعوام الماضية وإن لم يمر المحمل المصري عليهم وطلبا تجديد مرتبات لهما زيادة على الأصل وأطالوا القول والتصلب في ذلك حتى تعجب الحاضرون من أفعالهم وجراءتهم فبعد خروجهما من المجلس

استقر الرأي على المرور من الدرب الفرعي وأخذت من مشايخه الضمانات القوية والرهائن ، وبعد الغداء وشرب القهوة والشربات عاد كل شخص إلى محله بالفرح والمسرات .

متاعب الطريق

وبعد قرار هذا المجلس توجه أغلب الحجاج إلى ديارهم مع القوافل ومنهم من انتظر المحملين ليتوجه معهما خوفاً من عربان الطريق ومن العربان المقومين أعني الجمّالة ومن أشنع ما بلغني عنهم أن كل مقوّم يضمن لمن يكتري[1] منه وصوله إلى مقصده مع الأمن والراحة ثم متى تجاوز العمار[2] وصار في القفار[3] تمرد على ركابه وتأمر وتحكم عليهم وتنمر خصوصاً إذا كان أغلب الركب إناثاً ولم يكن مع الرجال سلاح فينجبرون على الإنقياد لأمره إلى أن يصلوا إلى مقصدهم وأغلب هؤلاء المقومين يبحثون عن القوي من ركابهم والضعيف ويتفحصون عن ما بأمتعتهم من الثقيل والخفيف ومتى وصلوا ليلاً إلى محل مخوف يجعلون أنفسهم حراساً طول الليل على ركابهم وأمتعتهم ومتى علموا أن عينهم قد حل بها المنام وهدأت منهم الأجسام وثب كل مقوّم على ركاب صاحبه وافترسهم بأفاعيه وعقاربه وصال عليهم صولة الذئب على الخروف السمين فهذا دأب هؤلاء المقوّمين فإذا أصبح كل وشكا فقد أمتعته لم يجد من يعذره فضلاً عن كون المقوّم يحنق [4]عليه ويزجره وقد سرقت من القوافل بهذا الحال كثير من الأحمال وطالما قتل الجمالون الغني بجانب متاعه ليلاً وسلبوا منه الأموال .

وقد بلغني بالمدينة المنورة من حضرة أحمد بيك ناشد المرسل من مصر بالإعانة المحكى عنها أنه أتى من مكة إلى المدينة مع القوافل من الدرب السلطاني وشاهد

---

(١) يكتري : يؤجر.

(٢) العمار : المساكن.

(٣) القفار : جمع قفر وهي البيداء التي لا زرع فيها.

(٤) يحنق : يغتاظ.

عندما نزل الركب بمحطة وقت العشاء واشتغل كل شخص بالعشا [١]رجلاً قرمانيا[٢] مذبوحاً بجانب جمله ودراهمه مأخوذة من كمسره[٣] ما ذاك إلا بدسيس من مقوّمه[٤]وقد سرقوا ليلاً من حضرة البيك المذكور بعض ملبوسه ولولا انتباهه من نومه سريعاً لضاع متاعه جميعاً ومن عادة هؤلاء الأعراب مع من يحملون من الركاب أنه إذا نزل أحدهم ليلاً ليفك الحصر وتأخر نحو عشرين خطوة قتلوه في الحال وسلبوا ما معه من الثياب والأموال ولهم في ذبح من ينفردون به السرعة العجيبة التي هي كلمح البصر أو أقرب بحيث لايتركونه ينطق بكلمة وقد بلغني أيضاً أنهم سلبوا حجاج الجاوة[٥] بطريق (جدة) عند قفولهم من مكة إلى أوطانهم وأخذوا منهم نحو خمسة عشر ألف روبْية خلاف المتاع ووصل الخبر إلى شريف مكة فصرف لهم هذا المبلغ على ما شاع وأضمر لهؤلاء العرب الويل والتدمير والتنكيل وحسبنا الله ونعم الوكيل .

وفي يوم الخميس ٢٢ الحجة (٢٥ نوفمبر) صرفت مرتبات التكية المصرية .

وفي يوم الجمعة ٢٣ منه (٢٦ نوفمبر) حصل قضاء بعض الشؤون .

ذكر واقعة غريبة

ولنذكر هنا واقعة غريبة ونادرة عجيبة وهي أنه كان في الفقراء الذين قصدوا الحج براً من السويس وأتبعوا المحمل على الأقدام يقتاتون بصدقة الخاص والعام رجل من دراويش الأعجام فقير الحال مكشوف الرأس ليس في رجليه نعال وماعليه من اللباس ولا معه إلا خلقة مرقعة[٦] فرقّ لحاله أحد مستخدمي الصرة وأحسن إليه بما

---

(١) بالعشا : هو تناول وجبة العشاء .

(٢) قرمانياً : نسبة الى القرم .

(٣) كمسره : محفظته .

(٤) مقوّمه : البدو (العربان) المخصص لقيادة الجمل .

(٥) الجاوة : نسبة الى جزيرة جاوة (باندونيسيا) .

(٦) خلقة مرقعة : لباس رث قديم به خرق ويقال خرقه .

يقيه البرد ويستر منه العورة وعند الوصول إلى العقبة أنزله في البحر إلى الوجه في مركب الشراع مع الفقراء مجاناً على الحكومة المصرية التي لايحصى مالها من الإحسانات والإنعامات الخيرية وذلك لأجل عدم ازدحام الركب بجمل المنقطعين منهم في البرية وبوصول الركب إلى قلعة المويلح كان مركب الشراع قد وصل إليه فتخلص منه الدرويش بكل حيلة وأتى عرياناً وملتجأ إلى من ابتداه بالجميله وأخذ يخدعه بأحاديث متنوعة وأكاذيب مصطنعة حتى رقّ لحاله وكساه وقربه إليه وأحسن مثواه وبما أن هذا الأفندي المحسن طاعن في السن وبه رمد مزمن [1]طالما سأل عن علاجه كل كافر ومؤمن اتفق أنه سأل هذا الدرويش عن مادة الأكحال[2] لظنه أن هؤلاء الفقراء يحتوون من الصناعات على ما يغنيهم عن الأموال وقد بلغه عنهم ما يذهب العقول ويثبت ما ليس بمعقول من دعوى الكيمياء الباطلة التي من اشتغل بها أصبح والنعمة عنه زائلة ففي الحال فطن الدرويش إلى مرغوب الأفندي ذي الإحسان ومدح له كحلاً مركباً من الميمران والذهب والكهرباء[3] والمرجان [4]حتى خامر ذلك عقله وتملك ذمامه فاتخذ هذا الدرويش قدوته وأمامه وزاد إحترامه وإكرامه كي ينال منه بالوصول إلى مكة مرامه ولما وصلا إليها اشترى الأفندي له الميمران الهندي والمرجان الغشيم [5]والكهربا ودفع إليه أربعة عشر مجرا ذهباً لكون هذا الكحل يدخل في تركيبه الذهب على ماقال ويحتاج إلى عدة عقاقير وأواني تشترى في الحال وتوجه إلى منزل الأفندي ومكث فيه يومين معززاً مكرماً آكلاً شارباً منعماً يسحق هذه العقاقير ساتراً ما في الضمير ثم في اليوم الثالث خرج من المنزل بعلة تكايس مجرات الذهب فأخذ كل ما أحضره له الأفندي وذهب ولما عيل صبر[6]هذا الأفندي وكلّ بصره من طول الانتظار لهذا الدجال الغدار يئس من رجوعه

---

(١) رمد مزمن: مرض يصيب العين.

(٢) الأكحال: من الكحل.

(٣) الكهرباء: صمغ شجرة.

(٤) المرجان: صغار اللؤلؤ.

(٥) الغشيم: الخام.

(٦) عيل صبر: نفذ صبره.

وألقى باقي العقاقير في النار وصار يتحطط[1] على هذا الدرويش وأمثاله من الأشرار المدعين للأسرار فاعتبروا يا أولي الأبصار والحمد لله على خلاص الأفندي منه بهذا المقدار ولو تمادى معه لباع الدار والعقار فكم من غني اتبع الدجالين فأصبح في الذل والافتقار فليت كلا منا اعتبر بسير غيره واستقام وحمد ربه وشكره على الدوام .

وفي يوم السبت ٢٤ منه (٢٧ نوفمبر) حصل قضاء أشغال .

الرجوع من مكة

وفي يوم الأحد ٢٥ منه (٢٨ نوفمبر) نزل السيل صباحاً بمكة واستمر يهطل نحو ساعتين وصار الناس يخوضون في الماء في الشوارع والأزقة وقبل ظهر هذا اليوم وكب المحمل المصري من الحرم المكي إلى محطته خارج البلد وطاف كل حاج طواف الوداع واحتمل مامعه من المتاع وتوجه إلى محطة المحمل فبات متأسفاً على مفارقة محل الرحمات ولله درّ من قال

إلهي عبدك العاصي أتاك　　مقراً بالذنوب وقد دعاك

فإن تغفر فأنت لذلك أهل　　وإن تطرد فمن يرحم سواك

وفي يوم الاثنين ٢٦ منه (٢٩ نوفمبر) شدت الأحمال على الجمال وفي نهاية س ٦ ق ١٥ سار الركب متكلاً [2] على الرب المتعال وفي س ٣ وصل إلى العمرة وفي س ٥ ق ٥٠ وصل إلى السيدة ميمونة زوج الرسول عليه السلام وبعد استراحته نحو ربع ساعة جدا السير ووصل س ٨ إلى وادي فاطمة تابعاً لسير المحمل الشامي ومتأخراً عنه بقدر ثلث ساعة .

---

(١) يتحطط : يتردد والمعنى أنه يُنزله منزلة وضيعة .

(٢) متكلاً : من الاتكال .

الجمّالة المصريون

وكان سير الجمال بالركب ضعيفاً وذلك أن الجمّالة المصرية المقاولين لحمل الركب والصرة الذين هم من الحجارة بمصر غدروا الميري غدراً كبيراً لأنهم مع صرف علائق جمالهم إليهم كاملاً مدة الإقامة بمكة التي هي عشرون يوماً أجروها إلى جدة لحمل بضائع التجار واشتروا بثمن الإيجار جمالاً أخرى وأشركوها مع جمالهم الأولى في عليق الميري حتى اضمحلت من قلة العلف وصارت مهزولة [1] بحيث إن من ركبها عند الرجوع ولو ساعة أدرك الفرق بين حالتها الأولى وحالتها عند الرجوع واضحاً ومن اهتزاز جسمه واضطرابه صار صائحاً وإن اشتكى من الجمال احتج له الجمالون بالعلل الواهية في الحال لأنه ليس عليهم رقيب ولا حسيب يتعللون بثقل الأحمال مع أنهم حملوها معَ الفرح والمسرة في ابتداء الحال ولايزالون ينغصون الراكب مدة الطريق ولولا خوفهم من سطوة الحكومة والعساكر التي مع الركب لفعلوا أقبح مما يفعله جمّالة العرب ومنشأ ذلك تعيين متوظفين مستجدة للحاج في كل عام لأن الأمير الجديد إذا كان ليس له بالطريق ولا بالعادات معلومية [2]ولا إلمام يترك المقصرين من المتوظفين على حالهم ولا يجازيهم على التقصير في أشغالهم كمحافظي القلاع على عدم تطهير ونزح الآبار التي في الطريق مجاورة للقلاع وتركها مردومة معطلة بدون انتفاع ولايسعى في إزالة بعض صعوبات للطريق تسهيل إزالتها بدون تعويق ويترك المقومين يؤجرون جمال الميري بمكة بدون التفحص عليهم ومجازاتهم لتحققه أنه ليس عائداً في هذه الوظيفة بعد سنته بل إنما يفتخر بكونه أمير الحاج وكلما استحسنه برأيه فعله بدون معارض وأما (الأمين) فليس عليه إلا ختم الكشوفات فقط إذ لايعلم بحقيقة الحال وكان ينبغي للروزنامجة أن تعطيه استمارة بما يخص مأموريته والاطلاع على كلياتها وجزئياتها ليكن على بصيرة ولا تحيله على كاتب الصرة في هذه المعلوميات كما هو الجاري فأنه في الطريق يبين له البعض ويخفي عنه البعض

---

(١) مهزولة : ضعيفة .

(٢) معلومية : علم .

وكذا كان ينبغي لها أن تفرز المستخدمين بالصرة نحو الفراشين والسقائين والضوية والعكامة من حيث لياقتهم لهذه السفرية[1] وعدمها لأن متندمي هذه الطوائف متى تقيدوا بالروزنامجة قيدوا معهم أنفاراً حسبما اتفق ليأخذوا من مرتباتهم ما أرادوا ويترتب على ذلك تعطيل أشغالهم أثناء الطريق (وأما كاتب الصرة) فلما كانت وظيفته دائمة على ممر السنين صارت له معرفة تامة بالطريق وسكانها وسلاطة على كافة الجمّالة ونحوهم من المستخدمين وعلى أغلب العربان ومن بالقلاع بحيث أن أمره عندهم مسموع ومطاع وله في الركب اليد العليا لأن توزيع الصرة والعطايا بمعرفته وبحسب دفتره (وأما العساكر) فلعدم غيارهم ليس أحد منهم بشاكر فالحاج في البر يكابد أعظم المشاق ولايعرف ذلك إلا من ذاق .

محطة عسفان

وفي يوم الثلاثاء ٢٧ منه (٣٠ نوفمبر) في الساعة الأولى من النهار سار الركب ومعه كثير من الحجاج والأغراب مقتفياً أثر المحمل الشامي بمسافة نصف ساعة وذلك لسهولة السير وأخذ المياه من المحطات بالراحة بدون ازدحام وكان الدرب بين جبال وفي س ٤ وصل إلى واد متسع سهل ذي سنط وحشائش وفي س ٦ ق ٣٠ استراح بهذا الوادي وفي س ٧ ق ١٠ أخذ في السير وفي س ٧ ق ٥٥ وصل إلى بير[2] (الباشا) وفي س ١٠ ق ٤٥ مرّ بسبيل الخوخي وبعد الغروب بنصف ساعة من ليلة الأربعاء نزل قريباً من المحمل الشامي متباعدا نحو ساعة وربع عند محطة (عسفان) وكان هناك برك كثيرة من سيل نزل وكان الجو بارداً رطباً ولعدم وجودنا الخيام منصوبة عند الوصول كما كانت الأصول وانتظارنا لنصبها نحو ساعة مابين العفش[3] والجمال مع التعب وتشتت البال حصل لنا توعك في الجسم مكث معنا عدة أيام .

وفي يوم الأربعا ٢٨ الجمعة (١ ديسمبر) سار الركب في الساعة الأولى من النهار وفي س ٢ ق ١٥ وصل إلى محطة عسفان وفي س ٢ ق ٣٥ استراح بالقرب

---

(١) السفرية : الرحلة .

(٢) بير : تخفيف بئر .

(٣) العفش : ما يصطحبه الحاج من أشياء ومستلزمات وهي المتاع .

من بوغاز [1] وادي عسفان وفي س ٣ ق ١٠ سار وفي س ٣ ق ٣٠ مرّ من أول البوغاز وصعد بين تلال من الأحجار والزلط الكثير وهذا البوغاز يضيق تارة ويتسع أخرى وفي س ٣ ق ٥٠ مرّ ببناء على يساره وانتهى المنفذ إلى واد متسع أرضه صلبة سهلة وفي س ٤ ق ١٠ استراح وفي س ٤ ق ٥٠ سار وفي س ٩ ق ٢٠ نزل بمحطة (خُلِيص) بضم الخاء وكسر اللام .

القضيمة

وفي يوم الخميس ٢٩ منه (٢ ديسمبر) سار الركب في الساعة الأولى بعد سير الركب الشامي وفي س ٥ ق ٤٥ استراح وفي س ٦ ق ٢٥ سار في واد متسع به درن واتجه نحو عشرين درجة إلى الغرب وفي س ٩ ق ٥٥ مرّ بمحطة آبار الهندي (أو القضيمة) وفي س ١١ ق ٥٥ نزل بواد متسع به زلط يسير وهناك تشكّى بعض الحجاج الأغراب من جمّالة الركب المؤجرين لهم من الخارج بسبب ضعف الجمال وعدم قوتهم على الأحمال .

رابغ

وفي يوم الجمعة غرة شهر محرم الحرام ١٢٩٨ سار الركب بعد مضي ربع ساعة من أول النهار وفي س٥ ق٥٠ نزل للاستراحة وفي س٦ ق٣٠ سار وبعد نصف ساعة من الغروب وصل (إلى رابغ) وهذا التأخير سببه كثرة السيول في الطريق المعتادة والسير في طريق أخرى عارية عن السيل لارتفاعها أبعد من الأولى بساعة ونصف .

(التعيينات برابغ)

وفي يوم السبت ٢ منه ٩٨ (٤ ديسمبر) استلم الخرج كافة المستخدمين ولعدم وجود الشعير بشونة[2] رابغ صرف للخيل فول عوضاً عن الشعير كما حصل ذلك

---

(١) بوغاز : ثغر، مضيق.

(٢) شونه : مخزن، صومعة.

في مكة ووجدت القنيطة معفنة ومفتفتة[1] وادّعوا أن ذلك من كثرة الشيل والحط ونزول الأمطار عليها عند ورودها من مصر حتى تركها البعض لعدم الانتفاع بها ولا يخفى ما في ذلك من الخسارة العائدة على الميري فإنه أجرى تكاليف جسيمة لإرسال ما يلزم من مرتبات مستخدمي الصرة والمحمل إلى القلاع [2] التي يمرون عليها ولم يجر صرفها كالواجب بل صار كل من المخزنجي الناظر يتصرف في أحسنها ولايجد المستخدمون عند مرورهم إلا فضلات من مفتت ومعفن فضلاً عن النقص في الأوزان وتطفيف الكيل .

وادي حرشان

وفي يوم الأحد ٣ منه (٥ ديسمبر) سار الركب س ٣ ق ٤٥ وفي س ٤ خاض في سيل ثم انحرف ما بين البحري والبحري الشرقي وفي س ٤ ق ٣٠ استراح وانتظر توجه الحاج الشامي اماماً وفي س ٦ ق ٤٥ جد السير في واد به زلط وبعض أكمات من رمال مع صعود وهبوط وفي س ١٢ مرّ بتلال على اليمين وفي الساعة الأولى من الليل نزل تحت سفح وادي حرشان .

بير رضوان

وفي يوم الاثنين ٤ منه (٦ ديسمبر) بعد مضي خمس وأربعين دقيقة من النهار سار عن يمين تلال وفي س ١ ق ٥ سار بين تلال عالية وفي س ١ ق ٢٠ صعد إلى جبل لايمرّ منه إلا الجمل أو الجملان وفي س ١ ق ٢٥ هبط إلى واد ذي رمل وتلال على اليسار وفي س ٣ ق ٥٠ وصل إلى يمين جبل هرمي الشكل وفي س ٤ ق ٢٠ استراح وفي س ٥ ق ٢٥ سار شيئاً فشيئاً ونفذ من منفذ يسمى (نقر الفار) يمرّ منه الجمل فالجمل مع هبوط شديد في محجر ضيق بين جبلين طوله نحو مائتي متر ثم

---

(١) مفتفتة : مفتتة أو مفككة .

(٢) القلاع : جمع قلعة .

اتسع الدرب بين الجبال وفي س ٥ ق ٤٥ استراح لانتظار باقي الركب وفي س ٧ ق١٥ سار في سنط كثير وفي س ١٠ نزل بمحطة بير (رضوان) في مكان متسع بين الجبال ليس به مساكن إنما فيه بئر واحدة ماؤها عذب وقد اشتد البرد ليلاً ولكون الترمومتر الذي كان معي انجبر بمكة ما أمكنني بعد ذلك معلومية درجة الجوّ على التحقيق .

محطة أبي ضباع

وفي يوم الثلاثاء ٥ منه (٧ ديسمبر) سار الركب في س ١ ق ١٥ وفي س ١ ق ٤٠ مرّ بزلط وحجارة وفي س ٢ مرّ ببوغاز عرضه خمسون متراً بين جبلين مرتفعين قائمين أملسين وبعد عشر دقائق قل ارتفاعهما وتسلسلا في أرض وعرة ذات هبوط وصعود في محجر وزلط كثير مستمر وفي س ٦ استراح وفي س ٦ ق ٥٠ سار وفي س ٩ ق ٣٠ خف الزلط نوعاً وسهل السير وفي س ١١ ق ١٥ مرّ بأكمات محجرة ثم ببقعة بها نخيل بكثرة وبيوت كبيوت الأرياف وسوق يباع به التمر والأكياس الجلد المزخرفة المتنوعة من صناعة تلك الأراضي وتسمى (خرايز وقلص) وفي س ١١ نزل بمحطة (أبي ضباع) وبها عين ماء عذبة جارية في آخر النخيل عن يسار البلد .

وادي الريان

وفي يوم الأربعاء ٦ منه (٨ ديسمبر) في الساعة الأولى سار الركب في زلط كثير وفي س ٢ ق ٣٠ مرّ على نخيل بكثرة وفي س ٣ ق ٣٠ ارتفعت جبال الطرفين وصار عرض الطريق مائة متر وكسوراً وفي س ٥ كثر النخيل على الطرفين ما بين الجبال والطريق وهناك سوق يباع فيه التمر والأكياس والمخدات الجلد وفي س ٥ ق ١٠ مرّ بدرب (المضيق) عرضه عشرة أمتار بين النخيل وبه سوق وبأعلى الجبال من اليسار بيوت وفي س ٥ ق ١٥ مرّ على مجرى ماء بين النخيل وفي س ٥ ق ٥٠ انتهت المزارع وفي س ٦ مرّ بماء جارٍ عرضه متر ونزل الركب للاستراحة إلى س ٦ ق

٥٠ ثم سار بين زرع وجداول ماء متباعدة بمسافات قليلة وفي س ٨ ق ٣٥ انتهى كل من المزارع والجداول واتسع الطريق بين جبال منخفضة عن ما قبلها وفي س ١١ ق ١٠ نزل بوادي (الريان) بجوار نخيل وماء جار وبيوت وعشش وسوق .

عقبة ريع الخيف

وفي يوم الخميس ٧ منه (٩ ديسمبر) سار بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى بأرض أقل زلطاً مما قبلها وفي س ٣ كثرت أشجار السنط وصار الطريق مشرقاً مبحراً وفي س ٦ اتجه الركب إلى بحري ثم بعد ربع ساعة اتجه مشرقاً وفي س ٦ ق ٤٠ اتجه مشرقاً مبحراً وهناك عقبة (ريع الخيف) واستراح في ابتداء العقبة وفي س ٧ ق ٣٠ سار وصعد العقبة إلى أعلى جبل لايمرّ منه إلا جملان فجملان وفي س ٧ ق ٤٥ وصل إلى سطح الجبل في اتساع مستوٍ وبعد خمس دقايق هبط منه بسهولة وفي س ٨ ق ١٠ انتهى الشوك المسمى بأم غيلان[1] وفي س ٨ ق ٢٠ وصل إلى واد متسع وفي س ٧ ق ٤٥ استراح وفي س ٩ ق ٥٠ سار وفي س ١٠ ق ٤٠ نزل (بالغدير) بجوار جبل هرمي في وسط الوادي وكان هناك سيل جار .

محطة بئر العظم

وفي يوم الجمعة ٨ منه (١٠ ديسمبر) سار الركب بعد نصف من الساعة الأولى تاركاً ذلك الجبل عن يمينه متبعاً لجهة الغرب حتى قطع الجبل وفي س ٢ ق ٣٠ اتجه بين الشمال والغرب الشمالي في أرض تارة يعلوها زلط خفيف وتارة رمل ثم اتجه مبحراً وفي س ٥ ق ١٠ مرّ بجبال على اليسار وفي ٦ ق ٢٠ وصل إلى محطة (بئر العظم) وهناك بئر واحدة بجوار نخلتين ماؤها عذب وعلى بعد المائتي متر تقريباً من جبل هرمي على يسارها وفي س ٦ ق ٣٠ استراح وفي س ٧ ق ١٥ سار وفي س ٩ ق ٣٠ مرّ بين جبال واتّسع الطريق من مائة متر إلى ثلثمائة متر متجهاً إلى بحري

---

(١) أم غيلان : نبات كثيف الشوك متشابك الأفرع وأغلب الظن أنه العوسج.

وفي س ١٠ ق ٢٠ صار العرض تارة دون مائة وخمسين متراً وتارة أكثر في سنط كثير وفي س ١١ ق ٥٠ استراح وفي نصف الساعة الأولى من الليل سار وفي س ٣ ق ٣٠ وصل إلى (العلواية) وهي مهبط منحدر مستوٍ بين جبلين طوله مسافة ثلاث عشرة دقيقة وفي س ٤ ق ٣٠ انتهت الجبال وفي س ٦ ق ٣٥ هبط من محجر إلى تلال على الجانبين وفي س ٧ ق ٣٠ نزل القبة الشريفة بحيث لايرى الزائر القبة من داخل الحرم أياً كان وعند هذا الشباك يسلّم على الملائكة الأربعة الكرام ويدعو ويتقدم يميناً إلى الشباك الثالث ومنه إلى باب يقال له باب (السيدة فاطمة) ويسلّم ويدعو وبجواره البقعة التي سيدفن فيها عيسى بن مريم عليه الصلاة والسلام بعد نزوله من السماء والسيدة فاطمة رضي الله عنها لم تكن مدفونة باتجاه هذا الباب ، وإنما هو من جملة أبواب الحجرة الشريفة تسمى بها وهي مدفونة بالبقيع بجوار العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم على القول الصحيح .

البقيع

وهذا الباب معد للدخول إلى الحجرة النبوية في كل ليلة للخدمة ثم بعد أن يدعو الزائر هناك يستدبره ويسلّم على أهل (البقيع) ويدعو لأن البقيع من وراء هذه الجهة خارج المدينة مُعدّ لدفن أمواتها ثم يلتفت إلى شماله ويستدبر[١] القبلة ويستقبل جبل أُحُد ويسلّم على حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلّم وعلى الشهداء ويدعو ثم يرجع القهقري إلى مبدأ هذه الجهة حتى يأتي قبلة[٢] المدعى فيدعو الله بما شاء بدون واسطة المزوّر ثم يستدير على يمينه حتى يواجه الشباك النبوي ويسلم ويدعو ثانياً ويلتفت خلفه ويتوجه إلى محراب سيدنا عثمان بن عفان رضي الله عنه وهو في الحائط التي عن يمين الطرقة المبدوأة من باب السلام ويدعو وبذلك تتم الزيارة ثم يدخل الحرم ويزور محل الجذع وهو جذع كان النبي صلى الله عليه وسلم يخطب عليه

(١) يستدير : يعطي ظهره .

(٢) قبلة : قبالة .

قبل اتخاذ المنبر الشريف وبعد اتخاذ المنبر حن ذلك الجذع لفراقه وبقي هناك مدة بعد وفاته صلى الله عليه وسلم ثم أحرز في هذا المحل بجوار المحراب ثم يتوجه لزيارة المحراب والمنبر والروضة ويصلي بها ركعتين .

المصحف العثماني

ويميل لزيارة المصحف العثماني من وراء الشبكة وهو موضوع على رحلة على يمين الداخل للحجرة الشريفة من باب الوفود ولا يفتح هذا المصحف إلا عند حادث عظيم كحرب أو وباء فتجتمع العالم[1] بالحرم ويدخلون بالحجرة من الباب الشامي لهذا المقصد ويفتحون المصحف ويقرأون فيه ما تيسر من القرآن ، وهذا المصحف أحد المصاحف السبع الأولى التي استكتبت عند جمع القرآن الشريف من أفواه حملته وهذا المصحف هو الذي قُتِلَ عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه وهو في حجره ووقع دمه فيه على قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وباق به هذا الأثر إلى الآن ومن أراد دخول الحجرة الشريفة يتيسر له ذلك بواسطة الأغوات قبل الغروب بنية إيقاد الشمع ويلبسونه أثواباً من أثوابهم بيضاء .

زيارة أهل البقيع

وأما زيارة أهل البقيع وحمزة رضي الله تعالى عنهم فقد جعلت في الحرم تسهيلاً على المسافر وللحجرة أربعة أبواب ، باب صغير في شباك التوبة وباب السيدة فاطمة والباب الشامي وباب الوفود ومن هذا الباب كان النبي صلى الله عليه وسلم يخرج للصلاة بالحرم وهذه الحجرة في بيت السيدة عائشة رضي الله تعالى عنها والحرم النبوي مزخرف موضوع بشكل جميل طوله من داخل ١٥٥ ذراعاً معمارياً وعرضه من جهة القبلة ١١٥ ذراعاً ومن البحري ٨٨ ذراعاً وأحجاره من جبل بالقرب من المدينة وعواميده مجصصة مغطاة بأدهان ونقوش ولم تكن أعمدة من رخام لعسر

---

(١) تجتمع العالم : جميع الناس .

نقلها من محلها وأرضه مفروشة بالبسط الثمان[1] وله بابان من الجهة الشرقية وهما (باب السلام) في ابتداء الجدار الغربي من زاويته القبلية وفوقه مأذنة ويبتدىء الزائر بالدخول منه وفي وسط هذه الجهة الباب الثاني وهو (باب الرحمة) وخارجه مأذنة صغيرة وحنفيات[2] للوضوء ويمكن للزائر أن يدخل من هذا الباب إلا أنه يميل على يمينه ويسير في الطرقة الموصلة إلى باب السلام ويدخل في طرقته ومنها يتوجه للزيارة كما سبق وبابتداء الحائط الشرقية مأذنة تواجه باب السلام وبهذا الحائط الشرقي بابان أحدهما باب (جبرائيل) أمام باب السيدة فاطمة والآخر (باب النسا) مواجهاً لباب الرحمة والجدار البحري في كل طرف منه منارة وفي وسطه باب (التوسل) فبذا يكون بالحرم خمس مآذن وخمسة أبواب وفي وسط الحرم صحن يُقال له الحصوى به جنينة صغيرة بها بئر ونخل تسمى بجنينة السيدة فاطمة والحرم تغلق أبوابه في الساعة الثالثة من الليل في غير موسم الحج ولايبقى به إلا الأغوات المختصة بالخدمة وبالحرم حمام كحمام حرم مكة مُحرّم صيده وقتله وأدعية الزيارة موضوعة بالرحلة التي طبعناها سابقاً فلتراجع ، وقد تيسر لي أخذ خريطة الحرم السطحية بالضبط والتفصيل وأخذت أيضاً رسم المدينة المنوّرة بالفطوغرافيا مع قبة المقام الشريف والخمس منارات وقد أخذت منظر القبة الشريفة من داخل الحرم وأخذت أيضاً صورة سعادة الشيخ الحرم وبعض أغوات الحجرة الشريفة وما سبقني أحد لاخذ هذه الرسومات بالفطوغرافية أصلا .

وبجوار الباب المصري بالمناخة[3] دكاكين وقهاوي من أخشاب وسوق للغلال والمواشي ومن المناخة يرى داخل سورة المدينة قبة بيضاء وهي مقام أبي سعيد مالك ابن سنان صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم أُحُد .

---

(١) البسط الثمان : السجاد الفخم غالي الثمن.

(٢) حنفيات : جمع حنفية وهي الصنوبر.

(٣) المناخة : مبرك الجمال.

وفي يوم الأحد ١٠ منه وكب المحمل س ٣ وأمامه الأمير والأمين ومحافظ المدينة والضباط والعساكر الخيّالة صفين من باب العنجرية ماراً أمام التكية ثم جامع الغمامة بالمناخة حتى وصل إلى الباب (المصري) فترجل الراكبون وأمسك الأمراء والمتوظفون بشرابتي[1] زمام[2] جمل المحمل ودخلوا من الباب والمحمل خلفهم سائر رويداً رويداً لضيق الطريق يتبختر كالعروس ، فيا له من يوم فرحت به النفوس وقد تعطر الطريق بالبخور وبإعلان الصلوات والتسليمات انشرحت الصدور إلى أن وصل إلى باب السلام وصعد الجمل على السلّم وبرك عند العتبة في متسع بقدر مبركه مع الراحة ثم رفع المحمل من فوقه وأدخل الحرم إلى محله المعتاد سنوياً بالقرب من المنبر النبوي وطويت كسوته بمفرداتها وحملها بعض المستخدمين وأغوات الحجرة الشريفة بعد أن لبس كل منهم جبة بيضا وحزاما وعمامة كذلك ودخلوا إلى الحجرة النبوية من الباب المسمى (بالشامي) وتركوها في بقعة السيدة فاطمة رضي اللّه تعالى عنها بجوار باب ضريحه الشريف ، وأما البيرق فوضع بجوار الفجوة الكائنة عند الرأس الشريف وترك هناك وبعد أن دعو اللّه مخلصين خرجوا من باب السيدة فاطمة مسرورين وعند قيام الحاج المصري من المدينة يخرجون كسوة المحمل مع البيرق من الحجرة ويوكبونه من باب السلام ويمرّ بالشارع ويخرج من حيث أتى وقد قلت عند وصولي للمدينة المنورة متوسلاً بساكنها عليه أفضل الصلاة وأزكى السلام (شعراً)

أنا عبد أتيتك اليوم أرجو	منك فضلاً شفاعة عند ربك
ياحبيب الآله أنت شفيعي	وشفيع لكل عبد محبك

---

(١) بشرابتي : مفردها شرابة، وهي ما يتدلى من زمام الجمل.

(٢) زمام : هو الخيط الذي يشد في طرفه مقود الجمل، (زم البعير، خطمه).

مزارات آل البيت

ومن بعد الخروج من الحرم النبوي يتوجه الحاج لزيارة عبد اللّه والد النبي صلى اللّه عليه وسلم وهو مدفون داخل المدينة في دار مالك أحد أخواله ومنه يتوجه إلى البقيع وبه مزارات آل البيت والشهداء وأولاد النبي صلى اللّه عليه وسلم وهم زينب وفاطمة وإبراهيم والقاسم والطاهر والطيب وبه من أزواجه الطاهرات التي توفى عنهن عائشة وحفصة ورملة وسودة وصفية وأم سلمة وزينب وأم حبيبة وأما ميمونة فمدفونة بطريق مكة وللّه در من قال :

آل بيت النبي إني محب   وجزاء المحبة الإكرام

فاز من زار حيّكم آل طه   وتناءت عنه الكروب العظام

حاش للّه أن تردوا محباً   وهو فيكم متيّم مستهام

أنتم القوم جودكم لايضاهى   وعلاكم لغيركم لا يرام

وبه أيضاً مقام العباس وعقيل والحسن بن علي وسفيان وعبد اللّه بن جعفر الطيار وعائشة وصفية عمتي النبي صلى اللّه عليه وسلم وسعد وسعيد والزبير وهؤلاء الثلاثة من العشرة المبشرين وعثمان بن عفان وحليمة السعدية مرضعة النبي صلى اللّه عليه وسلم وكذلك قبر الإمام مالك ونافع شيخ القرآء وإسماعيل بن جعفر الصادق وأبي سعيد الخدري ولكل منهم مزار مشهور وهناك قبة تسمى قبة الحزن تنسب إلى السيدة فاطمة بنت النبي صلى اللّه عليه وسلم وزيارة البقيع يوم الخميس والبقيع مدفن أموات المدينة خارج عن سورها من الجهة الشرقية ومحاط بسور وبه قبب للمزارات المشهورة ويوضع على القبور ريحان[1] بدل الخوص بمصر ومن وراء البقيع يرى الوادي كالبساتين مزيناً بالنخيل .

---

(١) ريحان : نبات ذكي الرائحة ويسمى في الجزيرة العربية « المشموم) .

ومن العوائد الجارية[1] بالمدينة قديماً أن كل شخص من الشيعة لايدخل قبة أهل البيت بالبقيع للزيارة إلا أن يدفع خمسة غروش كما أنه يؤخذ بمكة من كل من يريد أن يدخل الكعبة للزيارة شيعياً أو سنياً ريال إن لم يكن ذا ثروة وإلا أخذوا منه مبلغاً كبيراً وكذا بالمدينة الأغوات [2] المنوطون بخدمة الحجرة الشريفة يأخذون ريالاً من كل شخص يريد دخولها وذلك قبل الغروب بساعة عند إيقاد[3] الشموع .

ومن بحري المدينة بعيداً عنها بخمس وأربعين دقيقة (جبل أحُد) يتوجهون إليه لزيارة مقام سيدنا (حمزة وشهداء أحُد) رضي الله تعالى عنهم وبقبلى المدينة بنحو نصف ساعة (مسجد قباء) يتوجهون لزيارته وزيارة ما حوله وهو أول مسجد بُني في الإسلام .

وفي يوم الاثنين ١١ محرم (١٣ ديسمبر) .

وفي يوم الثلاثاء ١٢ محرم (١٤ ديسمبر) .

وفي يوم الأربعاء ١٣ منه (١٥ ديسمبر) .

وفي يوم الخميس ١٤ منه (١٦ ديسمبر) قضاء شؤون

وفي يوم الجمعة ١٥ منه (١٧ ديسمبر) .

العودة

وفي يوم السبت ١٦ منه (١٨ ديسمبر) وكب[4] المحمل من باب الحرم النبوي وسار بموكبه في محفل عظيم حتى وصل إلى محطته خارج باب العنبرية وفي الليل أطلقت السواريخ بحضور جم[5] غفير وجمع كثير من أهل المدينة كالمعتاد وبتنا

---

(١) العوائد الجارية: العادات المتبعة.

(٢) الأغوات: الخصيان.

(٣) إيقاد: إشعال.

(٤) وكب المحمل: قدم المحمل.

(٥) جم غفير: جمع كثير.

وقلوبنا منجذبة إلى طيبة متولعة[1] بتلك المعاهد والمشاهد لا أحرمنا الله العود[2] إليها ولله در من قال :

إذا لم نطب في طيبة عند طيب ... به طيبة طابت فأين نطيب

إذا لم يجب في حيه ربنا الدعا ... ففي أي حي للدعاء يجيب

بئر عثمان

وفي يوم الأحد ١٧ منه (١٩ ديسمبر) سار الركب صباحاً ووصل بعد ساعة إلى محطة بئر عثمان بعد أداء زيارة الوداع (شعر)

هنيئاً لمن زار خير الورى ... وحط عن النفس أوزارها

لأن السعادة مضمونة ... لمن حل طيبة أوزارها

وبالمحطة بئر عذبة تسمى أيضاً ببئر (رومه) اشتراها سيدنا عثمان من إمرأة (رومة الغفاري) وجعلها صدقة على المسلمين وهناك مصلى بجانبها ومن الشروط المقررة للجمالة بأمر الداخلية أن يصرف لهم في المدينة من الصرة عن كل جمل خمسون غرشاً سلفة ليشتروا تبناً[3] أو حشيشاً لعلف جمالهم وليقضوا ديونهم بالمدينة وهذه السلفة تؤدى إلى الروزنامجة عند الحضور بمصر وفي هذا العام لم تصرف لهم هذه السلفة إلا بالوجه فأغلب الجمالة باع علائق جماله لتسديد ما عليه كما بلغني وترك جماله بدون فول لا تقتات إلا بحشائش الطريق وقد هزل أغلبهم جوعاً .

محطة الضعيني

وفي يوم الاثنين ١٨ منه (٢٠ ديسمبر) سار الركب في الساعة الأولى من النهار وفي س ٦ ق ٤٥ استراح وفي س ٧ ق ٤٠ سار وفي س ١١ نزل بمحطة

(١) متولعة : متشوقة.

(٢) العود : الرجوع.

(٣) تبناً : قش أعواد القمح تأكله الماشية.

(الضعيني) ولم أضع هنا مسافة المحطات إلا بالساعات وأما معالم وسير هذا الطريق ومسافاته المترية فموضح بنبذة الاستكشاف التي ألّفتها وطبعتها سابقاً بمطبعة عموم أركان حرب بناء على ما شاهدته وقسته بمروري مع المرحوم محمد سعيد باشا والي مصر حين توجه زائراً في سنة ١٢٧٧ فليراجعها الراغب وكل ساعة وربع من ساعات سير جمال الركب تضاهي سير ساعة فقط مما ذكر في النبذة وحيث قد تم الحج بزيارة فخر الكائنات فلنبدي ما قد تصورناه من التفكرات[١] .

الكعبة والمدينة أو الشمس والقمر

(اعلم) أن الشمس والقمر لو نزلا على الأرض متباعدان عن بعضهما لسعى من في الأرض لرؤيتهما بدون تفكر في المسافة التي يلزم قطعها لأجل الوصول إليهما بعيدة كانت أو قريبة سهلة أو صعبة مأمونة أو خطرة فأولاً يتجهون إلى الشمس ويمشون مهتدين بأشعتها شاخصة أبصارهم إليها لايرون ما حولهم ولا ما تحت أقدامهم سهلاً كان أو وعراً براً كان أو بحراً فكل على قدر درجة قوته يصل إليها بحسب همته فمنهم من يأتي سريعاً ومنهم من يبطىء ومنهم من يصيب الغرض ومنهم من يخطىء ثم بعد مشاهدة (الشمس) على حسب تفاوت درجات القرب منها واطمئنان قلوبهم بها يتجهون إلى جهة القمر ليشاهدوه بالنظر فيسيرون على نوره ناظرين إليه دون غيره حتى يصلوا إليه بعد المشقة الزائدة غير مبالين بالمسافة قريبة كانت أو متباعدة وبعد المشاهدة والحصول على الفائدة يتوجهون من حيث جاؤوا ملتحفين[٢] بما به باؤوا تاركين النور وراءهم وظلمة أنفسهم ممتدة أمامهم ، فمن امتلأ بصره بالنور مشي سوياً على صراط مستقيم ومن انطمس بصره انكب على وجهه في ظلام مستديم (فالكعبة) للحجاج هي (الشمس والمدينة القمر) وكل امرء يسعى بقضاء وقدر فالسعيد له الهنا والشقي له الضرر والمرام من الوصول الاقتباس

---

(١) التفكيرات : الذاكرة .

(٢) ملتحفين : ملتفين .

بحسب طهر الأنفاس لا التفرج والافتخار بين الناس والقلب المؤمن يتلألأ نوره كالجوهرة الثمينة ولكل مؤمن جوهرة في قلبه تزهو على حسب القيمة فالجواهر منثورة على العباد على حسب ما قسم من الاستعدادات كقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فمنهم من احتوى الجواهر ومنهم الذهب ومنهم من احتوى على الفضة أو النحاس بالتعب ومنهم من بقي مجردا لاينال القوت إلا بشق النفس والتعب فدرجات الإيمان في قلوب المسلمين بهذه الكيفية بين الناس فكما أن الأغنياء بجواهر الدنيا يفوق بعضهم بعضاً ، كذلك المؤمنون الذين قلوبهم بجوهرة الإيمان مستنيرة يتفاوتون بحسب السيرة والسريرة والله بصير بعباده ويوفق كلاً على حسب مراده وكلما حسنت النية حصل الفوز بالمواهب اللدنية كما قال عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل أمرءٍ ما نوى» صدق من لاينطق عن الهوى ولنبدأ قرب مثال لهذا المقال وهو أن الساعين للحج كالساعين لصلاة الجمعة فمنهم من يأتي الجامع قبل الازدحام ويسمع الخطبة ويقرب من الإمام ومنهم من يسمعه تارة وتارة على حسب بُعد المسافة والتأخر لعائق أو آفة فهؤلاء كلهم مصلّون وبحسب سعيهم للتقرب من الإمام ينالون وعلى أعمالهم يجازون .

محطة المليح

وفي يوم الثلاثا ١٩ منه (٢١ ديسمبر) في الساعة الأولى من النهار سار الركب وفي س ٧ ق ١٠ استراح وفي س ٨ سار وفي س ٩ ق ٣٥ مرّ بمحطة (الملليح) أو (النصيف) وفي س ١٠ ق ١٠ نزل للمبيت وعند الصباح نزل المطر من س ١١ ليلاً إلى س ١٢ .

وفي يوم الأربعا ٢٠ منه (٢٢ ديسمبر) بعد خمسة وأربعين دقيقة من الساعة الأولى من النهار سار الركب وفي س ٥ ق ٥٠ استراح وفي س ٦ ق ٥٠ سار ، وفي س ٨ ق ٣٠ مرّ على يسار قلعة ومحطة (الشجوة) على بُعد وفي س ٩ نزل السيل على الركب وامتد واشتد وفي س ٩ ق ٥٠ أناخ من كثرة المطر ونصبت الخيام على

البلل مع استمرار نزول المطر وغمرت الأحمال والفرش بالمياه ، ولم يوضع شيء على الأرض ليجلس عليه إلا ابتل أسفله وأعلاه ، وفي نصف الساعة الأولى من الليل امتنع المطر وأمضى كل شخص ليلته بقضاء وقدر بين رطوبة الأرض وفرشه ومن كانت له سحاره ونام عليها صارت كنعشه ، وأما الفقير الذي ليس عليه إلا القميص وما له خيمة ولا غطاء فكان فرشه الماء أعني الأرض ببللها وغطاؤه الهواء وخيمته السماء ويفعل اللّه بخلقه ما يشاء .

اصطبل عنتر

وفي يوم الخميس ٢١ منه (٢٣ ديسمبر) بعد مضي عشرين دقيقة من الساعة الأولى سار الركب ، وفي س ١ ق ٤٥ وصل إلى أكمة عالية فوق جبل شاهق تسمى (بإصطبل عنتر) أو قصر عبلة وفي س ٥ ق ٥٠ صار عرض الطريق من خمسين متراً إلى مائة متر وتسلسلت الجبال على الطرفين كالتلال وفي س ٦ ق ٣٠ استراح وفي س ٧ ق ٣٠ سار وفي س ١٠ ق ٥٥ وصل إلى محطة آبار (حلوة) وهناك خمس آبار ماؤها عذب على يسار الطريق ببقعة متسعة معتدلة محاطة بالجبال وفي س ١١ ق ١٠ نزل الركب بالبعد عنها بجوار الجبل الموجود على يمين الوادي في مكان كثير الحشائش غير لائق للمبيت كأرض محطة آبار حلوه .

محطة النقارات

وفي يوم الجمعة ٢٢ منه (٢٤ ديسمبر) سار الركب بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى وكان البرد شديداً في واد واسع أرضه سهلة وفي س ٥ ق ٥٠ استراح وفي س ٦ ق ٣٥ سار وفي س ١٠ ق ١٥ مرّ على زلط وتلال على اليسار وفي س ١٠ ق ٤٠ مرّ بست آبار على اليمين ماؤها فيه ملوحة قليلة وهناك محطة (النقارات) وفي س ١٠ ق ٤٥ أعني بعد المحطة بخمس دقايق نزل الركب وانتظر نصب الخيام حسب الأمر كسائر الأيام في هذا العام .

محطة الفقير

وفي يوم السبت ٢٣ منه (٢٥ ديسمبر) بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى سار الركب وفي س ١ ق ١٧ أشرقت الشمس ومرّ بأرض يعلوها زلط ثم سباخ وعبل كثير وقنوات للسيل ، وفي س ٤ ق ٤٥ وصل إلى يسار تل هرمي أسود وفي س ٥ ق ٣٠ استراح وفي س ٥ ق ٥٠ سار وفي س ٧ ق ٢٠ انتهى لوادٍ وابتدأت الجبال يساراً وفي س ٧ ق ٣٠ نزل بمحطة (الفقير) وبها خمس آبار ماؤها قيسوني في أرض بها قطع أحجار صغيرة ذات خطوط كالخشب المتحجر بطول الزمن وعلى حسب الموقع ومن المعتاد سنوياً الإقامة ثاني يوم الوصول في هذه المحطة لراحة الركب والدواب لأن المسافة من المدينة إلى الوجه اثنا عشر يوماً ويلزم أن يكون في كل خمسة أيام أو ستة إقامة يوم للاستراحة ولكن صار السير على خلاف العادة .

القصر الأحمدي

وفي يوم الأحد ٢٤ منه (٢٦ ديسمبر) سار الركب من ابتداء الساعة الأولى ومرّ بواد سهل وفي س ٤ ق ٢٠ مرّ بجبال متسلسلة على اليسار وفي س ٤ ق ٥٥ مرّ بجبال على اليمين وفي س ٥ ق ١٥ ضاق الطريق إلى عشرين متراً مع هبوط يسير إلى واد متسع والجبال من الجانبين تقرب تارة وتبعد أخرى وفي س ٥ ق ٣٥ وجد على اليسار آثار بناء وحائط قائمة طولها خمسون متراً وارتفاعها متران تسمى (بالقصر الأحمدي) أو قصر جحا عند العامة وفي س ٥ ق ٥٥ استراح وفي س ٦ ق ٤٥ سار وفي س ٩ ق ٣٠ مرّ على كثير من السعتر وأشجار مسوسة[1] وفي س ١٠ ق ٨ اتجه الدرب من الغرب إلى القبلي وفي س ١٠ ق ١٥ استقام إلى الغرب وفي س ١٠ ق ٤٥ اتجه قبلياً بين جبال عالية في اتساع خمسين متراً بل أكثر ثم اتسع

---

(١) مسوسة : أصابها السوس .

وفي س ١ ق ١٠ من الليل اعتدل الدرب إلى الغرب تقريباً وفي س ١ ق ١٥ نزل الركب بمحطة (العُقلة) بضم العين وبها بئران ماؤهما لايصلح إلا لشرب الدواب وقد مات ثمانية من الجمال التي مع الركب من التعب .

الحوثلة

وفي يوم الاثنين ٢٥ منه (٢٧ ديسمبر) في الساعة الأولى صباحاً سار الركب وفي س ٦ ق ٣٠ استراح وفي س ٧ ق ١٥ اتبع البراح مشرقاً مغرباً وفي س ٨ ق ٢٠ اتجه مبحراً وبعد ربع ساعة سار مشرقاً مبحراً وفي س ١١ ق ١٥ نزل للمبيت وفي هذا اليوم مات عشرة من الجمال أيضاً من طول المسافة وثقل الأحمال واتفق أن أربعة من الجمالة انحرفوا قليلاً عن الركب لجمع الحشيش لجمالهم فنهبت العرب جمالهم وسلبتهم لباسهم ونجوا بأنفسهم حفاة عراة من هؤلاء اللصوص وحمدوا اللّه على النجاة مع فقد الملبوس ، وفي س ٩ ق ٢٠ من ليلة الثلاثاء سار الركب إلى أن طلع النهار .

وفي يوم الثلاثاء ٢٦ منه (٢٨ ديسمبر) في الساعة الأولى استراح الركب وفي س ١ ق ٣٠ سار وفي س ٥ مرّ فوق تلال وانحرف إلى بحري بقدر سبعة دقايق ثم عاد إلى اتجاهه الأول وفي س ٥ ق ٣٥ اتجه مبحراً بين أكمات مع صعود وهبوط وبعد خمس دقايق استقام وفي س ٧ ق ١٠ نزل بمحطة (الحوثله) وهناك سلسول[١] ماء جارٍ من السيل من سنين .

درب المحشرة

وفي يوم الأربعا ٢٧ منه (٢٩ ديسمبر) س ٧ ق ٥٠ سار الركب وصعد قليلاً من منفذ إلى وادٍ ذي عبل كثير كبير وفي س ٨ ق ٢٥ صعد من طريق مستوٍ عرضه خمسة عشر متراً إلى درب متسع فيه عبل قليل وفي س ٨ ق ٤٥ اتجه مبحراً بين جبال كالتلال وبعد خمس دقايق اعتدل في متسع وفي س ٩ ق ٣٥ وصل إلى مبدأ

---

(١) سلسول : نبع.

تلال وجبال وفي س ١٠ ق ١٥ مرّ في زلط وأحجار ثم رمل في اتساع بين الجبال وفي س ١٠ ق ٢٠ وصل إلى ابتداء جبال درب المحشرة وفي س ١٠ ق ٣٥ نزل للمبيت وفي الساعة العاشرة من ليلة الخميس سار الركب وفي س ١١ ق ١٥ وصل إلى انتهاء درب (المحشرة) وجبال اليسار بأرض سهلة رملها ثابت .

محطة أم حرز

وفي يوم الخميس ٢٨ منه (٣٠ ديسمبر) في الساعة الأولى من النهار استراح بوادٍ متسع في منتهى جبال اليمين وفي س ١ ق ٢٥ سار وفي س ٤ ق ٣٥ وجد سلسلة رمال يساراً وجبالاً بعيدة يميناً وفي س ٥ ق ٣٠ صعد قليلاً فوق أكمة وفي س ٦ ق ١٥ استراح بمحطة (أم حرز) وليس بها آبار وفي س ٧ سار إلى أرض سهلة بالقرب من مفرق الدربين أعني هذا الدرب والدرب الموصل إلى (ينبع البحر) وفي س ١٠ ق ٢٥ مرّ بين تلال وبعد خمس دقايق هبط عنها يسيراً وفي س ١١ نزل للمبيت في متسع بين جبال وفي س ١٠ من ليلة الجمعة سار الركب .

قلعة الوجه

وفي يوم الجمعة ٢٩ منه (٣١ ديسمبر) بعد مضي ساعة وعشر دقايق مرّ من بين أكمتين تسميان (بالنهدين) إلى طريق متسع بين تلال وجبال متسلسلة وهناك نزل للاستراحة وفي س ١ ق ٣٠ سار وفي س ٤ ق ١٠ مرّ بين تلال وفي س ٤ ق ٤٥ صعد فوق تل والجبال من الجانبين ممتدة إلى محطة الوجه وفي س ٥ ق ٥٥ هبط من التل وفي س ٥ ق ١٥ نزل بقلعة (الوجه) .

وفي يوم السبت غاية محرم سنة ٩٨ (١ يناير ١٨٨١) استلم الخرج والعلايق وفي ليلة الأحد س ٨ ليلاً سار الركب وفي يوم الأحد غرة صفر (٢ يناير) بعد مضي خمس وأربعين دقيقة من النهار استراح وفي س ١ ق ٢٥ سار وفي س٦ ق ٢٥ استراح وفي ٧ ق ١٠ سار وفي س ١١ نزل بمحطة (اصطبل عنتر) وبات هناك وفي س ٨ ق ٢٥ من ليلة الاثنين سار.

محطة أزلم

وفي يوم الاثنين ٢ صفر (٣ يناير) في الساعة الأولى من النهار استراح وفي س ١ ق ٣٥ سار بين جبال ممتدة إلى (محطة أزلم) وفي س ٦ ق ٤٠ استراح وفي س ٧ ق ٣٥ سار وفي س ١١ ق ٤٥ نزل (بمحطة أزلم) وفي ليلة الثلاثاء س ١٠ ق ١٠ سار .

محطة سلمى وكفافه

وفي يوم الثلاثا ٣ صفر (٤ يناير) بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى من النهار استراح وفي س ١ ق ٢٠ سار وفي س ٣ ق ١٥ مرّ من صعود وفي س ٦ ق ٢٥ استراح وفي س ٧ ق ٦٥ سار وفي س ١١ صعد فوق أكمة وفي س ١١ ق ٣٠ هبط إلى طريق بين تلال وفي س ١١ ق ٤٥ نزل (بمحطة سلمى وكفافه) وفي ليلة الأربعا س ١٠ من الليل سار الركب وفي س ١١ ق ٥٠ صعد من نقر (العجوز) وفي س ١٢ استراح .

محطة المويلح

وفي يوم الأربعا ٤ صفر (٥ يناير) بعد نصف ساعة من الساعة الثانية سار وفي س ٦ ق ١٥ هبط بين تلال ثم صعد وفي س ٦ ق ٣٠ استراح وفي س ٧ ق ١٥ سار في طريق متعرجة بسبب الجبال وفي س ١١ ق ٤٥ نزل بمحطة (المويلح) .

وفي يوم الخميس ٥ صفر (٦ يناير) أقام واستلم المرتبات من القلعة وفي ليلة الجمعة بعد الساعة الثامنة بربع سار الركب ليلاً وفي س ١١ ق ٣٠ مرّ من خور متسع ذي هبوط وصعود .

محطة عيون القصب

وفي يوم الجمعة ٦ صفر (٧ يناير) بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى من النهار استراح في محل شرقيّهُ تلال وغربيّهُ جبل حايل بين الطريق والبحر وفي س ٢ ق ٤٠ رؤي البحر على اليسار وفي س ٦ ق ٤٥ استراح وفي س سـ٧ سار مع قرب الطريق من البحر تارة وبعدها عنه أخرى وفي س ١١ ق ٢٥ مرّ من مهبط منحدر وبانتهائه نزل بمحطة عيون (القصب) وفي ليلة السبت في الساعة الثامنة سار الركب وفي س ١٢ استراح .

محطة مغاير شعيب

وفي يوم السبت ٧ منه (٨ يناير) في الساعة الأولى من النهار سار وفي س ٦ ق ٤٥ استراح وفي س ٧ ق ٤٥ سار وبعد ثلث ساعة من الغروب نزل بمحطة (مغاير شعيب) .

وفي يوم الأحد ٨ منه (٩ يناير) في س ٥ ق ٤٥ سار بين جبال ممتدة على الجانبين وقد كان المعتاد في الرجوع الإقامة بهذه المحطة يوماً لأجل راحة الجمال والخيل والركاب [١]بسبب وجود المياه هناك ولكن صار القيام على خلاف العادة وفي س ١٠ انحرف الطريق إلى الشرق بسبب وضع الجبال وبعد ربع ساعة اتجه إلى بحري وفي س ١١ نزل للمبيت وفي ليلة الاثنين سار في الساعة العاشرة من الليل .

محطة الشرفا

وفي يوم الاثنين ٩ صفر (١٠ يناير) بعد مضي نصف ساعة من النهار استراح وفي س ١ اتبع البراح [٢] وفي س سـ٦ استراح (بمحطة الشرفا) وفي س ٧ ق ٢٠ سار بين جبال ممتدة من الطرفين في أرض ذات شيح وعبل وفي س ١٠ صعد صعوداً

---

(١) الركاب : يقصد بها الحمير.

(٢) البراح : الفضاء.

خفيفاً وفي س ١٠ ق ٣٥ مرّ على قبور (الشهداء) وهو على يسار الطريق وبعد الغروب بعشر دقايق نزل للمبيت بالقرب من الجبال بعد المرور من محل متسع منحدر محاط بالجبال وفي الساعة العاشرة من ليلة الثلاثا سار الركب .

محطة ظهر حمار

وفي يوم الثلاثا ١٠ صفر (١١ يناير) بعد مضي نصف ساعة من النهار استراح وفي انتهاء الساعة الأولى سار وبعد مسافة اتجه إلى الشمال الغربي وفي س ٣ رؤي البحر بعيداً والأرض منحدرة إليه وفي س ٥ ق ٢٠ اتجه مبحراً حذاء[١] البحر وفي س ٥ ق ٣٥ صعد على رمال وفي س ٦ مرّ بجانب البحر ثم في رمال وخيران[٢] وهبوط من جبل كما ذكرناه في الطلعة[٣] وفي س ـ٧ نزل بمحطة (ظهر حمار) .

ومن المعتاد الإقامة في هذه المحطة باقي اليوم مع الليل لراحة الركب والوصول في اليوم الثاني إلى قلعة العقبة بالراحة لكن صار المسير على خلاف المعتاد الساعة ٥ ق ٥٠ من الليل ومرّ من مضيق محجر بين البحر والجبل مع شدة الهواء والبرد حتى كَلَّ أغلب الجمال من التعب والمشقة .

قلعة العقبة

وفي يوم الأربعا ١١ صفر (١٢ يناير) بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى نزل لانتظار المتأخرين وفي س ١ ق ١٠ سار وفي س ٢ نزل بمحطة (قلعة العقبة) ومن المعتاد في كل سنة الإقامة في كل قلعة يوماً زائداً على يوم الوصول وانه لامانع من التأخر يوماً أو يومين زيادة عن الأصول لراحة الركب في المحطات

(١) حذاء البحر: محاذياً البحر.

(٢) خيران: جمع خور.

(٣) الطلعة: يقصد رحلة الذهاب.

لوجود المحذورات ولعدم التحديد في الرجعة[1] الذي لابد منه في سفر الطلعة لأن للحج أياماً معدودات كما أن من الواجبات الجارية من الأصول الإقامة بمحطة قلعة العقبة ثاني يوم الوصول لراحة الركاب وأخذ المرتبات وغسل الملبوسات وإصلاح جلوس الجمال ، ثم في اليوم الثالث يصعد الركب من العقبة بالتأني وعدم كد[2] الجمال بالأحمال إلى سطحها فيبيت هناك كيلا يبقى أحد من الحجاج متأخراً ثم في صباح اليوم الرابع يسير الركب إلى جهة نخل وأما في هذا العام فقد تغيرت العادات في بعض المحطات كما حصل في هذه المحطة فإنه في يوم الخميس ١٢ صفر (١٣ يناير) وكل من الحجاج مشغول بلوازمه وإصلاح حاله أثناء هذه الإقامة المعلومة للخاص والعام لم يشعر الناس إلا والمنادي ينادي في الساعة الرابعة بأن القيام في الساعة الثامنة فتركوا ما بأيديهم واشتغلوا بشد[3] حمولهم وكان صرف تعيينات مستخدمي الصرة جارياً ولم ينته إلا بكل الاجتهاد والسرعة بحيث لم يمكن مراجعة رجع التعيينات المنصرفة ولم يجر ختمها إلا بسطح العقبة صباحاً وقت التحميل .

مدرج العقبة

وفي س ٧ ق ٥٠ قام الركب من القلعة وابتدأ الرحيل ومرّ بجانب نهاية بحر العقبة من الجهة البحرية وعندما انتهى شاطىء البحر صعد بالتدريج المسافة التي بين البحر والقنطرة المبنية في ابتداء صعود العقبة المشهورة وهذه المسافة تسمى (بمدرج العقبة) وكان الوصول إلى القنطرة س ١٢ من النهار فلعدم إمكان المبيت هناك لضيق الطريق وكثرة الخيران لزم صعود العقبة ليلاً جبراً بكل مشقة ووصل أول جمل من الركب إلى سطح العقبة بعد س ٢ ق ١٠ من الليل ووصل الجمل الأخير من الركب س ٧ ق ٣٠ منه، وقد نزل المطر عند الصباح بحيث صارت الخيام تقطر ماء .

---

(١) الرجعة : يقصد الإياب .

(٢) الكد : يعني الشدة في العمل، والمقصود هنا إجهاد وتعب .

(٣) بشد : بربط .

محطة بئر الست

وفي يوم الجمعة ١٣ صفر (١٤ يناير) ضرب مدفع التحميل س ١ ق ٣٠ وفي س ٢ ق ٤٥ سار ، وفي س ٧ ق ١٠ استراح وفي س ٨ سار وفي س ١٠ ق ٤٠ نزل للمبيت في آخر الوادي بجوار سلسلة من رمال متجهة لبحري ، وفي ليلة السبت بعد الساعة التاسعة بخمسين دقيقة سار وفي س ١١ ق ٥٠ مرّ من نقر محجر بالجبل طوله ثلثمائة متر وعرضه عشرة أمتار في انتهائه بناء مربع على اليسار شبه مصطبة قيل إنه قبر .

وفي يوم السبت ١٤ صفر (١٥ يناير) بعد مضي خمس وأربعين دقيقة من الساعة الأولى من النهار استراح وفي س ١ ق ٢٠ سار وفي س ٦ ق ٣٠ استراح وفي س ٧ ق ٣٠ سار وفي س ٨ ق ١٠ مرّ بمحطة بئر الست (أم عباس) وفي س ١١ نزل للبيات في الفلاة وفي ليلة الأحد في الساعة العاشرة سار .

قلعة النخل

وفي يوم الأحد ١٥ صفر (١٦ يناير) بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى من النهار استراح وفي الساعة ١ ق ٢٠ اتبع البراح وفي س ٦ ق ٤٥ سار وفي س ٩ نزل بجوار (قلعة نخل) . وفي يوم الاثنين ١٦ صفر (١٧ يناير) صار استلام التعيينات من القلعة . في ليلة الثلاثا في الساعة ٨ سار الركب ومن الأصول المعتادة سنوياً أن الحاج متى وصل إلى قلعة العقبة يُرخّص [1] للبشير في التوجه لمصر وبدخوله مصر بالبشرى يحصل للأهالي الفرح الشديد بقدوم الحجاج وتطمئن قلوب الأقارب على أقاربهم بتلاوة المكاتيب[2] ويجهزون ما يلزم لقدومهم بالسلامة إلى أوطانهم والذي جرى في هذا العام كان على خلاف المعتاد فإن الحاج لما

---

(١) يرُخص : يُصرح .

(٢) المكاتيب : الرسائل والخطابات .

وصل إلى قلعة العقبة صار منع طلوع البشير ولما وصل إلى نخل كذلك فلما وصل الركب إلى عيون موسى تعجب أهل السويس من قدوم الحاج بدون أن يقدمه البشير كالمعتاد ليستعدوا له بما يلزم لمقابلته وليبادروا بإرسال التعيينات بعيون موسى للمستخدمين والمياه العذبة وما يلزم للحجاج وقد حصل أن الركب عند حضوره لعيون موسى لم يجد شيئاً من تلك الاستعدادات وتأسفوا على أن أهل مصر متى بلغهم حضور الحاج بالسويس بدون أن ترد جوابات من الحجاج إلى قرابتهم لإطمئنان خواطرهم يحصل لهم غاية المشغولية وتشتت البال .

وادي الحصن

وفي يوم الثلاثا ١٧ صفر (١٨ يناير) بعد الساعة الأولى من النهار سار الركب وفي س ٦ ق ٤٥ استراح وفي س ٧ ق ٣٥ اتبع البراح وفي س ١١ نزل للمبيت (بوادي الحصن) بالقرب من الجبال وفي ليلة الأربعاء بعد الساعة التاسعة بخمس دقائق سار وفي س ١١ ابتدأ المرور من محاجر الحصن .

وادي التيه

وفي يوم الأربعا ١٨ صفر (١٩ يناير) بعد مضي خمس وثلاثين دقيقة من النهار استراح وفي س ١ ق ٢٠ سار وفي س ٤ مرّ بآخر الحصن ودخل بأرض بها حشائش تسمى بأرض (المزارع) وهي ابتداء وادي التيه وفي س ٤ ق ٤٥ مرّ بأول علواية وفي س ٢ ق ٢٥ استراح وفي س ٧ ق ٣٠ سار وفي س ٩ ق ٣٥ مرّ بآخر علواية ، وفي س ١٠ ق ٤٠ مرّ على الناطور وفي س ١٠ ق ٥٥ نزل للمبيت وكان المالح[١] يرى قريباً وفي ليلة الخميس بعد الساعة التاسعة بخمسين دقيقة سار .

---

(١) المالح : يقصد البحر الاحمر.

في المحجر الصحي

وفي يوم الخميس ١٩ صفر (٢٠ يناير) بعد مضي خمس وأربعين دقيقة في الساعة الأولى من النهار استراح على بعد من الناطور الأخير وفي س ١ ق ٣٠ سار مقبلاً في واد متسع به رمال هابطة وصاعدة وفي س ٦ نزل الركب (بعيون موسى) بالقرب من شاطىء البحر في فلاة متسعة لأجل الكرنتينة[١] وليس هناك سوى مأموري الكرنتينة ولم توجد سوق لمبيع ما يلزم للحجاج كالمعتاد لعدم إخبارية أهل السويس بوصول الحاج وأما المياه اللازمة للحجاج فجلبت من السويس بواسطة الفناطيس[٢] والمراكب .

وفي يوم الجمعة ٢٠ صفر (٢١ يناير) حضر سعادة رؤوف باشا محافظ السويس ومعه حكيمباشي [٣] الكرنتينة والمأمورون ونظروا الحجاج وأخذوا تعدادهم وتعداد دوابهم وهم واقفون بالبعد عنهم وجعلوا ثمانيا وأربعين ساعة كرنتينة على الحجاج، ولوجود الجمال معهم زادوها إلى اثنين وسبعين ساعة من ابتداء وصول الحاج إلى محل الكرنتينة، وأما الخيول والبغال والحمير فأمروا بإبقائها بالكرنتينة واحدا وعشرين يوماً ثم توجهوا فحضرت المرتبات والعلايق والبياعون في الحال كالعادة عند وصول الحجاج وفرح الحجاج بذلك وكانوا قبل ذلك متكدرين [٤] لعدم وجود البياعين وكان تعداد الآدميين من عساكر ومستخدمي الصرة وأتباعهم ٥٩٣ سوى الأغراب والفقرا وهذا بيانهم جهادية[٥]٢٤١ خدما ميري [٦]٣٥٢ أهالي ٢٦٠ دواسه فقرا ٧٠

(١) الكرنتينة : المحجر الصحي .

(٢) الفناطيس : البراميل .

(٣) حكيمباشي : رئيس الأطباء .

(٤) متكدرين : من كدر ، مغمومين .

(٥) جهادية : تابعون للجيش .

(٦) خدما ميري : خدمة الجيش .

مغاربة[١] ٤١ جمال ميري ٥٠٠ جمال براني [٢] ٢٠٠ حمير حصاوي[٣] ٢٧ حمير بلدي ٣١ خيول ميري ٢٣٦ أبقار ميري عدد ٤ أبغال ميري عدد ٧ أبغال براني عدد ٢ .

وفي يوم السبت ٢١ ص (٢٢ يناير) أقام الركب بالكرنتينة وبالبُعد عن محلها بنحو أربعين دقيقة إلى الشرق (عيون موسى) بواد سهل مرمل به خمسة بساتين لبعض الأوروباويين القاطنين بالسويس ينتقلون إليها صيفاً فيها نخيل وبعض أشجار مثمرة والأرض هنالك مزروعة شعيراً وقمحاً فقط بسبب الرمال وعدم السباخ لزرع الخضار وبأحد هذه البساتين ثلاث حفائر ماؤها قيسوني عمقها عن سطح الأرض نحو المتر والمترين ومن هذه البساتين ثلاثة في كل منها عينان وهذه العيون منها ماهو صالح لشرب البهائم ومنها ماهو مالح نوعاً وبالبستان الخامس عين ماؤها عذب وبالبعد عن هذه البساتين بثلاث دقائق أرض مرتفعة نحو مترين عن أرض البساتين مع انحدار بها نخلة عالية وبجانب جذعها عين قيسونية عمقها عن سطح الأرض ثلاثون سانتي وقطر دائرة الحفرة متر واحد ، وبالبعد عن النخلة بمسافة ستين متراً تل مرتفع نحو الستة أمتار سطحه مستوٍ وبقدر عشرة أمتار وفي وسطه ماء معين [٤] قيسوني مساوٍ للسطح .

وفي يوم الأحد ٢٢ صفر(٢٣ يناير) حضر صباحاً سعادة محافظ السويس وحكيمباشي الصحة ومأمور الكرنتينة وفرزوا[٥] الآدميين والمواشي وأفرجوا عن مَنْ بالكرنتينة إلا الخيل والبغال والحمير وفي س ٧ ق ٢٠ قام الركب بدون استخبار من المحافظ عن ساعة إغلاق القنطرة واتجه إلى بحري محاذياً للمالح ومتباعداً عنه

---

(١) المغاربة : من أهل المغرب .

(٢) جمال براني : جمال غير رسميين، أي لا يتبعون المحمل .

(٣) حمير حصاوي : نوع من الحمير المميز، ويشتهر بقدرة عالية على التحمل .

(٤) ماء معين : ماء جوفي .

(٥) فرزوا : فحصوا .

بمسافة قليلة في أرض مرملة كثيرة السباخ تاركاً العساكر والخيول والحمير بالكرنتينة إلى حين انقضاء المدة وفي س ١١ ق ٢٠ وصل إلى (القنطرة) فلم يمكن المرور عليها لكونها مفتوحة لمرور المراكب فنزل بالقرب منها في موضع يعلوه كثير من الأملاح والسباخ فبات هناك مع التكدر من عدم وجود شيء من الطعام ولا من المياه العذبة ومن عدم إمكان وضع مايجلس عليه لشدة رطوبة الأرض وكثرة سبخها[١] وقد اشتدت الرطوبة ليلاً على الحجاج من هذه السباخ .

الوصول إلى السويس

وفي يوم الاثنين ٢٣ ص (٢٤ يناير) حضر سعادة المحافظ قبل الشروق ومعه العساكر الخيالة للسير مع الركب وأمر بإغلاق القنطرة وفي س ١ من النهار مرّ أول الركب وانتهى آخره س ٣ ق ٣٠ وسار إلى أن وصل إلى محطته المعتادة بالقرب من السويس س ٥ ق ٣٠ وصار استلام التعيينات [٢] من الشونة عن اليوم الماضي وعن ثلاثة أيام مقدماً إلى وصوله مصر ومن المعلوم لدى الجميع بالسويس أن المحمل يصير وكبه س ٣ ق ٣٠ من بعد ذهاب قطر[٣] الركاب في الوابور وفي هذا العام لم يصر وكبه فاختلفت العادة والرسوم المعتادة لأنه في س ٩ ليلاً شدت الأحمال على الجمال وسار الركب مهتدياً بالمشاعل[٤] بدون إشعار أحد من أهل السويس ولا انتظار من تأخر من الركب بالبندر فمر من كوبري[٥] الترعة الحلوة مختفياً في الظلام وجميع أهل البندر نيام لايدرون بما صار وهم في أضغاث أحلام واتجه لطريق مصر ماراً على قضيب السكة الحديد ليلاً بأرض ناشعة من المالح حتى صارت الجمال تتقدم رويداً إلى أن وصل الركب س ١١ إلى بئر (السويس) ونزل للاستراحة كالجيش

---

(١) كثرة سبخها : كثرة ملوحتها .

(٢) التعيينات : المخصص من المآكل .

(٣) قطر الركاب : عربات القطار .

(٤) مهتدياً بالمشاعل : مهتدياً بالمصابيح .

(٥) كوبري : جسر .

المضطر للفرار من عدو خلفه غدار ثم إن جملة من جمال الأغراب حجزت بالكوبري بمعرفة مأموري العوايد حتى يدفع ما عليها من عوائد الدخولية[1] وفي س ١٢ سار متوكلاً على المولى الستار .

بئر عجرود

وفي يوم الثلاثا ٢٤ ص (٢٥ يناير) في الساعة الأولى استراح بجوار أول بوسطه وفي س ١ سار وفي س ٣ ق ٣٥ مرّ بيسار بئر (عجرود) وفي س ٣ ق ٥٠ مرّ بيمين ثاني بوسطة وفي س ٦ ق ١٠ استراح بجوار البوسطة الثالثة فكان الحجاج المتأخرون يردون فرادى مع غاية المشقة والتعب لقيام الركب ليلاً مع عدم علمهم بلا سبب وفي س ٧ سار وفي س ٩ ق ١٥ مرّ برابع بوسطه وفي س ١١ ق ١٢ مرّ بخامس بوسطه وفي س ١٢ نزل للبيات في الفلاة وفي س ٩ ليلاً سار متجهاً إلى الغرب وفي س ١٠ ق ٢٠ مرّ بسادس بوسطه وفي س ١١ ق ٣٥ مرّ بالشيخ (الدكروري) وبسابع بوسطه .

سراية الدار البيضاء

وفي يوم الأربعا ٢٥ ص (٢٦ يناير) بعد مضي خمسة وأربعين دقيقة من الساعة الأولى استراح وفي س ١ مرّ بسراية الدار البيضا وهي بعيدة عن الطريق وعلى يمينه وفي س ٣ ق ٥٠ مرّ بثامن بوسطه وفي س ٤ ق ٤٠ مرّ بتاسع بوسطه وفي س ٦ ق ٤٠ استراح بجوار البوسطه العاشرة وفي س ٧ ق ٣٥ سار وفي س ٩ ق ٣٥ مر بالبوسطة الحادية عشر وفي س ١١ ق ١٥ نزل بجوار البوسطة الثانية عشر وفي س ٨ ق ٤٥ من الليل سار وفي ١٠ ق ٣٠ مرّ بالبوسطة الثالثة عشر وفي س ١٢ ق ١٠ مرّ بالبوسطة الرابعة عشر .

---

(١) الدخولية : الجمارك .

الوصول إلى القاهرة

وفي يوم الخميس ٢٦ ص (٢٧ يناير) بعد مضي عشرين دقيقة من النهار استراح وفي س ١ سار وفي س ٣ وصل (العباسية) وكان هناك جم كثير من الأهالي ينتظرون الأقارب والخلان وبلقائهم ازداد فرحهم ودخلوا معهم مصر آمنين بعضهم بالطبل والموسيقا والبعض متخلق بالشيلان وما كابده الحجاج من التعب كأنه ما كان بل ترك في حيز النسيان فسبحان خالق الأكوان والمنفرد بالبقاء وكل من عليها فان .

فكرة وخاتمة

وإذ قد انهينا الكلام على الحاج المصري من مبدأ خروجه حتى عاد إلى الأوطان فلنذكر نبذة تخطر على الأذهان وهي أن الحجاج براً يكابدون المشاق التي لا مزيد عليها في النفوس والأجسام أما في النفوس فلحرمانهم لذة الطعام إما لعدم وجوده في الطريق أو لأنه لقصر الإقامة بالمحطات لايتمكن من إنضاجه كما يليق أو لتناولهم على الدوام من الطعام ما ليس بعادتهم كالبقصماط والجبن والزيتون بسبب حاجتهم وكالعدس على حدته أو مع الأرز إن وجد الماء العذب الذي سواه لإنضاج طبيخ العدس غير صالح فإنه لاينضج مطبوخه بالماء المالح ولحرمانهم أيضاً من لذة الشراب لتنوع المياه مع قلتها في أغلب الأحيان فتارة مُرّة وتارة قيسونية وتارة لزجة أو نتنة من الاختزان فإنها متى مكثت في القرب أكثر من يومين عرض لها النتن والتغيّر بلا مين وأما المشاق التي يكابدونها في الأجسام فهي تغيّر أوقات منامهم وانتباههم من النوم وقيامهم ومقاساتهم مشاق السفر من ركوب الجمال ولو في المحفات[1] مع إدامة القرفصى[2] والنوم بها مع أضغاث الأحلام والفزع عن القيام بحيث تعرض لرؤوسهم وأعناقهم وأوساطهم[3] في أقرب وقت الآلام من

---

(١) المحفات: الجوانب.

(٢) القرفصى: القرفصاء.

(٣) أوساطهم: جمع وسط وهو الجزء.

الاهتـزاز ليلاً ونهـاراً علـى الدوام ويستمـرون علـى هـذه الحالة ثلاثة أشهر بالتمـام فضلاً عـن الإقامـة شهـراً بمكة وبمدينـة خيـر الأنـام وإن عـرض لأحدهم أثنـاء سيـره البـول[1] لم يمكنه النزول عن دابتـه إلا بالمشقة لقضاء حاجته خوفـاً مـن التـأخر عـن متاعه ورفقته ومن كان منهم على ظهر حصانه لم يستطع دوام الركوب مع عدم النوم ومن كان ماشياً على قدميه عرض له الحفاء وصار من شدة التعب على شفا مـا لـم يكن سائساً أو محترفاً بحرفة الحمارة ، ومع هذا فمـن هؤلاء مـن يكِلّ[2] ويتأخر لطول مشيه ليله ونهاره ومنهم من يمشي وهو في حالة منامه جاراً الجمل بما حمل من زمامه كما شاهدنا ذلك مراراً في هاتيك المسالك وما يكابدون من شدة البرد ولاسيما إذا كان ذلك في مدة الليل وما يلحقهم ودوابهم من المتاعب عند نزول السيل وهذا كله يسير بالنسبة للخوف من الأعراب المتعرضين لنهب الحجاج وقتلهم إلا أن جميع هذا الضرر البيّن ليس لـه تأثير عند المسلم المتدين بل يحتسبه عند ربه طامعاً أن يجازيه تعالى في مقابلة ذلك بقبوله غفران ذنبه لأنه متى خرج من بيته مهاجراً إلى بيت اللّه الحرام ثم إلى زيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام واستولى هذا المقصد على لبّه وتسلطن عليه آخذاً بمجامع قلبه تعلقت آماله بالوصول إليه وأنفق في مرضاة اللّه تعالى ورسوله كل مالديه وتحمّل جميع المشاق مع الصبر والحزم محصياً الأيام والساعات وما مضى منها وما هو آت لايخطر غير هذا بفكره ولا يشتغل عنه بشيء غيره مؤملاً بلوغ مأربه مرتقباً الحصول على مطلبه فلولا أن للحاج أياماً معدودات يقربها مرور الأوقات ويدنيها تتابع الساعات لنحل جسمه من شدة الشوق أو مات وأما يوم الوصول فيـاله من يوم تـكل عـن وصفه الألسنة وتندهش بمشاهدته العقول ومتى أديت هذه الفريضة الشرعية بمناسكها المرعيه واكتسب كل من الأجر على حسب أفعاله المرضية وما وفق إليـه من خلوص النيه ثنيت الأعنة إلى الأوطان واشتد الشوق إلى لقاء الأهل والخلان فعند ذلك يلتهب القلب ويشتعل

---

(١) البول : التبول .

(٢) يكل : يُجهد ويتعب .

وبالقرب من الأحبة على الدوام يشتغل وتحسب الأوقات بالثواني والثوالث ويزداد القلق والأرق بانتظار المكاتيب وخوف الحوادث حتى يصلوا إلى المواطن ويلتقي المسافر والقاطن فعند ذلك يفتخرون بمشاهدة هاتيك الآثار الشريفة ويتفاوضون في كيفية أداء تلك المناسك المنيفة ويتمثل من يحركه الشوق بما يعزي إلى حضرة الإمام أبي حنيفة وهو

كيف الوصول إلى سعاد ودونها   قلل الجبال ودونهن حتوف

والرجل حافية وما لي مركب   والدرب وعر والطريق مخوف

حج الدهماء

هذا وبعض من العوام الشياره[1] من عكامة وضوية وحمارة من يتوجه إلى مكة المكرمة ولا يحج ولا يسعى وكما خرج من بلده عاد لكن وعلى وجهه قناطير من السواد ومع هذا لايتركون الفشر[2] واللقلقة ولايدعون الكذب والمشدقة بل يسمون أنفسهم بالحاج بدوي عجوره والحاج علي أبو قوره وجميعهم من الدفة إلى الشابوره وقد كان للحجاج في الأزمنة الأولى شأن عظيم وفخر زائد جسيم يسافرون في البر جماً غفيراً ويرغبون في البحر لكونه عسيراً إذ لم تكن لهم معرفة بغير مراكب الشراع وخطر السفر في بحر السويس بين الناس مشاع ثم لما وقع بين الولاة النزاع واشتهر هذا الأمر في سائر الأقطار وذاع واستمر بينهم اللجاج واشتغلوا بالمحاربة عن مصالح الحجاج استشعر بذلك أعراب الحجاز فارتفعت منهم للنهب الرؤوس وقطع الطريق على المارة المرؤوسون منهم والرؤوس فكثر الخطر وعظم الضرر واضطر ولاة مصر إذ ذاك إلى أن رتبوا مرتبات وعطايا للأعراب الذين تمرّ الحجاج من أوعارهم طمعاً في أن تكفهم تلك المرتبات عن فضائحهم أو عارهم فيسهل للحاج المرور عليهم مع الاطمئنان ومن النهب في أمان وبنوا هنالك للعساكر قلاعاً شحنوها

---

(١) الشيارة: المساعدون، العتالون.

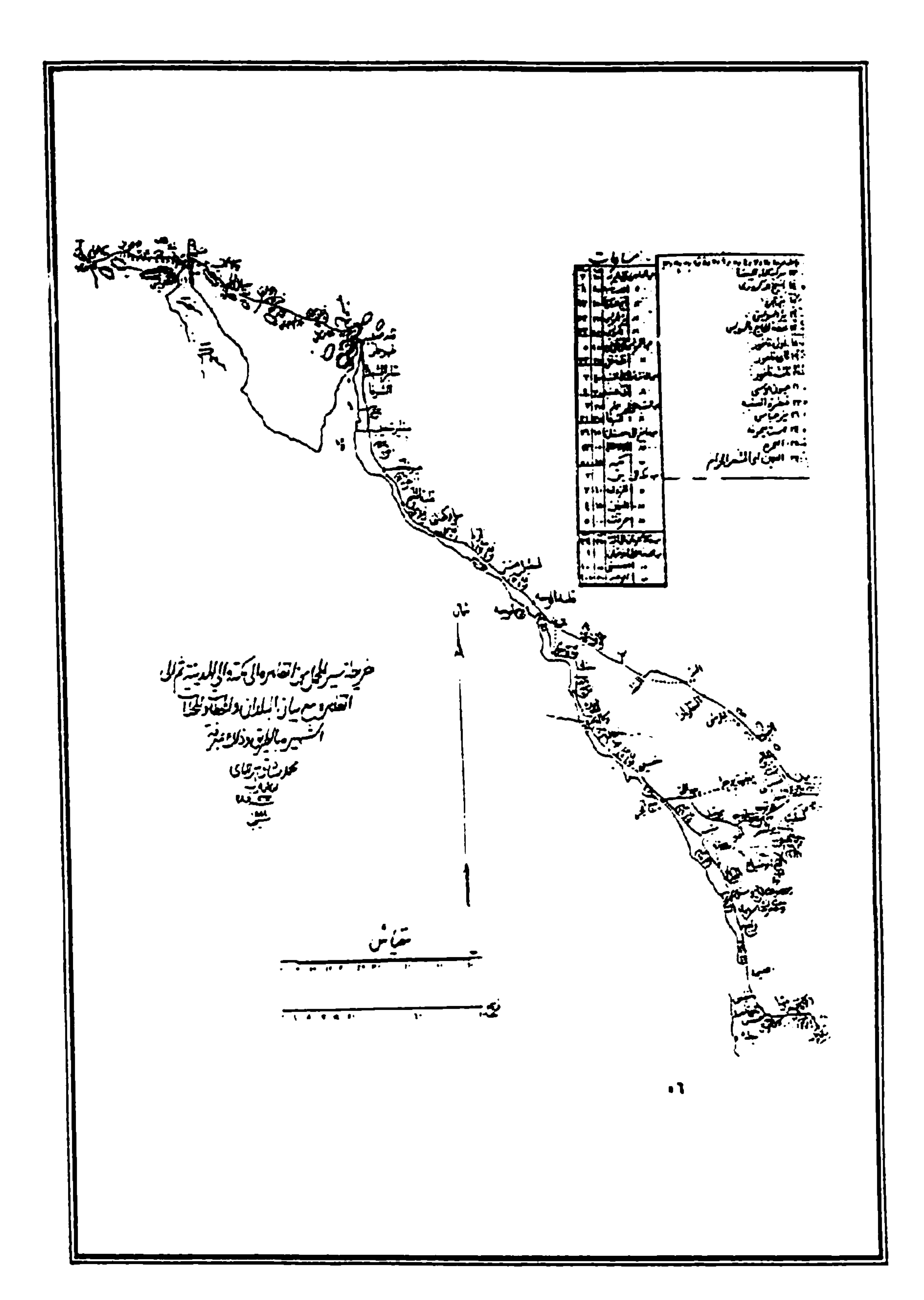
(٢) الفشر: الكذب.

بالذخائر وأحدثوا فيها سواقي وآباراً وحفائر رغبة في راحة الحجاج وتسهيلاً لمرورهم في تلك الفجاج إلا أن أغلب هذه الآبار والسواقي تعطل عنها المنافع وصار أكثر تلك القلاع بتطاول الأزمان بلاقع فلا يسافر من طريق البر الآن غير المحمل والصرة المقررة لعوائد الحرمين والعربان مع العساكر الذين هم عليهما مستحفظان لما أسلفناه من أوعار الطريق وعدم الأمان وأما سائر الحجاج فيسافرون في البحر حيث الوابورات صيرت المدة أقصر بكثير من مدة السفر في البر فضلاً عن الراحة من مشاق السير في القفار والأمن من الخوف والفزع بمهول هاتيك الأخطار وقد سبق سفر الصرة والمحمل مرتين في البحر وحصل بذلك للميري كثير من الوفر ثم أعيد لأسباب لاتدري إلى السفر في البر وحيث أن الحجاج يسافرون الآن في البحر أجمعهم فإن وافق أن كلاً من الصرة والمحمل يتبعهم بأن يقوم المحمل من مصر إلى السويس بعد موكبه المعتاد ثم من السويس إلى جدة متقدماً بسبعة أيام عن الميعاد ويكون الأمير قد تقدم إلى هنالك بعشرة أيام ليستأجر بمعرفة والي جدة الجمال ويأخذ على الجمالة الضمانات فيأمن بذلك من المتاعب في السفر ومن المشقات ويجتمع المحمل في جدة بالحاج المصري فنحصل زيادة الأمنية ويتم للحاج بهذا الاجتماع كمال السرور وبلوغ الأمنية ويكون مصحوباً بمائتي عسكري فقط فيتوفر للميري كثير من المصروفات ويوكبون به عند قدومه إلى جدة ومكة وعند طلوع عرفات وبعد أداء الفريضة يتوجهون إلى زيارة خير الأنام عليه أفضل الصلاة والسلام من الطريق التي يحصل الإتفاق عليه بمجلس شريف مكة على التوجه منه إلى المدينة ثم الرجوع إلى ينبع أو رابغ ليعودوا من طريق البحر إلى أوطانهم في أسرع الأوقات فرحين مستريحين من مكابدة المتاعب ومقاساة المشقات ومن طول صعوبة الطريق وتبدد أمتعتهم في كل محجر ومضيق فيتوفر للميري كثير من المرتبات والعلايق ويزداد كل من جدة ومكة وينبع ثروة بالبيع والشراء وتتسع فيهن دائرة التجارة بالأخذ والاعطاء ولايزيد القادر على مصروفات الحج في البر شيئاً في طريق البحر بل لايصرف إلا القليل بالنسبة إلى ما كان يصرفه في طريق البر فضلاً على ما كان يلحقه فيها من المشاق والصعوبات والشدائد التي لاتطاق وأما الفقراء غير المستطيعين فليسوا بالحج مكلفين بل إذا سافروا تألموا من السفر وسخطوا وتشاجروا مع البدو والحضر وعاد

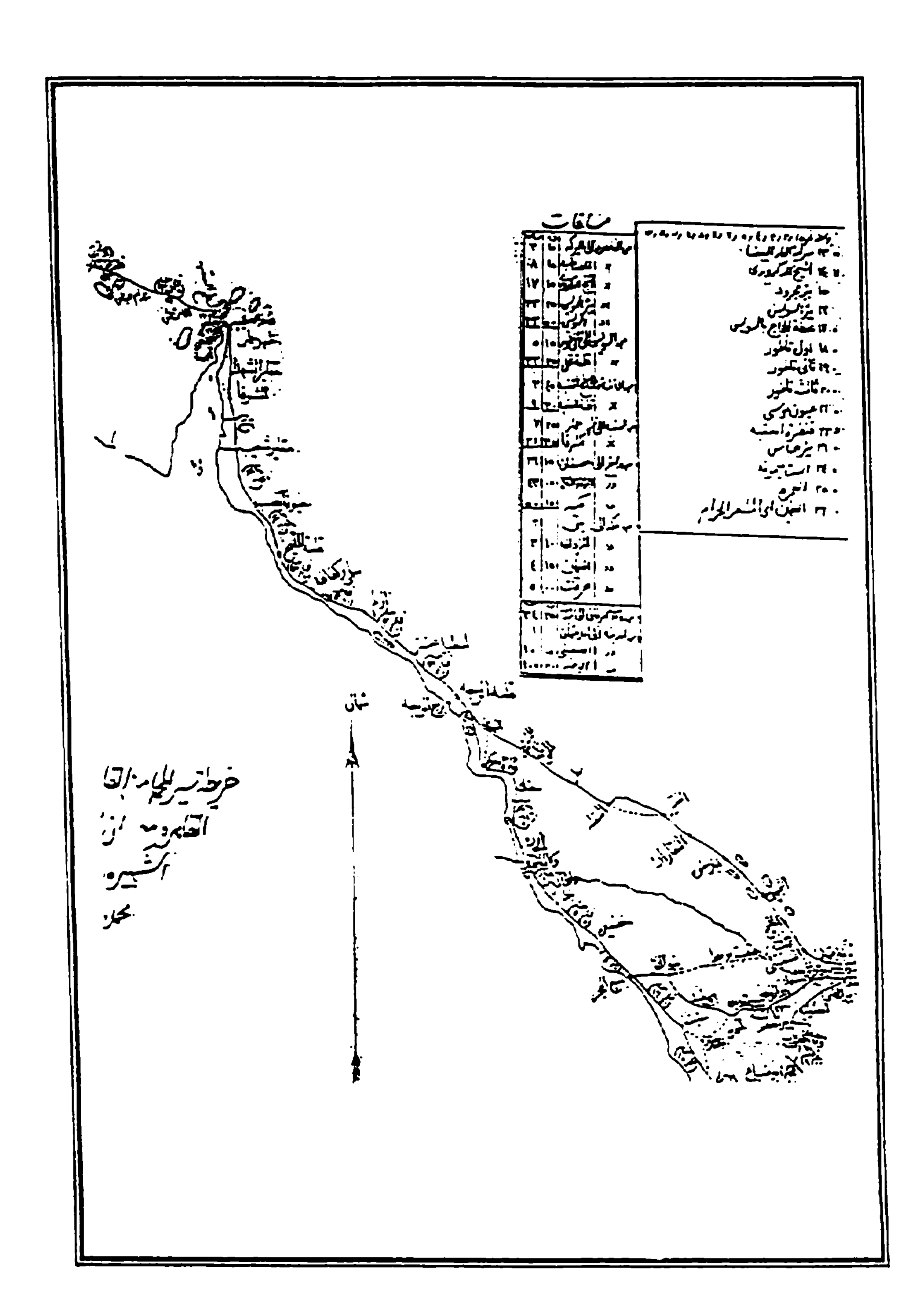
البعض منهم صفر اليدين مفلساً قليل الدِين كثير الديّن وعلى كل حال لابد أن تصرف للعربان مرتباتهم كالجاري في كل عام ويأخذ عوائده الخاص منهم والعام كما هو جار في كل سنة من دفع مرتبات عربان الطريق السلطاني إليهم مع عدم مرور الحاج من سنين عديدة عليهم وبدلاً عن الذهاب إليهم في كل سنة بهذه المرتبات يرسلون عند خروج الحاج من ينوب عنهم في استلامها من الروزنامجه أو ما يصير الاتفاق عليه من الجهات (فإن قيل) ما فائدة توجه الحج في البحر مع صرف مرتبات العربان إليهم في كل عام على ماهو مقرر فالجواب أن لذلك من الفوائد الكثيرة ما لاينكر منها وفر العلائق ومرتبات أغلب المستخدمين واطمئنان الحاج بالاجتماع مع المحمل وعساكره المستحفظين [1] فإن للعساكر عند العربان هيبة ترد مساعيهم السيئة مقترنة بالخيبة وراحة الإنسان هي المعول عليها في كل آن واللّه سبحانه وتعالى هو المستعان وعليه في كل حال التكلان والحمد للّه على التمام وإليه الالتجاء في المبدأ والختام .

---

(١) المستحفظين: القائمين على الحفاظ عليه.



خريطة سير المحمل من القاهرة إلى مكة والمدينة ثم إلى
القاهرة مع بيان البلدان والمحطات
شمال
مقياس
٥٦


مسافات
بيرعجرود
عيون موسى
انعرم
شمال

يوميات الرحلة (مشعل المحمل) من ٢٢شوال ١٢٩٧-٢٦ صفر ١٢٩٨هـ

	اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
٢٢ شوال ١٢٩٧هـ	الأثنين	٢٢ شوال ١٢٩٧هـ	٢٧ سبتمبر ١٨٨٠م	الاحتفال بالصرة والتأهب للسفر
	الثلاثاء	٢٣	٢٨	استلام الصرة
	الأربعاء	٢٤	٢٩	حزم الصرة وتجهيز المحمل
	الخميس	٢٥	٣٠	بداية الموكب
	الجمعة	٢٦	٣١	سير الموكب والوصول إلى الشيخ التكروري
١ اكتوبر ١٨٨٠م	السبت	٢٧	١ اكتوبر ١٨٨٠م	مواصلة السير
	الأحد	٢٨	٢	النزول بالقرب من بئر السويس
	الأثنين	٢٩	٣	استلام خرج المستخدمين من شونة السويس
	الثلاثاء	٣٠	٤	الوصول إلى قنطرة الترعة المالحة
١ ذي القعدة ١٢٩٧هـ	الأربعاء	١ ذي القعدة	٥	الوصول إلى وادي جبال الحصن
	الخميس	٢	٦	الوصول إلى قلعة النخل
	الجمعة	٣	٧	استلام الخرج والعلايق
	السبت	٤	٨	الوصول إلى بيرام عباس
	الأحد	٥	٩	الوصول إلى سطح العقبة
	الأثنين	٦	١٠	النزول من العقبة
	الثلاثاء	٧	١١	صرف مرتبات العربان
	الأربعاء	٨	١٢	النزول بمقابر الشهداء
	الخميس	٩	١٣	لم يذكر فعاليات
	الجمعة	١٠	١٤	لم يذكر فعاليات
	السبت	١١	١٥	لم يذكر فعاليات
	الأحد	١٢	١٦	لم يذكر فعاليات
	الأثنين	١٣	١٧	لم يذكر فعاليات
	الثلاثاء	١٤	١٨	الوصول إلى محطة ازلم
	الأربعاء	١٥	١٩	مواصلة السير
	الخميس	١٦	٢٠	الوصول إلى محطة اصطبل عنتر وقلعة الوجه

اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
الجمعة	١٧	٢١	صرف الدراهم والكساوي للعربان
السبت	١٨	٢٢	مواصلة السير في اتجاه مكة
الأحد	١٩	٢٣	المرور بوادي العكرة - محطة حنك
الأثنين	٢٠	٢٤	المرور بمحطة الحوراء
الثلاثاء	٢١	٢٥	البقاء في المحطة
الأربعاء	٢٢	٢٦	الوصول إلى محطة وكالة الحمير
الخميس	٢٣	٢٧	الوصول إلى محطة - نبك- وادي النار
الجمعة	٢٤	٢٨	الوصول إلى ينبع البحر
السبت	٢٥	٢٩	النزول في ينبع
الأحد	٢٦	٣٠	مواصلة السير والنزول بمحطة السقيفة
الأثنين	٢٧	١نوفمبر ١٨٨٠م	مواصلة السير
الثلاثاء	٢٨	٢	الوصول إلى محطة مستورة
الأربعاء	٢٩	٣	الوصول إلى رابغ
الخميس	١ ذي الحجة٩٧	٤	الاحرام ومواصلة السير
الجمعة	٢	٥	المرور بقهوة العبد - محطة عسفان
السبت	٣	٦	الوصول إلى جموم
الأحد	٤	٧	استراحة الركب
الأثنين	٥	٨	مواصلة السير والوصول إلى مكة
الثلاثاء	٦	٩	في مكة
الأربعاء	٧	١٠	في منى
الخميس	٨	١١	في منى
الجمعة	٩	١٢	طلوع جبل عرفات - المزدلفة
السبت	١٠	١٣	اول ايام العيد
الأحد	١١	١٤	التهنئة بالعيد
الأثنين	١٢	١٥	نزول المحمل من منى للاحرام
الثلاثاء	١٣	١٦	ثالث ايام التشريق

١نوفمبر ١٨٨٠م

١ ذي الحجة٩٧

	اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
١٤ذي الحجة٩٧	الأربعاء	١٤	١٧	صرف المرتبات
	الخميس	١٥	١٨	تأدية العمرة
	الجمعة	١٦	١٩	البقاء في مكة
	السبت	١٧	٢٠	البقاء في مكة
	الأحد	١٨	٢١	البقاء في مكة
	الأثنين	١٩	٢٢	البقاء في مكة
	الثلاثاء	٢٠	٢٣	اخذ رسم المسجد والكعبة بالفوتوغرافية
	الأربعاء	٢١	٢٤	مقابلة الشريف
	الخميس	٢٢	٢٥	صرف مرتبات التكية
	الجمعة	٢٣	٢٦	قضاء بعض الشؤون
	السبت	٢٤	٢٧	قضاء بعض الشؤون
	الأحد	٢٥	٢٨	طواف الوداع
	الأثنين	٢٦	٢٩	البدء في ترتيبات العودة
	الثلاثاء	٢٧	٣٠	السير في اتجاه المدينة - عسفان
١ديسمبر ١٨٨٠م	الأربعاء	٢٨	١ديسمبر ١٨٨٠م	المرور بمحطة خليص
	الخميس	٢٩	٢	المرور بمحطة آبار الهندي
١محرم ١٢٩٨هـ	الجمعة	١محرم ١٢٩٨هـ	٣	الوصول إلى رابغ
	السبت	٢	٤	مواصلة السير
	الأحد	٣	٥	المرور بمحطة وادي حرشان
	الأثنين	٤	٦	المرور بمحطة رضوان
	الثلاثاء	٥	٧	المرور بمحطة ابي الضباع
	الأربعاء	٦	٨	المرور بوادي الريان
	الخميس	٧	٩	المرور بمحطة الغدير
	الجمعة	٨	١٠	وصول المحمل إلى المدينة المنورة
	السبت	٩	١١	البقاء في المدينة وزيارة الأماكن المقدسة
	الأحد	١٠	١٢	البقاء في المدينة وزيارة الأماكن المقدسة

في التوفيقات السبت ٤/١٢اول محرم

	اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
١١محرم ١٢٩٨هـ	الأثنين	١١	١٣	البقاء في المدينة وزيارة الأماكن المقدسة
	الثلاثاء	١٢	١٤	البقاء في المدينة وزيارة الأماكن المقدسة
	الأربعاء	١٣	١٥	البقاء في المدينة وزيارة الأماكن المقدسة
	الخميس	١٤	١٦	البقاء في المدينة وزيارة الأماكن المقدسة
	الجمعة	١٥	١٧	البقاء في المدينة وزيارة الأماكن المقدسة
	السبت	١٦	١٨	الاستعداد للعودة وبداية السير
	الأحد	١٧	١٩	السير في اتجاه ينبع - المرور بمحطة بئر عثمان
	الأثنين	١٨	٢٠	المرور بمحطة الضعيني
	الثلاثاء	١٩	٢١	المرور بمحطة الملابع
	الأربعاء	٢٠	٢٢	المرور بمحطة الشجوة
	الخميس	٢١	٢٣	المرور بمحطة اصطبل عنتر
	الجمعة	٢٢	٢٤	المرور بمحطة النثارات
	السبت	٢٣	٢٥	المرور بمحطة الفتير
	الأحد	٢٤	٢٦	المرور بمحطة القصر الاحمدي
	الأثنين	٢٥	٢٧	البقاء للاستراحة
	الثلاثاء	٢٦	٢٨	مواصلة السير والنزول بمحطة الحوثلة
	الأربعاء	٢٧	٢٩	المرور بدرب المحشرة
	الخميس	٢٨	٣٠	مواصلة السير والمرور بمحطة أم حرز
	الجمعة	٢٩	٣١	المرور بمحطة قلعة الوجه
١يناير ١٨٨١م	السبت	٣٠	١يناير ١٨٨١م	البقاء في القلعة
١صفر ١٢٩٨هـ	الأحد	١صفر	٢	مواصلة السير والوصول إلى اصطبل عنتر
	الأثنين	٢	٣	المرور بمحطة ازلم
	الثلاثاء	٣	٤	المرور بمحطة سلمى وكفافه
	الأربعاء	٤	٥	مواصلة السير والنزول بمحطة المويلح
	الخميس	٥	٦	صرف المرتبات
	في التوفيقات السبت ٣/١يوافق اول صفر			
	الجمعة	٦	٧	مواصلة السير والنزول بمحطة عيون القصب

٧صفر ١٢٩٨هـ

اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
السبت	٧	٨	مواصلة السير والنزول بمحطة مغاير شعيب
الأحد	٨	٩	استراحة لليوم التالي
الأثنين	٩	١٠	النزول بمحطة الشرفا - قبور الشهداء
الثلاثاء	١٠	١١	مواصلة السير والنزول بمحطة ظهر حمار
الأربعاء	١١	١٢	مواصلة السير والنزول بمحطة قلعة العقبة
الخميس	١٢	١٣	البقاء في قلعة العقبة
الجمعة	١٣	١٤	البقاء في قلعة العقبة
السبت	١٤	١٥	مواصلة السير والنزول بمحطة بئر الست
الأحد	١٥	١٦	مواصلة السير والنزول بجوار قلعة نخل
الأثنين	١٦	١٧	استلام التعينات ومواصلة السير
الثلاثاء	١٧	١٨	الوصول إلى وادي الحصن
الأربعاء	١٨	١٩	المبيت في الوادي
الخميس	١٩	٢٠	مواصلة السير والنزول في عيون موسى
الجمعة	٢٠	٢١	دخول الكرنتينة
السبت	٢١	٢٢	الاقامه في الكرنتينة
الأحد	٢٢	٢٣	الخروج من الكرنتينة
الأثنين	٢٣	٢٤	الوصول إلى مدينة السويس
الثلاثاء	٢٤	٢٥	المرور بمحطة الشيخ التكروري
الأربعاء	٢٥	٢٦	مواصلة السير في اتجاه القاهرة
الخميس	٢٦	٢٧	وصول المحمل إلى العباسية عائداً .

كوكب الحج

في سفر المحمل بحرا « وسيره براً »

تأليف

محمد بك صادق مير أركان حرب سابق

(وهو ذيل لمشعل المحمل في سفر الحج براً)

(لمؤلفه أيضاً)

(الطبعة الأولى)
بالمطبعة الأميرية ببولاق مصر المحمية
سنة ١٣٠٣
هجرية

المحتويات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

مقدمة المؤلف

حمداً لك يامن هديتنا إلى طريق الرشاد ووفقتنا للسعي في مصالح العباد ويسرت لنا مشاهدة طبائع وعوائد بعض البلاد والصلاة والسلام على سيدنا محمد الذي هاجر من مكة إلى المدينة وعلى آله وأصحابه ومن اتّبع دينه .

(أما بعد) فيقول المعتمد على ربه الخالق ميرأركان حرب [١] في السابق محمد بك صادق هذه جريدة يومية تكلمت فيها على سير المحمل من يوم خروجه من مصر المحمية عام ١٣٠٢ هجرية (١٨٨٤م) إلى عودته إليها عام ١٣٠٣ هجرية (١٨٨٥م) والذي دعاني إلى ذلك أني كنت في هذه المرة متقلداً بوظيفة أمين الصرة [٢] فأحببت أن يكون هذا التأليف ملحقاً برسالتي المسماة بمشعل المحمل [٣] لتتم الفائدة بذكر سيره بحراً وتتكمل وأرجو ممن يطلع عليه مسامحتي فيما يرى فيه من سهو أو غلط وأن يتذكر قول من قال من ذا الذي ما ساء قط خصوصاً وأني لم أذكر إلا ما شاهدته أو ممن أعتقد صدقه سمعته فإن الكلام البسيط عادتي والاجتهاد في قول الحق من غير مبالغة سجيتي وها أنا أشرع في المقصود معتمداً على واجب الوجود فأقول متبرأ من القوة والحول .

وصف صرة المحمل

في يوم الثلاثاء الموافق ٢١ القعدة من شهور عام ١٣٠٢ (٣ سبتمبر ١٨٨٤م) صار تسليم واستلام المحاملي [٤] لكسوة الكعبة الشريفة من يد ناظر تشغيلها بمسجد سيدنا الحسين رضي اللّه عنه بحضور كل من سعادة علي باشا وهبي أمير الحاج [٥] وحضوري بما

---

(١) ميرأركان حرب: مركب من «مير» مختصر أمير، «أركان حرب» رتبة عسكرية.

(٢) أمين الصرة: القائم على المحمل لتوصيله الى البيت الحرام.

(٣) مشعل المحمل: المؤلف السابق ذكره.

(٤) المحاملي: من في عهدته المحمل والكسوة.

(٥) أمير الحاج: الرئيس الأعلى لبعثة الحج ويتم تعيينه من قبل الخديوي.

أني أمين الصرة ومن حضرة نائب القاضي وبعض المتوظفين وهي عبارة عن ثمانية قطع من الحرير الأسود كل منها على طول الكعبة وكل قطعتين بعرض جهة من جهاتها وعلى ستارة الكعبة وستارة باب التوبة من داخلها وستر مقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وستارة باب هذا المقام والمصاريف التي تصرف كل عام على الأقمشة والمخيشات والأجر المرتبة لأرباب التشغيلات تساوي جنيه عدد ٤٥٠٠ وهذا غير أثمان الشيلان والكساوي [١] والحلويات المرتبة للعربان التي قدرها من الجنيه مائتان .

مالية المحمل

وفي يوم الأربعاء ٢٢ منه استلم صراف الصرة المبلغ المقنن للحج من المالية بحضور الأمير والأمين ونائب الشرع [٢] وغيرهم وقدره ١١٧٠٠٠٠ قرش بيانه جنيه أفرنكي عدد ٦٧١٠ ريال بطاقة [٣] عدد ٣٠٠٠٠ فضة عدد ٥٧٧٥ من ذلك جنيه عدد ٤٤٧٨ لزوم ماهيات ومصروفات المحمل خلاف تعيينات [٤] العساكر ومبلغ باره ٣١ و ١٦٠٩١١ قرش مرتب تكية مكة باره [٥] ٣١ و ١٦٥٦٧٠ قرش مرتب تكية المدينة والباقي مرتبات عربان ومجاورين [٦] بالحرمين ثم مبلغ ٦٥٢٣٠٠ قرش

---

(١) الكساوي: الملابس.

(٢) نائب الشرع: المفوض من القضاء الشرعي للشهادة على تسليم مالية المحمل والتوقيع بذلك.

(٣) ريال بطاقة: الكلمة مقتبسة من «ريال» الأسبانية بمعنى «الملكي» والمقصود هنا الريال النمساوي، الذي كان يسمى في مصر باسم الريال «ابو طاقة» نسبة للنافذة اي «الطاقة» المرسومة على صدر النسر المرسوم على أحد وجهيه.

(٤) تعيينات: مخصصات.

(٥) بارة: وحدة العملة التركية وكانت تساوي ١: ٤٠ القرش صاغ، وكانت في ذلك الوقت تضرب في كل من استنابول ومصر، ويرادف اسم البارة في مصر إسم «الفضة» نسبة للفضة التي كانت تصنع منها وهي في المعاملات اليومية في مصر تُعرف بقطعة «الاربعين فضة».

(٦) مجاورين: الفقراء الذين يلزمون الحرم، ويعيشون على الصدقات.

أمانات من الأوقاف ومن الروزنامجه [١] وبعض من الدواير [٢] لزوم مرتبات أهالي الحرمين وأشخاص مقيمين بالحجاز وأما التعيينات والمرتبات المختصة بتوابع الصرة فمبينة بالجدول الآتي وإنّ تعيين النفر الواحد بالسفرية يومي [٣]

بقسمات [٤]	أرز	عدس	مسلي [٥]
درهم	درهم	درهم	درهم
٢٠٠	٥٠	٥٠	١٠

تنبيه

قد وضعت حرف (س) علامة للساعات وحرف (ق) للدقائق

(١) الروزنامجة: مالية المحمل.

(٢) الدواير: المؤسسات أو الهيئات الحكومية.

(٣) تعيين النفر الواحد بالسفرية يومي: يقصد المقدّر للفرد الواحد يومياً.

(٤) بقسمات: أو بقسماط بمعنى خبز يابس.

(٥) مسلي: دهن أو سمن.

عن بيان مرتبات خدمة الصره بالمحمل بحرا خلاف الماهيات

عن بيان مرتبات خدمة الصرة بالمحمل بحرا خلاف الماهيات

أسماء	ماهيات	انعامات	[illegible]	[illegible]	تعيين [illegible]	عليق حصان	عليق جمل	جمال	كشميري عال	كشميري وسط	كشميري دون	قبرد عال	قبرد وسط	قبرد دون	بنش عال	بنش وسط	بنش دون	[illegible]	[illegible]	[illegible]
	ص	ص	ص	ص	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
أبو القطط	..	..	..	..	١	.	.	١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
طوبجي وعربجي	..	..	..	٢٥٠	٢	.	.	-	.	٢	.	.	١	.	.	٢	.	.	.	١
نجار الصره	..	..	٧٧	..	١	.	.	١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
جمال جمال المحمل	..	..	٢٧٥	..	١	.	.	١	.	.	.	.	.	.	.	.	٢	.	.	٢
سايس الهوجله	..	..	١١٠	..	١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
المحاملي والفراحيه	..	..	٤٥٠	٤٣٠	٧	.	.	٧	.	١	.	.	.	.	.	٢	١	.	.	١
عكامه	..	..	١٠٤٠	٥٨	٨	.	.	٤	.	.	.	.	.	.	.	.	٢	.	.	.
فراشين والانعاميه وفر للميري بباب المطاعنه	..	..	٩٨٠	٦٠	٨	.	.	٨	.	.	.	.	.	.	.	.	١	.	.	.
ضويه	..	..	٩٠٠	٥٠	١٢	.	.	٥	.	.	.	.	.	.	.	.	٢	.	.	.
سقايين والانعاميه شرحه	..	..	٨٥٠	٥٠	٧	.	.	٢	.	.	.	.	.	.	.	.	٢	.	.	.
سواق المقاطيع	..	..	..	..	١	.	.	[illegible]	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
مشال الكساوي	..	..	..	..	.	.	.	١٠	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
〃 كسوة الكعبه لمكه	..	..	..	..	.	.	.	٥	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
〃 〃 المحمل	..	..	..	..	.	.	.	١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
مشال الحلويات	..	..	..	..	.	.	.	٤	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
مشال النقديه	..	..	..	..	.	.	.	٥	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
								١٠٠												

عن بيان مرتبات خدمة الصره بالمحمل بحراً خلاف الماهيات

عن بيان مرتبات خدمة الصره بالمحمل بحرا خلاف الماهيات

اسماء	ماهيات	[illegible]	[illegible]	[illegible]	تعيين نفر	عليق حصان	[illegible]	جمل	كشميري عال	كشميري وسط	كشميري دون	قبود عال	قبود وسط	قبود دون	بنش عال	بنش وسط	بنش دون	[illegible]	[illegible]	[illegible]
					عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد	عدد
أمير الحاج (فاذا كانت ماهيته أقل من المرتب فيصرف له المرتب مدة السفريه	٥٠٠٠	٥٠٠٠٠	..	..	٢٠	١	٢	٢٠	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..
أمين الصره (فاذا كانت ماهيته أقل من الاربعين جنيه فيصرف له ٤٠ جنيه مدة السفريه	٤٠٠٠	٧٥٠٠	٦٠٠	٦٠٦	٦	١	١	٩	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..
كاتب أول وثاني	١٦٠٠	...	٦٠٠	٦٠٦	١٠	.	.	٩	٣	.	.	٣	.	.	١	٣	.	١	١	١
صراف بحسب ماهيته	١٠٠٠	٧٥٠	٣٢٨	٤٠٤	٤	.	.	٣	٢	.	.	١	١	.	٢	.	.	١	.	٢
علمدار المحمل	..	٧٥	٧٥	..	٢	.	.	١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	١	.
البيرق الصغير	..	...	..	..	١	.	.	١	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
أمين كاري	..	...	..	..	٢	.	.	١	.	.	.	.	.	.	.	١	.	.	.	١
مبلغ الجمل	..	...	..	..	٤	.	.	٢	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
شيخ الجمال	..	...	..	..	١	.	.	٢	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.	.
حكيم وأجزجي مصاريف السفريه يومي بحسب ماهياتهم	..	...	..	..	..	..	..	٦	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..	..

موكب المحمل

وفي يوم الخميس ٢٣ منه وكب المحمل (١) في الساعة الثالثة من ميدان محمد علي بحضور الجناب الخديوي أفندينا محمد توفيق باشا بلغه الله ماشا (٢) وحضور جماعة من الذوات الكرام والعلماء الأعلام وأتباعه الفخام فأتى المحمل إلى المحل المتشرف بحلول جنابه مع بعض أكابر دولته فوقف دولة الخديوي على السلم وخلفه الحاضرون واستلم بيده الكريمة زمام المحمل وسلمه ليد سعادة أمير الحاج والجماعة ينظرون فضربت المدافع عند ذلك إجلالاً وسروراً وابتهاجاً زاد به الموكب نوراً وفي نصف الساعة الرابعة سار الموكب (٣) في غاية الانتظام مبتدأ بعساكر البياده (٤) مع موسيقاها ومن بعدهم الباشبوزوق ثم الطبجية (٥) المعتادة يليهم أرباب الأشاير (٦) وعساكر البوليس الخيالة ثم العساكر الأخر ومن ورائهم أمين الصرة وتوابعها ثم الضباط المعينون للموكب ثم أمير الحاج وأتباعه ثم المحمل وما يليه من شيخ الجمل(٧) والبيرق (٨) وشيخ القطط والفرايحية (٩) أي الطبالة فسار في جم غفير من العالم حتى وصل إلى باب النصر نصف الساعة السادسة ثم إلى العباسية بعد تمام الساعة السادسة بربع ساعة أمام مدرسة الطوبجية وكان قد أعد له هناك ٤٦

---

(١) المحمل: اطلق هذا الاسم قديماً على الجمل الذي يحمل الهدايا الموسمية الى الكعبة، وقد سيّر النبي - صلى الله عليه وسلم - محملاً الى مكة بهداياه الى البيت المعظم، وقد اشتهر المحمل العراقي واليمني وغيرهما، ولم تكن إلا جمالاً تحمل صرتها إلى الحرمين مغطاة بقطعة من الجوخ.

(٢) بلغه الله ماشا: دعاء يقصد به أبلغه الله مرامه.

(٣) الموكب: جماعة ركباناً أو مشاة.

(٤) عساكر البياده: عساكر المشاه.

(٥) الطبجية: أو الطوبجية (المدفعية) نسبة إلى (طوب) بمعنى مدفع في التركية (وجي) علامة النسبة عندهم.

(٦) أرباب الأشاير: التشريفة من حاملي الأعلام.

(٧) شيخ الجمل: قائد الجمال.

(٨) البيرق: العلم.

(٩) الفرايحية: الموسيقيون: وهم الزمارة والطبالة.

عربة من عربات سكة الحديد مع وابورين لجرها فبعد شحنها بالمحمل وما يتبعه من أرباب الوظائف والخدامات وبالمهمات والتعيينات سار الركب تمام الساعة السابعة ووصل إلى السويس نصف الساعة الخامسة من الليل فحضر سعادة المحافظ وبقي المحمل على حاله على الرصيف إلى الصباح .

انطلاق المحمل إلى جدة

وفي يوم الجمعة تمام الساعة الثانية مر موكبه في شوارع البلد مع ازدحام الأهالي عليه غاية الازدحام مع دعائهم للحضرة الخديوية ببلوغ كل مرام ولم يزل كذلك حتى عاد ثانياً إلى الرصيف تمام الساعة الثالثة فنقل إلى الوابور مع أمرائه وأتباعه إلى أن وصل إلى الهاويس [1] فحمل إلى وابور شبين المعد لحمله إلى جدة وكان بالوابور سعادة مصطفى باشا الخازندار وسعادة عبد الله باشا فكري وكثير من الحجاج الأغراب قد أخذوا تذاكر من القومبانية [2] وكان تبعة المحمل ٣٧٠ شخصاً منهم عساكر عدد ٢٢٠ وأتباع الصرة عدد ٨٠ وطوبجيه عدد ٢٠ وأتباع أمير الحاج عدد ٥٠ ونحو مائة من الفقراء ولم يمكن حمل زيادة عليهم لكثرة الأغراب الحجاج وكان عدد خيول الجندرمه [3] خمسة وثلاثين وبغال [4] المدافع سبعة وجمال المحمل ثلاثة غير الذخائر والمهمات ومدفعين ششخانه جبلي وأربعين صندوقاً فيها «خرطوش وفشنّك ودانات وصلقوم [5]» وقد ازدحم الوابور وتعسر على ركابه من جهة إلى أخرى فيه المرور بحيث لا يتأتى لراكبه قضاء بعض الحاجات إلا بأكبر المشقات فصار كأنه مركب معاش وذلك من اعطاء التذاكر للحجاج الأغراب مع أنه معد لمشال المحمل والفقراء ومن العجب أنهم يضعون الفقراء في مقدم الوابور

---

(١) الهاويس: قنطرة على النيل. أو أحد فروعه للتحكم في جريان الماء.

(٢) القومبانية: الشركة المختصة بتسيير السفن الشراعية، والأصل انجليزية Company.

(٣) الجندرمة: الحرس.

(٤) بغال: جمع بغل، وهو ما ينتج عن معاشرة حصان وأنثى الحمار، ويكون جسمه قوي ويستعمل في حمل الأثقال.

(٥) خرطوش وفشنك ودانات وصلقوم: ذخائر ومستلزمات حربية.

مكابدين لحر الشمس نهاراً وللبرد مع الارياح ليلاً زيادة على ما ينالهم من أهوال البحر والأمواج وما يقاسون فيه من الخوف والانزعاج وقد أخبرني وكيل البوسطه[1] الخديوية بالسويس أن عدد الحجاج المسافرين في الوابورات [2] من السويس إلى جدة بلغ نحو اثنى عشر ألفاً من المصريين وثمانية آلاف من الأتراك فضلاً عمن مرّ من قنال السويس من مغاربة وأتراك وشوام ممن عددهم نحو عشرين ألفاً ومع كثرة الحجاج جدا تنازلت أجرة الوابورات البحرية السائرة من السويس إلى جدة فلا يؤخذ على الشخص الواحد إلا سبعة فرانق [3] بدلاً عن الأربعين وحصل ذلك في وابورات روباتينو [4]وغيرها وهذا مالم يسمع بمثله قط وقد أخذوا في العودة على الشخص الواحد ثلاثة جنيهات فويل لهم مما كسبت أيديهم والمسافة من السويس إلى جدة ٦٤٦ ميلاً فإذا كان سير الوابور في الساعة ثمانية أميال ونصف ميل فيلزم من السويس إلى جدة ٧٢ س .

وفي نهاية الساعة السادسة من يوم السبت ١٢ ذي القعدة سار الوابور متوكلاً على الرب الغفور متوجهاً إلى جدة . وفي يوم الأحد بلغت الحرارة ٣٥ درجة سنتجراد حتى تصبب العرق على الأجساد .

وفي يوم الاثنين انخفضت إلى ٣٢ درجة سنتجراد [5] والله رؤوف بالعباد وكان الوابور يقطع في الساعة من ثمانية أميال ونصف إلى تسعة .

الاحرام ونية الحج

وفي نهاية الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء حاذى الوابور رابغ [6] فأحرم الحجاج

(١) وكيل البوسطة: القائم على البريد.

(٢) الوابورات: البواخر.

(٣) فرانق: فرانك Franc وهي العملة التي كانت تُحصل لصالح شركة النقل البحري.

(٤) وابورات روباتينو: شركة للنقل البحري مسمّاة باسم صاحبها.

(٥) سنتجراد: درجة مئوية. وأصلها إنجليزي Centigrade وتستخدم في قياس الترمومتر المئوي.

(٦) رابغ: ميقات الإحرام للقادم من مصر وهي بلدة كائنة على الشاطىء الشرقي من البحر الاحمر وبينها

جميعاً وأحرمت أنا ناوياً الحج [1] والعمرة [2] معاً وكيفية الإحرام [3] أن يغتسل أو يتوضأ المحرم ثم يلبس ثياب الإحرام ثم يصلي ركعتين ينوي بهما سُنّة الإحرام يقرأ في الأولى الفاتحة والكافرون وفي الثانية الفاتحة وقل هو اللّه أحد ويكون ذلك في البحر عندما يحاذي الحاج رابغ فبعد سلامه من الركعتين ينوي الحج والعمرة إن كان قارناً أي قرن العمرة بالحج وإن أراد الإفراد نوى الحج فقط وإن أراد التمتع نوى العمرة فقط ففي الأولى يقول اللّهم إني نويت الحج والعمرة وأحرمت بهما فيسّرهما لي وتقبلهما مني لبيك اللّهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك ثلاث مرات ثم يصلي على النبي كما ذكرته في كتابي مشعل المحمل وعند دخوله مكة يطوف طواف العمرة سبعة أشواط ويسعى لها سبعة أشواط ثم يعود إلى الكعبة فيطوف بها طواف القدوم سبعة أشواط ويسعى إن شاء سبع مرات والا أخّر السعي بعد طواف الإفاضة ثم يتوجه إلى عرفة ومتى نزل منى رمى جمرة العقبة ثم عاد إلى مخيمه فيذبح هدي التمتع أو القران دم شكر ثم يحلق أو يقصر فيحل له كل شيء إلا النساء ثم يعود في هذا اليوم إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ولا يسعى إن كان سعي بعد طواف القدوم وحينئذ تحل له النساء ثم يعود إلى منى فيرمي الجمرات في كل من ثاني وثالث يوم العيد وإن بات ليلته بمكة جاز له ذلك والأفضل المبيت بمنى ثم إن لم يكن من أهل مكة ولا ناوياً الإقامة بها رجع إليها في آخر اليوم الثالث فطاف طواف الوداع بدون أن يسعى وعند ذلك تم الحج فإن أقام بها طاف متى شاء من غير سعي وجاز له الاغتسال أي وقت وحك الجسم والرأس بالأظافر ونحو ذلك وإن أراد الإفراد نوى الحج فقط وقال اللّهم إني نويت

وبين جدة نحو ست ساعات بسير الباخرة.

(١) الحج: الركن الخامس من أركان الإسلام.

(٢) العمرة: ويصح الجمع بين العمرة والحج بنية واحدة.

(٣) الإحرام: العبرة من الإحرام المساواة في التجرد عن زخارف في الدنيا ولباس الإحرام رمز إلى الزهد في الدنيا.

الحج وأحرمت به فيسّره لي وتقبله مني لبيك اللّهم لبيك إلخ ، ويدخل مكة فيطوف طواف القدوم ويفعل جميع ماتقدم من أفعال الحج إلا أنه لايجب عليه في هذه الصورة ذبح ، وإن أراد العمرة فليخرج إلى الحل بعد أيام النحر فيحرم بالعمرة ويأت البيت فيطوف ويسعى ويحلق ، وإن نوى الإقامة بمكة خمسة عشر يوماً فأكثر لم يطلب منه إلاّ ذبح الأضحية ، وإن أراد التمتع نوى العمرة وقال اللّهم إني نويت العمرة وأحرمت بها الخ ثم يأتي مكة فيطوف طواف العمرة ويسعى ثم يحلق فيحل من إحرامه ويقيم بمكة غير محرم كأهلها ثم إذا كان ثامن ذي الحجة أحرم بالحج وهو بمكة وطاف وسعى وخرج إلى عرفة ففعل جميع ماتقدم كالقارن أعني أنه يجب عليه دم التمتع وهو دم شكر إما شاة أو سبع بدنة ويذبح الأضحية إن كان مقيماً ولامانع من تأخير دم الشكر إلى ثالث أيام النحر .

والمحرم لايلبس مخيطاً من قميص أو قباء [1] أو سراويل ولا عمامة وإن ائتزر أو ارتدى بشيء منها جاز ولا يلبس خفاً [2] إلا إذا كان مقطوعاً من أسفل الكعبين والكعب هو المفصل أي العظم المرتفع في وسط القدم من الأعلى عند معقد الشراك وبذا يمكن ستر الأصابع كلها وعند المالكية [3] يستر نصف الأصابع وإذا طيب المحرم عضواً أو لبس المخيط أو غطى رأسه يوماً أو حلق ربع رأسه أو موضع المحاجم أو الابطين أو أحدهما أو العانة أو الرقبة أو قص أظافر يديه أو رجليه أو واحدة منها أو طاف للقدوم أو للوداع جنباً أو للزيارة محدثاً أو أفاض من عرفة قبل الإمام أو ترك من طواف الزيارة ثلاثة أشواط فما دونها أو طواف الصدر أو أربعة أشواط منه أو جمرة العقبة يوم النحر فعليه شاة وأما إذا طيب أقل من عضو أو غطى رأسه أو لبس أقل من يوم أو حلق أقل من ربع رأسه أو قص دون خمسة أظافر أو خمسة متفرقة أو ترك طواف الصدر تصدق بنصف صاع من البر [4] فإن اضطر المحرم إلى لبس المخيط

---

(١) قباء: نوع من الثياب (انظر اللسان والقاموس).

(٢) خفاً: نعلاً.

(٣) المالكية: الذين يتبعون مذهب مالك بن أنس احد الأئمة الاربعة.

(٤) البر: القمح.

لعذر يقصد الاستمرار إلى آخر مدة الإحرام ليكفيه فداء واحد انتهى، وخفف سير الوابور إلى خمسة أميال في الساعة لتعذر الدخول إلى مينا جدة [١] ليلاً .

الاحتفال بوصول المحمل إلى جدة

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٨ ذي القعدة لم تمكن مشاهدة الجبال من بعد خمسة أميال لتراكم الضباب مع أنها تشاهد في الصحو من بعد مائة ميل ووصلت الحرارة قبيل الشروق ٣١ سنتجراد وفي نصف الساعة السادسة من هذا اليوم رسا الوابور أمام بوغاز [٢] جدة فضربت الموسيقى والطبول والمدافع فرحاً بالوصول ونقل ما في الوابور إلى البر في القطاير لعدم اسكلة [٣] هنالك فيقف بعيداً عن البر بميلين أعني ربع ساعة وأقبل الليل والحجاج مقيمون أمام الكمرك إلى الصباح وفي نصف الساعة الرابعة من يوم الأربعاء وكب المحمل من أمام ديوان الكمرك في محفل عظيم ودخل من باب البلدة المسمى بباب الكمرك [٤] ولعدم كفاية ارتفاعه لمرور المحمل هدم منه ما لزم هدمه ومرّ من طريق ببحري [٥] البلد عرضها من خمسة عشر متراً إلى عشرين والسور عن يساره حتى وصل بعد س ٤ و ٥٤ ق إلى المعسكر بعيداً عن القشلاق [٦] بمسافة يسيرة فنزل أمام صوان [٧] الأمير وحضر الضباط والأعيان في الصوان ليهنّوا الأمير ومن معه بالسلامة وكان حضرته منحرف المزاج لعدم تعوده على ثياب الإحرام ولانكشاف رأسه فأثّر ذلك فيه حتى ألزمه الفراش عدة أيام بعد الإحلال من الإحرام بل استمر به إلى الخروج من المدينة .

---

(١) مينا جدة: وهي الميناء التي ترسو عليها سفن الحجاج.

(٢) بوغاز: الكلمة تركية بمعنى «الحلق».

(٣) أسلكة: الرصيف البحري المعد لاستقبال السفن البحرية الكبيرة، وهي تركية وتعني الساحل.

(٤) الكمرك: الجمرك.

(٥) طريق ببحري: الجهة البحرية.

(٦) القشلاق: ساحة المعسكر، او مكان مبيت الجند.

(٧) الصوان: السرادق.

وصف مكة

والقشلاق مبنى في الجهة البحرية مع الشرقية مربع الشكل طوله ٧٧ متراً مربعاً وارتفاعه نحو أربعة أمتار وفيه بيكباشي وبعد الظهر من يوم الجمعة بلغت الحرارة داخل الخيمة ٣٧ سنتجراد والبلد محاط بسور له خمسة أضلاع أحدها وهو القبلي ٨١٠ متر وأما الغربي فهو ٥٧٦ متر والبحري ٦٧٥ متر والشرقي ٥٠٤ متر والشرقي القبلي ٣١٥ متر وارتفاعه نحو أربعة أمتار والجبانة [١] خارج سور البلد بالقرب من القشلاق محاطة بسور طوله ١٦٠ متراً مربعاً وفي وسطها ضريح أُمّنا حواء عليها السلام طوله ١٥٠ متراً وعرضه أربعة أمتار محاط بجدار ارتفاعه متر وعلى كل من طرفيه ووسطه قبة اشارة إلى الرأس والسرة والقدمين ويضعون على قبورهم الصبارة [٢] ومنازل البلد نحو ألفي منزل مبنية بالدبش [٣] المحمول من خارج باب السور من الأرض ومن البحر والمون من طينة البحر فقط لأنهم يبنون بها بعد عجنها جيداً بيوم فتصير أجود وأمتن وبيوتهم تجارية ليس لها حيشان [٤] ذات دورين [٥] وتارة ثلاثة أدوار بل أربعة وخمسة وسمك جدران الدور الأرضي ثمانون سنتمتر وارتفاعها أربعة أمتار ونصف بها ميد والوجهة عندهم مركبة من رواشن أعني شبابيك ومشربيات من الخرط في غاية الظرافة [٦] وحسن المنظر مع قلة أثمانها وحاراتها غير منظمة متران فأكثر وشوارعها من عشرة أمتار إلى خمسة عشر وأرضها مستوية غير محجرة وبها مجاري لتصريف مياه الأمطار التي تستمر فيها نحو شهرين أو ثلاثة وفي خارج البلد وفي بيوتها صهاريج [٧] مبنية نحو

---

(١) الجبانة: المدافن.

(٢) الصبارة: نبات الصبار، وهو نبات صحراوي.

(٣) بالدبش: بالحجر.

(٤) الحشيان: جمع حوش، وهو المساحة الفسيحة داخل السور المحاط بالمنزل.

(٥) ذات دورين: ذات طابقين.

(٦) غاية الظرافة: غاية الجمال والإبداع.

(٧) صهاريج: خزانات للمياه، وفي الإنجليزية Tank.

ثمانمائة تجتمع فيها مياه المطر وتغلق إلى وقت الحج للتجارة فيربحون فيها ربحاً جسيماً وأما أهل البلد فيقتصرون على الشرب من الحفائر [1] المتكونة من اجتماع مياه الأمطار التي تتعطن بطول المكث ولذا يتسلطن فيهم داء الحمى ويقل في أيام الحر وجود ماء بارد في هذا البلد وقد عثر في العام الماضي في مكان يسمى بالرغامة بعيد عن البلد بنحو ساعتين ونصف بسير الجمل على عين ماء عذب جار العمل في صنع مجرى يوصل منها الماء إلى البلد وبذا يتحسن حال الصحة وبخارج السور حمام مستجد معد للرجال خاصة وبها جوامع أربعة يخطب فيها سوى بعض زوايا ومحاريبها [2]منحرفة من الشرق إلى الشمال بثلاثين درجة وتجارتها أنواع الحرير والثياب ويحمل إليها القمح والأرز والشعير ونحوها من الهند والبصرة والشام ومصر والقصير ويستولي الكمرك منها سنوياً على خمسة ملايين من القروش وخضراواتها وفواكهها ولحومها تحمل إليها من وادي فاطمة ومكة وضواحيها رخيصة الأثمان وأما البطيخ والقاوون [3] فيزرعان بماء السيل في البراح الفاصل بينها وبين الجبال البعيدة عنها بنحو الساعتين أو الثلاث وفي هذه البلدة محل للصحة وللكرنتينه [4] وبها من الحكام مأمور اسلامبولي برتبة قائمقام [5] تحت أوامر سعادة والي الحجاز المقيم بمكة وبيكباشي [6]واحد مأمور الضبطية وبها مجلس للتجارة مكون من التجار الأهالي ومجلس بلدي أعضاؤه من الأهالي أيضاً ومجلس أحكام من القاضي والتجار وضباط الجهادية وبها من العساكر نحو ثلثمائة نفر وتعداد سكانها نحو عشرين ألفا من أهالي وهنود وحضارمة ومصريين وبعض

---

(١) حفائر: جمع حفرة.

(٢) ومحاريبها: جمع محراب.

(٣) القاوون: نوع من الشمام كروي الشكل، وهو يتبع القرعيات.

(٤) الكرنتينة: الحجر الصحي.

(٥) قائمقام: أي قائم مقام الأمير في رئاسة جمع غفير من الجند.

(٦) بيكباشي: رتبة عسكرية وهي مركب من (بيك) بمعنى ألف، وتقرأ الكاف نوناً، ومن (باش) بمعنى رأس، وهو رئيس ألف من الجند.

من الأتراك ومن الأعجام ونحو خمسين من أوروباويين وبها يباع الرقيق بلا حرج كمكة في وقت الحج في أمكنة يتوجه الشاري إليها يشتري ما يعجبه والثمن من سبعين ريالاً فما فوقها .

عادات الزواج في مكة

ومن عادات أهاليها في الزواج أن لايخرج النساء للزفاف بل يتوجه الزوج في الساعة الرابعة من الليل مع بعض أصدقائه إلى المسجد ثم يأتي إلى بيت عرسه فيشاهدها ويتحفها بالهدايا [1] في مقابلة كشف الوجه ثم يرجع إلى منزله وتتبعه النساء من أقارب زوجته إلى بيته في خفية فينتظرنها إلى أن تأتي في الساعة السادسة من الليل في الخفية مع بعض محارمها أمامها مشعل فتدخل منزل بعلها[2] وفي الليلة الثانية يدعو الزوج أصدقاءه للوليمة وعندهم من أنواع المطربات آلات الطرب المعروفة للرجال فقط والمغنيات للنساء فقط ويشرب في بعض مجالسهم المسكرات[3] ويتغنون على آلة صغيرة شبيهة بالعود ويسمونها القبوس يرقص عليها شبانهم وشيوخهم وأغلب النساء بها ، وبمكة يتعاطون التنباك [4] كما وأنهن يأتلفن مع بعض دون الرجال ولايتبعن الجنائز وأغلب الأهالي فقراء ينتسبون إلى الطريقة الميرغانية وباقيهم مع أكثر أهل مكة وما حولها ينتسبون إلى الطريقة السنوسية وأهل البلد منقسمون خمسة أقسام يتعصب بعض هذه الأقسام أحياناً على قسم آخر ويتضاربون بالنبابيت [5] .

الطريق من جدة إلى مكة

وفي يوم الخميس صار التنبيه على الشريف مهنى المعين من طرف مولانا سعادة

---

(١) ويتحفها بالهدايا: يغدق عليها الهدايا.

(٢) بعلها: زوجها.

(٣) الوصف هنا الى ما قد يجري في بعض مجالسهم.

(٤) التنباك: نوع من الدخان للنارجيله.

(٥) بالنبابيت: بالعصي، والأصل عربي، وتعني فرع نابت من الشجر يكون مستقيماً.

شريف مكة لإحضار الجمال اللازمة لمشال المحمل [١] المصري ومن معه من جدة إلى مكة بأن يحضر نحو أربعمائة جمل بكرة [٢] يوم الجمعة .

وفي يوم الجمعة انتظرنا حضور الجمال فلم يحضر منها إلا البعض بعد الظهر والبعض الباقي حضر بكل مشقة بعد العصر بحيث أن الشريف مهنى المذكور صار يرسل العساكر للقبض على جمال العربان بالقوّة الجبرية فكان أغلبها مهزولاً جداً من عدم الوقت وألقت أحمالها أثناء الطريق وأتعبت ركابها من كثرة الحط [٣]والتحميل ووجدت ثلاثة منها عند التحميل واقفة أمام حمل لبعض المستخدمين عاجزة عن حمله فأخبرت بذلك مهنى المذكور ليحضر غيرها فأمر أحد أتباعه بالتوجه معي ليرى ذلك فأبيت وزجرته أمام الأمير والحاضرين بكلام عنيف قائلاً له ذهاب غيرك معي عدم اعتناء واحترام لموظفي الحكومة المصرية وماكان ينبغي حضورك لهذه الخدمة الجليلة بهذه الصفة التي يعامل بها أتباعهم فإن ذلك يخل بمقام سعادة الشريف الذي وكلك [٤]براحة الركب المصري وسنعرض ذلك على سعادته وولاة الأمر وما لنا بك حاجة فعند ذلك تنازل عن معرضه الأول واعتذر وأراد أن يتوجه معي بنفسه فأبيت أن أصحبه وأرسلت معه صاحب الجمل تشريفاً للحكومة الخديوية المصرية .

استراحات الطريق

إلى مكة

وفي نصف الساعة الثانية عشر من يوم الجمعة ثاني الحجة سار المحمل ومن معه قاصداً مكة المكرمة متجهاً إلى الشرق في طريق متسع وجميع الأهالي على

---

(١) لمشال المحمل: لحمل المحمل.

(٢) بكرة: أول نهار اليوم.

(٣) الحط: النزول، أي الإستناخة.

(٤) وكلك: أنابك.

طرفي هذا الطريق خارجين عن البلد للتفرج [1] على سير المحمل وفي س ١١ و ٤٨ ق مررنا بتلال على الجهتين ارتفاعها خمسة أمتار وانتهاؤها بعد مسير خمسة دقائق مع اتساع الوادي من الطرفين وفي س ١ و ٢٠ ق من ليلة السبت مررنا على اليسار بقهوة تسمى براس القائم أو أول غرزة [2]هي عبارة عن محطة لاستراحة ركاب الحمير من جدّة إلى مكة بكل منها نحو أحد عشر عسكرياً للمحافظة وفي س ٢ و ٣٣ ق مررنا بالغرزة الثانية تسمى قوة الرغامة على اليسار والعين الجديدة عن اليمين بمسافة وفي س ٢ و ٤٧ ق مررنا بتلال من الجهتين وفي س ٣ و ٥٣ ق تل عال وفي س٤ بتلال خفاف عن اليمين وتلال عن اليسار تقل على بعد قليل فيتسع الطريق باستواء مع صلابة رملها فهي صالحة لعمل سكة الحديد وفي س ٤ و ٢٥ ق بقهوة جرادة من اليسار أو الفرعية وفي هذا المكان عسكر وبأرضه زلط وفي س ٥ و ١٥ ق بقهوة الفرقد على اليسار وفي س ٦ و٢٠ ق بقهوة العبد عن اليسار وفي س ٦ و٤٠ ق مررنا بطريق ضيق عرضها عشرون متراً تتسع في الانتهاء وفي س١٠ و ٢٣ ق ببحرة عن اليسار وبها بناء ومنها تتجه الطريق إلى الشرق الشمالي بين جبال قليلة الارتفاع بأرضها بعض حشايش [3] وفي س ١١ و ١٥ ق بزلط كبير مسافة سبعة دقايق ثم رمل ثم زلط خفيف وفي س ١٢ و ٢٠ ق بزلط ثم حشيش كثير .

وفي س ١ من يوم السبت مررنا بنخيل على اليسار وبعد عشرة دقائق نزل المحمل ببلدة الحدّة بالحاء والدال المشدّدة بجانب جامع له مأذنة ببقعة في وسط الوادي محدقة بها الجبال من بعد وفيها سوق للبطيخ والبلح والقاوون الذي يسمى عندهم بالخربز ومياه هذا البلد وسط نخيل عذبة باردة لاسيما وقت الظهر وهناك محل في وسط بستان من شجر الكادي [4] الذكي الرائحة وقد بلغت الحرارة - ٤٢

(١) للتفرج: للمشاهدة.

(٢) غرزة: مكان لتعاطي المشروبات وللراحة وهو أصغر من المقهى.

(٣) حشايش: حشائش.

(٤) شجر الكادي: نوع من جنس السنط.

درجة سنتجراد مع استمرار الهواء تارة حاراً وأخرى رطباً وهناك عشرون من العساكر الشاهنية [١] مخيمون ونحو ألف من الأهالي مقيمون في عشش صغيرة شيخهم الشريف مساعد وقوتهم [٢] الذرة والدخن [٣] والسمن وحرفتهم تأجير جمالهم من جدة إلى مكة وبعضهم أهل زراعة وطريقتهم سنوسية ونساؤهم يسترون وجوههن ببراقع صغيرة سوداء وتلبس الواحدة منهن قميصاً أسود وتأتزر بإزار أسود ، وقد أقمنا بهذه المحطة بقية اليوم وفي هذه المحطة حضر عندي صباحاً شاب محرم سنّه نحو ١٧ سنة وأخبرني أنه خرج من مصر مع حاج من الأغراب الذين معنا وأودع عند هذا الحاج أربع جنيهات وأنه فقده في هذه المحطة فأرسلت من يأتي به فلم يقع له على أثر لا في الخيام ولا في السوق فتردد إلينا صاحب الوديعة مرارا باكياً حزيناً على ماله طول يومه ومن شدة الحر وانكشاف رأسه لأجل الإحرام اختل عقله ، وعند قيام الركب وجدنا الذي عنده الوديعة واعتذر بأنه كان عند النهر لأجل غسل ثيابه ولم يمكني أخذ الوديعة منه وتسليمها لصاحبها لاختلال عقله ومازال مختل العقل حتى خرجنا من مكة قاصدين المدينة فرأينا الذي عنده الوديعة قاصدا المدينة أيضاً وتاركاً صاحبها بمكة عارياً من الثياب ومن العقل فمنعته من السفر وقلت له يجب عليك أن تعيد هذا المصاب إلى والدته بمصر فإنك تسببت في خروجه منها باغوائك له وأرسلته بكتاب إلى سعادة والي مكة ليرسله وصاحبه إلى جدة ثم منها إلى مصر وقد حصل وسبب ذلك ظنه ضياع ماله من جهة ومن شدة حرارة الشمس اختلاله من الجهة الأخرى فإن حرارتها في تلك البقاع مشهورة حتى ان المرحوم إسمعيل باشا راتب لما حل بها قبلنا بشهر حم [٤] من شدّة الحرّ فمات بعد دخوله مكة بيومين رحمه الله تعالى وفي س ١١ و ٣٠ ق سار الركب متجهاً إلى

---

(١) الشاهنية: التابعون للشريف، وهي كلمة فارسية.

(٢) قوتهم: طعامهم.

(٣) الدخن: تطلق على عدد من الأنواع النباتية، تابعة للفصيلة النجيلية، واسمه العلمي EgyptianMillet.

(٤) حم: أصيب بالحمى، وهي أشبه بضربة الشمس.

الشمال الشرقي في طريق متسع ذي رمل ثم إلى الشرق الجنوبي وعن يمينه تلغراف موصل من جدّة إلى مكة وفي س ١ و ٤٥ ق من الليل مرّ بقهوة سالم عن اليمين ثم اتجه إلى الشرق وفي س ٢ و ٣٥ ق مرّ بالعلامتين الفاصلتين لأرض الحل من أرض الحرم والمسافة بينهما ٤٥ خطوة وفي س ٤ و ١٥ ق اتسع الطريق بين الجبال عند قهوة الشميسي وفي س ٤ و ٣٠ ق ضاقت الجبال من الجانبين وفي س ٤ و ٤٥ ق استراح الركب في ابتداء بوغاز قهوة سالم وفي س ٦ و ١٠ ق سار متجهاً إلى الشمال الشرقي ثم مال إلى الشمال قليلاً وقربت جبال اليسار وفي س ٦ و ٢٠ ق مرّ على قهوة المقتلة عن اليمين وفي س ٧ و ٤٥ ق على قهوة البستان عن اليمين وعلى الجانبين تلول والطريق متسعة والاتجاه إلى الشرق وفي س ٨ و ٣٠ ق مرّ بالمدرج وهو صعود على سطح محجر .

وصف مكة

وفي س ٩ نزل الركب بالبقعة المجاورة للشيخ محمود ومن بعده الجرول [1] ثم باب مكة المكرمة وحواريها التي من أشهرها حارة الباب وحارة الشبيكة والسوق الصغير وأجياد المعروف بجياد وبه التكية المصرية والحميدية وهي مكان مبني جديداً لإقامة الحكام الشاهانية وسوق الصفا والمسعى والقشيشية عن اليمين الموصلة إلى المعلاة وبعد القشيشية سوق الليل ثم الغزة وبها منزل سعادة الشريف عون الرفيق ، ثم سوق المعلاة وعن يسار القشيشية المسعى إلى المروة وبه يساراً باب السلام ويميناً طريق المدّعي ثم الجودرية ثم المحناطة ثم سوق المعلاة ومن حارة الباب أيضاً يمر إلى سوق الشامية ومنه إلى المروة .

مقابلة أمير مكة

وفي يوم الأحد طفنا وسعينا وصلينا الصبح في أوّل وقته وبمكة عشرة مواقف

(١) الجرول: المنطقة التي يتجمع فيها الحجاج تمهيداً للترحيل، كما يسمى ايضاً «البروز».

يستجاب فيها الدعاء أولها عند دخول الحرم ومواجهة الكعبة من باب السلام ثم عند نية الطواف ثم عند الملتزم [١] ثم عند باب الكعبة ثم في الطواف ثم عند مقام إبراهيم الخليل ثم في حجر إسمعيل ثم عند زمزم ثم في الصفا ثم في المروة وخارجها خمسة يوم عرفة وليلة المزدلفة وثلاثة المرمى والله الموفق ، وفي وقت الظهر دعاني سعادة أمير مكة الشريف عون الرفيق باشا إلى منزله فمكثت معه نحو ساعة ووجدته حليماً متواضعاً يبدو على وجهة سيما الشرف والشهامة وقد قلت فيه :

نعم عون من الاله تجلى لاهالي الحجاز حيث أقاموا

هو يمن وحاتم ثم يسر ورفيق في حبه الكل هاموا

مقابلة شيخ الحرم المكي

وفي يوم الاثنين جرى صرف أجرة الجمال من جدة إلى مكة للجمل ثلاثة ريالات إلا ربعاً وذلك لكثرة الحجاج في هذا العام وغلوّ الأثمان وجرى صرف مرتبات التكية المصرية وقابلت سعادة المشير عثمان باشا نوري والي وقومندان عموم ولاية الحجاز وشيخ الحرم المكي وهو مقيم بمكة فوجدته من أفضل الكبراء العظام مهيباً عند الخاص والعام ذا همة عالية وسطوة بادية يخشاه جميع أهل الحجاز مع أخلاقه الحميدة ومآثره العديدة التي منها إنشاؤه مكاناً لديوان متوظفي الحكومة الشاهانية بجوار التكية المصرية [٢] وجدد حنفيات [٣] للوضوء بأماكن قريبة من الحرم وأحواضاً وصهاريج في الحارات لنفع الأهالي تأتي إليها المياه من قناة عين زبيدة [٤]

---

(١) الملتزم: المنطقة بين الحجر الأسود وباب الكعبة.

(٢) التكية المصرية: كلمة أعجمية تعريبها «دار العجزة» وهي المكان المخصص لاستقبال المحمل المصري (البعثة المصرية للحج)، وفيه توزع الصدقات والطعام على الفقراء والمساكين، وكانت توزع فيها ايضاً المرتبات والهدايا لعائلات كثيرة من الحجازيين والبدو بقصد البر والإحسان.

(٣) حنفيات: جمع حنفية وهي لفظة مصرية وتعني صنبور المياه.

(٤) عين زبيدة: نسبة الى زبيدة زوجة الرشيد وأم الأمين وهي التي أمرت بحفر هذه العين وأنفقت عليها مالاً طائلاً.

وها هو مجتهد في إجراء ما يلزم من التنظيمات ونشر المنافع العموميات وقد قلت فيه :

إن والي الحجاز عثمان نوري عمه الخير بالهناء والسرور
زاده اللّه رفعة ثم عزاً ووقاه من العنا والشرور

مقابلة الوالي

وقابلت أيضاً سعادة عمر باشا قومندان عسكر مكة وفي صباح هذا اليوم كانت الحرارة ٣٢ سنتجراد وصارت في وقت الظهر ٣٧ سنتجراد واستمر الحر ليلاً ونهاراً وفي يوم الثلاثاء كانت الحرارة صباحاً ٣٢ سنتجراد ثم صارت وقت العصر ٣٧ سنتجراد وفيه توجهت بعد الظهر إلى الوالي لقضاء بعض شؤون متعلقة بالوظيفة فرأيت اثنين من حجاج الأتراك الواردين من طريق المدينة يشكوان من الجمالة [١] فإنهم أتوا بهما مع الواردين من المدينة لأداء الحج ولما وصلوا بهما إلى ما بين رابغ ومكة انفردوا بهما وضربوهما وسلبوهما وتركوهما عاريين حافيين وشجوا رأس أحدهما فما وصلا إلى مكة إلا بعد كل مشقة ولما عرضا حالهما على سعادة الوالي تأسف عليهما ورفق بهما ووعدهما بالنظر في أمرهما بعد النزول من عرفات ولم أعلم بعد ذلك ما تمّ في أمرهما فإن أغلب حجاج القوافل توجهوا في هذا اليوم إلى عرفات .

الموكب الشامي

وفي يوم الأربعاء ٧ الحجة بلغت الحرارة صباحاً ٣١ سنتجراد وفي س ١ و ٣٠ق توجه سعادة شريف مكة في موكبه لملاقاة الحاج الشامي وكان قد وصل إلى مكة في النصف من ليلة الأربعاء وهذا الموكب عبارة عن عدة من الخيالة والقرّابة تتقدم

(١) الجمّالة: قائدو الجمال من عربان الحجاز.

لتوسيع الطريق تعقبها جماعة من الهجانة [1] ثم ٢٤ حصاناً جواداً يسمونها الجنائب عليها مراشح من الفضة تقودها السواس [2] ثم أربعة من الجاووشية السواري[3] عليهم سراويل بيض وعنائر حمر وبأيديهم عصىً مركب عليها فضة وفيها جلاجل [4] من الفضة ثم عربان قرابة حربية نحو ٢٠٠ عليهم قمصان طوال وبأوساطهم مناطق فيها أسلحتهم وعلى رؤسهم قلانس [5] من الكوفيات [6] وبأيديهم البيارق يتغنون بمدح الشريف هذه عادتهم على الدوام ثم عبيد قرابة نحو خمسين وبعدهم سعادة الشريف راكباً جواده وعليه فرجية مزركشة يتبعه خاصته راكبين خيولهم بيد أحدهم مظلة مقصبة وبيد آخر البيرق [7] وثمانية من الضباط البكباشية ثم نحو خمسة وعشر من الأشراف ثم عربية الشريف يتبعها الهجانة الحربية ثم الطبل والمزمار وبهذا ينتهي الموكب ثم بعد نصف ساعة مرّ موكب الوالي أيضاً وهو مكوّن من نحو خمسين سوارياً أمامهم طبول الدالاتية ثم عربانة سعادة عثمان باشا الوالي وكان على يساره سعادة عمر باشا قومندان العساكر يتبعه ثمانية من السواري أتباعه وفي س ٣ مرّ ركب المدينة مكوّناً من عدة من الهجانة ومن ركاب الحمير يتغنون بمدح مكة وبيت الله وأمامهم أناس يطلقون البارود[8] تنبيهاً على الموكب ثم بعد برهة رجع موكب الشريف من أمام التكية المصرية فتوجه إلى منزله ثم عاد الوالي أيضاً بعد برهة وذلك بعد توجههم إلى خيمة أمين الحاج المصري أيضاً وتهنئتهم له بالحضور وبلغت الحرارة في ظهر هذا اليوم ٣٧ سنتجراد أي ٢٩

---

(١) الهجانة: راكبو الجمال من الحرس.

(٢) السواس: جمع سايس وهو الرجل الذي يعرف فن قيادة الخيل وقائم على تدريبه.

(٣) السواري: الفرسان، وهي كلمة فارسية.

(٤) جلاجل: أجراس.

(٥) قلانس: جمع قلنسوة. وهي العمائم.

(٦) الكوفيات: غطاء الرأس، وتعرف بـ«الغترة» في الجزيرة العربية.

(٧) البيرق: الراية أو العلم.

(٨) يطلقون البارود: يطلقون الطلقات النارية.

درجة ريومور [1] وبعد أن صلى الإمام ظهر هذا اليوم الذي هو سابع الحجة سنة ١٣٠٢ بالحرم المكي صعد المنبر فخطب وكان إنسان آخر بأسفل منه يبلغ وبعد انتهاء الخطبة ألبس خلعة [2] من طرف الشريف وأخرى من الوالي وشالاً من الشيخ الشيبي ومن العجائب أن رخام المطاف صار حاراً جداً من شدة حرارة الشمس بحيث لايمكنني أن أضع قدمي عليه ثانيتين مع أن أغلب الحجاج كانوا يمشون عليه بغير مبالاة رغبة في تأدية الطواف وعند إقامة الصلاة وقفوا عليه حفاة والشمس ساطعة على رؤوسهم وصلوا بها كأنهم واقفون على أبسطة ومظللون بسقف حتى انتهت الصلاة ومن ابتداء الصلاة إلى قرب انتهائها كان الازدحام على الحجر الأسود لأجل تقبيله لايوصف فمن الناس من كان يدفع من حوله بالعنف بل وبالضرب وإن كان حراماً ومنهم من يصعد على أعناق المزدحمين ليقبله ولا يبالون بما ينالهم من الأذى والمشقة وكانت الأغوات تجتهد في منعهم عند إقامة الصلاة فلا يمكنهم لا بالزجر ولا بالضرب وقد كنت إذ ذاك واقفاً بجانب سعادة الوالي لأداء صلاة الظهر واستماع الخطبة في المحل المعدّ لشيخ المؤذنين فوق بئر زمزم .

انتقال المحمل المصري والشامي إلى منى وعرفات

وفي يوم الخميس الساعة واحدة وربع وكب المحمل المصري من محله الخارج عن الشيخ محمود ومرّ من أمام التكية المصرية وشوارع مكة حتى وصل إلى منى فنزل في آخرها و س ٣ و ٤٥ ق بجوار الخيمة المعدّة لحلول سعادة الشريف عند نزوله من عرفات وبعد نصف ساعة لحقه المحمل الشامي فنزل بالقرب منه أمام مسجد الخيف ثم بعد ساعة قام المحمل المصري وفي س ٧ و ١٠ ق نزل بعرفات أمام جبل الرحمة وكانت الحرارة ٤٢ سنتجراد وانخفضت في المساء إلى ٣٢ .

---

(١) ريومور: مقياس أو تدريج عددي لقياس درجة الحرارة مثل المقياس المئوي والفهرنهيتيو يختلف عنهما بأن غليان الماء فيه يكون عند نقطة ثمانين درجة رومورية، ويكتب أحياناً رومير نسبة لمخترعه العالم الفرنسي رينيه أنطوان فرشول دي رومير Reaumur.

(٢) خلعة بردة: عباءة.

وفي يوم الجمعة صباحاً كانت الحرارة ٣١ سنتجراد وفي أعلى جبل الرحمة مصلى محرابه منحرف نحو عشرين درجة من الغرب إلى الشمال ومن أراد زيادة إيضاح تتعلق بعرفات وبمنى فليراجع كتابنا «مشعل المحمل» الذي ألفناه سنة ٩٨ وبعد الزوال بساعة من هذا اليوم بلغت الحرارة ٤٢ سنتجراد وقبل الغروب بساعة ونصف منه وكب المحمل المصري ووقف بمحله المعتاد أسفل جبل الرحمة ثم بعد ذلك بربع ساعة أتى المحمل الشامي فوقف عن يمينه وحولهما الأمراء والعساكر ونحو مائة وخمسين ألف إنسان بل أزيد يلبون ويبتهلون ويتضرعون مع البكاء والنحيب حتى غربت الشمس فأطلق ساروخ [1] إعلاماً للحاضرين بتمام المناجاة ولويت أعنة الجمال للنزول إلى منى وسار المحمل الشامي عن يسار المصري وهما يتبختران [2] في موكب عظيم ومحفل جسيم بين طبل وزمر وموسيقى وسواريخ ومدافع وتهليل وتكبير وصلوات وتسليمات على طه البشير النذير حتى وصلا إلى المزدلفة [3] في س ٢ و ٢٥ق من الليل وبتنا جميعاً في غير خيام عطاشا من إهمال الفراشين والسقائين الموظفين للصرة ومن كثرة ازدحام الحجاج لم يمكنا الحصول عليهم وفي هذه الليلة التقط كل من الحجاج من الأرض تسعة وأربعين حصاة في قدر الحمصة فغسلوها وحفظوها لرمي الجمرات بمنى .

رمي الحصوات

وفي صبح يوم السبت مع طلوع الفجر أتى المحملان إلى المشعر الحرام للتلبية والخطيب يخطب حتى أتم الخطبة وكانت س ١١ و ٢٥ ق واتجهت الأحمال إلى منى وسارت حتى نزلت بها والساعة واحدة ونصف فدخل كل أحد إلى خيمته وتوجهت إلى العقبة الأولى المشهورة بإبليس الأكبر فرميت سبع حصيات واحدة بعد واحدة مع

(١) فأطلق ساروخ: المقصود صاروخ ناري.

(٢) يتبختران: يمشيان على مهل في زهو.

(٣) المزدلفة: أرض متسعة بين عرفات ومنى، فيها مكان المشعر الحرام ومنها تؤخذ الحصى لرمي الجمرات في منى.

التكبير من حصى المزدلفة ثم عدت إلى خيمتي فحلقت ولبست ثيابي المعتادة وضحيت وحصل تأخر من السقائين عن إحضار المياه للمتوظفين حتى انتصف النهار وذلك لبُعد المياه من جهة ولإهمالهم من جهة حتى اشترى أغلب الناس مياهاً والداعي إلى هذا الإهمال هو أن الترحيلة التي كانت تعطي لكل من السقائين والفراشين والضويّة[1] والعكامة[2] في كل عام عند سفرهم إلى الحج علاوة على مرتباتهم صار حجزها فإنه كان عدد الفراشين ثمانية والذي يصرف لهم مبلغ ٩٨٠ قرشاً وكانت الضوية عشرة وكان يصرف لهم ٩٠٥ وكان السقاؤون سبعة والترحيلة التي كانت تصرف لهم ٨٥٠ قرشاً والعكامة ثمانية والترحيلة ١٠٤٠ قرشاً فطلب رؤساء كل من السقائين والفرّاشين في هذا العام السفر مع المحمل بالتعيينات فقط رغبة في الحج ووفروا الترحيلة لجانب الميري وفضلاً عن ذلك تعهد رئيس السقائين بأن القرب التي تلزم للصرة تكون من طرفه وقبل ذلك منهم الديوان ولم يتذكر ما يترتب عليه من العطيل والضرر والتعب الكلي للمتوظفين في الطريق من توفير نحو عشرين جنيهاً ليست شيئاً بالنسبة للمصروفات الجسيمة الجاري صرفها وأما العكامة والضويّة فما طعن فيهما أحد كغيرهما ليتم تعطل أداء الوظائف الذي كان جارياً من القديم لكنهم نقصوا من جمال ومرتب أمين الصرة فجعلوها ستة بعد أن كانت إحدى عشرة وأما مرتب الأمير فاستوفاه تاماً وقد صرف له قبل التوجه خمسمائة جنيه قيمة السفرية وللأمين خمسة وسبعون انعامية[3] وذلك خلاف الماهيات[4] والتعيينات كما بيناه بالجدول السابق وفي منتصف الساعة الخامسة من هذا اليوم بلغت الحرارة ٣٧ سنتجراد وسمعت بأن الحر اشتد فيه جداً ولم يمكني النظر في مقياس الحرارة[5] بعد الزوال لأني نزلت إلى مكة لأداء

---

(١) الضوية: جمع ضاوي وهو الشخص غير المرموق أو غير المعتبر، وهم الخدم.

(٢) العكامة: الذين يشدون الحبال، والأصل فيها «عكم» المتاع أي شده وجمعه معاً «بالعكام» وهو الحبل أو الخيط الذي يُشد به.

(٣) إنعامية: إكرامية.

(٤) الماهيات: الرواتب.

(٥) مقياس الحرارة: أو ميزان الحرارة وهو الترمومتر Thermometer.

الطواف ولم أعد منها إلا بعد الغروب لرطوبة الهواء بها نوعاً وكانت خالية من السكان وكثر فيها الذباب وذلك لتحول البياعين[1] وغيرهم منها إلى منى ورجعت بعد الغروب إلى منى وبرد الهواء طول الليل مع أن الحر كان في النهار شديداً .

التهنئة بالعيد

وفي ثاني العيد أعني يوم الأحد ١١ الحجة سنة ١٣٠٢ كانت الحرارة عند الشروق ٢٣ سنتجراد وفي س ١٢ و ٣٠ ق توجهت مع أمير الحج إلى خيمة سعادة الشريف لتهنئته بالعيد وبفرمان الولاية وتُليَ أمامه هذا الفرمان بحضور والي الأقطار الحجازية سعادتلو[2] عثمان باشا المشير وسعادتلو عمر باشا قومندان العساكر وعدة من الضباط والأمراء والشرفاء والعلماء وأمير وأمين الحج الشامي وعلى الجميع ملابس التشريفات والنياشين ثم بعد التلاوة والدعاء لمولانا السلطان ووزرائه ولخديوي مصر وضع على سعادة الشريف خلعة شاهانية مزركشة وسعادته أمر بخلع أكراك ثمينة القيمة على كل من سعادة الوالي وأمير الحج الشامي وأمين صرته وعلى بعض المتوظفين وشربوا الشربات وانصرفوا من عنده فرحين شاكرين وتوجه كل من الذوات إلى الآخر في خيمته يهنيه[3] بالعيد على حسب مراتبهم فأوّلاً أنجال سعادة الشريف ثم الوالي ثم أرباب الوظائف ثم أمير الحج الشامي ثم أمينه وفي وقت الزوال والساعة خمسة أطلقت المدافع من كل جهة وقل الهواء وكانت الحرارة ٣٧ سنتجراد وفي الساعة السابعة بلغت ٤٠ سنتجراد مع وجود الهواء وفي س ١١ حضر والي مكة إلى أمير الحج المصري مهنئاً له بالعيد وبعد العشاء ضربت المدافع والسواريخ من جهة الإمارة والولاية والمصري والشامي وصارت لحوم الأضاحي ملقاة على الطرق مع اجتهاد مأموري الصحة في منع ذلك وطبعها للمنشورات وإعدادها عربانات لحمل القذرات أولاً فأوّلا لكن لم يتيسر ذلك وفي الساعة اثنتى

(١) البياعين: جمع بائع.

(٢) سعادتلو: سعادة.

(٣) يهنيه: يهنئه.

عشرة ونصف من صبيحة يوم الاثنين كانت الحرارة ٢٨ سنتجراد وفي س ٥ و ١٥ ق كانت ٣٧ سنتجراد وأطلق مدفع التحميل وفي س ٦ من بعد آذان الظهر وكب المحمل وفي س ٨ نزل بالحرم أمام باب عليّ وتوجهت مع الأمير إلى التكية المصرية فما وجدنا فيها أحداً من مستخدميها ووجدنا ناظرها قد توفى ولم يعيّن لها من مصر ناظر غيره إلى وقت الحج إلا أن سعادة الشريف اختار أن يكون أحد المقيمين بها من مستخدميها وكيلاً ويستلم إيرادها من الصرة إلى حضور من يعيّن للنظارة من ديوان الأوقاف بمصر وفي س ١١ و ٣٠ ق كانت الحرارة ٣٩ سنتجراد وما جاء هذا الوكيل ولا أحد من الخدامين إلا قريباً من العشاء والتكية بدون تنوير[١] وجميع الخدامين مهملون في خدماتهم إهمالاً كلياً مع عدم النظافة وقد بلغني أن رجلين وامرأة حاملاً ماتوا بعد مغرب هذا اليوم في المطاف تحت أرجل الناس من شدة الازدحام وخرجت أمعاؤهم وانتشرت دماؤهم .

وفي يوم الثلاثاء ١٣ الحجة كانت الحرارة صباحاً ٣١ سنتجراد وبعد الزوال ٣٦.

وفي يوم الأربعاء ١٤ منه وبعد الساعة اثنتي عشرة ونصف صباحاً كانت الحرارة ٢٩ سنتجراد وبعد الساعة السادسة بلغت ٣٤ وبعد التاسعة بربع وقت العصر بلغت ٣٥ سنتجراد وصرفت مرتبات التكية وأعطى لكل مقوّم[٢] عن كل جمل أربع ريالات من مكة إلى عرفات ذهاباً وإياباً وكان الحجاج يتوجهون للإحرام بالعمرة من مكان يسمى التنعيم[٣] في الجهة الغربية الشمالية بمسافة ساعة ونصف من مكة .

وفي يوم الجمعة ١٦ منه كانت الحرارة مثل اليوم الماضي وجميع الحجاج تقريباً حصل لهم بعد النزول من منى نوع حمى عقب الإحرام وذلك من شدة الحر واستنشاق روائح اللحوم المتعفنة ومن كثرة الازدحام وكثرة تناول الفواكه الشهية المجلوبة من الطائف لكن من فضل الله انقضى هذا العارض من غير خطر لا كثير ضرر .

---

(١) بدون تنوير: بدون إضاءة.

(٢) مقوم: الذي يتولى قيادة الجمال واستناختها.

(٣) التنعيم: المكان الذي اعتمرت منه، وهو خارج مكة المكرمة (مسجد عائشة رضي الله عنها).

وصف الحرم المكي

والحرم الشريف طوله مشرّقا مغرّباً ١٩٢ متراً وعرضه ١٣٢ متراً زوايا أضلعه ليست قائمة في دوائره الأربع قباب على أعمدة من المرمر[١] والحجر النحت عليه سبع مآذن في وسطه بيت الله الحرام أي الكعبة مربع الشكل تقريباً طوله إثنا عشر متراً في عشرة أمتار وعشرة سانتي (سنتيمتر) فضلاً عن الشاذروان[٢] وارتفاعه نحو خمسة عشر متراً وقد وصفنا ذلك مطولاً في كتابنا المسمى مشعل المحمل فليراجع

وصف الطائف وعادات أهلها

والطائف بلدة بينها وبين مكة ثمان عشرة ساعة تحتوي على أربعمائة دار وعدد من بها من النفوس ألفان تقريباً وهي محاطة بالبساتين والجنان شهيرة بالفواكه وفيها جامع كبير به ضريح سيدنا عبد الله بن العباس حبر الأمة وابن عم النبي ﷺ وفيها من آثار الجاهلية صنما اللات والعزى وجميع عربان الطائف مطيعون لسعادة الشريف أمير مكة وللحكومة وأغلبهم مقيم بأرض سفيان وثقيف ولبعضهم عوائد[٣] وحشية[٤] يعتقدونها دينية منها أنهم لايختنون صبيانهم إلا بعد البلوغ أعني بعد سن خمس عشرة سنة وكيفية الختان عندهم أن يسلخوا جلد المختون من أسفل سرته بعرض بطنه إلى ثلثي فخذيه مع جميع جلد ذكره وأغلبهم يموت من ذلك ويكون المختون قد خطب له زوجة من قبل فتحضر وقت سلخه وتزغرت تشجيعاً له مع ضرب الطبول وهو واقف ثابت يهز خنجراً بيده ويذكر بأعلى صوته بدون تضجر بل بفرح اسمه وألقابه ونسبه حتى تنتهي العملية وإن تأوّه كان ذلك عليه عاراً ولا ترضى به خطيبته وأما إناثهم فلا ختان لهن وكيفية عقد النكاح عند هؤلاء أن أحد أقارب الزوجة يقول لها زوّجتك فلاناً فقط بدون أن يحضر فقيه أو يذكر مهر ونساؤهم لايستترون عن الرجال وليس بمكة بساتين ولا أشجار إلا بمحل خارج عنها بثلث ساعة

(١) المرمر: الرخام Alabaster.

(٢) الشاذروان: هي الدرجة من البناء التي تحيط ببناء الكعبة (السور).

(٣) عوائد: عادات.

(٤) وحشية: عادات قاسية.

يسمى بركة ماجد به بعض نخيل وخضراوات وأغلب الخضراوات تأتي إليها من وادي فاطمة وسوله ووادي الليمون وكل منها بعيد عن مكة بأربع عشرة ساعة وفي أثناء صرف المرتبات جاءت امرأة اسمها مسعودة كان لها زوج من عساكر الباشبوزوق [1] فتوفى ورتب لها ولابنتها منه معاش بالروزنامه[2] حجت في العام الماضي ثم توجهت للزيارة فسلبها الأعراب في طريق المدينة فعادت إلى مكة وأقامت بها وصرف لها مرتبها بالروزنامة لكن مع استنزال فرق المعاملة بين مكة ومصر أعني أنهم صرفوا لها الريال الاباطاقة[3] زائداً عن قيمته بمصر ثلاثة غروش [4] حيث حسبوه بعشرين بدلاً عن سبعة عشر بذاك الوقت ولاحق للمالية وللروزنامة في ذلك فإن مرتب المعاش مبلغ معين لاينقص ولا يزيد باختلاف البلاد والمرتب لهذه المرأة سنوياً ١٩٦٩ قرشاً فكيف يصرف لها بمكة ١٤٥٧ قرشاً وينقص معاشها ٥١٢ قرشاً وهو مبلغ جسيم تستعين به مع بنتها على حالهما وهما فقيرتان جداً ومعلوم أن مرتب المعاش كالماهيات ١٠ وحيث إن ماهيات المستخدمين بالتكية تصرف على ماهو الجاري بمصر لا بمكة فمن العدالة صرف معاشات زوجات المتوفين بالخدامة [5] على ذلك أيضاً مع أن هناك من الناس من يعامل بذلك ومع أن المبلغ الذي يتوفر منهن جزئي وهن يقتتن به مدة طويلة ويزيد شكرهن ودعاؤهن للحضرة الخديوية[6].

المرتبات والمخصصات

وكيفية صرف المرتبات بالأراضي الحجازية مثالها أن أولاد الشريف هاشم مربوط لهم من الرزنامة عن كل عام مبلغ ١٥٧٩ قرشاً وإنما يصرف لهم بمكة ١٣٤٠ قرشاً

(١) الباشبوزوق: التشريفات وهم أقل العساكر في الرتب.

(٢) الروزنامة: يقصد المعاش الشهري الحكومي. وهي تركية المركبة.

(٣) الريال الاباطاقة: الذي به طاقة.

(٤) غروش: قروش وهي عملة مصرية وتساوي ١ ÷ ١٠٠ من الجنيه المصري.

(٥) الخدامة: الخدمة في العمل الحكومي.

(٦) للحضرة الخديوية: لقب يمنحه الباب العالي بالأستانة للحكام المصريين.

عملـة صاغاً فـي مقابلة المبلغ المربوط وذلك على حسب قيمـة عملة مكة ويتوفر لخزينة الميري[1] باره ٢٠ و ٢٣٩ قـرشاً وأن المربوط لسعـادة أمير مكة عن مرتب الوظيفة والمعاش وثمن كساوي[2] ستمائة وتسعة وأربعون جنيها أفرنكيا[3] وهاك قيمة أصناف المعاملة بكل من جدّة ومكة .

	من بعد الحج	بوقت الحج
جنيه مصري	٠٠ ١٧١	٠٠ ١٦٩
إنكليزي	٠٠ ١٧٠	٠٠ ١٦٨
بينتو	٠٠ ١٣٣	٠٠ ١٢٨
جنيه اسلامبولي	٠٠ ١٥١	٠٠ ١٤٨
ريال بطاقه	٢٠ ٢٨	٠٠ ٠٢٨
،، مجيدي(٤)	٠٠ ٢٨	٠٠ ٠٢٦
روبيه	٠٠ ٠٠٠	٠٠ ٠١٣
القرش المصري	٣٠ ٠٠١	٢٠ ٠٠١
عشره فضه اسلامبولي	٠٠ ٠٠٠	١٥ ٠٠٠
الخمستين النحاس الاسلامبولي	٠٠ ٠٠٠	٠٥ ٠٠٠

مقابلة شريف مكة

وفي يوم السبت ١٧ الحجة الساعة سـ ٢ بلغت الحرارة سـ ٣١ سنتجراد وفي س ١٠ بلغت ٣٥ درجة وفي صبيحة يوم الأحد كانت الحرارة سـ ٢٩ درجة وفي الظهر

(١) لخزينة الميري: خزينة الحكومة، أو خزينة الدولة.

(٢) كساوي: ملابس.

(٣) جنيهاً أفرنكياً: جنيهاً انجليزياً.

(٤) ريال مجيدي: ريال عثماني.

س ٧ بلغت ٣٥ درجة سنتجراد وذلك جميعه داخل مكان بالتكية وفي الليل التالي لهذا اليوم توجهت إلى سعادة الشريف فوجدته جالساً على كرسي بين اثنين من أعيان مكة في محل سماويّ في الدور الثاني طوله ١٨ متراً وعرضه ٦ أمتار وفيه شبابيك مطلة على حوش متسع في وسطه خيول قائمة ليلاً ونهاراً بدون تظليل ولا مداود[١] وفي دائرة أيضاً خيول تحت عروش[٢] البواكي غير معتنى بجميعها من حيث الخدمة كما ينبغي وفي نصف الساعة الرابعة حضرت آلات الطرب أي الموسيقى بأيدي عشرة أشخاص قد أحضرهم من مصر فوقفوا أمام سعادة الشريف حذاء الحائط بحيث كانت المسافة بينه وبينهم أربعة أمتار ثم أتى الفرايحية وهم من مصر أيضاً عددهم خمسة من الزمّارة والطبالة[٣] وصار كل من هؤلاء المطربين يلحنون ويزمرون بالنوبة وصار الجليس لايمكنه سماع كلام جليسه من ارتفاع أصوات هذه الآلات المطربات والزمر وتضايق[٤] المكان بمن حضر فسبحان المعطي الوهاب ، وفي نصف الساعة الخامسة أمروا جميعاً بالانصراف وعاينت في ليلة أخرى بعد العشاء الآلاتية [٥]والفرايحية والنقرزانية [٦] يضربون سوية أمام منزل سعادته وفي يوم الاثنين كانت الحرارة سـ ٢٩ درجة أيضاً وحصل قبيل العصر رعد ومطر يسير وكان سعادة الشريف قد دعاني إلى الغداء معه فأجبت ولم يكن معنا ثالث وعاينت منه غاية الملاطفة والبشاشة والاعتناء وطيب النفس وسمح لي برسم صورته بالفتوغرافيا بملابس التشريف .

---

(١) مداود: الآنية المعدة لأكل المواشي، وعادة تكون من مواد البناء أو، الفخار.

(٢) عروش: سقوف.

(٣) الطبالة: الذين يدقون الطبال.

(٤) تضايق المكان: ضاق المكان.

(٥) الآلاتية: الموسيقيون.

(٦) النقرزانية: الذين يعزفون على الآلات النحاسية.

في مجلس الشريف

وفي يوم الثلاثاء ٢٠ الحجة كانت الحرارة عند الشروق سـ ٣٠ سنتجراد وعند الزوال ٣٤ سنتجراد وفي الثامنة منه توجهت مع الأمير إلى منزل سعادة الشريف لنحضر المجلس المنعقد في شأن تعيين الطريق التي تمرّ المحامل منها كما هو العادة في كل عام وكان هذا المجلس مشتملاً على سعادة الوالي وبعض من الضباط وعلى أمير الحج الشامي وأمين صرته واستقرت الآراء على المرور من الطريق الشرقي والسير في ٢٩ من الشهر فسُقي الحاضرون ماء مثلجاً بواسطة آلة ضاغطة فيها حمض كبريتيك[١] وعند الغروب أحضر لهم الطعام فتناولوه مع ترنم الموسيقى والمزمار أمام منزل سعادة الشريف بكل نغم لطيف وسقوا بعد الطعام الشربات على استماع الآلات من ناي وقانون وشكر حسن التفات سعادة الشريف وملاقاته الحاضرون وبعد صلاة المغرب استأذن في الانصراف بعض هؤلاء الحضور وبعضهم أقام ليستكمل حظه من هذا السرور ، ولابأس بأن أذكر هنا ما عرضه عليّ كثير من رؤساء عربان الطريق السلطاني في شأن مرور المحمل المصري من طريقهم مع الأمن وأنهم يعطون على ذلك رهونات[٢] إما لسعادة الوالي أو لجناب الشريف لكن لعدم صدور أوامر قطعية من الحكومة المصرية لأمراء الحج في هذا الشأن لم يتجاسر على الاتفاق معهم على ذلك إنسان وإنما اختار الوالي والشريف هذه الطريق التي يمرّ الآن منها من تلقاء أنفسهما للعلم بأن المحمل الشامي لا يتأتى له المرور من الطريق السلطاني للمشاجرات[٣] السابقة بين الحج الشامي وبين أعراب هذه الطريق ويترك المصري طبعاً على أتباعه ليتقوى كل منهما بالآخر مع أن الطريق السلطاني أقرب

---

(١) آلة ضاغطة فيها حمض كبريتيك: عله يقصد الثلج الجاف وهو ثاني أكسيد الكربون Carbondi-ocide في حالته الصلبة، ومن خصائصه أن يتبخر ببطء، وهو إذ يفعل ذلك يبرد الأجسام التي حوله ويخفض درجة حرارتها، غير أنه على جانب من الخطورة إذ أنه يحرق الجلد العاري.

(٢) رهونات: من (رهن) والمرتهن الذي يأخذ الرهن، والشيء (مرهون) ورهين.

(٣) المشاجرات: المعروف أن المحمل الشامي تعرض عبر التاريخ للعديد من إعتداءات القبائل القاطنين على طريق الركب الشامي.

من غيرها ولا يتعسر وجود الماء فيها كغيرها الذي هو كثير الخطر فالأوفق أن ترسل الدولة الخديوية مع الحج أمير أتقدّم له ذلك ذا دراية بالطرق ومعرفة برؤساء قبائل العرب وعوائدهم وطبائعهم ليتألفهم ويسترضيهم شيئاً فشيئاً فيعتمدونه ويتكفلون بمرور المحمل من طريقهم مع الأمنية فتمتنع زيادة المصاريف عن الخديوية المصرية كما علمت ذلك .

طرق سير المحامل

من مكة إلى المدينة

واعلم أن الطرق المعتادة لسير المحامل والقوافل من مكة إلى المدينة ثلاثة أحدها السلطاني وأول محطة به وادي فاطمة ثم عسفان ثم خليص ثم بئر قديمة ثم رابغ ثم المستورة ثم بدر ثم الصفراء ثم بئر العباس ثم بئر شريوفي ثم المدينة .

الطريق الثاني الفرعي وأول محطاته رابغ ثم بئر رضوان أو الشيوخ ثم أبو دبع ثم الريان ثم الغدير ثم بئر ماشا ثم المدينة .

الطريق الثالث الشرقي وأوّل محطاته بئر البارود ثم وادي الليمون ثم المضيق ثم الفحاير أو الضريبة ثم البركة ثم حاذا ثم الحبيط أو ضبعة ثم سفينة ثم السويرجية ثم الحجرية ثم غرابة ثم الحنق أو الغدير ثم سيدنا حمزة رضي اللّه عنه ثم المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

تأمين الطريق من مهاجمة العربان

وفي يوم الأربعاء الحادي والعشرين بلغت الحرارة بعد الزوال ٣٦ درجة وصرفت فيه مرتبات وفي أثناء الصرف حضر أحد الشرفاء بكتاب من طرف سعادة الشريف مضمونه أنه مندوب للتوجه مع المحمل المصري إلى المدينة ليحفظه من غدر ومكايد عربان الطريق كما هي العادة في كل عام وطلب أن يصرف له مرتبه المخصص له في مقابلة ذلك ولعلمي بعدم توجه هذا المندوب في العام الماضي مع المحمل طلبت منه أن يعطيني تعهداً عليه بذلك فامتنع وامتنعت من إعطائه شيئاً والحالة هذه ولما تقابلت

مع سعادة الشريف أخبرته بما جرى بيني وبين هذا المندوب فصوب رأيي وأمره بإعطاء التعهد وبالسير صحبة المحمل إلى المدينة فكان ذلك إلا أنه عجز عن حماية نفسه منهم فضلاً عن حمايته للمحمل فإنهم سلبوا أربعة جمال من المحمل بحملها وسلبوا منه هجيناً وقتلوا أخرى لما تخلف عن الركب في إحدى المحطات كما سيأتي ولولا أنه فرّ منهم هارباً وأغاثه العساكر لقتله ومن معه العربان .

وفي يوم الخميس ٢٢ منه بلغت الحرارة ٣٦ درجة .

وفي يوم الجمعة ٢٣ منه كانت درجة الحرارة مثل ما قبلها أيضاً .

وفي يوم السبت ٢٤ منه جرى صرف المرتبات وبلغت الحرارة وقت الزوال ٣٤ سنتجراد .

وفي يوم الأحد ٢٥ منه صارت الحرارة بعد الزوال ٣٥ سنتجراد .

وفي يوم الاثنين مثل ذلك والصرف جار للعربان .

في مجلس الشريف

وفي يوم الثلاثاء ٢٧ منه توجهت صباحاً إلى سعادة الشريف فوجدته جالساً في روشن[1] لمحل الدور الأول يقضي حوائج العربان وغيرهم ويسعى في مصالحهم ومنهم من يقبّل يده ولايتركها مادام يشكو حاله إليه والآخر يكلم سعادته بصوت عال وآخرون يعرضون شؤونهم معا في آن واحد بأصوات مرتفعة وآخر يحكي له حكاية طويلة مع هزه لركبته لظنه أنه لا يصغي إليه إلا بذلك هذا كله وهو يحكم عليهم مع الرزانة(٢) والحكم بينهم بالعدل مع البشاشة التي هي شيمته وعنده الفقير والغني سيان ويدعونه سيد الجميع ومنهم من يقبّل ركبته ومن يقبّل يده على حسب مراتبهم .

---

(١) روشن: كلمة فارسية بمعنى المنّور.

(٢) الرزانة: الهدوء.

وفي يوم الأربعاء ٢٨ منه بلغت الحرارة بعد الزوال ٣٦ درجة وفي س ١٠ و ٣٠ق أرعدت السماء وأمطرت بردا واستمر المطر ساعة تامة ثم انخفضت الحرارة إلى ٣٣ درجة سنتجراد .

وفي يوم الخميس ٢٩ منه كانت الحرارة مثلها ولم يتأت المسير إلى المدينة على حسب ماكان قرره المجلس لتأخر الشامي في انتظار صرف تعييناته .

القوات العسكرية في الحجاز

وفي يوم الجمعة ٣٠ الحجة كانت الحرارة بعد الزوال ٣٥ سنتجراد وبمكة طابوران من العساكر البياده[١] كل طابور ٨٠٠ نفرد وبالطائف نصف طابور وكذا بجدّة وكذا برابغ وكذا بينبع فالمجموع أربعة طوابير وبمكة أيضاً ثلاثة طوابير ضبطية جندرمه سواري وواحد بباده موزعين على الجهات وبالمدينة ثلاثة طوابير نظامية وطابور سواري وطابور بياده ضبطية[٢] وبالحجاز آلاي طوبجي محلى وآلاي طوبجي جبلي وستة مراكب حربية نصف فيلو بالبحر الأحمر ثلاث منها دورية من باب المندب إلى ينبع والأخريان احداهما بباب المندب والثانية بالحديدة والثالثة بجدّة .

أحوال مكة

ولنذكر هنا نبذة تتعلق بمكة وسكانها فنقول * (اعلم) أن مكة يقطع الماشي طولها في نحو نصف ساعة وأن عرضها أقل من طولها لكن لوجود أماكن على كيمان كل من جانبيها يلزم لقطع عرضها زمن أكثر من الزمن الذي يقطع فيه طولها وأن سكانها أخلاط من الجاوا والهنود والمصريين والأتراك والتكارنة وأهل اليمن والعربان وأن الأقوات[٣] والتجارات تأتي إليهم من الخارج وليس هناك ما يتجرون

---

(١) العساكر البيادة: العساكر المشاه.

(٢) بياده ضبطية: حرس أمن.

(٣) الأقوات: الأطعمة.

فيه إلا ماء زمزم والحناء والأراك[1] الذي يستعمل في السواك وتجارهم من الغرباء ومنهم من يخرج ماله بالربح بأن يعطي عشرة ويأخذ سندا باثنى عشر أو أكثر واكتسابهم من الحجاج وخصوصاً الجاوا[2] لغناهم وتدينهم وأغلب سكانها ما بين مطوف وسقاء[3] وبناء ونجار ومن عوائدهم اجتماع بعضهم بعد الحج ببعض للخروج إلى النزهة بالطائف وبالسيدة ميمونة (في ١٣ صفر) وبالزاهر وجمعياتهم تحتوي على سماع آلات الطرب وترقيص الغلمان وأفراح الزواج وفي رجب يسافرون للزيارة بالمدينة وفي هذه الأشياء يصرفون كل ما إكتسبوه في سائر عامهم ومنهم من يحفظ شيئاً من هذا الكسب يستعين به على السفر إلى الآستانة أو مصر أو الهند أو بلاد الجاوا ليتعارفوا مع من يريد الحج في العام الآتي فهم بهذه الأسباب على الدوام فقراء ترتكبهم الديون ولولا وجود عين زبيدة عندهم لهلكوا عطشا .

ولاية الحجاز

واعلم أن ولاية الحجاز محدودة من الجنوب ببلاد عسير ومن الشرق بصحراء نجد ومن الشمال بسورية ومن الغرب بالبحر الأحمر وأن مساحتها بالتقريب ١١٩٣٥١٧ كيلومتر مربع وأكبر جبل بها جبل قرا يبتدىء من عدن ويتسلسل إلى الطور وبجنوب مكة جبل أيوب وجبل سبوع وبالمدينة جبل فقرة وجبل أُحُد وجبل جهينة كلها من الشوامخ ومجموع سكانها من الحواضر والبوادي بالتخمين ٧٠٠٠٠٠ نفس وتحمل إليها الحبوب من مصر وبومباي ومعيشة العربان من زراعة الذرة والدخن وعدد ما بين مكة والمدينة من الجمال ينيف[4] على ١٥٠٠٠ جمل ويوجد في أوديتها وفي جبل كبكب من الوحوش الثعالب والفهود وأما القرود فكثيرة بجبل قرا .

(١) الأراك: شجر.

(٢) الجاوا: أهل جزيرة جاوا (بأندونيسيا) وكانت هذه الجزيرة من أغنى جزر العالم.

(٣) سقاء: مساقي، يقوم بإسقاء الناس مقابل بعض من المال.

(٤) ينيف: يزيد.

واردات الحجاز

واعلم أن مجموع وارداتها مبلغ بارة ٢٠ و ١٥٣٣٩٣٤ قرش منها بارة ٣٠ و ٢٥٦٦٠٧ قرش احتسابية ٤٠٠٠٠ قرش قنطارية ٨٠٠٠٠ قرش أسماك بارة ٣٠ و ٩٩٧٧٨٩ قرش تخريجية ١٣٧٤٤٥ قرش زكوات أي عشور ٢٢٠٩٢ قرش واردات متنوعة وأما المنصرفات فهي بارة ٨ و ٢٥٥١٨٩٠٦ قرش منها معاشات ومرتبات أشراف وسادات ومحتاجين ومجاورين بمكة والمدينة وجدة بارة ٢٧ و ٦٠٥٩٥٦٦ قرش ومنها منصرفات للمحملين والعربان وثمن ذخائر وبعض مصروفات محلية بارة ٢٩ و ٤٩٨٧٧٠٤ قرش ومنصرفات للعساكر والبحرية والضبطية الشاهانية بارة ٣٢ و ١٤٤٧١٦٣٤ قرش فبعد خصم المنصرف من الوارد يزيد المنصرف مبلغ بارة ٢٨ و ٢٣٩٨٤٩٧١ قرش تدفعه الدولة من خزينتها .

سكان الحجاز وقبائلها[١]

واعلم أن سكان هذه الولاية قبائل متنوعة منها قبيلة الصميدات التي عددها ٩٠٠ وشيخ مشايخها حذيفة ومنها قبيلة رهقان بالبعد عن المدينة بثلاثين ساعة وقبيلة صحاري عددها ٣٠٠٠ نفس وشيخها إبراهيم بن مطلق ومنها قبيلة فضيلة عددها ٩٠٠ نفس وشيخها فهد وبالجديدة من الدرب السلطاني قبيلة بني عمر عددها ٧٠٠ نفس وشيخهم عوض بن درويش وفي بئر الراحة قبيلة رحلة ٥٠٠ نفس من شعب بني عمر بيوتهم الخيش وليس سوى الجمال لهم عيش وقبيلة الأحامدة التي عددها ٦٠٠ نفس منازلهم بكل من الصفراء والحمراء وتعيشهم من الجمال أيضاً وفي بحري المدينة قبيلة تميم عددها ٧٠٠ نفس وبجوارها قبيلة السعادين ٦٠٠ نفس وفي بدر قبيلة صبح عددها ١٤٠٠ نفس وأغلبهم جمالة وقبيلة الحوازم في كل من الصفراء والحمراء والجديدة عددها ٢٥٠٠ نفس تحمل على جمالهم المهمات الميرية والتجارية من ينبع إلى المدينة وإلى سائر الجهات وعامة من ذكرنا من هذه القبائل تسمى بني حرب وهم بمنزلة قبيلة واحدة ماعدا الحوازم ولجميعهم مرتبات وعوائد من

(١) إن ما أشار إليه من قبائل الحجاز لا يحمل اسم قبيلة.

الدولة العلية ومصر تصل إليهم في كل عام من المحملين ومن قبائل الطريق الفرعي بنو عوف والصواعد الذين شيخهم محمد بن الربيج وعددهم ٣٥٠٠ نفس وهم في الفلاة بين الريان والمدينة بيوتهم الخيش وبنو عمر عددهم ٢٥٠٠ نفس نصفهم مقيم بالشرق في بيوت من الخيش والنصف الآخر نازلون بكل من الريان والمضيق وفيما بين أبي ضباع ورابغ من الأراضي وقبيلة بلادية عددها ١٣٠٠ نفس بالقرب من منازل بني عمر وفيما بين غائر ورابغ قبيلة لهيبة في بيوت من الخيش عددهم ١٠٠٠ نفس وقبيلة زبيد عددها ٧٠٠٠ نفس منازلها من رابغ إلى الأماكن القريبة من مكة وجدة كخليص وعسفان وقضيمة ووادية وهؤلاء بعضهم في بيوت الخيش وبعضهم يسكنون البلاد وهناك قبائل غير هؤلاء مشايخهم بمنزلة عمد ليس لهم أخذ ولاعطاء مع الدولة بحسب مواقعهم مع أن جميعهم مطيعون لها .

غرائب عادات سكان الحجاز

وأما من حيث طبائع ومعايش ومذاهب هذه القبائل فمنهم من يسكنون بيوتاً كالعشش يسمونها بلدة ولهم زروع ونخيل ومنهم من يسكنون بيوتاً من الخيش[١] ويتخذون الجمال والغنم للتعيش منها ومن عرب الطريق الشرقي قبيلة أبي ضباع المسماة بالزيود أي الزيدية نسبة إلى زيد بن علي زين العابدين رضوان الله عليه وعلى آله الطاهرين لادعائهم كذباً أنهم على مذهبه وإنما ابتدعوا مذهباً خارجاً عن مذاهب أهل السُنّة يقال إنهم يبيحون الجمع بين الاختين ولا يوجبون على المطلقة عدة ويقتلون الصيد في الحرم ويصلون الصبح أداء بعد شروق الشمس ولا يصلون المغرب إلا قريباً من العشاء ويبغضون كثيراً من الصحابة كالأعجام ويضعون في أكفان موتاهم خبزاً معه إناء فيه ماء وقضيبان[٢] من الخيزران[٣] أو من جريد النخل ولهم نخيل وبساتين وأغلبهم قطاع الطريق والأمر عندهم بالشورى فمتى استحسنت

(١)الخيش: نسيج خيوطه غلاظ ويكون من مشاقة الكتان.

(٢) قضيبان: عمودان أو فرعان.

(٣) خيزران: نبات معروف بصلابة فروعه إسمه العلمي Cane.

عقولهم شيئاً عملوا به ولا يصاهرهم أحد من سائر القبائل لخروجهم عن مذاهب أهل السُنّة والجماعة[١] وأما غير هؤلاء من بقية القبائل فعلى مذاهب أهل السُنّة ويصاهر بعضهم بعضاً برضى والد الزوجة أو غيره من أوليائها عند عدم وجوده بدون استشارة المتزوجة في ذلك وبدون أن تخرج من بيتها ولايشربون الخمر وإنما يشرب الرجل منهم قهوة البن والدخان دون الإناث ولهم مساجد وفقهاء يعلّمون أولادهم الكتابة وقراءة القرآن العظيم ولايجتمعون للذكر وطريقتهم سنوسية جهرية ويعملون في أفراحهم الولائم ولايختلط الرجال منهم بالنساء ويزفون عرائسهم بالجواري السود ليلاً إلى بيت الزوج من غير أن يبصرها الرجال وهذه هي العادة عند الأحامدة وما عداهم من القبائل لا حرج عندهم في اختلاط النساء بالرجال إلا أن جميعهم يذبحون كلا من الزاني والزانية ولا تخرج نساؤهم لتشييع الجنائز ويتصدقون على قدر حالهم ويصنعون الولائم في الأعراس مع الطبول والبرجاس [٢] وغذاؤهم التمر مع السمن واللحم مع العسل وخبزهم من الحنطة مع القلة[٣] وذبائحهم من الجمال والأغنام ولايوجد عندهم بقر ولا جاموس ولا دجاج رومي بل قليل من الدجاج البلدي ولا يأكلون الخضارات لاعتقادهم أنها تسبب رخاوة الأجسام ومتى تشاجر أحد من قبيلة ولو طفلاً مع أحد من قبيلة أخرى واستغاث أحدهما بقبيلته قامت الحرب بين القبيلتين بدون استشارة رئيس ولا ينفكون عن ذلك إلا مدة الليل ومتى جاء النهار عادوا إلى ماكانوا فيه مالم تتوسط كبارهم في إطفاء الفتنة ويصلحوا بينهم .

من مكة إلى المدينة

وفي يوم السبت أول المحرم سنة ١٣٠٣ ـ ٩ أكتوبر سنة ٨٥ كانت الحرارة عند الشروق سـ ٢٩ سنتجراد ووكب المحمل من باب علي والساعة سـ ٢ وكان سعادة الوالي في انتظاره أمام منزله فلما دنا منه أخذ زمام الجمل فدار بالموكب ثلاث دورات أمام المنزل ثم سلم الزمام فسار المحمل إلى أن وصل أمام خيمة الأمير خارجاً عن

(١) ينطبق هذا الكلام على الغلاة والرافضة ومن على شاكلهم. أما الزيدية فإنهم الاقرب إلى مذهب أهل السنّة والجماعة، واشتهر هذا المذهب في اليمن.

(٢) البرجاس: آلة موسيقية .

(٣) القلة: يقصد حاوية من العجوة Compresseddates.

الشيخ محمود فنزل هناك للمبيت وعدت إلى مكة لطواف الوداع ووداع كل من سعادة الشريف والوالي وبتنا مع المحمل وفي هذا اليوم قام الشامي إلى المدينة وكان سبق التنبيه في يوم الجمعة على المقوّمين بإحضار الجمال اللازمة وكان الهواء معتدلاً بتلك البقعة وبلغت الحرارة قبيلة الشروق س ٢٥ سنتجراد وفي صباح يوم الأحد لم يكن عدد الجمال المطلوبة تمّ بالنظر لكثرة الحجاج وتوجه القوافل وعدم تعوّد المقوّمين على مشال المحمل مع أناصر فنالهم نصف الأجرة مقدماً على حسب شروطهم وكانت أجرة الشقدف [١] من مكة إلى المدينة ١٨ ريالا بطاقة وأجرة العصم ١٧ وأما من مكة إلى المدينة ثم إلى ينبع فأجرة الشقدف ٢٣ والعصم[٢] ٢٢ ومن مكة إلى المدينة ثم إلى جدة الشقدف ٢٨ والعصم ٢٧ ومن مكة إلى المدينة ثم إلى الوجه الشقدف ٣٥ والعصم ٣٤ والعادة الجارية بمكة أن يدفع المقوّم من أجرة جماله عن كل جمل يسافر إلى المدينة ريالاً للشريف وريالاً للميري وثالثاً للمخرج ورابعاً للمطوُف فإن كان إلى جدّة فربع ريال فقط للميري وكذا على الآتي منها إلى مكة وأما من المدينة إلى ينبع فريال للمزوّر وآخر للميري ومع هذا انتظرنا تمام الجمال إلى الساعة الخامسة وسار الركب إلى جهة الشمال الغربي في طريق العمرة ثم شمالاً وفي س ٥ و ٣٥ ق انحرف إلى الشمال الشرقي في طريق مرملة متسعة بين جبال فيها زلط خفيف وفي س ٦ اتجه شرقاً وبعد ٥ ق شرّق مقبلاً وبعد ٥ ق مال من الشرق إلى الشمال وفي س ٦ و ٣٠ ق مرّ على جبال النور عن يمينه بعيداً عنه وهو على يسار طريق منى ثم شرّق وفي س ٧ و ٢٣ ق مرّ بين جبال متجهاً إلى الشمال الشرقي ثم بعد س ٩ و ٤٨ ق شرّق في وادي متسع مرمل به سنط قليل يعرف بأم غيلان وفي س ١١ و ١٨ ق نزل ببئر البارود وهي متينة البناء اتساعها ستة أمتار وعمقها ١٢ متراً عذبة الماء وفي قاعها شجرة جميز كبيرة وفي وقت الغروب أرعدت السماء وأبرقت وأمطرت نحو ساعة وربع فأسقطت الرياح الخيام على مافيها وتكاسل الفراشون عن[٣] أشغالهم طول ليلتهم .

(١) الشقدف: الهودج.

(٢) العصم: هودج أصغر حجماً وأبسط هيئة من الشقدف.

(٣) الفراشون: المكلفون بنصب الخيام وترتيب الفراش.

الطريق من أم غيلان إلى وادي الليمون

وفي يوم الاثنين ٣ منه س ١ و ٤٥ ق سار مبحرًا[١] مشرقاً ثم بعد ساعة انتهى الوادي وصار اتساع الطريق ٣٠٠ متر بين جبال بعدها تلال وفي س ٣ ضاق الطريق وبعد عشر دقائق مرّ على تل لكشرة الزلط يساراً وفي س ٤ ضاق الطريق وصار عرضه خمسة أمتار بين أحجار وصخور ثم اتسع شيئاً فشيئاً مبحراً وفي س ٤ و ٣٠ق انتهى إلى طريق ضيق مشرق قريباً من وادي الليمون ثم اتجه إلى الشمال الشرقي وفي س ٤ و ٤٥ ق مرّ على بئر عذبة الماء تعقب مرارة في طريق مرملة[٢] اتساعها ٢٠ متراً بين جبال ثم اتجه مبحراً مائلاً إلى الغرب وفي س ٥ و ٤٠ ق استراح وفي س ٦ سار مبحراً ثم مبحراً مغرباً وفي س ٧ اتجه إلى الشرق الشمالي يساراً محاذياً لجبل وبعد ٥ ق مرّ على بئر معطلة على اليسار واتجه مشرقاً في واد متسع فيه على بعد أراض ذات شكل تارة مربع وتارة مستطيل مرتفعة نحو خمسة أمتار مسطحة مرملة يغمرها السيل من الجبال المجاورة لها ويزرعها العربان ذرة وخضراوات وفي س ٨ و ٢٠ ق مرّ بقطعة أرض عن يساره مرتفعة فيها نخيل وزروع وعشش تسمى بالجديدة وعلى يمين الطريق صخرة منفردة في جنب طريق بين الشرق والجنوب صالحة لمن يسير من السعاة إلى مكة ثم اتجه الركب مشرّقاً منحرفاً إلى الشمال وفي س ٩ و ٤٥ ق شرع في وادي الليمون عن يسار أرض مرتفعة محاطة بسور ذي حجارة مرصوصة ارتفاعه نحو مترين متسعة فيها نخيل وأشجار وبيوت مبنية في سفل الجبل وعن يمينه في أسفل الجبل بعض نخيل وهناك يباع النارنج والليمون والفجل والفقوس وغير ذلك وعن يساره جنات ممتدات على الطريق فيها أشجار ليمون كثيرة وكذا تين شوكي تنصب إليها المياه من جبل بعيد وتجري في وسطها فكأنها روضة من الجنة وفي س ١٠ و ١٥ ق اتجه شمالياً ومر على قناة كبيرة ماؤها جار إلى جنان[٣] وهو عذب جداً وبعد خمسمائة متر اتجه إلى

---

(١) مبحراً: في اتجاه البحر.

(٢) مرملة: تكثر فيها الرمال الناعمة FineSands.

(٣) جنان: حدائق.

الشرق وبعد ألف متر انتهى الزرع ومرّ على ماء منصب من الجبل يميناً إلى قناة مبنية ثم منها إلى الأرض ليدخل في الجنان ثم يجري إلى مسافة بعيدة ونزل الركب بوادي الليمون قريباً من هذه العين في الساعة ١٠ و ٤٠ ق في مكان متسع مرتفع عنده سوق فيها يباع اللحم والسمن والأرز المطبوخ والفطير ونحو ذلك يأتي إليها البياعون من مكة خصوصاً للتسبب [١].

من وادي الليمون إلى أرض المحاجر

وفي يوم الثلاثاء كانت الحرارة عند الشروق ٢٦ سنتجراد وبعد س ١ و ٤٥ ق سار الركب مشرّقاً مبحّراً في أرض متسعة مرملة ذات زلط محاطة بالجبال وفي س ٦ و ٤٠ ق استراح وفي س ٧ و ٢٠ ق سار إلى الشرق تقريباً وفي س ٨ و ١٠ ق اتجه إلى الشرق الشمالي ثم تارة إلى الشرق وتارة إلى الشمال على حسب وضع الجبال في سنط وزلط ورمل وفي س ٩ و ٢٠ ق ظهر جبل أمامنا يظن أنه ساد للطريق فهبط يسيراً واتجه إلى الشمال في اتساع بين الجبال ورمل مستوٍ ثم مال إلى الشمال الغربي وفي س ١٠ و ١٠ ق مرّ على بئر يميناً في أسفل الجبل ماؤها مالح صالح لشرب الدواب واستمر الرعد مع انتشار الغمام [٢] وفي س ١٠ و ٢٠ ق نزل الركب للمبيت قريباً من أول البقعة المسماة بالمضيق .

وفي يوم الأربعاء ٥ محرم س ١٢ و ٣٠ ق سار مبحراً وكانت الحرارة ٢١ درجة والبرد شديد وبعد عشر دقائق مرّ على عبل وارتفاع قليل ثم انخفاض وسنط وزلط ثم بمتسع عن يساره تلول صغيرة وفي س ١ و ١٠ ق اتجه إلى الشمال الغربي وبعد س ١ و ٣٠ ق اتجه إلى الشمال بين جبال وضاقت الطريق فصارت نحو عشرين متراً وهذا ابتداء المضيق ثم اتجه من الشمال الشرقي إلى الشرق ثم تكاثرت المحاجر واعتدل إلى الشمال بعد س ١ و ٤٧ ق ثم مرّ في متسع وبعد دقيقتين تعسر المنفذ من الحجارة فلم يمر غير جملين جملين ثم انحرف مغرباً وفي س ١ و ٥٧ ق بحّر ثم

---

(١) التسبب: السبب في اللغة يعني الحبل وكل ما يتوصل به الى غيره والمعنى هنا البيع والشراء.

(٢) الغمام: السحب، وواحدته (غمامه).

شرّق ثم أخذ مبحّراً على حسب وضع جبال الجهتين في الاعوجاج والارتفاع والانخفاض وكثرة السنط والزلط وفي س ٢ اتسع الطريق شمالاً والجبال في ارتفاع وانخفاض مع كثرة الحجارة ثم انحرف إلى الغرب الشمالي وفي س ٢ و ٢٥ ق شرق نصف دائرة ثم اتجه شمالاً وفي س ٢ و ٣٥ ق دخل في محجر لا يمرّ منه إلا الجمل فالجمل مسافة ٢٥ متراً ثم صار يمر منه الجملان فالجملان وفي س ٢ و ٤٣ ق دخل مشرقاً في محجر ثم اتجه للشرق القبلي وفي س ٢ و ٥٤ ق شرّق في عرض عشرين متراً وسهل المسير وبعد س ٣ و ٨ ق انتهى المضيق واتسع الطريق بعض اتساع بين سنط وزلط واتجه إلى الشمال الشرقي وبعد س ٣ و ٢٥ ق تناقصت جبال اليسار مع وجود تلول على اليمين وبعد عشر دقائق مرّ في محجر مرتفع يسير منحدر عرضه عشرة أمتار وبعد ثلاث دقائق في منحدر خفيف يصعد منه إلى أرض بين تلال نحو خمسين متراً ثم يهبط منه إلى واد بين تلال متجهاً إلى الشمال وهنا تنتهي محاجر المضيق ثم يستوي الطريق ويتسع الوادي يساراً ثم تتباعد جبال اليمين وبعد س ٥ أخذ في هبوط وصعود إلى أرض مستوية وبعد س ٥ و ١٥ ق نزل للرياضة وبعد س ٦ سار بين جبال من الطرفين في اتساع ٣٠٠ متر وبعد ١٠ ق ضاقت الطريق إلى مائة متر ثم إلى ٥٠ وشرّق الركب ماراً بين تقاطع السلسلة كدائرة ثم اعتدال إلى الشمال الشرقي بعد س ٦ و ٢٥ ق في اتساع وانخفاض لجبال اليسار وبعد س ٦ و ٢٥ ق نزل للمبيت في أرض الحفائر بين الجبال ليأخذ منها المياه إلى المحطة التي تليها لعدم وجود ماء فيها وأما هذه الأرض فبمجرد حفرها قليلاً ينبع منها الماء وبعد س ٧ و ٣٠ ق من هذا اليوم كانت الحرارة ٣٧ سنتجراد ثم عند الغروب انخفضت إلى ٣٠ درجة وعربان هذه الجهة لا تؤمن .

من أرض الحفائر إلى محطة حاذا

وفي يوم الخميس ٦ منه س ١٢ و ٢٠ ق سار والحرارة ٢١ درجة وبعد س ١٢ و ٥٥ ق ضاق الطريق من كثرة الأحجار والتلال في الجهتين ثم اتسع نوعاً مشرّقاً مبحّراً وبعد س ١ و ٤٠ ق مرّ في زلط كثيرة واتجه إلى الشرق وانتهت الجبال وبعد ثلاثة دقائق عاد إلى الشرق الشمالي في واد متسع ذي سنط وزلط وبعد الساعة

الثالثة مرّ على رمل بلا زلط وشجر وبعد ربع ساعة على زلط خفيف بأرض في غاية الاستواء صالحة للطرق الحديدية وفي س ٦ و ٦ ق كانت رياضة وفي س ٦ و ٤٥ ق سار في براح مستوٍ والحرارة ٣٥ سنتجراد وبعد خمس دقائق مرّ على تلال على اليمين بعيدة موازية للطريق وبعد س ٧ و ٣٥ ق انتهت التلال مع بقاء الاستواء وبعد س ٧ و ٥٣ ق مرّ على ثلاثة كيمان [1] يمينا وتلال خفيفة بعيدة يساراً وبعد س ٨ و ١٠ ق مرّ على حشائش بالبعد نافعة للدواب وهذا المكان يسمى بوادي البركة ومال عن الشمال إلى الشمال الشرقي ولاستواء الأرض كان الجمل يسير من ٤٠٠٠ متر إلى ٥٠٠٠ متر في الساعة وبعد س ١٢ مرّ في زلط كبير كثير وبعد ثلاثة دقائق في رمل وحشيش وبعد س ١٢ و ٢٠ ق في بقعة أرض يساراً منخفضة عن الأرض بمترين مربعة الشكل طولها خمسون متراً كانت بها بركة ماء وهي الآن مردومة[2] ليس فيها ماء وإنما يحمل الحجاج الماء معهم من الحفائر السابقة وبعد س ١٢ و ٢٥ ق نزلَ الركب للمبيت .

وفي يوم الجمعة بعد س ١٢ سار والجوّ بارد والحرارة ٢٧ سنتجراد وبعد ٥ ق مرّ من محجر معوج عرضه ٥٠ متراً كثير الزلط يعسر المرور فيه فشرّق مغرّباً نحو نصف دائرة ثم اعتدل مبحراً وبعد ١٢ ق أشرقت الشمس واتجه إلى الشمال في براح من الأرض مستوٍ مرمل وبعد س ١ مرّ على حشيش وأخذ الوادي في الاتساع جداً وهو صالح للزراعة وبعد س ٣ و ٣٥ ق على أرض صلبة وحشيش وبعد س ٦ و ٣ ق نزل للراضة وبعد س ٦ و ٣٥ ق سار بين الشمال والشمال الغربي في أرض مستوية وبعد س ٧ و ٣٠ ق مرّ على زلط كبير منتشر نحو مائتي متر ثم على رمل وحشيش وبعد ربع ساعة قربت تلال اليمين شيئاً فشيئاً متسلسلة من زلط أسود وكانت الحرارة ٣٤ سنتجراد وبعد س ٩ انتهت التلال وبعد ٦ ق مرّ في زلط كبير ينتهي بعد ٢٠ ق متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد س ٩ و ٤٨ ق مرّ على زلط خفيف ثم رمل وحشيش وبعد س ١٠ و ٨ ق مرّ على تلال متقطعة يميناً وأخرى على بُعد ٣٠٠ متر يساراً

---

(١) كيمان: جمع كوم.

(٢) مردومة: مدفونة.

متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد ٤ ق كثر الزلط وبعد س ١٠ و ٤٥ ق مرّ على تلال خفيفة متجهة إلى الشرق وبعد س ١١ و ١٠ ق مرّ على تل يميناً وعلى حشائش ثم زلط ثم حشيش وعبل [١] كثير ثم زلط ثم عبل وحشيش ثم زلط في واد متسع ثم حشيش وهكذا إلى محطة حاذا فنزل بها الركب بعد س ٢ و ٤٥ ق ليلاً في محل متسع مخطط بقنوات وأحواض للزراعة فيه ثلاثة آبار مياهها عذبة وهناك جبل في أعلاه بناء شبيه بالمرقب أي المنظرة .

الطريق من محطة حاذا إلى محطة السفينة

وفي يوم السبت قبل الشروق كانت الحرارة ١٧ سنتجراد وفي نهاية الساعة الأولى سار في أرض خصبة جيدة للزراعة مابين الشرق والشرق الجنوبي وبعد ٨ ق مرّ بأرض سبخة فيها حشائش وكان السير فيها صعباً من الأمطار وبعد س ٣ كثر السبخ واتجهنا على يسار تلول بعيدة على شكل أهرام وبعد ١٠ ق مررنا على تلال يساراً ممتدة على محاذاة الطريق وبعد س ٣ و ١٧ ق مرّ على زلط خفيف وتل قريب على اليسار ثم على سبخة واتجه إلى الشرق وبعد س ٣ و ٤٠ ق اتجه بين الشرق والشرق الشمالي وتلال اليمين إلى الجنوب وبعد ٥ ق بعدت وتسلسلت إلى اليسار على امتداد الطريق في مستوى متسع من الأرض قليل السبخ وفي س ٤ و ٢٥ ق ظهر على اليسار جبل مغرّب وعلى اليمين براح [٢] واتجه بين الشمال والشرق الشمالي في أرض متسعة ممتدة يعلوها سبخ بدون حشيش وبعد س ٥ و ٣٠ ق قربت جبال اليسار وبعد س ٦ كانت الرياضة والحرارة ٣٢ درجة وبعد س ٦ و ٣٥ ق سار وعن يمينه جبال بعيدة متقطعة وبعد س ٦ و ٤٧ ق مرّ وعن يساره جبل مغرّباً ثم أكمة [٣] عالية بعيدة تعقبها جبال متسلسلة وبعد س ٨ و ٤٠ ق بحّر تاركاً عن يمينه

(١) عبل: هو كل ورق مفتول غير منبسط كورق الأثل والطرفاء، وقيل هوهدبه إذا غلظ في القيظ، وأصله من الشجر، ورقه لا يهذّب ولا يشذب.

(٢) براح: اتساع ـ منطقة فضاء.

(٣) أكمة: منطقة تجمع رمال وعادة ما تكون مرتفعة على هيئة قبة.

أكمتين ممتدتين إلى الجنوب وعن يساره جبال محدقة وبعد ٢٠ ق جبال عن يمينه بالبعد وأمام الطريق جبال متقطعة والأرض في جميع سير هذا اليوم سبخة وبعد س ١٠ و ٣٠ ق جبل هرمي على بعد ٢٠٠ متر واتجه الطريق مبحّراً في أرض بها بعض حشائش وصخور وبعد ٧ ق وجد صعود يسير يعلوه زلط من تلول اليسار الممتدة إلى الغرب المتصلة بجبل اليمين وبعد ١٠ ق هبوط بأرض مرملة وفي س ١٠ و ٤٥ ق كانت راضة وسار بعد س ١١ ثم وصل بعد ١٠ ق إلى مكان المحطة لكن لفقد الماء بها استمر على السير في أرض سبخة وبعد س ١١ و ٣٠ ق سار في رمل صلب واتساع عن يمينه صخور متكونة من أحجار هائلة وفي يساره بعد ١٥ ق صخور أيضاً تليها على البعد جبال وبراح متسع يميناً وبعد س ١٢ و ٢٠ ق نزل للمبيت بواد متسع ذي أرض صلبة يسمى الحبيط .

وفي يوم الأحد ١٠ محرم سنة ١٣٠٣ سار بعد س ١٠ وكانت الحرارة ٢٢ درجة ثم انخفضت بعد س ١٢ إلى ١٩ درجة واتجه من الشمال إلى الشمال الغربي في فلاة متسعة سبخة فيها يسير زلط تحيط بها جبال بعيدة والبرد مشتد وبعد ٢٠ ق أشرقت الشمس وبعد س ١٢ و ٣٠ ق سار في أرض يعلوها ملح كثير وأمامه على البُعد أكمات هرمية وبعد س ١٢ و ٥٥ ق خف الملح نوعاً وبعد س ٣ اتجه إلى الشمال الغربي في أرض ذات حشائش وبعد س ٣ و ٢٠ ق وصل إلى أحجار كبار على اليسار وبعد ٥ ق إلى أرض حجرية مستوية وجبل لطيف متسلسل إلى الغرب وبعد ٥ ق إلى رمل وسنط وبعد ٧ ق إلى أحجار كبار على يساره وجبل هرمي بعيد عن يمينه وبعد س ٣ و ٤٠ ق إلى صخر بعضه متساو مع رمل الأرض وبعضه مرتفع وعلى يساره أكمات حجرية وعن يمينه أشجار وصخور متقطعة متباعدة عن بعضها بمسافة ومحاذية للطريق وأمامه سلسلة جبال من الشرق إلى الغرب وبعد س ٤ استراح وبعد س ٤ و ٤٠ ق سار في أرض ذات زلط يسير وبعد ١٠ ق مرّ على جبال صغار متفرقة عن اليمين وبعد س ٥ و ١٠ ق مرّ على زلط خفيف عند مبدأ جبل مشرّق يميناً وجبال قريبة مبحّرة وكانت مسافة السير نحو (٤٠٠٠) متر في الساعة وبعد ١٥ ق استراح وفي س ٥ و ٤٠ ق سار وبعد خمس دقائق مرّ على سنط كبير

مسافته ٢٠٠ متر أكثره على اليمين وبعد س ٦ على تل حجري عن يساره وبعد س ٦ و ١٢ ق بين سلسلة جبال شرقية غربية وعلى الجانبين تلال مع صعود وهبوط يسيران وبلغت الحرارة ٣٤ سنتجراد وبعد س ٦ و ٤٠ ق على تل صغير عن اليمين وآخرين على اليسار ببُعد وبعد س ٧ و ٢٥ ق على حشائش متجهاً إلى الشمال الغربي مغرباً على سلسلة أكمات عالية مشرّقة مغرّبة وبعد س ٨ و ٥ ق صعد على محجر كثير الزلط مشرّقاً نحو ٥ ق ثم اتجه مغرّباً تاركاً عن يمينه الجبال في براح من الأرض يعلوه زلط يسير وبعد س ٨ و ٢٦ ق مرّ على سنط على يساره وبعد ٢٢ ق انتهى جبل اليمين وظهرت أمامنا جبال على البُعد مبحّرة مغرّبة في س ٩ وزلط كثير وبعد ٤ ق في هبوط إلى أرض متسعة ذات حشايش وبعد س ٩ و ١٥ ق وصل إلى محطة السفينة فنزل بها بجوار نخيل وآبار عذبة الماء ومزارع وعشش وسوق معد للبيع والشراء .

الطريق من محطة السفينة إلى محطة الغدير

وفي يوم الاثنين ١١ منه سار س ١٢ و ١٥ ق والحرارة ١٧ سنتجراد متجهاً إلى الشمال الغربي تاركاً الجبال عن يمينه وبعد س ١٢ و ٤٠ ق صعد في محجر صعب كثير الأحجار وبعد س ١ و ١٢ ق انتهى المحجر واتجه مبحراً وبعد س ٢ و ٧ ق مرّ على زلط بين جبال من الجهتين وبعد ٦ ق صعد وبعد ١٥ ق هبط وبعد ٧ ق اتجه مغرّباً ثم بعد ٧ ق أخرى صعد في ملتقى جبلين وبعد ٨ ق هبط واتجه مبحّراً ثم مال إلى الغرب الشمالي وبعد س ٢ و ٥٥ ق انتهى جبل اليسار وظهر غيره متسلسلاً على بعد وحشيش صالح لمرعى الجمال وبعد س ٣ و ٣٥ قد اتجه إلى الشمال وبعدت جبال اليمين نوعاً ماراً بين حشائش وسنط وبعد ٣٠ ق كثر السنط وبعد س ٤ و ٢٠ ق مرّ على زلط ثم حشيش وبعد ٥ ق اتجه إلى الشمالي الشرقي عن يمين جبل هرمي بعيد وقلّت الجبال من الجهتين وبعد س ٤ و ٣٠ ق مرّ في واد متسع وبعد س ٥ و ١١ ق على جبل يميناً واتجه إلى الشمال وبعد ٩ ق مرّ في صعود سهل وانعطف إلى الشمال الشرقي وبعد س ٥ و ٢٥ ق أفضى الصعود إلى واد متسع تاركاً الجبل المار ذكره عن يمينه ومتجهاً إلى الشمال وبعد ٥ ق شرّق تاركاً درب الطريق المعتاد عن

يساره وبعد س ٥ و ٣٧ ق مرّ الركب وعن يمينه جبل متجهاً إلى الشمال في انحدار يسير ذي زلط وبعد س ٥ و ٥٥ ق نزل للرياضة وبعد س ٦ و ٣٠ ق سار وبعد ٢٠ ق اتسع الوادي وبعد س ٧ مال الطريق إلى الشمال الغربي وبعد ٨ ق سار في سبخ ذي ملح وعن يمينه بمسافة ذات بُعد يسير جبل وبعد س ٧ و ٣٠ ق سار في سبخ ثم رمل ثم حشائش وبعد س ٨ في سبخ متسع يعلوه ملح وبعد س ٩ انتهى الملح والسباخ وهذه الطريق أقصر من الطريق السويرجيه ولم يمر منها الركب لكون موقعها على اليسار بمسافة كبيرة وبعد س ١٠ و ٤٠ ق مرّ على بعض حشائش وسنط وبعد س ١٠ و ٥٠ ق نزل للرياضة وبعد الساعة ١١ و ٥ ق سار وبعد س ١ من الليل مرّ بمحطة العام الماضي التي لا ماء فيها تاركاً عن يمينه جبالاً متسلسلة إلى الشرق وبعد س ١ و ٣٠ ق مرّ في أرض مرملة ذات زلط يسير وفي س ٢ مرّ على سنط وحشيش وبعد س٢ و ٢٠ ق نزل الركب في أرض متسعة بها على يسير من البُعد جبال ولا ماء بها تسمى أرض السويرجية وقد ناله تعب شديد من العربان الجمالة لهزال جمالهم من قلة العلف وفقدهم الحبال الكافية لشد الأحمال ومن كون العشرة من الجمال بل والأزيد ليس لها إلا جمّال واحد يتعسر عليه تحميلها وحده فأصحاب الأحمال من عساكر وفراشين وضوية وعكامة يحمّلون جمالهم بأنفسهم وجمال سائر المتوظفين ولولاهم لكان المتوظفون يحمّلون جمالهم بأيديهم .

الجمّالون

ومع هذا يغضب الجمّال من أدنى شيء ويسل سيفه على الخدمة فيجتمعون عليه ويأخذون منه السيف قهراً ويأتوني به فكنت اطفاء للفتنة أسترضيهم للاحتياج إلى أباعيرهم[1] التي لاوجود لغيرها في هذه الأراضي المنقطعة امتثالاً للحديث رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس وعملاً بقول بعض البلغاء[2] دارهم مادمت في دارهم وأرضهم مادمت في أرضهم[3] ولم يمر يوم إلا وترفع إليّ منهم شكوى على

(١) أباعيرهم: جمالهم.

(٢) البلغاء: جمع بليغ وهو العاقل ثاقب الرأي.

(٣) دارهم ما دمت في دارهم وارضهم ما دمت في أرضهم: قول مأثور.

أدنى سبب ومتى أراد أحد من الخدمة الركوب على الجمل الذي عليه متاع قليل تشاجر معه الجمّال ومنعه من الركوب وركب هو وترك هذا الخادم ماشياً ويقول الجمّال إن الجمل جملي وأنا أحق بأن أركب على المتاع من الخادم ولم يرض الجمالون بركوب الخدامين إلا بشق الأنفس وبشرط أن يتناوبوا معهم في الركوب ومازالوا ينغصون على الراكب والماشي فلا يبلغ أحد من الحجاج اربه منهم إلا بعد كل مشقة ومن الانقياد لأغراضهم الفظيعة فيندم الحاج على السفر للحج الذي أحوجه إليهم فكلهم جاعة حفاة عراة ليس عليهم ثياب إلا القمص الرثة وإلا كمار والاردية[1] الحمر وترى الأمراء منهم يتجملون إذا دخلوا البلدان بأفخر الملبوس من مُقصّب[2] ومزركش[3] وحرير وفي الطريق تراه صعلوكاً حافياً أسوأ حالاً من الفقراء وما منهم إلا من معه سلاح من سيف أو خنجر أو طبنجات ليخيفوا بذلك الركاب ويثبوا على الضعيف وثوب الكلاب وعندهم السرقة شطارة والخيانة إمارة قاتلهم اللّه أنى يؤفكون .

وفي يوم الثلاثاء ١٢ محرم سنة ١٣٠٣ سار الركب بعد س١٢ و ٤٠ ق والحرارة ١٩ سنتجراد في واد متسع أرضه ثابتة وفيها حشيش يعلوه زلط خفيف محاط بجبال بعيدة متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد س ٢ و ٣٠ ق صعد بين جبلين إلى واد آخر متجهاً إلى الشمال عن يمين جبل هرمي وبعد س ٥ مرّ في محجر مسافته ٣ ق مشرّقاً ثم مبحّراً مائلاً إلى الشمال الشرقي ثم مبحّراً بين أكمات وزلط وشجر وبعد س ٥ و ٥٠ ق بين جبال على الجانبين من الشرق إلى الغرب مدة ٦ ق ثم مال قليلاً إلى الشرق الشمالي وبعد س ٦ اتجه إلى الشمال الشرقي بين تلال حجرية وبعد ٣ ق اتجه إلى الشمال وبعد س ٦ و ٢٥ ق مرّ بالقرب من جبل على اليمين وعن يساره على البُعد جبلان هرميان واستمر في طريق متسعة ذات أحجار صخرية وسنط كبير وبعد س ٧ نزل الركب للاستراحة بجوار فحائر ماؤها عذب والحرارة ٣٦ سنتجراد وبعد س ٧ و ٥٠ ق سار وبعد س ٨ و ٩ ق مرّ في محجر يسير ثم في سنط كثير .

---

(١) الأردية: جمع رداء.

(٢) مُقصب: مطرز بخيوط ذهبية وفضية.

(٣) مزركش: ملون ومزخرف.

مخاطر الطريق وهجوم العريان

وبعد ١٠ ق هاجت الجمال والعساكر وشاع في الركب أن العريان نزلت من الجبال أواخر الحجاج فنهبوا جملاً وقتلوا مقوّما وعسكرياً فتقهقر أحد المدافعين إلى وراء ثم انكشف عن أن الشريف الذي ندبه سعادة شريف مكة ليحمينا ويمنعنا من إيذاء العريان إلى أن نصل المدينة بقي جالساً بجانب إحدى الحفائر حتى سار الركب وغاب عن العيون فنزلت عليه العريان من الجبل المجاور لهذه الحفائر (الذين من دأبهم اتباع القوافل والمحامل في الخفية مدة خمسة أيام فأكثر ليسلبوا من يتأخر منهم ماله وجماله التي لايتركونها ولو ماتت ليسلخوا جلودها) وحالاً أطلقوا الرصاص على هجين لهذا الشريف فقتلوها وسلبوا أخرى مع حملها ففر إلى جهة الركب على هجين آخر وتلاحق به أتباعه وعدوا السلامة غنيمة فحمدوا اللّه على نجاتهم وحكوا[1] ما جرى لهم مع أن وظيفة هذا الشريف هي حفظ الركب من هؤلاء الأعراب وحراسته من هذه الذئاب فقلت :

سلب الذي قد قلدوه محامياً ... للركب حتى صار تحت حمايته

ومن هذا المعنى مثل قول العوام

طلعت تجري يا مغرور ... لاجل كيد الرجالة

أخذوا طقيتك يامسكين ... وجيت براسك عريانه

ذكر قبيلة اللهبا

كما وأن قبيلة من العرب تسمى اللهبا ما بين رابغ والمدينة حرفتها السرقة والنهب قديما ويتبعون القوافل من مكة إلى المدينة ذهاباً وإيابا ويختفون نهاراً في الجبال وفي الليل يسرقون الحجاج وبعد انقضاء الحج يبيعون سرقتهم من الأمتعة الثمينة بأدنى قيمة ومن عاداتها إذا تزوج منهم أحد يمهل زوجته بالمهر إلى آخر

(١) حكوا: أخبروا، من حكي.

موسم الحج ليدفعه من سرقته وبعد س٩ و ٥٠ ق سار الركب في محجر ذي زلط كبير كثير واتجه مبحراً بين جبال قريبة من جهة اليمين وبعيدة من جهة اليسار وبعد ٥ ق زلط صغير وبعد س١٠ و٦ق مرّ الركب في محجر متسع وجبال كالسابقة وبعد ١١ق اتجه إلى الشمال الغربي ماراً على زلط كثير وبعد س ١٠ و ٣٥ ق اتجه مغرباً في واد متسع وبعد س ١٠ و ٥٥ ق كثر الشجر ووصل إلى مهبط ذي انحدار ومنه إلى مصعد من محجر إلى أحجار كثيرة بين تلال منخفضة المسير منها مستصعب ممتدة ومائلة إلى الجنوب الغربي وصعوبة المسير من تراكم الأحجار واعوجاج الدرب وبعد س ١١ و ٢٠ ق سهل الدرب نوعاً وبعد ١٠ ق مرّ من مهبط صعب حجري إلى خور وقبل مصعد أو لولا عدم الأمطار لكان السيرخطراً وبعد ٨ ق انتهى الصعود واتجه مغرباً في أحجار كثيرة ذات اتساع كبير بين جبال وبعد س ١٢ نزل الركب للمبيت بمحطة الحجرية الكثيرة الحجارة أسفل جبل بعيد عن الآبار بربع ساعة .

وفي يوم الأربعاء ١٣ منه سار س ١٢ و ٥٠ ق مبحراً في سنط وعن يساره جبال وبعد س ١ و ٥ ق اتجه إلى الشمال الشرقي في أرض متسعة ذات جبال على اليسار وبعد ٥ ق بحر في براح [١] ذي زلط يسير وبعد س١ و ٤٠ ق مرّ على أشجار كثيرة وبعد ٢٠ ق على زلط كبير كثير مسافته خمسون متراً متجهاً بانحراف إلى الشمال الشرقي وبعد س٢ و ١٠ ق انتهت الجبال واتسع الوادي في أرض مستوية صلبة متجهاً تقريباً إلى الشمال عن يسار السنط وبعد س ٣ مرّ في سنط كثير مع الميل تارة إلى الشرق الشمالي وبعد س٤ و٢٥ ق في سنط وعن يمينه أكام من الزلط وبعد س ٤ و٥٨ق على أحجار سود متسلسلة من الشرق إلى الغرب وبعد س٥ و٦ق انتهت الأحجار وبعد ٧ ق مرّ وعن يمينه أحجار وسنطة إلى براح وبعد س ٥ و ٢٠ ق إلى زلط مسافته كبيرة ثم إلى براح وسنط عن اليمين وبعد س ٥ و ٤٥ ق إلى براح مستوٍ خال من الشجر وبعد ٨ ق إلى زلط منتشر وسلسلة مشرقة مغربة وبعد س ٦ انتهى المرور والهبوط منها وبعد ٣ ق مرّ في واد به حشيش وبعد س ٦ و ١٥ ق استراح وكانت الحرارة ٣٢ سنتجراد وبعد س ٦ و ٤٧ ق سار وعن يساره تل عال

---

(١) براح: أرض فضاء، متسع.

وخلفه جبال بعيدة مبحرة وبعد س ٧ و٥ ق صار التل المذكور عن يمينه واتجه السير إلى الشمال قريباً من أحد الجبال المذكورة في أرض مرملة ذات حشائش وبعد س ٨ و ٤٣ ق مرّ على شجرة سنط كبيرة منفردة ذات اليمين وبعد ٥ ق على تلال من زلط شبيهة بجسر على ذات اليسار بعضها متجه إلى الغرب وبعضها إلى الشمال وبعد س ٩ و ٣٥ ق مرّ على تلال على اليمين متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد ٥ ق على تلال عن اليسار وعلى جبال ذات اليمين بعيدة في أرض ذات رمل ثابت وبعد س ١٠ على جبل عن اليمين مشرّقاً وبعد س ١٠ و٣٠ ق نزل للمبيت عن يسار تلال بمحطة غرابة في واد متسع مجرد عن المياه ومياه هذه الطريق باردة كلها تحمل الشارب على تناول مقدار كبير منها لاحتوائها على أملاح كيماوية كالصودا وكبريتات الباريتا[1] وهي لزجة ولا ترغي الصابون ماعدا مياه وادي الليمون ومياه الحجرية وبعد س ٩ و ٣٠ ق من الليل سار وبعد س ١١ و ٣٠ ق مرّ على تلال عن اليمين وبعد س ١٢ حط لصلاة الصبح وبعد ٣٠ ق سار متجهاً إلى الشمال الغربي .

وفي يوم الخميس س ١ و ٢٥ ق مرّ على حشيش كثير وبعد ٢٥ ق اتجهت جبال اليمين إلى الشرق وعلى اليسار جبال بعيدة وبعد س ٢ و ١٠ ق مرّ وعن يساره تلال منخفضة وبعدت جبال اليمين وبعد س ٢ و ٣٠ ق ابتدأت عن اليسار تلال متجهة إلى الغرب وبعد دقيقتين اتسع الوادي وبعد س ٣ و ٢٠ ق صعد يسيراً على تلال مستحجرة وبعد ٥ ق انحرف الاتجاه مغرّباً بين تلال ثم اعتدل إلى الشمال الغربي وبعد س ٣ و ٣٥ ق مر بين تلال عن اليمين وجبال عن اليسار مقبلة وبعد ٥ ق بين سلسلة جبال في أرض متسعة فيها زلط كثير وبعد ٥ ق أخرى ابتدأ عن اليمين جبل مبحّر وعن اليسار براح وبعد س ٤ نزل الركب للرياضة وبعد س ٤ و ٣٥ ق سار إلى الشمال الغربي إلى براح في أرض سهلة صلبة واتسع الوادي وتباعدت الجبال وكانت الحرارة ٣٣ سنتجراد وبعد س ٦ و ٤٥ ق مرّ على تلال عن اليسار متسلسلة إلى الغرب وبعد س ٧ و ٣٠ ق تقاربت التلال وبعد س ٩ و ١٥ ق مرّ وعن يمينه جبل على بعد ٢٠٠٠ متر متسلسل إلى الشرق وبعد س ١١ و ٥ ق مرّ وعن يمينه جبل

---

(١) باريتا: باريوم Baryte.

وبعد ١٠ ق مرّ بين جبال متسلسلة من الشرق إلى الغرب ترى من بعد خمس ساعات لاستواء الأرض متجهاً بين الغرب والشمال الغربي وبعد س ١٢ اتجه إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي ثم بعد ١٠ ق إلى الشمال الغربي بين جبال في أرض يعلوها زلط وبعد س ١٢ و ٤٠ ق مرّ في انحدار متناسب وتعطفت(١) الطريق على حسب الجبال ثم في محاجر وبعد س ١ من الليل اتجه إلى الغرب وبعد س ١ و ٤٠ ق نزل للمبيت بمحطة الغدير المسماة بالخنق أيضاً بواد متسع بين جبال وهناك على بُعد ستة دقائق بركة من ماء المطر في سفل جبال من الصخر طولها مائة متر وعرضها عشرة أمتار تمتلىء من قناة بين جبلين ماؤها عذب يرغي الصابون .

الطريق من محطة الغدير إلى العنبرية

وفي يوم الجمعة ١٥ محرم بعد س١ و٢٥ ق سار مغرباً تقريباً ثم اتجه إلى الشمال الغربي بين جبال تارة إلى الشمال وتارة إلى الغرب وبعد س١ و٥٠ ق اتجه إلى الغرب وبعد ١٠ق بين الشمال والشمال الغربي في متسع نوعاً مع الاستواء وبعد س ٢ و٣٠ ق تارة إلى الغرب وتارة إلى قبلي وبعد ١٠ ق سار في صعود سهل إلى أرض مستوية فيها عن اليمين جبال متجهاً بين الغرب والقبلي الغربي وبعد س٣ و ١٥ ق استقام إلى الغرب وبعد س ٣ و ٣٥ ق هبط في محجر بين جبلين وبعد س ٤ سار في زلط كثير وهبط إلى واد ذي زلط عن اليسار وبعد ١٥ ق اتجه إلى الشمال الغربي على أحجار منتشرة في جميع الوادي فلولا آثار الجمال لصعب المرور من هذه الطريق جدا لاسيما مع الأمطار وبعد س ٤ و ٤٥ ق انحرف بين الشمال والشمال الغربي وقلّت الأحجار ثم بعد ١٥ق كثرت وبعد س٥ و٨ ق هبط إلى منخفض صعب لكثرة أحجاره وهذا الوادي يسمى الحادة وبعد س ٥ و٤٠ ق اتجه إلى الشمال الغربي في أحجار كثيرة مع هبوط قليل وبعد س ٦ و ١٥ قد اتجه إلى الغرب على جبل كبير مبحر عن آخرين وبعد س ٧ مرّ في منحدر خفيف وعن يمينه تل وبعد ٧ ق صعد قليلاً إلى سطح متسع وبعد س ٧ و ٢٥ ق انتهت الأحجار وهبط إلى أرض مرملة

---

(١) تعطفت: انحرفت.

تعرف بغدير الأغوات ذات شجر من السنط وبعد س ٧ و ٣٠ ق كانت راضة والحرارة ٣٨ سنتجراد وبعد س ٨ و ١٥ ق سار وبعد ٢٠ ق عبر على تل خفيف وبعد س ٨ و ٥٧ ق على خور متسع أرضه ثابتة ذات استواء تصلح للزراعة وبعد ٥ ق صعد في محجر صعب إلى أرض كثيرة الأحجار وبعد س ٩ و ١٣ ق هبط إلى رمل وزلط متجها إلى الغرب على جبل أُحُد وبعد س ٩ و ٣٠ ق وصل إلى هبوط يسير وبعد س ٩ و ٤٨ ق وصل إلى صعود وبعد س ١٠ و ٥ ق اتجه بين الغربي والقبلي الغربي وبعد س ١٠ و ٢٠ ق إلى القبلي الغربي عن يمين جبال بعيدة وظهرت لنا قبة الحرم النبوي ومناراته وبعد س ١١ و ١٨ ق سار بين تلال وبعد ١٥ ق بين جبل أُحُد عن اليمين وجبل صغير عن اليسار وبعد س ١٢ و ١٠ ق مرّ على عدة آبار متجهاً إلى الجنوب الغربي وبعد ٥ ق نزل للمبيت بعيداً عن مسجد سيدنا حمزة .

وفي يوم السبت س ١ و ٢٠ ق وصل إلى قريب منه ثم انعطف إلى اليسار حتى بلغ أمام باب المدينة المسمى بالعنبرية س ٣ و ١٥ ق ونزل بمكانه المعتاد والعساكر الشاهانية مصطفة على جانبي الطريق خارج الباب لاستقبال المحمل ومسيقاها[1] تتغنى بكل الألحان والأنغام فرحاً بالوصول إلى أرفع مقام .

وصول المحمل المدينة المنورة

وفي صبيحة يوم الأحد س ٢ دخل المحمل المدينة النبوية واكباً من باب العنبرية محاطاً بالخيالة وأمامه العساكر الشاهانية وعساكر المحمل وموسيقاها في غاية الانتظام وأهل المدينة فرحون بذلك ومسرورون السرور التام والمحمل يتبختر تبختر العروس فيشرح بمرآه الصدور ويسر النفوس حتى وصل المناخة كما هي عادته في كل عام فأطلق الطوبخانة أحد عشر مدفعاً للسلام وعند دخوله من الباب المصري ترجل[2] كل راكب إجلالاً لصاحبه وقام كل قاعد ومرّ في شارع المدينة والبخور أمامه صاعد حتى وصل إلى باب السلام فاستلم شيخ الحرم سعادة عادل باشا من المحاملي

(١) مسقياها: موسيقاها.

(٢) ترجل: سار على رجليه.

الزمام وأناخه أمام العتبة التي تحيا بالقبل فرفع المحمل من على الجمل وأدخل الحرم الشريف إلى محله المعتاد في كل عام فرفع عنه متوظفوه كسوته وحملوها وعليهم الجبب البيض والعمائم مع غاية التأدب والاحتشام حتى أدخلوها حجرة المصطفى فتكاملت لهم بزيارة قبره عليه الصلاة والسلام المسيرة وعمهم الصفا وخرجوا بعد زيارة سيد الأنام حامدين شاكرين للملك العلام على ما منّ عليهم به من جزيل هذا الانعام .

حوادث النهب في الطريق

من مكة إلى المدينة

وفي يوم الاثنين والثلاثاء جرى صرف المرتبات بتكية المدينة وهي مجاورة لباب العنبرية عن يسار الداخل من هذا الباب وقد ذكرت صفتها في رحلتي المسماة بمشعل المحمل وكانت الحرارة ٢٩ سنتجراد صباحاً و ٣٠ ظهراً وبلغني أن المتوجهين من مكة إلى المدينة مع جمالة الحوازم الذين مقوّمهم مساعد والأحامدة الذين مقومهم المعلى بلغهم لما وصلوا إلى وادي فاطمة أن الطريق بالاشقياء من العربان مقطوع فأرادوا إلى مكة الرجوع فمنعهم المقومون وخيلوا لهم أن الأمر بخلاف ما يظنون وأشاعوا أن الطريق قد سلكت وأن العربان قد أصطلحت وخدعوهم بهذا المقال لئلا يطالبوهم متى رجعوا بما دفعوه إليهم مقدماً من أجر الجمال فتخيب آمالهم وتتعطل عن المكاسب جمالهم ولما اطمأن الركاب إلى هذه الأقاويل واغتروا بزخارف هذه الأباطيل ساروا حتى وصلوا إلى وادي فاطمة وأوقعهم الحصر بين هاتيك الجبال في مخالب الأمة الظالمة تواترت الأخبار بأن الطريق قطعه الشيخ محسن وأن التأخر والتقدم صار غير ممكن فعند ذلك تشوّشت [1] من الركب الأفكار وتوقعوا حلول الأخطار وودّوا لو أمكنهم الفرار من هؤلاء الفجار ولو مع سلب أحمالهم ونهب سائر أموالهم ولم يجدوا من يخاطبونه في هذا الشأن من هؤلاء اللئام ومكثوا على هذه الحالة ثلاثة أيام ثم سمحوا لهم بالمرور بشرط أخذ ريال عن كل جمل مما معهم من الجمال وكانت هذه

(١) تشوشت: يقصد انشغلوا بالأفكار وتوجسوا الخطر وهمسوا سراً.

الجمال غير يسيرة فتحصلوا بذلك على أموال كثيرة وكذا حصل منهم عند الوصول إلى عسفان إلا أنهم لم يأخذوا عن الجمل الواحد إلا نصف ريال في هذا المكان وقد غصبوا فضلاً عن ذلك من الأغنياء الذين في الركب نحو ٦٠٠ ريال مع ما كانوا فيه من الرعب وتشتت الأحمال وفقدهم لغالب أمتعتهم وتأخرهم نحو أربعة أيام عن المواقيت واتلاف الأنفس وتحكم الجمالة المماقيت[١] وسلب الذخائر وتطاول هؤلاء السفلة على من في الركب من الأكابر فقد كان من جملتهم حضرة محرم بك أبي جبل وحرم المرحوم فاضل باشا وغير من ذكر من الأعيان الذين وقعوا تحت أسر هؤلاء العربان بل الغربان وبعد الوصول إلى المدينة شاع هناك هذا الخبر فكم كتبوا في شأن ذلك من محضر وما أفاد ولا أثمر وقد بلغني أنه قبل الحج حضر من الآستانة مفتش عن أحوال العساكر والأهالي بمكة والمدينة ومعه ماهيات العساكر ثلاثة أشهر وصرف لعساكر مكة وتوجه إلى المدينة من الطريق الشرقي وبصحبته أربعة من العساكر البياده أعني البيشة أي الهجانة فسلبوا منه ماهيات عساكر المدينة بالطريق ثم عاد من المدينة مع القافلة المتوجهة إلى مكة للحج وقبل وصوله إليها بمرحلتين تباعد عن خيمته لإزالة ضرورة قبل العشاء فوقع ميتاً برصاصة ولم يعلم قاتله فاتهموا من معه من العساكر وسجنوهم بقلعة جياد بمكة ومحافظ المدينة الآن أحمد باشا فاضل برتبة فريق وكان مريضاً فتوفي بعد قيامنا من المدينة بشهر وشيخ الحرم النبوي سعادة عادل باشا برتبة مشير ومدير الحرم أحمد نظيف أفندي برتبة متمايز وأما الأغوات فنائب الحرم وخازنداره ومستلمه وشيخ أغواته و ٥٠ رئيساً و ٢٦ رديفاً[٢] للرؤساء و١٢ مشداً للحجرة النبوية و ٥١ كناساً للحرم وأما البوابون فهم ١١ والسقاؤون ١٠ ومنبر الحرم مصنوع من الرخام في غاية الاتقان والهندام بعث به إليه المرحوم السلطان سليمان .

---

(١) المماقيت: تعبير يقصد به الكره الشديد (ممقوت) أي مكروه.

(٢) رديفاً: تابعاً.

مكارم أهل المدينة

وأما أهل المدينة فهم الأخيار وأهل الانكسار وناهيك بتلك المنقبة التي هي بهم خاصة ومن وصفهم في القرآن بأنهم يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة[١] ومن العوائد[٢] الجارية عندهم في الضيافات والولائم بدون تحاش من معترض ولائم أن الضيف يعرف مجلسه المختص به على حسب مقامه المعلوم ورتبته فكل قاعة ليوانان [٣] يجلس الضيف في ركن أحدهما أو صدره على حسب جلالة رتبته ونباهة قدره ولا حاجة للمضيف إلى الدلالة والتعريف حيث إن ذلك بينهم معلوم لدى أهل الخصوص والعموم وفي المدينة الخضارات والفواكه اللذيذ جناها وأنواع التمر التي لاتوجد في بلد سواها وناهيك بمقال سيد الأنبياء مابين لابتيها شفاء .

الإيرادات المرتبة للحرم النبوي

أما الإيرادات المرتبة للحرم النبوي من الآستانة ومصر فهي مبلغ ١٠٥٠٠٠ غرشاً ثمن أقة زيت عدد ١٨١٥٥ يخص مصر منها ٤٤٥٩ أقة وباقيها من طرف الآستانة وقمح ٨٧٨٨ اردب باسم جراية الصدقة يرد إليها من مصر ترتيب المرحوم السلطان سليم لكل من السادة والخدمة والأهالي فضلاً عن مرتبات وأوقاف من جهات أخرى .

* واعلم أن المدينة معدودة من بلاد نجد الأول وخيبر من نجد الثاني وحائل الذي بالشرق من نجد الثالث المسمى بجبل شمر المقيم به ابن الرشيد وقبيلته وعرب عنترة تابعون له ونجد الرابع القصيم ونجد الخامس الرياض الذي منه الدرعية بلد إبن سعود فيصل الوهابي .

وفي يوم من الأيام حضر لديّ بالمدينة ثلاثة من الأعجام يشكون من وكيل

---

(١) خصاصة: بمعنى الفقر والحاجة.

(٢) العوائد: العادات.

(٣) ليوانان: منصتان.

قنصلاتهم الذي بالمدينة ومن الجمالة المقومين لأنهم طلبوا منهم أجرة خارجة عن الحدّ لكونهم من الأعجام ورغبوا إليّ في التوجه مع المحمل من طريق الوجه فتخابرت مع الوكيل المذكور فأظهر الرضا بذلك بشرط أن يدفعوا إلى العربان من الأجرة ماهو برسم الأخوة المعتادة من قديم الزمان وأخبرني أن تعريفة مشال العجم عند العربان من مكة إلى المدينة ٧٥ ريالاً لجمل الشقدف وللراكب ٣٠ وللعصم ١٠ وللمتاع[١] ٧ ومنهم من دفع عن الشقدف الواحد من ينبع إلى المدينة ١٢ جنيهاً ويزعم العرب أن هذه الأجرة هي مرتب الخوة[٢] وفضلاً عن ذلك أن الوكيل يأخذ عن كل شخص ريالاً بل أكثر والمقوم ريالاً أيضاً في مقابلة تشهيل المشال وكذلك المزوّر ريالاً وما عدا الأعجام فإنه يدفع عن الجمل الواحد من مكة إلى المدينة ١٨ ريالاً فقط ومن المدينة إلى الوجه سبعة عشر ريالاً ويدفع للمزوّر المقسوم [٣]وقد أخذ من هؤلاء الأعجام عن كل جمل من المدينة إلى الوجه ٤٠ ريالاً من ضمنها رسم الخوة أي الاخوة على اصطلاحهم هذا مع ما يقاسيه الأعجام في الطريق من العربان الجمالة من الذل والنهب والسلب واتلاف الأنفس والأموال فلأجل ذلك لما وصلوا معنا سالمين إلى السويس اعترفوا لنا بالجميل وأظهروا لنا الممنونية[٤] والشكر الجزيل لأن ماحصل لهم معنا من الراحة في السفر مغاير لما قاسوه في طريق توجههم من مكة إلى المدينة من الكدر .

عادات وأحوال القرامطة

وبالبُعد عن المدينة بساعة قبيلة النخولية من ذرية العجم تجتمع بهم العجم مدة الحج ومن عاداتهم نكاح المتعة ويضربون موتاهم قبل الغسل على الفم والوجه ويوصونهم بعدم ذكر الشيخين عند سؤال الملكين كما بلغني من السيد حسين بمكة وهؤلاء الطائفة المعروفون بالإسماعيلية وليس هذا من العجيب بل الأغرب ما ذكره

(١) المتاع: في مختار الصحاح بمعنى «السلعة» وهنا يعني الممتلكات.

(٢) الخوة: بمعنى التآخي.

(٣) المقسوم: المتفق عليه.

(٤) الممنونية: الامتنان.

بعض المؤرخين أنه ظهر بصنعاء اليمن سنة ٢٩٣ شخص يسمى علي بن الفضل القرمطي من اليمن كان صاحب مذهب خبيث ودين مشؤوم إدّعى النبوة وارتكب محظورات الشرع وكان يؤذن في مجلسه أشهد أن علي بن الفضل رسول اللّه وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات وكان عنوان كتابه من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان وكان ينشد على المنبر بصنعاء .

خذي الدف ياهذه واضربي — وغني هذاذيك ثم اطربي

تولى نبيّ بني هاشم — وهذا نبيّ بني يعرب

أحل البنات مع الأمهات — ومن فضله زاد حل الصبي

وقد حط عنا فروض الصلاة — وحط الصيام ولم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضي — وإن أمسكوا فكلي واشربي

ولا تطلبي السعي عند الصفا — ولا زورة القبر في يثرب

ولا تمنعي نفسك الناكحين — من الأقربين أو الأجنبي

فلم ذا حللت لهذا الغريب — وصرت محرّمة للأب

وهي طويلة حلل فيها سائر المحرمات لعنه اللّه ولعن مذهبه وهلك مفصودا مسموماً في سنة ٣٠٣ لعنه اللّه ومدة محنته وكفره تسع عشرة سنة .

وفي كل من يوم الأربعاء ٢٠ والخميس ٢١ محرم صرفت المرتبات وكانت الحرارة وقت الزوال ٣٠ سنتجراد وصلينا الجمعة في الحرم ونزلت آخر النهار الأمطار والحرم النبوي طوله ١٥٥ ذراعاًمعمارياً وعرضه ١١٥ ذراعاً .

وفي يوم السبت ٢٣ منه كانت الحرارة صباحاً ٢٨ سنتجراد وفي الزوال ٢٩ .

وفي يوم الأحد ٢٤ في الساعة ٣ أخرج المحمل من الحجرة النبوية ووكب كما

دخل حتى أتى العنبرية وحضر أهل المدينة ليلاً إلى الخيام للتفرج على الشنك والصواريخ فشربوا الشربات ثم عادوا ممنونين متشكرين للحضرة الخديوية المصرية .

خروج المحمل من المدينة

وفي يوم الاثنين ٢٥ منه كانت الحرارة صباحاً ٢٧ سنتجراد وفي الزوال ٢٨ سنتجراد وفي س ٩ وكب المحمل وسار محفولاً بعساكره ماراً أمام باب العنبرية والعساكر الشاهانية مصطفة على الجانبين تشريفاً لقيامه والموسيقى تضرب بالألحان المطربة إلى أن انعطف على اليمين عن يسار سور المدينة في طريق سبخة غير صالحة للزراعة .

أماكن المياه العذبة

وفي س ١٠ وصل إلى بئر (رومة) أي بئر سيدنا عثمان رضوان الله عليه وعلى الصحابة أجمعين التي وقفها صدقة على المسلمين فنزل هناك للمبيت وماء هذه البئر عذب جداً والأراضي المجاورة لها مزروعة وبين بئر رومة والوجه من المحطات محطة الضعيني وبها بئر ماؤها ملح وبينهما مسافة ٩ س والعربان المقيمون بها من جهينة وحرب ثم محطة النصيف المسماة بالمليح أيضاً وبها فحائر[1] عذبة الماء والمسافة بينها وبين التي قبلها ٨ س و٢٠ ق وعربانها من عربان التي قبلها ثم السجوة بعد الساعة ٨ وعربانها من جهينة ثم الآبار حلو بعد مسافة ٩ س و٤٥ ق وبها خمسة آبار عذبة الماء وعربانها من جهينة أيضاً وبعدها إلى الفقير عربان عنزة ثم بعد مدة ٩س و٤٥ ق النقرات وعربانها من جهينة وبلى ثم بعد مقدار ٧س الفقير وعربان جهة منها من جهينة وفيها فحيرات في طريق عنزة ثم بعد س١٢ و١٠ ق العقلة والعربان منها إلى الوجه من بلى ثم محطة في الفلاة بعد س١٠ و٣٠ ق ثم الخوثلة بعد س ٩ و٢٠ ق ثم بعد ١٤ س و٢٥ ق محطة أم حرز ثم إلى الوجه بعد س٧ و٥ق

(١) فحائر: مستنقعات.

في الطريق من المدينة إلى الوجه

وفي يوم الثلاثاء ٢٦ منه سار صباحاً بعد س ١ و ١٥ ق وكانت الحرارة ١٨ درجة متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد ٢٥ ق إلى جبال على الجانبين واتجه إلى الغرب في أرض مستوية وبعد س ١ و ٥٣ ق اتجه إلى الشمال الغربي ثم الغرب ثم اعتدل ثم غرّب وبعد س ٣ و ٤٥ ق متر على زلط بين جبال وبعد س ٥ و ٥٥ ق نزل للرياضة وبعد س ٦ و ٣٥ ق سار متجها إلى الشمال الغربي بين جبال تارة قريبة وتارة بعيدة وكانت الحرارة ٣٠ درجة ثم اتجه إلى الغرب وبعد س ٨ اتسع الطريق مع استواء الأرض وصلاحيتها لسير العربانات وشوهد أمامنا من البعد قطعة أرض مرملة بين جبال سود كأنها قطعة قماش منشورة على أعلى الجبل وبعد س ١ نزل الركب للمبيت بمحطة (الضعيني) بجوار بئر مالح فبلغني من شخص يسمى أحمد ناجي من تجار خان الخليلي صحبنا من المدينة ليتوجه من هذه المحطة إلى ينبع من طريق السعاة مع اثنين من العرب كان استأجرهما من ينبع ليحضرانه إلى المدينة ليزور ثم يوصلانه إلى ينبع ثانياً وأخذ منهما الضمانات على ذلك لأنه قد كان توجه في ٧ محرم من مكة إلى جدة مع قافلة من الجاوا وغيرهم تحتوي على ٢٠٠ جمل ومعها نحو ٥٠ نفراً من العساكر خوفاً من العربان فلما وصلوا لحدة بلغهم أن العربان هجموا في الليلة الماضية على قافلة قريباً من بحرة فنهبت منها نحو عشرين جملاً وقتلت منها شخصين فلم يصدهم هذا القول وتقدموا بالنظر لوجود العساكر معهم ولكثرتهم ولما أتوا بحرة لم يجدوا بها أحداً من العربان فجدوا في السير حتى صاروا بين بحرة وقهوة العبد في س ٣ من الليل .

هجوم العربان

على قافلة من الجاوا

فلم يشعروا إلا والعربان قد هجمت على مقدم القافلة بالويل وارتفع من القافلة الضجيج وصارت الجمالة يدافعون النهابة بالعصى والسكاكين ولولا العساكر واطلاقهم السلاح الناري منعاً لهم من التقدم إلى الركب لأتوا على سائر القافلة

بالقتل والنهب وصار هؤلاء اللصوص يطلقون على العساكر أسلحة نارية ليمنعوهم من التقدم إليهم ليتمكنوا من توزيع ما نهبوه من الجمال والأحمال فوق رؤس هاتيك الجبال ثم انصرفوا عن القافلة المنهوبة بعد حوزهم الأموال المسلوبة فانكشف الغبار عن ثمانية من الحجاج ومثلهم من الجمالة مقتولين سوى من وجد بعد هذه المعركة من المجروحين وقد قطع الأشقياء التلغراف الموصل من جدة إلى مكة لقصد الفساد ومكث من كان في القافلة بجدة بعد وصولهم إليها نحو عشرة أيام حتى جاء وابور وحملهم إلى ينبع وأنزلهم بها ليكمل هناك حمولته وكان فيها وابورات متعددة ومن متأخري الحجاج نحو ٣٠٠٠ منعهم من ركوبها غلو الأجرة وعدم المقدرة فقد ارتفعت أجرة الشخص الواحد من جدة إلى السويس فبلغت ثلاثة جنيهات ونصفاً بعد أن كانت سبعة فرنقات من السويس إلى جدة ولاشك أن هذا من الظلم الذي تجاوز في الأذى حده فحصل لهم عطل كثير وضرر من التأخر كبير وكاد أغلبهم من المشقة يموت وباعوا أمتعهم لأجل القوت منتظرين أن يرحمهم قابودانات الوابورات ولا يأخذوا منهم في مقابلة الأجرة هذا المبلغ الكبير الذي كان طلبه منهم سبباً في التأخير وقد تيسر له العودة إلى جدة ومكة في را سنة ٣٠٣ وسألت عن هذا الخبر فقيل إنّ العربان قد سطوا على قافلة بالقرب من بحرة فأرسل من مكة عساكر لتأديبهم وتشتيتهم فاقتفوا أثر هؤلاء الأشرار وأسقوهم كؤوس الدمار وأتوا برأسي اثنين منهم إلى مكة عبرة لغيرهم .

الطريق من محطة المليح

وفي يوم الأربعاء ٢٧ منه سار الركب بعد س ١ من النهار وكانت الحرارة ١٧ سنتجراد في أرض متسعة بين جبال متجهاً إلى الغرب وبعد س ٢ و ٢٥ ق إلى الشمال الغربي في البقعة التي كان يترآى من البعد أنها قطعة قماش منشورة لارتفاعها عن الأرض السالفة وهي أرض مستوية ذات حشائش وبعد س ٦ كانت رياضة وبعد س ٧ سار وفي س ٨ بلغت الحرارة ٣١ سنتجراد وبعد جبال اليمين وكثر الحشيش وبعد س ٩ و ٤٥ ق نزل بمحطة (الملليح) في بقعة متسعة سهلة فيها فحائر عذبة الماء عمقها عن سطح الأرض نحو متر وعند غروب شمس هذا اليوم شكا

حريمي[1] مغصا شديداً فسهرت معها طول ليلي في معالجتها .

وفاة زوجة محمد صادق

وفي يوم الخميس ٢٨ محرم س ١٢ سار الركب وسكن المغص الذي كانت حريمي تشكو منه غير أنها لم تزل في تعب ولم يتأت لنا المكث لمسير الركب وبعد س ١ قربت جبال اليمين وأشرقت الشمس وبعد ١٠ ق تقاربت جبال اليسار وبعد س ٢ اتجه إلى الغرب في أرض متسعة ذات أشجار بين الجبال وبعد س ٢ و ٤٥ ق درب على اليمين مبحّراً وبعد س ٣ و ١٠ ق تقاربت جبال اليسار وبعد دقيقتين سار في مصعد متسع وبعد س ٣ و ٣٠ ق انحدر إلى هبوط وبعد س ٤ اتجه إلى الشمال الغربي في واد متسع ذي حشائش كثيرة وعلى اليمين جبل قريب وظهر على البعد جبل فوقه بناء كالطابية يُعرف بقصر عبلة وبعد س ٥ و ٤٥ ق نزل للرياضة في أرض ببحريها بئر على بعد نحو ساعة ولم أزل أتردد على حريمي لأنظر في حالها وما يلزم لصحتها من العلاج وبعد س ٧ سار في واد متسع وبعد س ٩ و ١٥ ق في زلط وظهرت من البعد قلعة الشامي على اليمين وهي من أعلام طريق الحج الشامي وبعد س ١٠ مر بجبل على اليسار وهو قصر عبلة المار ذكره وبعد س ١٠ و ٤٥ ق بتل صغير على اليسار وعلى بُعد جبال وعلى اليمين جبال أيضاً متجها إلى الشمال الغربي في أرض سهلة وبعد س ١١ و ٤٥ ق نزل بمحطة (السجوة) في أرض متسعة صالحة لسير العربانات لا ماء فيها وبت طول الليل متكدرا مشغولاً بأمر حرمتي وبعد الساعة السابعة ونصف توفاها اللّه إلى رحمته ونقلها إلى فسيح جنته، وقد كانت أفاض اللّه عليها سجال الرضوان وعاملها بالإحسان وكساها حلل الغفران تقية صالحة محسنة عشنا معاً في أرغد عيش نحو ٣٤ سنة ومن إكرام اللّه تعالى لها أن وجد في الحج مغسلة وبعد تجهيزها والصلاة عليها وضعت في صندوق صنع لها في الحال وسُيِّر نعشها إلى المدينة الشريفة على بعض الجمال مع خمسة من العربان والخدام للدفن هناك في البقيع الذي دفنها به كان لها غاية المرام فإنها وصلت إلى المدينة يوم

(١) حريمي: يقصد بها زوجة محمد صادق.

السبت بعد العصر الذي هو ثاني يوم وفاتها ودفنت بجوار قبة آل البيت الكرام عليهم بعد النبي أفضل الصلاة والسلام طيب الله ثراها وأكرم مثواها .

رثاء وتحسر

ومن فرط حزني على فقدها وأسفي على بُعدها نظمت أثناء الطريق بعضاً من الأبيات على سبيل الرثاء لها والتحسر على ما من حسن عشرتها فات فمن ذلك قولي وكان اسمها ألفا رحمة الله عليها وعلى والديها .

هنيئاً للدفينة بالبقيع ... جوار المصطفى الهادي الشفيع

فيا ألفا التي حجت وزارت ... رقيت لغاية الدرج الرفيع

ويامولاي جد بالعود حتى ... أزور ضريح من كانت ضجيعي

غيره

الوجد يزداد ياالفا بذكراك ... لولا ما ناح جفني اليوم لولاك

فارقت دار الفنا في عفة وتقى ... وارحمتاه لقلب ليس يسلاك

أبكي عليك بكاء ليس أقطعه ... مادمت حياً أعز اللّه مثواك

قد فزت بالدفن في أرض البقيع كما ... قد حزت عفواً من الرحمن مولاك

(والتاريخ)

الست ألفا الشهيده ... حجت وزارت ولبت

في ليل (كط) محرم ... من عام (غشج) توفت

٢٩ ١٣٠٣ الموافق (١٨٨٦م)

الطريـق

من مفرق الدرب الشامي إلى محطة الفقير

وبعد س ٢ و ٢٠ ق من يوم الجمعة ٢٩ محرم سار الركب وأنا مع التأسف والحزن على ما تمّ وعم جميع من فيه المأتم وبعد س ٦ و ٢٠ ق وصل إلى مفرق الدرب الشامي حيث على الجانبين جبال وبعد س ٦ و ٤٥ ق نزل للراضة وبعد س ٧ و ٢٥ ق سار صاعداً بين جبلين إلى واد وبعد س ١١ و ١٥ ق نزل للمبيت بمحطة آبار حلوة قريبة من جبل وبها آبار عذبة الماء .

عـرب عنـزة

وفي يوم السبت بعد س ١٢ سار إلى الشمال الغربي ماراً من طريق أخرى لعرب عنزة بحري الطريق المعتادة التابعة لعرب جهينة الصعبة السلوك لسبخها وسيولها بخلاف هذه والتي تليها من جهة اليمين فإنهما ينسبان إلى عرب عنزة المقيمين بناحية الشام المخالفين للسُنّة الذين يتزوجون بالنساء ثاني يوم طلاقهن ولا يعتبرون العدة[1]وبعد س ١ و ١٠ ق سار في واد متسع ذي حشائش وعن يمينه تلال وعن يساره جبال متسلسلة بعيدة وبعد س ٣ و ٤٠ ق مرّ على جبل على اليسار منفرد وسط الوادي وبعد س ٥ اتسع الوادي طولاً وصارت الأرض مرملة مستوية وبعد س ٦ كانت راضة بوادي الحمض والطريق المعتادة خلف جبال اليسار وهي مسكونة بأعراب جهينة المحرمين أكل لحوم الأرانب المعتقدين أن قسمة نحو عود من الحشيش أو خوصة بين الزوج وولي الزوجة هو عقد النكاح وبعد س ٦ و ٥٠ ق سار في واد متسع مستوٍ ذي حشائش متجها إلى جبل هرمي قبلي الجبال على بُعد وبعد س ٩ و ١٠ ق مرّ على أحجار وبعد س ١١ و ٥ ق على تلال عن اليمين وأحجار منتشرة وعند آخرها نزل للمبيت في س ١١ و ٣٠ ق بأرض سبخة ذات حفائر عذبة المياه ولذا تسمى (بالحفائر) ومياه هذه الطريق في أغلبها لزوجة وبها بعض ملوحة ويغلب فيها وجود الصودا كما يغلب على مياه الطريق الشرقي وجود الصودا وكبريتات الباريت.

---

(١) هذا الكلام يسري على جهلة تلك القبيلة ممن يجهلون أصول الدين الحنيف.

وفي يوم الأحد غرة صفر سنة ١٣٠٣ بعد س ١ سار إلى الغرب الشمالي وبعد س ٢ سار في أرض مستوية صلبة وإن كانت سبخة وبعد ١٠ ق كثر السباخ والملح وبعد س ٢ و ٣٥ ق في عبل بكثرة وبعد س ٣ و ١٥ ق في سبخ ومجاري مياه كثيرة يصعب المرور منها عند نزول السيل وبعد س ٤ و ٣٠ ق قل العبل وبعد س ٥ مرّ بجبل هرمي أسود عن اليمين وسط الوادي وبعد س ٥ و ٤٥ ق أتى على ملح وعبل وبعد س ٦ و ١٥ ق نزل للاستراحة وبعد س ٦ و ٥٠ ق سار من طريق سبخة يعلوها ملح أبعد بساعتين من طريق النقارات الكثيرة السبخ والسيل الذي يصعب ويشق المرور منه وبعد س ٧ و ٣٠ ق مرّ بتل أسود على اليسار وسط الوادي وعلى اليمين بعد مسافة تلول وبعد س ٧ و ٥٥ ق نزل بمحطة (الفقير) تحت جبال بأرض سبخة بها فحائر عذبة الماء .

الطريـق

من محطة الفقير إلى محطة الخوثلة

وفي يوم الاثنين ٢ صفر بعد أخذ مياه لثلاث مفازات لعدم المياه العذبة إلى محطة الخوثلة سار بعد س ٤ و ٢٥ ق في طريق بواد مستوٍ ذات رمل ثابت محاطة بالجبال وبعد س ٨ و ١٥ ق قربت جبال اليسار واتجه إلى الشمال الغربي وبعد س ٩ و ٣٠ ق مرّ من منفذ بين جبلين عرضه ٢٠ متر وطوله ١٠٠ متر ثم اتسع الطريق وبعد س ٩ و ٥٠ ق مرّ ببناء منهدم الغالب أنه كان قلعة من القلاع المبنية قديماً وقد تركت من عهد بعيد لعدم أهميتها وبعد ١٠ ق نزل للاستراحة وبعد س ١٠ و ٣٥ ق سار وبعد س ١١ و ٢٠ ق مرّ على أشجار سنط وبعد س ٢ و ٣٠ ق من الليل نزل للمبيت بين جبال وبعد س ١١ سار متجهاً بين القبلي والقبلي الشرقي ثم إلى القبلي .

وبعد س ٢ و ١٥ ق من يوم الثلاثاء وصل إلى جبل أمامه وانعطف عنه يميناً متجهاً إلى الغرب بين جبلين وبعد ٥ ق نزل بمحطة (العقلة) بجوار بئر مالح وبعد س ٦ سار بين الغرب والشمال الغربي في أرض متسعة سهلة ثم غرّب والجبال من الشمال إلى الجنوب وبعد س ١١ اتجه إلى الشمال الغربي وبعد ١٥ ق مرّ في متسع

بين جبلين ، وبعد س ٢ و ١٠ ق من الليل نزل للمبيت بين جبال في مكان ليس به ماء وبعد س ١١ و ٣٠ ق من الليل سار وبعد ١٥ ق مرّ من مضيق إلى متسع .

وبعد س ١٢ و ٥٠ ق من صبيحة يوم الأربعاء كثر العبل ولعدم استواء الأرض تعسر السير ليلاً وأيضاً لكثرة الحجارة فلم يمر إلا جملان جملان[1] فقط في أغلب المواضع وبعد س ١ و ١٠ ق خف ذلك واتسع الطريق وبعد س ١ و ٤٥ ق وجد اتساع مع استواء بين الجبال وبعد س ٢ اتجه من الشمال الغربي إلى الغرب وبعد س ٣ مرّ بمحجر على اليسار وبعد س ٤ بأشجار وحفرة فيها ماء على اليمين بخيف الجبل وبعد ١٠ ق نزل للاستراحة وبعد س ٥ و ٤٠ ق سار متجهاً إلى جبل شاهق أمامه على البُعد ذي هرمين أسفله محطة (الخوثلة) وبعد س ٧ بعدت جبال اليسار وبعد ٤٠ ق متر بتلال على الجانبين وبعد س ٩ و ٣٠ ق بجبل على اليمين من الشرق إلى الغرب ثم بجبال على الجانبين وحشائش في أرض مستوية وبعد س ٩ و ٥٥ ق اتجه إلى الغرب وبعد س ١٠ و ١٠ ق مرّ في أحجار ذات صعود يسير ثم هبوط وبعد عدة انعطافات على حسب الجبال اتجه إلى الغرب وبعد ١٠ ق مرّ بجبال قليلة الارتفاع وبعد س ١٠ و ٢٥ ق مرّ بين جبلين في عرض سبعة أمتار وطول ١٠٠ متر ثم في متسع وبعد ١٠ ق مرور آخر وصعود ثم هبوط ثم صعود بين تلال ثم هبوط وهكذا تارة يمر الجمل وتارة الجملان في هذه المحاجر بين الصعود والهبوط والمضيق والاتساع والانعطاف إلى س ١٠ و ٥٣ ق ثم اتجه مغرّباً في طريق متسعة مرملة سهلة وبعد س ١١ و ١٠ ق صعد إلى محجر لم يمر منه إلا الجملان فالجملان ثم هبوط ثم صعود من محجر آخر ثم هبوط إلى متسع وبعد س ١١ و ٣٧ ق صعد إلى محجر ثم هبط بصعوبة ثم اتجه إلى الشمال الغربي بين جبال وبعد (١٣ ق) ثلاث عشر دقيقة من الغروب اتجه للغرب وبعد دقيقتين نزل للمبيت بجوار جبال بأرض ليس بها ماء فصار الركب في شدة الضنك[2] من فقده إلى س ٢ من الليل حتى جاء السقاؤون به من محطة الخوثلة وكانت على نحو ربع ساعة بين مكان المبيت

(١) جملان: مثنى جمل، يقصد جمل وجمل.

(٢) الضنك: الضيق.

فشربوا حينئذ وسبب عدم الوصول إليها ليلاً هو مرض الأمير وعدم ثبات قول الدليل

محطة الخوثلة

وفي يوم الخميس ٥ منه بعد س ١ سار وبعد ربع ساعة نزل بمحطة (الخوثلة) في أرض متسعة فيها تسعة آبار عذبة الماء جداً وبها سوق يباع فيه التمر والغنم واللبن الرائب والرز والبقصمات وقابلنا الشيخ سليمان شيخ قبيلة بلى التي مبدأ دركها[1] من هذه المحطة إلى الوجه ليخفر[2] المحمل كما هي العادة وأقمنا هناك يومنا وبعد س ٩ من الليل سار آخذاً معه ما يحتاجه من المياه إلى محطة الوجه ماراً من محجر خفيف ثم عبل .

الطريق من الخوثلة إلى مينة الوجه

وبعد س ١٢ و ١٥ ق من صبيحة يوم الجمعة مرّ في متسع من جبال ذي رمل مستو وبعد ٢٠ ق نزل للرياضة ولصلاة الصبح وبعد س ١ و ١٠ ق سار بين الغرب والغرب الشمالي وبعد س ٢ و ١٥ ق في أرض بها سنط تعرف بالمحشرة وجبال خفيفة عن اليمين وبعد س ٣ و ٤٥ ق انتهت جبال اليمين واتسع الوادي باستواء واتجه إلى جبلين غرباً وثلاث أكمات يميناً متفرقة على البُعد في امتداد الطريق وبعد س ٦ نزل للرياضة وبعد س ٧ و ١٠ ق سار وبعد س ٧ و ٣٥ ق صعد إلى سطح مرتفع غير مستوٍ متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد س ١٠ و ٥٥ ق صعد إلى سطح متسع وبعد س ١١ نزل للمبيت في مكان ليس فيه مياه وبعد س ٩ و ١٠ ق من الليل سار وبعد س ١١ هبط بين أكمات وبعد س ١٢ و ١٠ ق نزل لصلاة الصبح .

وفي يوم السبت ٧ منه سار بعد مضي ٤٠ ق من النهار بين أكمات ذات اعوجاج وازورار متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد س ١ مرّ على جبال صغيرة عن اليمين وتلال متسلسلة عن اليسار وبعد س ١ و ٥٥ ق مرّ بين صخور صغيرة مع

---

(١) دركها: المناطق التابعة لها.

(٢) يخفر: من خفر وهو المجير، تقول خفر الرجل أي أجاره وكان له خفيراً يمنعه.

صعود يسير وبعدت الجبال والتلال وبعد س ٢ و ٢٥ ق مرّ على أحجار وعلى اليمين تلال وبعد ١٥ ق مرّ من بين جبلين صغيرين ثم تسلسلت التلال يميناً ثم بعدت وفي الأمام على بُعد جبل يساراً وبعد س ٣ و ٢٥ ق ظهر البحر على بُعد وبعد س ٣ و ٥٥ ق مرّ في صعود يسير على تل ثم هبوط بعد دقيقتين وبعد س ٤ و ٧ ق على رمال خلفها الجبل المار ذكره وبعد س ٥ في براح[1] متسع مستوٍ إلى البحر وبعد س ٧ في أرض مرتفعة يساراً تؤخذ منها أحجار للبناء وبعد ١٣ ق مثل ذلك يميناً .

مينه الوجه

وعلى اليسار تل وبعد س ٧ و ٤٠ ق نزل بجوار (مينة الوجه) وكان بها الوابور المسمى بالمنصورة [2]منتظر الركب ليوصله إلى السويس وهذه المينة المذكورة عبارة عن سوق مستطيلة على يسارها دكاكين وقهاوي على البحر وعلى يمينها سطح مرتفع به بعض بيوت وطابية [3]فيها أربعة من الطوبجية وستة أنفار بياده ومدفعان من الحديد من الطرز القديم وكان بها برج قديم ثم هدم والآن جاري بناؤه بمقاولة ٢٢٥٦ جنيه وارتفاعه عن سطح البحر إثنا عشر متراً ونصف وعن القاعدة ستة أمتار والمدفعان أحدهما جبلي والآخر قبوس وبهذه المينة ١٢ طوبجياً ماهية كل منهم ٢٢٠ قرشاً ومن البيادة ٣٤ بماهية ١٣٠ مكفى للنفر وبلوكباشي واحد وأسطة طوبجية واحد بماهية ٥٠٠ قرشاً وجميعهم من الأهالي وماهياتهم تصرف لهم من مصر في كل ستة أشهر وعدد الأهالي نحو ألف نفس من القصير وينبع والوجه والصعيد وبها محافظ بوظيفة صاغقول أغاسي وبها من الصهاريج خمسة يملؤها السيل يحمل الماء منها إلى محطة ضبا وإلى القصير وهناك آبار بقلعة الجبل على مسافة ساعتين وأربعة آبار على مسافة ثلاثة ساعات ماؤها قيسوني صالح لشرب الدواب وفي بيوتهم صهاريج تمتلىء من السيل أيضاً وبالبعد عن قلعة الجبل بنحو

(١) براح: فضاء.

(٢) المنصورة: اسم السفينة.

(٣) طابية: حصن صغير وفي الانجليزية Fortress.

١٥ ق في الجهة الشرقية حفائر عذبة الماء جداً وبها ثلاثة جوامع وزاويتان[١] و ١٥٠ منزلاً مبنية منها ماهو دور واحد وأغلبها دوران .

حادثة قتل

وفي صباح يوم الأحد توجهت مع الأمير إلى وابور المنصورة لرؤية أماكنه وترتيبها للمتوظفين على حسب درجاتهم وعندما عدنا وجدنا شاباً من الحجاج السائرين صحبة المحمل قتل غلاماً صغيراً فقبض عليه وأُتيَ به في الحال إلى خيمة الأمير وقميصه ملوث بدم القتيل ومعه سكين ماضية ملوثة بالدم أيضاً فكتب بذلك محضر بعد إقرار القاتل بالقتل وهذا المحضر مكون من كل من محافظ البندر وقاضيه ومن المتوظفين وتحفّظ على القاتل حتى يصير تسليمه إلى محاكم مصر ليُجازى بمقتضى القوانين وأصل هذا القاتل مسيحي من أقباط مصر اسمه بخوم ميخائيل وسنّه نحو ٢٢ سنة وعلى ماقيل أسلم وخرج للحج خادماً لإحدى المخدرات المشهورات بمصر وتسمى بأحمد أمين وكان مع هذه الست بنتاها وجاريتها ووكيلها وولده الذي قتل وسنّه نحو ١٢ سنة وكان أخرج لهذا القاتل في مكة اعلام شرعي بإسلامه ولما توجه المحمل إلى المدينة رافقوه فحصلت بين القاتل والوكيل أثناء الطريق مشاجرة وقبل الوصول إلى المدينة بيومين حضر الوكيل عند الأمير متشكياً من هذا الخادم ومخبراً بدينه الأصلي وبأن بينه وبين الست اتحاداً وبأن إدعاءه الإسلام غش فأمر الأمير بمنعه من دخول المدينة لزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام وقد حصل وبعد قيام المحمل من المدينة إلى طريق الوجه أمر الأمير بتخلية سبيله وأن يمنع من مخالطة خيمة سيدته فلما وصلوا إلى الوجه أراد القبطي الانتقام من الوكيل فاغتال ولده خلف إحدى الخيم في س ٣ من النهار فكفاه على الأرض واحتز[٢] رأسه بالسكين فقطع على الفور نصف عنقه فمات حالاً وكان بالقرب منهما شخصان سمعا صرخة القتيل فأقبلا لاغاثته فوجداه قد مات فشداً وثاق القاتل إلى أن عدنا من

(١) زاويتان: مثنى زاوية، وهي المصلى الصغيرة، أصغر من المسجد.

(٢) احتز: من (حزز) أي قطع.

الوابور وعمل المحضر كما ذكرنا وقد إتهم هذا القاتل سيدته بأنها هي التي أغرته بذلك وأن إحدى بنتيها أعطته السكين وجاريتها أمسكته له من يده ورجله ليقتله ذبحاً لكن ظهر كذب دعواه في مساعدة الجارية له على ذلك لأن الشخصين الشاهدين المذكورين شهدا بأنه قتله وحده ولما وصلوا إلى مصر سُلِّم القاتل إلى محكمة مصر ليحاكم فيها .

الطريق من الوجه إلى الطور

وفي يوم الاثنين ٩ صفر حضر قبودان الوابور فأعطي لغير أرباب الوظائف الذين مع المحمل تذاكر بالأجرة عن السفر في الدرجة الأولى ٤ جنيهات وماعداها اثنين جنيه ثم تنازلت إلى ٢ بنتو وعن الجمال ٥ جنيهات وعن الخيل والحمير ٤ جنيهات وبعد الزوال نقلت المهمات إلى الوابور ثم الركاب وانتهى ذلك قبيل الغروب وكان به من الركاب ٢٠٠ نفر بالأجرة و٤٠٠ تبعة المحمل وخيول ٤٤ وفقراء ٤٨ مجاناً .

وفي يوم الثلاثاء ١٠ صفر بعد س ٢ سار الوابور من الوجه قاصداً الطور .

مينة الطور

وفي يوم الأربعاء بعد س ٢ و ٥٠ ق مرّ على أشجار نخل يميناً على شاطىء البحر وتراءت بلدة الطور من البُعد وبعد س ٣ و ٦ ق ضربت مدافع السلام من الوابور وبعد س ٣ و ١٥ ق أرسا على (مينة الطور)[1] وكان يقطع في الساعة الواحدة ٨ أميال وفي الطور على شاطىء البحر جامع وكنيسة ونحو ٢٥ بيتاً سكانها أروام وأربعة أبيات للمسلمين وحمام معدني على مسافة نصف ساعة محاط بالنخيل بناه المرحوم عباس باشا وهناك بلوكباشي واحد وأربعة من العساكر واثنين من الخفراء للسانيتا [2] ومحل على شاطىء البحر في بعد ثلثي ساعة يسمى بالقروم

---

(١) مينة الطور: بلدة في شبه جزيرة سيناء تطل على خليج السويس.

(٢) السانيتا: أجنبية منقولة عن الإنجليزية Sanita، وتعني صحته وهي هنا بمعنى التنظيم الصحي او المصحة.

به نخيل وعدة مساكن لمسلمين من عربان وفلاحين نحو ١٢٠ وفي الجهة البحرية موضع يسمى مسيعد فيه نحو ٤٠ نفساً من العربان وفي بحري المينة موضع آخر يسمى الوادي به ١٥٠ من العربان وأما الدير الذي على جبل الطور فبينه وبين المينة ١٨ ساعة بالهجين و ٥٦ بالجمال

في الحجر الصحي

وفي زمن الحج يحجزون الحجاج عند عودتهم في هذه المينة لأجل الكرنتينا[١] ويحضر إليها من مصر حكيم[٢] ليقيم بها مدة الحج ومحل الكرنتينا في أرض براح مرملة بعيد عن شاطىء البحر فيه اسبتالية[٣] وبناآن[٤] معدان للمخازن بالبعد عنهما بألف متر زمالك[٥] من الخشب من أربعة كبار واثنان صغيران جميعها خرب يمر الريح منها كيف شاء وبالبعد عنها بنحو مائتي متر ألف خيمة مضروبة قبابها سليمة ودوائرها بالية ممزقة من جميع جوانبها يمرض الصحيح إن بات بها في ليالي الشتاء لاسيما إن نزل المطر وهذه الخيام مرتبة صفاً صفاً وبين الصف والذي بعده مسافة تختلف وذلك لينزلوا عند مجيء الوابورات جماعة كل وابور بخيمة متباعدة عن غيرها من الخيم متى ورد إلى هناك وابور أو وابوران أو ثلاثة في أيام متعاقبة ويأخذون عن كل نفس ريالاً مجيدياً مقننا وأربعة قروش في مقابل التعدية من الوابورات ذهاباً وإياباً إلا المستخدم والفقير جداً ومتى زادت الكرنتينا عن ٤٨ ساعة زاد المقنن على حسب تلك الزيادة وفي العام الماضي لما أتى وابور المحل إلى هذه المينة لم ينزل من ركابه أحد ومكث المدة وأخذ الشهادة من الحكيم وتوجه إلى السويس وأما في هذا العام فحكيم الكرنتينا المسمى بالليلي تلياني[٦] البلدة أمر

---

(١) الكرنتينا: الحجر الصحي.

(٢) حكيم: طبيب.

(٣) اسبتالية: مستشفى وأصلها انجليزي Hospital وتعني أيضاً ملجأ خيري.

(٤) بناآن: مبنيان.

(٥) الزمالك: عشش من الخشب على هيئة أكشاك.

(٦) تلياني: طلياني نسبة إلى إيطاليا.

بإنزال جميع الحجاج من أمير وفقير حتى الحريم ولم يترك بالوابور إلا عساكره ونحو خمسة عشر نفساً لخدمة الخيول فترجاه الأمير أن يبقيه مع حريمه وبعض المتوظفين النازلين في الدرجة الأولى فإنه أبقي به بعضاً من الحجاج لخدمة الخيول وأيضاً عند محافظ السويس أوامر بإبقاء نحو خمسين شخصاً في كل وابور فأبى بالكلية وأنزل من كانوا في الوابور جميعاً فياليت شعري ما فائدة الكرنتينا إذا اختلط بعد انتهاء مدتها من نزلوا إلى البر بمن بقي في الوابور ثم عادوا معاً إلى السويس وأيضاً فقد أقام بالزمالك بعض المتوظفين وبعضهم أقام بالخيام وقد كان قبودان الوابور يتردد منه إلى من في الكرنتينا بلا حرج ومن العجائب أنه صار منع المقيمين بالخيام من الاجتماع بمن في الزمالك مع إنهم من وابور واحد وقد توجهت من الزمالك إلى الخيام ومامنعني أحد لا في الذهاب ولا في الإياب ووجدتها على أسوء حال من هبوب الرياح فيها من جميع الجوانب ومن كونها عرضة للبرد فضلاً عن أنها لاتقي من أحد وشممت داخل بعضها نتن جيفة فأخبرت الحكيم بذلك فأمر بنقل الخيمة وأخبر بأن هذا المكان مقبرة فتعجبت من السانيتا كيف تنصب الخيام المعدة للصحة على العفونات والقاذورات وتفتخر بأنها أدت وظيفتها السنية وقامت بواجبات الصحة العمومية والحال هو ما شرحته فإن الحقيقة أن بعض الحجاج الذين تقدمونا توفى أحدهم أثناء الكرنتينا فدفنه أصحابه سراً داخل الخيمة وقد أشيع وبلغني من عبد الحميد أفندي معاون مأمورية الكرنتينا أن شخصاً مستخدماً بالسانيتا أخذ هو وحكيم الكرنتينا من قومندان وابور شبين أحد عشر جنيها على سبيل السمسرة في مقابلة نزول بعض الحجاج من وابور يسمى راجي كريم إلى وابوره ولايخفى أن هذا مخل بالشرف .

الانتقال من الحجر الصحي إلى السويس

وفي يوم الجمعة ١٣ صفر بعد س ٦ و ٣٠ ق رخص للحجاج في النزول إلى الوابور فنقلت القطائر جميعهم إليه وبعد س ٩ سار . وبعد ٣٠ ق من صباح يوم السبت ١٤ ص وصل إلى مدينة السويس وبعد الساعة الأولى أرسا وبعد س ٤ و ٣٠ ق حضر الحكيم وأتباعه فأمر بفك الكرنتينا ثم أرسا الوابور على الرصيف

وأخرج مافيه من المهمات وحرر إلى مصر تلغرافاً بطلب إرسال عربات السكة اللازمة لنقل المحمل وأتباعه فحضرت إلى السويس قبل الشروق .

عودة المحمل

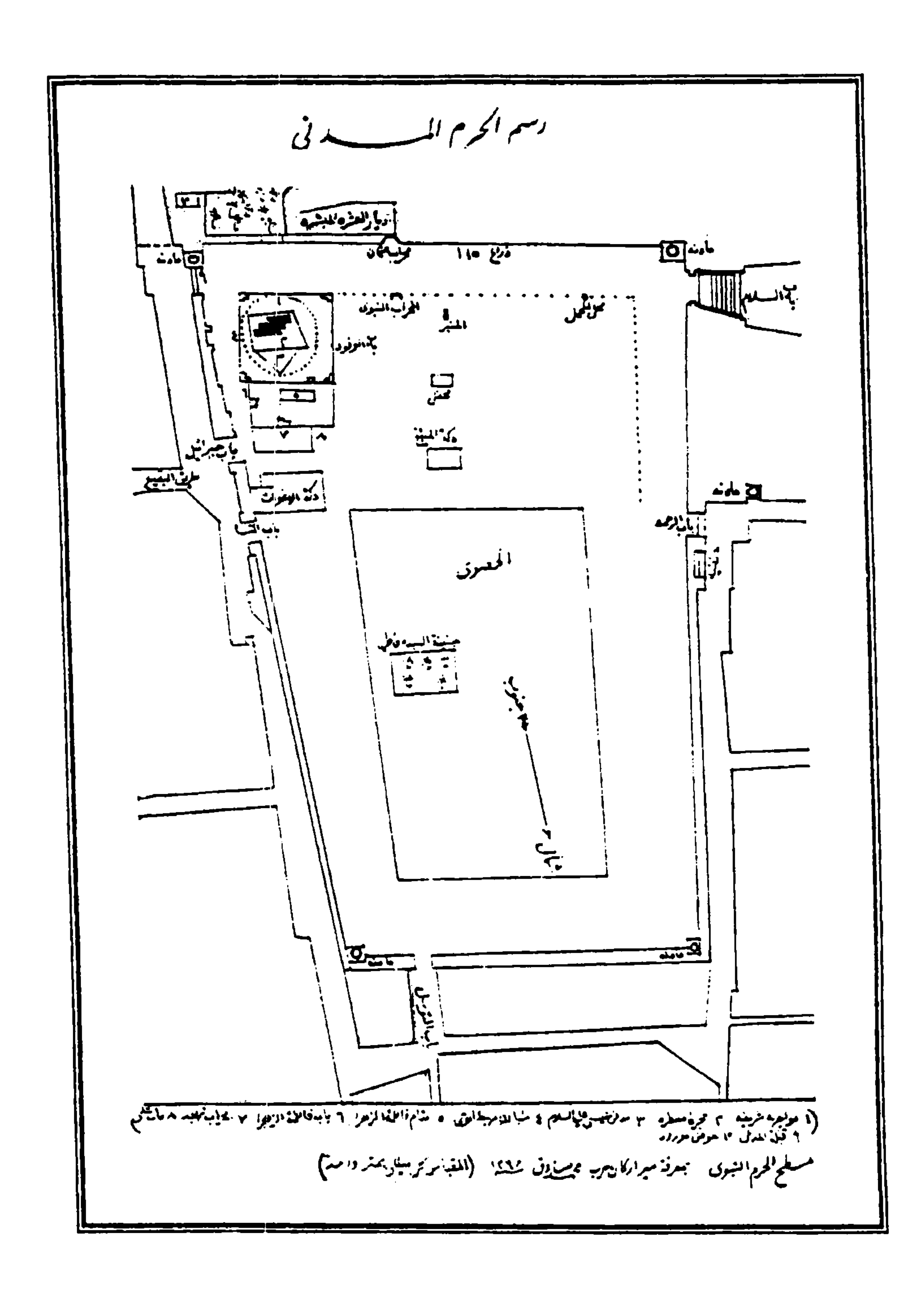
من السويس إلى العباسية

وبعد س ٤ من يوم الأحد أتت إلى رصيف البحر ونقل بها ما في الوابور وقامت بعد س ٨ ووصلت إلى السويس بعد ٢٠ ق فوكب المحمل وطاف بشوارع السويس وابتهج به جميع أهلها فرحاً وسروراً ثم أعيد إلى العربات وبعد س ٣ و ٣٠ ق من الليل سار .

وفي يوم الاثنين ١٦ ص بعد الساعة واحدة وربع وصل إلى محطة مصر بالعباسية فنزل بها بعض الركاب وكان يوم موكب استقبال النيشان الشاهاني الوارد إلى جناب الحضرة الخديوية من مولانا السلطان المعظم تأكيد الوثاقة علاقة المودة بينهما فتأخر موكب المحمل إلى يوم الخميس فوصل فيه إلى ميدان محمد علي في جمع عظيم ومحفل جسيم وسلم إلى يد الحضرة الفخيمة الخديوية ذات المآثر السنية أطال الله بقاءه وخذل أعداءه آمين بجاه خاتم النبيين[1] .

---

(١) ان حديث التوسل بجاهه صلى الله عليه وسلم موضوع لا أصل له. وقد جاء في سورة الفاتحة ﴿وإياك نستعين﴾ فلا استعانة إلا به سبحانه وتعالى.


رسم الحرم المدنى
المحراب النبوى
المنبر
باب السلام
باب جبريل
طريق البقيع
باب الرحمة

رحلة تسليم

قمح صدقتي مكة والمدينة

وفي شهر (ربيع الأول) سنة تاريخه تعينت من المالية لتسليم قمح صدقتي مكة المكرمة والمدينة المنورة بجدة عن سنة ١٣٠٢ أعني سنة ١٨٨٥ مسيحية المحضر من بومباي بالهند مشترى للحكومة المصرية من الخواجه بيل وشركاه وذلك لارتفاع السعر بمصر وكان مقداره ٢٠٧٨٨ أردب[1] وأصل هذا الترتيب من خلافة سيدنا عمر رضي اللّه عنه وكان مقداره مائة ألف أردب بحسب الروايات من ذلك ٦٠٠٠٠ أردب لمكة و ٤٠٠٠٠ للمدينة ثم انقطع شيئاً فشيئاً وفي مدة السلطان سليم صارت إعادته وكان يصنع خبزاً أقراصاً ويفرق باسم جراية[1] صدقة على الفقراء وفي مدة المرحوم محمد علي باشا استبدل ذلك بتفرقتها حباً بدل الأقراص فصدقة مكة تبلغ ١٢٠٠٠أردب وصدقة المدينة ٨٠٠٠ أردب مع زيادة ٧٨٨ أردب في مقابلة مصاريف المشال من ينبع إليها وأما مصاريف النقل إلى شونتي[2]جدة وينبع فتخص الحكومة المصرية ومنهما إلى مكة والمدينة تخص أرباب الصدقة والأردب المصري بجدة يساوي ٥٤ كيلة وذلك على حسب أحجام مكاييل هذه الجهات وأما بمكة فيحسبون الأردب ٥٣ كيلة والفرق يجعلونه في نظير العجز الذي يحصل من المشال من جدة إليها وقد توجهت من السويس في ١٢ را[3] سنة ١٣٠٣ ووصلت جدة في ١٦ منه صباحاً ومنها توجهت إلى مكة ثاني يوم على حمير الأجرة بدون لجام[4]ولا ركاب كما هي العادة في ظرف اثنتى عشرة ساعة منها ساعة ونصف استراحة بالمحطات وأما الجمل فيصل بعد ٣٣ ساعة من ذلك ١٠ س إقامة في محطة (حدّة) بالحاء وتشديد الدال .

---

(١) اردب: مكيال ضخم يساوي ٢٤ صاع (والصاع أربعة أمداد، والمد حفنة بكفي الرجل المعتدل الكفين ويساوي قدحاً وثلث قدح أو قدحين).

(٢) جراية: مفردة معروفة في الجيش المصري وتعني الخبز.

(٣) شونتي: مفردها شونة، وتعني صومعة أو مخزن لحفظ الغلة.

(٤) را: اختصار لشهر ربيع الأول.

(٥) اللجام: الحبل الذي يوضع على وجه الحمار أو الحصان أو الجمال للتحكم في سيره وتوجيهه وهي كلمة فارسية.

ذكر ثورة عربان بني إبراهيم

ورأيت من العساكر الشاهانية نحو طابور أعني خمسمائة نفر ومدفعاً واحداً متوجهين إلى جدة ثم إلى ينبع البحر لإطفاء الثورة التي قامت بها من عربان بني إبراهيم فإنهم هجموا على السجن وأطلقوا منه شخصين وقتلوا أربعة من عساكر الضبطية وفي اليوم الثاني تقابلت مع سعادة والي الحجاز عثمان باشا نوري وسعادة أمير مكة الشريف عون الرفيق وقد بلغت الحرارة في هذا اليوم ٢٢ درجة ريومور ودعاني سعادة الشريف إلى وليمة أجراها بقصر المرحوم حسين باشا الشهيد بالهجيلية بطريق جدة بعيداً عن مكة بثلثي ساعة فتوجهت مع سعادة الوالي في ١٩ منه صباحاً وكان هناك بعض من الشرفاء والضابطان والأعيان وجرى إطلاق بعض من المدافع بالكلل للتجربة في ميدان متسع أمام القصر وكانت الموسيقى العسكرية والنوبة التركية يترنمان بجميع الألحان وبعد العشاء والعشاء أطرب العود والقانون كل مشتاق ولهان وكانت ليلة بهجة سرّت قلوب الحاضرين وانصرفوا في منتصف الليل حامدين شاكرين وفي صباح ٢٠ منه بعد الساعة الثانية فتح بيت الله الحرام للغسل كما هي العادة السنوية في ٢٠ را و ٢٠ القعدة فدخل سعادة الشريف وسعادة الوالي وخمسة من المتوظفين والفقير وصلينا عدّة ركعات في كل الجهات ثم غسلنا جميعاً أرضية الكعبة بماء زمزم دفعات ثم بماء الورد بمقشات من الخوص[1] وبعد ذلك ضمخنا الحيطان إلى ارتفاع اليد بأنواع العطر ودهن الورد بقطع من البفتة صار تفريقها على الحاضرين والبخور صاعد من ند[2] وعود والند مركب من عود وقشر عنبر وسنبل طيب أجزاء متساوية تدق ناعماً وتمزج بماء الورد ورسراس وتجفف بعد التحبيب ثم بعد انتهاء الغسل صار تلاوة الدعاء وخرجنا حامدين شاكرين للتوفيق لهذه السعادة الكبرى منحها الله لجميع المسلمين ومن العادة مواسم تفتح فيها الكعبة للزائرين منها في عشر المحرم للرجال وليلة الحادي عشر للنساء ومنها ليلة ١٢ را للدعاء للسلطان بدون أن يدخلها أحد وفي صبيحة تلك الليلة للرجال

---

(١) الخوص: مكانس تصنع من أوراق سعف النخيل.

(٢) ند: عود يتبخر به.

وفي ليلة ١٣ للنساء وفي ٢٠ منه غسل الكعبة بحضور الشريف والوالي ومنها أول جمعة من رجب للرجال وفي ثاني يوم للنساء وفي ليلة ٢٧ للدعاء للسلطان بدون أن يدخلها أحد وصباحاً للرجال ومساءً للنساء ومنها ليلة النصف من شعبان للدعاء ويوم النصف صباحاً للرجال وثانية للنساء ومنها يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وثانية للنساء وليلة ١٧ للدعاء وآخر جمعة كذلك ومنها في نصف القعدة للرجال وثانية للنساء وفي ٢٠ منه تغسل الكعبة وفي ٢٨ منه إحرامها أعني إحاطتها من الخارج بقماش أبيض من الاسفل إلى ارتفاع مترين وقد تفتح فتحاً خصوصياً لبعض الأعيان وفي ثاني يوم عدت إلى جدة وعند حضور الوابور من بومباي بقمح الصدقة صار نقل القمح منه بواسطة فلايك[1] إلى البر ثم إلى الشونة وتلك الفلايك تُسمى سنابك والمفرد سنبوك وأجرة مشال الاردب من الوابور إلى البر ومنه للشونه قرشان بعملة جدة وجرى إعمال المعدل بها بواسطة القادوس[2] والكيل المصري بحضور قومسيون[3] تشكل لذلك يكون التسليم والتسلم للأهالي بموجبه وتحررت الشروط اللازمة عن ذلك وعند انتهاء التسليم أعطيت السند اللازم إلى وكيل المتعهد بالمقدار الوارد بالشونة كالأصول وسيق مرتب مكة إليها شيئاً فشيئاً على حسب وجود الجمال وأما حصة المدينة فصار نقلها إلى ينبع على مرات بوابورات البوسطة الخديوية ثم توجهت ثانياً إلى مكة مع ثلاثة من عساكر جدة بمبلغ ٧١٧٥ جنيه مصري بدل ثمن قمح متأخر من مرتب سنة ١٣٠١ لمكة والمدينة باعتبار كل أردب جنيه مصري واحد وكانت الامنية انتشرت بالطريق بسبب وضع عساكر للخفر في جميع المحطات من جدة إلى مكة لمنع تعدي العرب على المسافرين كما قد حصل بعد الحج وشتتهم العساكر وقطعوا رأسين من هؤلاء العرب وأرسلوهما إلى مكة عبرة لغيرهم وبوصولي إلى مكة أجريت تسليم الجنيهات إلى سعادة الوالي كأمر المالية وصار تفرقة حصة مكة لأربابها وأخذت سنداً ودفترا بذلك وقد اشتد البرد ليلاً حيث

---

(١) الفلايك: (تصغير فلك) وهي السفينة الصغيرة.

(٢) القادوس: مقياس تكييل.

(٣) قومسيون: مراقب الميزان.

صادف ذلك شدة الشتاء بتلك الجهات وبلغت الحرارة ١٤ درجة ريومور ثم عدت إلى جدة وركبت وابور البحر وتوجهت إلى ينبع للنظر في توريد مرتب المدينة إلى شونتها وإيصال ماخص أهالي المدينة من المال المذكور إلى يد سعادة شيخ الحرم المدني بالمدينة ولما وصلت إلى ينبع بعد ٢٤ س وجدت شونة الميري أوسع وأمتن من شونة جدة وأن الوابور يرسي على بعد ١٥٠ متراً من الرصيف وأجرة نقل الاردب الواحد من الوابور إلى الشونة قرش واحد والقرش المصري سبعون فضة ومرتب المدينة تستلمه من الشونة التجار الموكلون عن أهالي المدينة وقد اشتروا أغلبه من أصحابه ليبيعوه لخلافهم ويرسلوه إلى المدينة شيئاً فشيئاً وينبع مشهورة بكثرة الذباب لعفونات من عدم المراحيض بالمنازل فأما أهاليها من نساء ورجال فيتبرزون بالأزقة وعلى شاطىء البحر ووجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة طوله ثلاثة آلاف ذراع تحفظاً من هجوم الأعراب الأغراب وتسهيلاً للهجوم على المعتدين منهم وصيانة للذخائر ولم يمكني التوجه إلى المدينة لانقطاع الطريق من ابن حذيفة حتى أن قافلة منتظرة للتوجه إليها من مدة بالصفراء وكذا ابن عاصم قاطع لطريق جدة ووجدت كتاباً من سعادة شيخ الحرم النبوي يأمرني فيه بتسليم المال الذي معي إلى الأمين المتعين من طرفه لاستلام القمح بينبع لانقطاع الطريق فسلمته ذلك بالسند اللازم وعدت إلى جدة في مركب شراع تسمى سنبوك[1] لعدم وجود وابورات ولا أقدر على شرح ما تمّ لي من عدم الراحة وكثرة المشقات والخوف من الأشعاب وتلاعب الرياح وقد انكسر في هذا الشهر أربع مراكب بالاشعاب التي بين جدة وينبع ووصلت إلى جدة في أربعة أيام وحمدت المولى العلام والسير كان نهاراً فقط على حسب الريح وكان المركب يرسي بالقرب من البر قبل الغروب بساعة وكانت الحمى متسلطنة في هذا الطقس بتلك البلاد ويتداوون منها بالملح الإنكليزي شربة وبسلفات الكينا تعاطياً وهيهات أن يكتسبوا الصحة كما ينبغي ، ثم توجهت إلى مكة وصادف قدومي ليلة الأربعين من فاة والدة سعادة الوالي وكان بمنزله بعد العشاء ازدحام من الذوات والأمراء والفقهاء وناولوا كلاً ممن حضر جزءاً من القرآن والشموع أمامهم وبعد التلاوة وختموا القراءة

---

(١) سنبوك: تصغير سنبك وهو القارب البحري.

وشربوا الشربات ووضع أمام كل واحد طبق مملوء بالحلواء[١] الجافة فأخذ كل ما بطبقه في منديله وتوجه به إلى منزله بعد أخذ خاطر صاحب المنزل كماهي العادة عندهم وقد اجتمعت في مكة ببعض من الذوات والشرفاء والسادة والأعيان [٢].

حادثة قتل الخياط

وفي يوم الجمعة ١٥ جا بعد الغروب وجدت ازدحاماً حول تابوت فيه شاب قتيل محمول إلى سعادة شريف مكة لكونه هو حاكم البلد وكان هذا القتيل خياطاً وكان قد حصل بينه وبين قهوجي[٣] بأسفل بيته مشاجرة بسبب شرب الحشيش وتشكى إلى الأمير وبعد أيام قليلة وجدوه مكتوفاً مخنوقاً بجانب حماره بحاصل في منزله وبالبحث مع ضرب القهوجي اتهم ثلاثة أشخاص مشتركين في الجناية فحبسوا ودفن القتيل في صباح ثاني يوم وفي ١٧ عدت إلى جدة وفي ١٩ تقابلت مع قائممقام الولاية بها الجديد لحضوره أمس من الحديدة وكان حاكماً ببلدة بيت الفقيه ورتبته ميرالأمراء المضاهية لرتبة القائممقام الجهادي[٤] وفي غرة ج سنة ١٣٠٣ ٦ مارث[٥] سنة ٨٦ ركبت وابور البحر ووصلت إلى السويس ثم وصلت إلى مصر ثاني يوم وقدمت أوراق مأموريتي إلى المالية حسب الأصول والطريقة الحسنة في تسلم قمح صدقتي مكة والمدينة هي أن يصير توريد مرتب أهالي مكة بجدة ويباع منه جانب لدفع أجرة المشال إلى مكة ويساق شيئاً فشيئاً إلى التكية المصرية ثم يوزع أولاً فأولاً على حسب الدفتر بمعرفة المأمور المعيّن من مصر حيث إن متوظفي التكية يمكنهم القيام بهذا التوزيع بدون وضعه في شون الميري واحتساب ماهيات خدمتها على أصحاب المرتبات بدون اقتضاء لكن يلزمهم أن يكونوا منقادين للمأمور في الصرف وتحقيق صحة وجود أصحاب المرتبات وعدمه بحسب دفتر الأسماء المحضر

---

(١) الحلواء: الحلوى.

(٢) الأعيان: تعني أكابر القوم.

(٣) قهوجي: عامل المقهى.

(٤) الجهادي: العسكري.

(٥) مارث: شهر مارس.

معنا من غير تداخلهم في الأخذ والاعطاء وإن وجد محلول فبمعرفة المأمور يعطي للمستحقين من الفقراء بعد أخذ الشهادة اللازمة ويلاحظ حركة التكية لأن أهمية ذلك من جملة الاصلاحات الخيرية ويلزم أن يكون المأمور ذا رتبة مؤتمنا خبيراً بأحوال تلك الجهات مرفوعاً عند الأعيان ليتيسر له التسهيل والتشهيل في التسليم والتسلم والمثال لأن ذلك يحتاج إلى همة زائدة ويمكن صرف أغلب المرتبات بجدة لوكلاء أصحابها وللتجار الذين اشتروا أغلب حصصهم والباقي يصرف لهم بالتكية وكذا حصة المدينة تصرف بينبع للوكلاء كما شاهدنا ذلك وتوريد المرتب قمحاً فيه منفعة عظيمة لسكان مكة والمدينة بتنازل الأسعار إلا أن التجار تحوزه وتكتسب منه مبالغ جسيمة وأما الأوفر للحكومة فهو توريده دراهم بدلاً عن القمح كما حصل سابقاً وإنما يلزم الحكومة المخابرة مع سعادة والي الحجاز مقدما في ذلك بإرسال مأمور التسليم والتسلم وأن تنتظر الاتفاق على ذلك تلغرافياً فإن كان قمحاً استلمه المأمور بجدة وصرفه بمعرفته كما ذكرنا وإن كان نقداً أرسل إلى المأمور بواسطة البوسطة الخديوية وبعد استلامه لذلك يفرقه بمعرفته على حسب الدفتر ويلزم الحكومة مراعاة المندوب من جهة مصاريفه ومكافأته احتراماً وشرفاً للحكومة الخديوية وإرسال بعض الهدايا اللائقة لبعض من المتوظفين هناك على حسب درجاتهم لتحصل الممنونية للجميع وحسن الالتفات للمندوب إذ الدرهم هو مركز دائرة السلوك بين الأمير والصعلوك كما شاهدته في تلك الجهات .

والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب .

خاتمة المُصحّح

(يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة الفقير إلى الله تعالى محمد الحسيني أعانه الله على أداء واجبه الكفائي والعيني) .

بحمد ذي الجلال والاكرام الذي فضل على سائر الأماكن بيته الحرام وحث على أداء المناسك وأعدّ جزيل الأجر لمن حل بتلك المعاهد وارتوى من زمزم والتزم الملتزم واستلم الحجر الأسود والركن والمقام والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من نج وحج ولبى وصلى وصام وعلى آله الناسكين نسكه المقتفين أثره وأصحابه الكرام البررة (أما بعد) فقد تم طبع هذه الرسالة الوافية البيان الصافية المورد والمنهل الحافلة الكافلة ببيان المنازل من مصر إلى مكة المشرفة والمدينة المنوّرة على أتم وجه وأكمل السالكة بقارئها من فجاج تلك الديار كل فج وهي المسماة (كوكب الحج) تصف لك هاتيك المنازل والأماكن فلا تكاد تحتاج في معرفتها عند مرورك عليها إلى مُعَرِّف ولا دليل وتعرّفك قبائل العرب الحجازية وفصائلها وأخلاق بعضها ومساكنها على وجه جميل مهذبة المباني محررة المعاني نميقة بنان الصنع الذي لايقدر قدره ذكاء ونبلا وبنت فكر الهمام الذي لايدرك شأوه رقة وفضلاً الملحوظ بعين عناية مولاه الخالق حضرة محمد باشا صادق * على ذمة حضرته حفظه الله ومن كل سوء وقاه * في ظل الحضرة الخديوية والطلعة الداورية حضرة من عم رعاياه بإحسانه وفضله وأنامهم في ظلال أمنه وعدله الذي هو بجميل الثناء عليه بكل لسان حقيق أفندينا محمد باشا توفيق أدام الله علينا أيامه ووالي علينا أنعامه وحفظ أنجاله الكرام وجعلهم غرّة في جبين الليالي والأيام وأدام لنا خيريه مدى الأعوام وكان تمام طبعه وبدوّ زهره وينعه في أوائل ذي القعدة الحرام من عام ثلاث بعد ثلثمائة وألف من هجرته عليه أفضل الصلاة والسلام وعلى آله وصحبه البررة الكرام .

يوميات الرحلة (كوكب الحج) من ٢١ذي القعدة١٣٠٢هـ إلى ١٦ صفر ١٣٠٣هـ

٢١ذي القعدة١٣٠٢هـ

اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
الثلاثاء	٢١ذي القعدة١٣٠٢	١ سبتمبر١٨٨٥	استلام الصرة
الاربعاء	٢٢	٢	استلام مالية المحمل
الخميس	٢٣	٣	موكب المحمل بحضور الخديوي محمد توفيق
الجمعة	٢٤	٤	الوصول للسويس
السبت	٢٥	٥	الابحار الى جدة
الاحـد	٢٦	٦	ابحار
الاثنين	٢٧	٧	ابحار
الثلاثاء	٢٨	٨	محاذاة رابغ -احرام
الاربعاء	٢٩	٩	دخول جدة
الخميس	١ذي الحجة١٣٠٢	١٠سبتمبر١٨٨٥	احضار الجمال اللازمة لشال المحمل
الجمعة	٢	١١	السير في اتجاه مكة
السبت	٣	١٢	في الطريق لمكة
الاحـد	٤	١٣	الوصول إلى مكة
الاثنين	٥	١٤	مقابلة عثمان باشا نوري
الثلاثاء	٦	١٥	مقابلة الوالي
الاربعاء	٧	١٦	شريف مكة في ملاقاة المحمل الشامي
الخميس	٨	١٧	الوصول إلى منى
الجمعة	٩	١٨	طلوع جبل الرحمة
السبت	١٠	١٩	المحملان المصري والشامي إلى المشعر الحرام
الاحـد	١١	٢٠	اول ايام العيد

١ذي الحجة١٣٠٢هـ

	اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
١٢ذي الحجة١٣٠٢هـ	الاثنين	١٢	٢١	مقابلة الشريف للتهنئة بالعيد
	الثلاثاء	١٣	٢٢	البقاء في منى
	الاربعاء	١٤	٢٣	صرف مرتبات التكية
	الخميس	١٥	٢٤	البقاء في منى
	الجمعة	١٦	٢٥	البقاء في منى
	السبت	١٧	٢٦	في مكة
	الاحد	١٨	٢٧	احتفالات
	الاثنين	١٩	٢٨	احتفالات
	الثلاثاء	٢٠	٢٩	زيارة الشريف
	الاربعاء	٢١	٣٠	صرف مرتبات
١اكتوبر١٨٨٥م	الخميس	٢٢	١اكتوبر١٨٨٥م	صرف مرتبات
	الجمعة	٢٣	٢	صرف مرتبات
	السبت	٢٤	٣	في مكة
	الاحد	٢٥	٤	في مكة
	الاثنين	٢٦	٥	في مكة
	الثلاثاء	٢٧	٦	في مكة
	الاربعاء	٢٨	٧	في مكة
	الخميس	٢٩	٨	في مكة
	الجمعة	٣٠	٩	في مكة
١محرم ١٣٠٣هـ	السبت	١محرم ١٣٠٣هـ	١٠ اكتوبر١٨٨٥	الاستعداد للسفر

	اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
٢محرم ١٣٠٣هـ	الاحـد	٢	١١	السفر في اتجاه المدينة
	الاثنين	٣	١٢	في الطريق إلى المدينة
	الثلاثاء	٤	١٣	في الطريق إلى المدينة
	الاربعاء	٥	١٤	في الطريق إلى المدينة
	الخميس	٦	١٥	في الطريق إلى المدينة
	الجمعة	٧	١٦	في الطريق إلى المدينة
	السبت	٨	١٧	في الطريق إلى المدينة
	الاحـد	٩	١٨	في الطريق إلى المدينة
	الاثنين	١٠	١٩	في الطريق إلى المدينة
	الثلاثاء	١١	٢٠	في الطريق إلى المدينة
	الاربعاء	١٢	٢١	في الطريق إلى المدينة
	الجمعة	١٤	٢٣	في الطريق إلى المدينة
	السبت	١٥	٢٤	في الطريق إلى المدينة
	الاحـد	١٦	٢٥	دخول المدينة
	الاثنين	١٧	٢٦	زيارة المسجد النبوي
	الثلاثاء	١٨	٢٧	زيارة المسجد النبوي
	الاربعاء	١٩	٢٨	صرف المرتبات
	الخميس	٢٠	٢٩	صرف المرتبات
	الجمعة	٢١	٣٠	الصلاة في الحرم النبوي
١نوفمبر ١٨٨٥م	السبت	٢٢	١نوفمبر ١٨٨٥م	البقاء في الحرم
	الاحـد	٢٣	٢	الخروج من الحرم في طريق العودة

اليوم	التاريخ الهجري	التاريخ الميلادي	النشاط
٢٤محرم ١٣٠٣هـ الاثنين	٢٤	٣	مواصلة السير في طريق الوجه
الثلاثاء	٢٥	٤	المبيت في محطة الضعيني
الاربعاء	٢٦	٥	مواصلة السير والنزول بمحطة المليح
الخميس	٢٧	٦	مواصلة السير والنزول بمحطة السجوة
الجمعة	٢٨	٧	وفاة زوجة محمد صادق باشا
السبت	٢٩	٨	مواصلة السير والنزول بالحفائر
١ صفر ١٣٠٣هـ الاحد	١ صفر ١٣٠٣هـ	٩ نوفمبر ١٨٨٥م	مواصلة السير والنزول بمحطة الفقير
الاثنين	٢	١٠	مواصلة السير والنزول بمحطة العقلة
الثلاثاء	٣	١١	مواصلة السير والمبيت بمحطة العقلة
الاربعاء	٤	١٢	مواصلة السير في طريق محطة الحوثلة
الخميس	٥	١٣	مواصلة السير والنزول بمحطة الحوثلة
الجمعة	٦	١٤	استراحة
السبت	٧	١٥	مواصلة السير في طريق مينة الوجه
الاحد	٨ صفر ١٣٠٣هـ	١٦	الوصول لمينة الوجه
٩ صفر ١٣٠٣هـ الاثنين	٩	١٧	ركوب البحر في اتجاه الطور
٩ صفر ١٣٠٣هـ الثلاثاء	١٠	١٨	ركوب البحر في اتجاه الطور
الاربعاء	١١	١٩	مواصلة الابحار
الخميس	١٢	٢٠	الوصول للكرنتينة في الطور
الجمعة	١٣	٢١	ركوب البحر في اتجاه السويس
السبت	١٤	٢٢	الوصول لمينة السويس
الاحد	١٥	٢٣	الطواف في شوارع السويس
١٦ صفر ١٣٠٣هـ الاثنين	١٦	٢٤	الوصول للعباسية والاحتفال بعودة المحمل

دليل الحج

للوارد إلى مكة والمدينة

مـــــن كـــل فــج

تأليف

حضرة محمد باشا صادق

من ضباط أركان

حرب سابق

مسيحية سنة ١٨٩٦ هجرية سنة ١٣١٣

(الطبعة الأولى)

بالمطبعة الكبرى الأميرية ببولاق مصر المعزّيه

سنة ١٣١٣ هجرية

المحتويات

(بسم الله الرحمن الرحيم)

المقدمة

حمداً لك يامن هديتنا إلى طريق الرشاد ووفقتنا للسعي في مصالح العباد ويسّرت لنا مشاهدة عوائد وطبائع بعض البلاد والصلاة والسلام على سيدنا ونبينا محمد سيد المرسلين وعلى آله وأصحابه أجمعين (أما بعد) فيقول المعتمد على ربه الخالق محمد باشا صادق من ضباط أركان حرب في السابق إني استخرت الله بأن أجمع كتبي الثلاثة التي ألّفتها مدة سفري إلى الأقطار الحجازية ، أحدها جريدة استكشافية من الوجه إلى المدينة المنوّرة ومنها إلى ينبع البحر حين كنت مهندساً بمعية المرحوم سعيد باشا والي مصر وتبعته في سفره إلى المدينة في رجب سنة ١٢٧٧ هجرية ، وفي سنة ١٢٩٧ تعينت أميناً للصرّة وتوجهت مع المحمل في شهر شوّال بطريق البر وعند عودتي ألّفت كتاباً في كيفية الحج ومعالم الطريق وسميته بـ «مشعل المحمل» ، والثالث بتلك الوظيفة أيضاً بطريق البحر في ذي القعدة سنة ١٣٠٢ وسميته «كوكب الحج» ، شارحاً بها سير المحمل من يوم خروجه من مصر المحروسة إلى وصوله مكة المكرمة والمدينة المنوّرة وعودته إليها مع رسم خريطة الطريق وبيان المسافة بين المحطات بالضبط وذكر نوع أرضها وصلاحيتها وما بها من آمن ومخوف ، والبلاد المار عليها الحج وسكانها وعاداتهم وتعدادهم حسب الاستكشافات العسكرية وكيفية الحج ومناسكه ورسم مسطح الحرمين الشريفين الملكي والمدني فجاءت بفائدة عظيمة للمسافر والمقيم ونفع عميم فاهتممت وجمعتها في كتاب واحد ليتخذه المطالع والحاج علماً يهتدي به ، وأما ما يقتدى به براً وبحراً وسميته (دليل الحج للوارد إلى مكة والمدينة من كل فج) فصار دليلاً مختصراً للأمة المحمدية ولم أذكر إلا ما شاهدته أو ممن أعتقد صدق سمعته ، فإن الكلام البسيط عادتي وقول الحق من غير مبالغة سجيتي وأرجو مسامحتي فيما يرى فيه من سهو أو غلط وقد قيل * من ذا الذي ما ساء قط * وإن وجد فيه ما يلام عليه ، فلا يلومنني في ذكره فإني ذكرته أداءً لحق الوظيفة مع التلطيف ليكون قدوة ودليلاً لمن يتوظف من الآن وليس الخبر كالعيان وقد تيسر لي في سفري سنة ١٢٩٧ هجرية أعني سنة ١٨٨٠ مسيحية أخذ المناظر المقدسة بالبلدتين المشرّفتين بواسطة الآلة الفطوغرافية حيث لم يسبق لأحد غيري ومنحت بسبب ذلك بمداليا من الذهب ومن الدرجة الأولى بمعرض ونيزيا سنة ١٨٨١ .

وجوب الحج

ولنبدأ بسير المحمل براً فنقول ، إعلم أولاً أن الحج واجب شرعاً على كل مسلم حر بالغ عاقل صحيح البنية قادر على الزاد والراحلة ونفقة عياله والمسكن له أن يعود من سفره مع أمن الطريق مرة واحدة في عمره والذي لا قدرة له على ذلك فليس بمكلف لأن الفقراء يكابدون المشاق في القوت والسير زيادة عن الغير من أن بعض الحجاج المتيسر لهم ذلك يسخطون جهاراً من مجيئهم للحج لما يقاسون من التعب وضعف الجمال ورذالة الجمّالة وعرب الطريق والمشاجرة اليومية حتى يعودوا إلى أوطانهم آثمين ، وأما الفقراء فأغلبهم يتخذ حرفة السؤال والبعض يستخدمون بوظيفة فراش أو ضوّي أو عكام من حمار وشيار وبوصولهم إلى مكة منهم من لايحج ولايسعى وكما خرج من بلده عاد وعلى وجهه قناطير من السواد ، ومع هذا لايتركون الفشر واللقلقة ولايدعون الكذب والمشدقة ، بل يسمون أنفسهم بالحاج بدوي عجوره والحاج علي أبي قوره وجميعهم بهذا المثل من الدفة إلى الشابورة ، وعاينت هذه الأفعال بعيني دون غيري .

ولما وفق الله تعالى وتعينت أميناً لصرة الحج الشريف في طلعته سنة ١٢٩٧ هجرية وعودته سنة ١٢٩٨ كان سعادة عاكف باشا أمير أعلى الحج وعاطف بيك القائمقام رئيساً على أورطتي السواري وهاتان الأورطتان عبارة عن ثمانية بلوكات معها مدفعان جبليان من الششخانة وثلاثة وعشرون طوبجيا ، وكان عدد الجميع بضباطهم مائتين وأحداً وأربعين شخصاً تابعين للصرة حفظاً لها وللحجاج ووكب المحمل بالبنادر التي يمر بها .

الصرة

وأوّل من جاد وأرسل الصرة إلى الحرمين المقتدر بالله من الخلفاء العباسيين واستمرت للآن وكان مبلغ الصرة ١,٣٦٣,٤١٧ غرشاً عنها ٥٦١٩ جنيه و ٢٢,٣١٠ غروش من ذلك مصروفات خدمة الصرة ذهاباً وإياباً ومرتبات العربان ومجاوري مكة والمدينة ومبلغ ١٦٠,٩١٢ غرشاً مرتب تكية مكة و ١٦٥,٦٧٠

غرشاً مرتب تكية المدينة فضلاً عن الأمانات التي ترسل إلى أربابها من الروزنامجه والأوقاف وبعض الدوائر لزوم مرتبات أهالي الحرمين وأشخاص مقيمين بالحجاز وثلاثين قنطاراً من الحلواء وثلاثة قناطير من الشمع السكندري وعدد من الأكراك والبنشات والأقمشة والشيلان الكشميرية والشاش الأبيض .

والمستخدمون بالصرة مع الأمين هم حكيم وأجزجي برتبة يوزباشية وصراف وكاتبان وبيرقدار المحمل ومبلغ الجبل وضويّة وعكامه وفراشون لنصب خيام المتوظفين وسقاؤون وأمينا كساوي لتفرقتها على العرب وغيرهم ومقدار كاف من الجمال لحمولتهم وحمولة مؤن العساكر والمياه وجميع الترتيبات المتعلقة بالمحمل والصرة والمشتروات والتجهيزات جار عملها بمعرفة الروزنامجه بناء على أمر الداخلية .

كسوة الكعبة

وأن مرتب أمير الحج خمسمائة جنيه إنعاماً عند السفر والآن بما فيها ماهيته مدة السفر ومرتب الأمين خمسة وسبعون جنيها إنعاماً سوى ماهيته المرتبة مع خرج أحد عشر شخصاً ولسائر مستخدمي الصرة مرتبات على حسب درجاتهم وصار تسليم واستلام المحاملي كسوة الكعبة الشريفة من يد ناظر تشغيلها بمسجد سيدنا الحسين رضي اللّه عنه بحضور كل من أمير الحج وأمين الصرة ونائب القاضي وهي عبارة عن ثمان قطع من الحرير الأسود المنسوج كل منها على طول الكعبة وكل قطعتين بعرض جهة من جهاتها تسدل على أربعة جهاتها من الخارج من الأعلى إلى الأسفل وطراز مزركش عرضه ٧٠ سنتي مرسوم عليه بالمخيش آيات قرآنية محوّط كالمنطقة على الكسوة في ارتفاع ثلثي الكعبة وستارة كبيرة لبابها من الأطلس الأخضر مزركشة جميعها بالمخيش وستر مقام سيدنا إبراهيم الخليل عليه السلام وستارة باب هذا المقام من خارج وأخرى من داخل جميعها مزركش ومنقوش في غاية الظرف وصار حزم جميعها وحملت لتكون مع المحمل ، وجميع ذلك يوضع على الكعبة والمقام في ١٠ الحجة والعادة أن كسوة البيت في آخر العام تكون لحضرة الشيخ الشيبي فاتح بيت اللّه ماعدا الأشياء المزركشة فإنها لشريف مكة وهذا مالم يكن الحج بالجمعة والا فالمزركش يحمل إلى مولانا السلطان .

وأوّل من كسا الكعبة كرب بن سعد ملك حمْيَر من ملوك اليمن وعبد الملك بن مروان أوّل من كساها بالديباج وقاية من السيل ومن بعده المأمون أجرى تجديدها في كل عام من الأبريسم الأسود وفي سنة ٧٥٠ اشترى الملك الصالح بن الناصر بن قلاوون ملك مصر ثلاثة قرى من القليوبية ووقف إيرادها على كسوة الكعبة واشترط في وقفيته أن تكون من الحرير الأسود وتعمل سنوياً وترسل ، ثم السلطان سليمان خان القانوني اشترى سبعة قرى بالشرقية وأوقفها لمصاريف الكسوة حيث أن القرى الثلاثة الأولى خربت مع طول الزمان وصار إيرادها لايفي لمصاريف الكسوة وللآن جار تشغيلها وإرسالها من مصر سنوياً عند طلوع الحج مع المحمل، والآن المصاريف التي تصرف كل عام على الأقمشة والمخيشات وأجر التشغيل تبلغ ٤٥٠٠ جنيه مصري ، وهذا غير أثمان الشيلان والكساوي والحلويات المرتبة للعربان المقررة بمائتي جنيه .

وفي سنة ١٣٠٤ تيسر لي التوجه إلى مكة وطفت بالبيت في خامس رجب فوجدت كسوته تمزق منها بعض محلات ورقعت ولون صباغها قد تغير والمخيش زال طلاؤه مع أنه باق على تغييرها أربعة أشهر فكلفني سعادة الشريف والشيخ الشيبي أن أعرض ما رأيته على جناب الخديوي عند عودتي إلى مصر فعرضت عليه ذلك وأمرني بتحرير جواب مني إلى المالية بما رأيته وقد صار فتأكد على ناظر التشغيل بالانتباه والدقة حسب المرغوب .

وقد وضعت حرف (س) علامة للساعة وحرف (ق) للدقائق .

وفي يوم الاثنين ٢٢ ل سنة ١٢٩٧ هجرية ١٨ توت سنة ١٥٩٧ قبطيه ٢٧ سبتمبر سنة ١٨٨٠ مسيحية تهيأ محفل المحمل الشريف بميدان محمد علي الساعة الثالثة بحضور جناب الخديوي الأعظم المرحوم محمد توفيق باشا وبحضور النظار العظام وقاضي أفندي وشيخ الإسلام والعلماء والذوات الفخام واستلم جنابه زمام جمل المحمل وسلمه ليد أمير الحج كما هي العادة وسار المحمل في موكب عظيم مبتدئاً بعساكر البياده مع موسيقاها ومن بعدهم السواري ثم الطوبجية ويليهم أرباب الأشائر وعساكر البوليس الخيالة ومن ورائهم أمين الصرة وتوابعها ثم الضباط

المعينون للموكب ثم أمير الحج وأتباعه ثم المحمل وما يليه من شيخ الجمل وحامل البيرق وشيخ القطط والفرايحية أي الطبالة وسار بين جم غفير من العالم حتى وصل إلى العباسية الساعة خمسة وحط بالقرب من المحمدي أمام صوان الأمير .

المحمل

وأصل إيجاد المحمل على ما قيل هو لما سافر الرسول عليه الصلاة والسلام إلى الشام قبل رسالته النبوية فالجمل الذي كان حاملاً متاعه عليه السلام امتاز عن باقي جمال القافلة بهذا السبب فسمي بالمحمل ثم فيما بعد صار ترتيب جمل لمشال الكسوة والهدايا المرسلة سنوياً إلى الحج مع القافلة وسمي محملاً على قبول التبرك وقيل إن شجرة الدُرّ زوجة أحد ملوك مصر لما أرادت الحج سنة ٦٤٥ صنع لها تختروان مربع بقبة لحملها وكُسي بالحلل وقافلة الحج تتبعه كعلم لها فسمي بالمحمل وقيل إن أول اختراعه كان من ذلك الوقت واستمر للآن وهو مربع الشكل يعلوه قبة على أضلاع أربعة وكسوته من الأطلس الأحمر مزركشة في غاية الظرف ومكتوب عليها بالمخيش آيات قرآنية وبزواياه الأربع وعلى رأس القبة عساكر من الفضة وكلما تجد دوال لمصر تجددت الكسوة أو بقيت على حالها إن كانت جديدة ولحجاج الشام محمل أيضاً شبه هذا لكنه أقل عرضاً منه قد رتبه السلطان سليم سنة ٩٢٣ وأرسل في شهر شوال إلى الحجاز بعد إجراء موكب عظيم له وهو بأربعة أركان وأعلاه مخروطي الشكل محفوف بقبة وعلى القبة والزوايا الأربعة كرات من الفضة منقوشة ومزخرفة والخشب مكسوّ بكسوة مزركشة من الأطلس الأخضر مكتوب عليها لا إله إلا الله محمد رسول الله .

السفر براً

وفي يوم الخميس ٢٥ منه في الساعة الأولى أطلقت مدافع القيام وقام الركب على جمال مصرية أغلبها من جمال الحجارة ولم يكن فيه من الحجاج الأغنياء أحد لتوجه جميعهم بحراً وكان السير في أرض سهلة مرملة من اليمين ومزروعة من اليسار إلى أن وصل إلى محطة (بركة الحاج) الساعة ثلاثة ونصف وهي بشرقي

كفور الجاموس التابعة للقليوبية وهناك ترعة كبيرة نيلية وسواق عذبة المياه وقد بلغت الحرارة الجوية في وقت الزوال ٣١ درجة سنتجراد داخل الخيمة وليعلم أن ميزان درجة الحرارة بالسنتجراد في الظل .

وفي يوم الجمعة ٢٦ منه غرة أكتوبر قام الركب الساعة السادسة ووصل الساعة الحادية عشرة إلى محل يسمى (أبواب المصاطب) وفي الساعة واحدة ليلاً جد السير إلى الساعة الخامسة وثلث وحطت الرحال للاستراحة بجوار محل البوسطة القديمة وبعد خمس وعشرين دقيقة استمر السير إلى الساعة ثمانية ونصف وأناخ بجوار (الشيخ التكروري) .

وفي يوم السبت ٢٧ منه سار الركب الساعة سبعة ونصف ونزل في الساعة احدى عشرة وأربعين دقيقة بجوار بوسطة مهدومة،وفي الساعة الأولى من ليلة الأحد جد السير واستمر طول الليل وحصلت استراحتان مدة الواحدة منهما عشرون دقيقة .

المحمل بالسويس

وفي يوم الأحد ٢٨ شوال الساعة واحدة إلا ربعاً نزل بالقرب من بئر السويس فكانت المسافة من الشيخ التكروري إلى البئر بسير الجمال خمس عشرة ساعة وعشر دقائق ، وفي الساعة الثانية تهيأ المحمل بكسوته المزركشة واصطف أمامه الضباط والعساكر والطبول والاشائر وسار الموكب إلى أن قَرُب لبندر السويس وتقابل مع محافظها وعساكرها وأعيانها ومشايخها ومن بها من أهل الطرق وساروا جميعاً أمام المحمل بموكب عظيم وجم من الأهالي المتفرجين حتى مروا من قنطرة الترعة الحلوة ووصلوا إلى ميدان محطته المعتاد الساعة ثلاثة ونصف ، ودخل كل من المستخدمين خيمته وبارك أمراء السويس لأمراء الحج بسلامة الوصول كما هي الأصول ، وفي وقت الظهر بلغت الحرارة ٤١ درجة سنتجراد وبعد العشاء أطلقت الصواريخ وضربت الطبول أمام خيمتي الأمير والأمين ثم أمام بيت محافظ السويس.

وفي يوم الاثنين ٢٩ منه جرى استلام خرج المستخدمين من شونة السويس من قنيطه وأرز وعدس ومسلي وعلائق للمواشي على حسب المرتب لمدة السفر منها إلى (نخل)

بكسر النون والخاء وقد ارتقت الحرارة ظهر هذا اليوم إلى ثلاث وأربعين درجة .

وصف الطريق بوادي التيه

وفي يوم الثلاثاء غاية شوال كانت الحرارة صباحاً عشرين درجة وفي الساعة واحدة إلا ثُلثاً قام الركب ووصل إلى قنطرة الترعة المالحة الساعة واحدة وأربعين دقيقة ، وكان البحر منجزراً فانتظرنا مدة حتى علت المياه وأغلقت أبواب القنطرة ومر جميع الركب من الساعة ٥ ق ١٥ إلى الساعة س ٦ ق ٣٠ وكان عدد الركب ١١٠٣ أنفس و ٦٤٧ حصاناً و ٤٨٨ جملاً و ١٠٠ حماراً، ولم يكن معه من هو قاصد للحج من الأهالي إلا شرذمة قليلة من الفقراء وأما الأغنياء من الحجاج فتوجهوا جميعاً بحراً ، ووصل الركب إلى الناطور الأول س ٨ ق ٣٠ وهذا الناطور مبني بالحجر والزلط فوق تل من رمل كهيئة طاحون الهواء عرضه ثلاثة أمتار وارتفاعه أربعة ، وفي س ١٠ و ٤٥ ق وصل إلى الناطور الثاني وهو على شكل العمود ارتفاعه ثلاثة أمتار مبني بحجر النحت ، وصار المبيت بجانبه في واد متسع مرمل به بعض أكمات صغيرة ورمال منتقلة ، في الساعة التاسعة من ليلة الأربعاء سار الركب ومرّ على الناطور الثالث س ١٠ وهو مثل الثاني ومُعد لمبيت الحاج وقد جعلت هذه النواطير في هذا الوادي المتسع أعلاماً لتدل المسافر على الطريق وفي س ١١ ق ٣٠ وصل لمحل يسمى العلواية واستراح قدر نصف ساعة ثم سار في طريق كلها رمال بين صعود وهبوط محاطة بتلال ويسمى هذا الطريق بوادي التيه .

وفي يوم الأربعاء أول ذي القعدة سنة ٩٧ وصل بعد مضي أربعين دقيقة من النهار إلى سلسلة تلال تمتد شرقاً إلى اليمين وعلى س ١ ق ٥ تتجه الطريق شرقاً بينها ثم تنحرف مبحراً ثم تعتدل شرقاً وبعد س ١ ق ٣٠ تتجه غرباً ثم تبحر مع تعرّج بتقوّس كبير مسافة خمس دقائق ثم تشرق بين رمال كثيرة متسلسلة ما بين الشرق والجنوب محاطة يساراً بسلسلة التلول المارّ ذكرها ، وفي س ٣ ق ٥ تمر فوقها مشرقة مقبلة إلى س ٣ ق ٤٠ ، ثم تمرّ على سلسلة أخرى مشرقة ثم مبحرة ثم تعتدل شرقاً وفي س ٤ تمرّ بمحجر وتنحرف بين الشرق والشمال وتصير سلسلة التلال يميناً ثم

بعد مسير خمس دقائق تتجه شرقاً وبعد خمس دقائق أخرى تتجه قبلياً ثم تشرق في واد متسع ذي أرض صلبة صالحة للزراعة بها حشائش قصيرة ، وفي س ٥ ق ١٥ استراح الركب ، وفي س ٥ ق ٤٥ سار ، وفي س ٦ ق ٢٠ مرّ بطريق بين جبلين بها زلط ورمل عرضها من ١٥٠ متر إلى ٢٠٠ تستمر قدر عشر دقائق ثم تتجه ما بين الجنوب والشرق فتعتدل بتقوس بتعرج إلى الشرق بين خيران صغيرة من مجرى السيل ثم تنحرف إلى الجنوب الشرقي ثم شرقاً وهكذا تارة وتارة على حسب امتداد الجبال بها من الطرفين إلى س ٧ ق ١٥ ثم تنحرف جنوباً قدر ثلاث دقائق ثم تتجه إلى الشرق ، وبعد س ٧ ق ٥٣ تتجه جنوباً وتضيق ، وبعد مسير خمس دقائق تشرّق مع صعود قليل ممتد ثم تنحدر في خور ، وفي نهاية س ٨ ق ١٠ تتجه إلى الجنوب الشرقي ثم شرقاً ، وفي نهاية س ٨ ق ٤٥ تتسع الطريق ويقل الزلط ويثبت الرمل ، وفي نهاية س ٨ ق ٥٣ يصل الركب إلى محجر مضيق اتساعه عشرون متراً ثم يتضايق إلى خمسة أمتار ويمتد مع صعود وهبوط على طول ثلثمائة متر ثم يتسع الطريق ثم يضيق مع صعود ثم يتسع ويميل إلى الجنوب الشرقي ثم إلى الشرق ثم ينحرف إلى الجنوب الشرقي إلى نهاية س ٩ ق ٤٢ ثم يتجه قليلاً إلى الشرق، وبعد س ٩ ق ٥٠ يتجه إلى الجنوب بتعرج بتقوس متسع بين جبلين ثم إلى الشرق ، وبعد س ١٠ يهبط من محجر مضيق وبعد س ١٠ ق ٣٠ تقل الجبال ويتسع الطريق بين صعود وهبوط في حجارة ،وفي س ١١ انتهت التلال إلى واد سهل متسع يسمى بوادي (جبال الحصن) ، وفي س ١١ ق ٣٠ نزل الركب للمبيت ، وكل هذه الطريق مارٍ من وادي التيه ،وفي الساعة الثامنة من ليلة الخميس ضرب مدفع التحميل وفي س ٩ سار الركب وكانت حرارة الجو ١٦ درجة وفي س ١١ ق ٤٥ نزل للاستراحة .

قلعة نِخِل

وفي يوم الخميس ٢ ذي القعدة بعد مضي ق ١٥ من النهار جد السير في واد شرقي قبلي متسع صلب الأرض صالح للزراعة به عاقول وبعض حشائش ، وبعد س ٥ ق ٣٠ نزل للاستراحة ، وبعد س ٦ ق ٤٠ أخذ في السير ،وبعد س ٧ ق ٥٠ مرّ مشرقاً بين أكمات محجرة قليلة الارتفاع وقريبة المسافة ، وفي نهاية س ٩ ق ٣٠ مرّ

بمحجر مستوٍ على يمينه جبل مرتفع عليه اكمتان هرميتا الشكل ثم امتد الطريق بين جبلين متباعدين إلى واد متسع جداً محاط بجبال بعيدة يسمى وادي نخل وبعد الغروب بعشر دقائق وصل الركب إلى (قلعة نخِل) بكسر الخاء وهي قلعة مربعة الشكل مبنية بالحجر النحت ذات مزاغل طول كل ضلع منها ٢٨ متراً ماعدا الأبراج التي في زواياها وقطر كل منها ستة أمتار وهذه القلعة مرتفعة عن سطح الأكمة التي هي عليها بنحو سبعة أمتار ونصف والأكمة مرتفعة عن أرض الوادي بخمسة أمتار ، وبداخل القلعة حواصل معدّة لذخائر الحجاج والمستخدمين وبها محافظ ويوزباشي وملازم مخزنجي وبلوكباشي وستة وعشرون عسكرياً ببندق طرز قديم بشطفة وستة طوبجية ومدفع واحد نحاس طرز قديم بري وطول حوشها من الداخل ٢٣ متراً في ١٥ وفي سفل البرج الشرقي البحري ساقية ماؤها قيسوني عمقها ٢٢ متراً يديرها ثوران فيصل ماؤها إلى خارج القلعة إلى ثلاثة أحواض مبنية معدة للحجاج والقوافل أحدها طوله ١٤ متراً في ٢٨ بعمق ثلاثة أمتار خرب من منذ سنتين والآخران كل منهما طوله عشرة في تسعة أحدهما ملآن والآخر يملأ عند رجوع الحاج ، وبجانب هذه الأحواض أحواض صغيرة مستطيلة تملأ لشرب الدواب وفي كل عام قبل طلوع الحاج بشهر يبعث الميري بأربعة أثوار مع لوازم الساقية لإدارتها مدة طلوع ونزول الحجاج ثم ترجع الأثوار إلى مصر مع الحج المصري ، وفي بقية العام يستخرج سكان القلعة الماء بواسطة حبال ودلاء مع المشقة الزائدة ، وبخارج القلعة ساقية خربة وبئر مبنية عمقها ١٦ متراً قليلة المياه ، وهناك عشش لسكنى العساكر وهذا الوادي أرضه سهلة صالحة للزراعة به ثلاثة مجار للسيل فمتى أتى ارتوى أغلبها وزرعتها العربان لأن طينتها التي تعلو الرمل خزفية بيضاء صلبة بحيث إذا أمطرت ومشى عليها إنسان أو حيوان وترك أثر قدمه فيها ومضى عليها زمن تحجرت وصار الأثر كأنه أصلي في الحجر وعلى هذه القلعة يمر الحاج المغربي ذهاباً وإياباً ، وبالقرب من الجهة الشرقية القبلية للقلعة مقام شيخ يسمى الشيخ النخل باسمه سميت البقعة والقلعة ، وفي أوان الحج يوجد هناك البطيخ والبلح والتين العلبي والجبن والدخان .

وفي يوم الجمعة ٣ منه استلم الخرج والعلائق وكانت الحرارة عند طلوع الشمس

٩ درجات ، وفي س ٧ ق ٤٥ من ليلة السبت سار الركب وفي س ١١ ق ٣٠ نزل للاستراحة .

بئر أم عباس

وفي يوم السبت ٤ ذي القعدة جد السير ابتداء الساعة الأولى من النهار في واد متسع سهل وكانت السماء قد أندت ليلاً بحيث استمر الجو غيماً إلى س ٣ ق ٣٠ وقد انحرف الدرب عن الشرق إلى قبلي نحو عشرين درجة ، وفي س ٥ تراءت من بعد جبال على طرفي الطريق ، وفي س ٥ ق ٣٠ استراح الركب ،وفي س ٦ ق ٧ سار ، وفي س ٩ ق ٣٥ مرّ فوق محجر بجانبه خور ثم بعد خمس دقائق مرّ في واد محاط بجبال بعيدة ، وفي س ١٠ ق ٤٠ وصل إلى محطة (بئر أم عباس باشا) للمبيت وهناك بئر ساقية مبنية بالحجر ليس بها عدة للملء عمقها ١٦ متراً وبجانبها حوض كبير طوله ١٥ متراً في عشرة وعمقه ثلاثة أمتار وهي خربة معطلة ماؤها مُرّ جداً لعدم النزح لانقطاع مرتبها فلذا تحمل الحجاج المياه اللازمة لهم من نخلٍ ومن ذلك يصعب على الحجاج والمواشي قلة المياه بهذا المكان ، وفي س ٧ من ليلةَ الأحد ضرب مدفع التحميل ، وفي س ٧ ق ٤٥ سار الركب خلف الدليل وفي س ٩ ق ٣٠ مرّ صاعداً بجوار خور ، وفي س ١١ استراح وفي س ١١ ق ٣٠ اتبع البراح .

وفي يوم الأحد ٥ منه وصل في نهاية س ١ ق ٣٠ إلى جبال ممتدة يميناً تقابلها تلال بعيدة يساراً وفي س ٢ انتهت تلك التلال إلى واد متسع أرضه ذات رمل ثابت، وفي س ٣ ق ١٥ مرّ بين جبلين من طريق اتساعه من مائة متر إلى ٥٠٠ ثم يصير عشرين متراً ، وفي س ٣ ق ٣٥ مرّ بمحجر ثم بمتسع بين جبلين ثم مرّ بمحجر آخر ضيق ثم آخر عرضه عشرة أمتار وكل منهما طوله خمس دقائق وفي س ٣ ق ٥٠ مرّ من محجر منقور في الجبل مستوي السطح والانحدار عرضه عشرة أمتار في طول ثلثمائة متر وعلى يمين الطريق قبر مبني بحجر نحت ، وفي س ٤ صعد على جبل مرتفع نحو خمسة أمتار سهل الانحدار عرض الطريق على سطحه ثلثمائة متر وهي محاطة بالجبال ، وفي س ٤ ق ٥٠ اتجه جبل اليسار إلى بحري ، في س ٥ ق ١٥

نزل الركب للاستراحة وفي س ٦ سار وفي س ٦ ق ٢٥ صعد على تل طفلي الجنس محاط بجبلين ، وفي س ٦ ق ٣٠ اتجه جبل اليسار إلى بحري ، وفي س ٦ ق ٥٦ مرّ الطريق ما بين جبل اليسار وبين أكمات من جبل اليمين ، وفي س ٧ ق ١٠ مرّ على الأكمات وفي س ٧ ق ١٥ صعد الركب على جبل اليمين فرأى وادياً متسعاً يساراً وجبالاً يميناً في أرض مستوية السطح رملها ثابت به بعض زلط خفيف .

الأمشاش

وفي س ٨ ق ٥ مرّ بين أكمات وانتهى جبل اليمين واتجهت الأكمة التي على اليسار إلى الشرق وفي س ٨ ق ٢٥ اتجهت إلى بحري ورؤي الوادي متسعاً محدوداً بالجبال على بعد وفي س ٩ ق ٤٠ انتهى الوادي ومرّ الطريق بين تلال وفي س ١٠ مرّ على محطة (الامشاش) وهو محل معد لنزول الحجاج به ليس به آبار ولا مياه إلا بعض حفائر مردومة يُقال إنّ العرب تحفر هذه الحفائر وتأخذ منها المياه بسهولة لقربها من سطح الأرض في هذا المحل ثم تستبدلها بغيرها ، وفي س ١٠ ق ٣٥ نزل الركب بواد متسع يحدق به شجر عبل أرضه رمل أصفر تعلوه طبقة خفيفة من الزلط ، وفي س ٧ ق ٤٥ من ليلة الاثنين قام الركب ونزل في س ١١ على (سطح العقبة) .

وصف العقبة

وفي يوم الاثنين ٦ القعدة في الساعة الأولى من النهار ابتدأ النزول من العقبة بحيث صار الراكب ينزل عن دابته أو جمله ويتجه للجنوب الشرقي نحو خمسين متراً ثم يميل مبحراً بين أكمات من صخر نحو ثلثمائة وثلاثين متراً ثم يتجه شرقاً قدر ثلثمائة متر ويمر من محجر عرضه عشرة أمتار ثم يسير نحو ستمائة متر وينعطف جنوباً نحو مائتي متر بين أكمات ثم ينعطف إلى الجنوب الشرقي قدر أحد عشر متراً ويتجه إلى الشرق الشمالي قدر مائتين وثلاثين متراً ثم يتضايق المحجر إلى عشرة أمتار بصخر شمالاً وخور يميناً وبعد مائتين وثمانين متراً يصعد الركب مشرقاً قدر مائة وثلاثين متراً ثم يسير في مستوى من الأرض عرضه خمسون متراً ، ويتجه مائلاً قليلاً منه إلى الشمال الشرقي وبعد مائتين وخمسة وستين متراً ، يجد هويا

على اليسار وأكمة ومحجراً خفيف الانحدار على اليمين ثم يتسع الطريق وبعد مائة متر يجد زلطاً ومحجراً وعلى اليسار خوراً وبعد مائة وأربعين متراً يسير في محجر بعد منحدر صعب النزول لا يمر منه إلا الجمل فالجمل مسافة عشرة أمتار ثم يميل الطريق إلى القبلي الشرقي بين هوى شمالاً وصخور يميناً وبعد أربعة وعشرين متراً لا يمرّ إلا الجمل فالجمل يستمر ذلك قدر مائة متر أيضاً لكثرة الصخور مع تقوّس الطريق إلى الشرق ثم تتسع وتتجه إلى الجنوب الشرقي وبعد مائتي متر ينتهي الانحدار وتصير الأرض مرملة وبعد ثلثمائة وعشرين متراً يبدو منحدر وجبال ، ثم بعد مائتي متر يوجد محجر وصعود عرضه ثمانية أمتار ثم رمل وصعود آخر في منحدر عرضه عشرة أمتار وبعد مائة وتسعين متراً ينتهي الصعود ويسهل الهبوط وبعد مائة وخمسة وأربعين متراً يميل الطريق مبحراً قدر مائة وعشرين متراً مابين خور يميناً وصخور يساراً ثم يوجد زلط ومحجر ثم يستقيم الطريق مشرقاً مقبلاً نحو خمسة وتسعين متراً ثم يتجه إلى شرقي بحري نحو ثلاثين متراً ثم ينحرف جنوباً بقدر أربعين متراً ثم شرقاً بقدر خمسة وعشرين متراً بين صخور ومحجر صعب ثم يتجه إلى الجنوب الشرقي وبعد أربعة وأربعين متراً يوجد خور على اليسار ويسهل السير باستواء الطريق قدر مائتين وخمسين متراً ثم يمر من نقب طوله عشرة أمتار وعرضه ثمانية وبعد ستين متراً يظهر الخور الذي على اليسار ويميل الطريق مشرقاً بقدر اثنين وأربعين متراً مع الصعوبة لشدّة صلابة الأحجار وشرذمتها وإن كانت قليلة الانحدار نوعاً ، ثم يتجه مقبلاً إلى نقب في الحجر منحدرٍ لا يمرّ منه إلا الجمل فالجمل قدر مائة وثمانين متراً ثم يصير الهبوط سهلاً نحو مائة وستين متراً ثم يميل إلى شرقي قبلي عن يسار خور قدر ثلثمائة متر ثم يقبل نحو مائة متر ثم يستقيم بين الشرق والشرقي الجنوبي نحو خمسة وخمسين متراً فينتهي إلى محجر هابط متجه إلى الشرق متقوّس طوله مائتا متر لا يمرّ منه إلا الجمل فالجمل ولايزال إلى الشرق قدر مائتي متر ثم يوجد هبوط صعب ذو حجارة كثيرة كبيرة لا يمرّ منه إلا الجمل فالجمل أيضاً متجه إلى الشرق الشمالي طوله ستون متراً على يساره خور ثم ينعطف الطريق بانحدار يسير إلى الشرق الجنوبي قدر خمسة وخمسين متراً ثم يرجع إلى الشمال قدر مائة وخمسة وعشرين متراً مع الانحدار وهذه النقطة منخفضة عن

التي قبلها أعني النقطة التي بعد الستين متراً بنحو عشرين متراً ثم يتجه إلى الشرق الجنوبي قدر خمسة وعشرين متراً ثم يستدير بتقوّس مشرقاً مسافة ستة وثمانين متراً في متسع ثم يميل مقبلاً ثلاثين متراً فيستمر مابين الشرق والشرق القبلي قدر ستة وسبعين متراً ثم يميل شرقاً إلى مائة وخمسة وعشرين متراً مع انحدار وهوى يميناً ثم يبحر الطريق قدر ثمانين متراً ثم يستدير إلى القبلي بانحدار شديد قدر مائة وثلاثة وسبعين متراً ثم يتجه إلى القبلي الشرقي فوق أساس مقاطع الخور الذي على الطرفين وبعد سبعين متراً توجد قنطرة مبنية لمجرى السيل النازل في الخور وإلى هنا ينتهي آخر العقبة ، ومن هذا المحل يسهل سير الجمال بأحمالها إلى القلعة وبعد سير مائة وستين متراً من القنطرة يميل الطريق مشرقاً مبحراً قدر تسعين متراً في عرض عشرة أمتار بين جبلين ثم يميل مشرقاً مقبلاً مائة وثمانين متراً في عرض سبعين متراً على سطح مستوٍ بين الجبال سهل السير ثم يميل الطريق بين القبلي والقبلي الشرقي وبعد ثلثمائة متر يصير عرضه أربعين متراً وبعد ثلثمائة أخرى يتجه إلى الجنوب قدر أربعة وستين متراً ثم إلى الشرق الجنوبي قدر تسعمائة متر مع سهولة السير واستواء سطح الأرض ثم يستقيم بين الشرق والشرقي الجنوبي وبعد مائة متر يوجد صعود سهل بين أكمتين وبعد مائة وتسعين متراً ينتهي الصعود وينحرف الطريق إلى الشرق وبعد مائتي متر يبتدىء صعود بين صخرتين ثم بعد مائتي متر ينتهي إلى هبوط مستوٍ قدر ثلثمائة متر ثم بعد مائتين وثلاثين متراً يبتدىء صعود آخر وبعد مسير خمسة وسبعين متراً من الصعود يوجد خور يمينا ثم بعد خمسين متراً يتجه الطريق شرقياً قبلياً نحو خمسين متراً ثم يستقيم شرقاً وبعد مائة متر يوجد مجرى سيل ثم بعد مائة وعشرين متراً ينتهي الصعود ويبتدىء الهبوط في متسع مستوٍ ما بين الشرق والشرقي الجنوبي قدره خمسمائة متر على يمين جبل ثم بعد مسير أربعمائة متر يمر بين تلال طولها تسعون مترا ويكون عرضه تارة عشرة أمتار وتارة عشرين ثم يميل مشرقاً مقبلاً قدر مائة وخمسين متراً ويتسع بين تلال ورمال سهلة السير نحو خمسمائة متر ثم بعد خمسمائة متر أخرى تنقطع التلال ويمر الطريق على يمين جبل وبعد مائة وعشرة أمتار يميل شرقاً مسافة أربعمائة متر ثم ينعطف يسيرا إلى الجهة البحرية الشرقية مسافة مائة وعشرة أمتار ثم يتجه إلى

الشرق الجنوبي قدر ستمائة وثمانين متراً ثم يمر بين تلال في عرض ثلاثين متراً ويستمر ما بين الشرق والشرقي الجنوبي ، ثم بعد خمسمائة متر يصعد بين تلال وبعد مائتي متر ينحدر إلى خمسمائة متر فيتسع في أرض مرملة محاطة بتلال وبعد ثلاثة آلاف ومائة متر ينتهي إلى رمال البحر المالح ثم بعد أربعمائة متر يصير البحر المسمى ببحر العقبة عن يمينه فيمر على شاطئة وهذا البحر متصل ببحر السويس أي القلزم والمرور من هذه العقبة شديد الصعوبة جداً فيلزم كل الحذر في نزولها وصعودها وخصوصاً الصعود وقد أجرى تنظيمها نوعاً المرحوم عباس باشا ومع هذا فصعوبتها لم تزل شديدة ثم ان ابتداء النزول كان في أوّل الساعة الأولى والوصول إلى الشاطىء الشرقي من بحر العقبة كان في الساعة الثالثة .

قلعة العقبة

وهناك صار وكب المحمل بجوار نخيل وسار عن يمينه البحر المالح وعن يساره أرض مرملة يعلوها البحر عند المد وبانتهاء عرض البحر سلك طريقاً محتفة بالنخيل إلى أن وصل (القلعة) بعد خمس وأربعين دقيقة وهي قلعة متينة مبنية بالحجر النحت على ثلثمائة متر من الشاطىء أنشأها السلطان مراد ابن السلطان سليم طولها ٦٣ متراً في عرض ٦٣ وفي أركانها أربعة أبراج اثنان منها آيلان إلى السقوط وعن يمين الباب برج وعن يساره آخر وحوشها طوله ٤٥ متراً في مثله وفيه بئر معين عذب عمقه عشرون متراً ومسجد صغير للصلاة وحواصل للذخائر وهذه القلعة فيها محافظ يوزباشي جهادي طوبجي وأربعة مدافع أحدها نحاس من عيار خمسة والثلاثة حديد وبها ٣٣ عسكرياً بيادة وسبعة طوبجية وبجوارها بيوت صغيرة وعشش وهي أكبر قلاع طريق الحاج وسكان هذه البقعة يبلغون مائة شخص وتأتي إليها العربان في موسم الحاج للتجارة بالفواكه مثل الخوخ والرمان والعنب من (معان) التي هي بلدة في حدود الشام وأما البامية والخضارات فتزرع بها وهناك نخيل ومياه عذبة ويحفرون حفائر بجانب البحر المالح فتنبع منها مياه أعذب من ماء البئر التي في القلعة وقد شاهدت هناك بعض عجائب صنع ربي وذلك أنه حمل إليّ سمك غريب الشكل ظهره زمردي اللون وجانباه بنفسجيان أشبه بالطير المسمى بالدرة لوناً وشكلاً فإن فمه وعينيه كمنقاره وعينيه .

ظهر حمار

وفي يوم الثلاثاء ٧ منه سنة ٩٧ صرف للعربان مرتباتهم من دراهم وبنشات وأكراك وشيلان كشميرية وشاش وحلويات وقد بلغت الحرارة بعد الظهر ٣١ درجة وبعد استلام الخرج والعلائق سار الركب في الساعة العاشرة عن يمينه البحر وعن يساره الجبال في أرض تارة مرملة وأخرى متحجرة وفي س ١ ق ٤٠ من ليلة الأربعاء أناخ للاستراحة وفي س ٢ جد السير وفي س ٢ ق ٤٠ صعد على سطح متباعد عن البحر وفي س ٤ هبط منه وفي س ٤ ق ١٥ مرّ بجوار البحر وفي س ٤ ق ٤٥ مرّ من مضيق متحجر بين الجبل والبحر لا يمرّ منه إلا الجمل فالجمل بهبوط وصعود صعب في أرض تارة مرملة وتارة متحجرة ومتقطعة بمجاري السيول الآتية من الجبال إلى البحر وفي س ٥ سار في نخل كثير ممتد إلى المحطة محصور بين الجبل والبحر وتضايق الطريق في بعض المحلات إلى عشرة أمتار وفي س ٥ ق ٤٥ وصل الركب إلى محطة (ظهر حمار) فحط فنزل ببقعة مرملة غربيها البحري البحر والنخيل وسائر جهاتها محاط برمال وتستخرج المياه هناك من حفائر بجوار البحر ولا سكن بها إلا أن العرب تأتي إليها في أوان البلح يجنونه ليبيعوه في جهات أخرى ولايوجد هناك شيء للمبيع إلا حشيش للجمال بدلاً عن التبن .

الشرفا

وفي يوم الأربعاء ٨ منه صرف للعرب صباحاً ماهو مرتب لهم ، وفي س ٧ ق ٤٠ سار الحاج صاعداً على جبل مرتفع نحو العشرين متراً صعب الصعود وبعد الاستواء على سطحه استراح نحو أربعين دقيقة ثم اتجه مقبلاً في واد متسع عن يمينه البحر وعن يساره جبال وفي س ٨ ق ٥٠ مرّ في خور وفي س ٩ وصل إلى أرض مرملة بشاطىء البحر وفي الساعة ٩ ق ٣٠ نفذ من بين جبلين صاعداً إلى واد مرمل به أكمات وخيران كثيرة يتصل بواد سهل مستوٍ بعيد عن البحر وفي س ١٠ ق ٣٠ وصل إلى طريق متسع بين جبال وبعد نصف ساعة من الغروب استراح وفي الساعة الأولى من ليلة الخميس سار فمرّ من أراض متحجرة ذات هبوط وصعود وفي س ٥

ق ٣٠ اتسع الطريق وكثر الشجر المسمى بالعبل وفي س ٦ استراح وفي س ٦ ق ٣٠ جد السير وفي س ٧ ق ٣٥ مرّ بمقابر (الشهداء) وبهذا الوادي حشائش وزلط وهو محاط بالجبال وفي س ١٠ ق ٥٠ نزل الركب في محطة (الشرفا) وهو محل محاط بجبال عالية متحجرة ارتفاعها نحو خمسين مترا ليس به مياه للشرب وقد حصل للمتوظفين بالمحمل مشقة شديدة لمنع أمير الحج الفراشين من التقدم أمام الركب قبل الوصول إلى المحطة بساعتين لنصب الخيام كما كان معتاداً قديماً ليستكن كل منهم في خيمته عند وصول الركب ويستريح من التعب ويهيء لنفسه ما يقتاته فإنهم لما وصلوا إلى المحطة آخر الليل مع التعب الشديد لم يجدوا الخيام منصوبة وتأخر نصبها من الظلام وكثرة الازدحام وهم لذلك في غاية الانتظار حتى طلع النهار فدخل كل إلى خيمته واستكن بين أمتعته وقد شاهدنا مراراً عديدة أن من ضاع منه شيء ونودي عليه فمستحيل أن يعود إليه .

وفي يوم الخميس ٩ منه سنة ٩٧ بلغت الحرارة بعد الظهر ٣٣ درجة وفي س ٨ ق ٣٠ سار الركب في طريق متسع مرمل به زلط وبعض حشائش وعلى جانبيه جبال شاهقة وفي س ١١ ق ٤٥ استراح وبعد أربعين دقيقة من الغروب سار وفي س ٥ ق ٥٠ استراح وفي س٦ ق١٥ اتبع البراح إلى س٨ ق٢٥ ثم وقف خمساً وثلاثين دقيقة وسار في س ٩ وفي س ١٢ وصل إلى عبل ونخيل من الجهتين ممتد إلى المحطة .

مغاير شعيب

وفي يوم الجمعة ١٠ منه بعد خمس وعشرين دقيقة من الساعة الأولى من النهار وصل إلى محطة (مغاير شعيب) وهو محل بين تلال يحدق به نخيل وعبل ليس به حشائش ولا مساكن مبنية إلا زربيات من جريد لسكنى العربان وتحمل المياه العذبة من مغاير تحفر بجوار الشجر وهذه البقعة بعيدة عن المالح بأربع ساعات ويتوصل إلى البحر من وادي مدين ولا يباع بهذه المحطة شيء سوى حشيش البهائم وبلغت الحرارة عند الزوال ٣٨ درجة وفي س ٨ ق ٣٠ من يوم الجمعة سار الركب في واد متسع بين نخيل وعبل وجبال تارة قريبة من الدرب وتارة مستبعدة عنه وانتهى الشجر في س

٩ ق ١٠ وظهر اتساع الوادي برماله المنشورة بالزلط والحشائش وفي س ١٢ عند الغروب استراح وبعد مضي خمسين دقيقة من الغروب سار وفي س ٦ استراح وفي س ٦ ق ٣٠ اتبع البراح وفي س ١١ ق ٤٠ مرّ من طريق بين أكمات منخفضة تارة وصاعدة أخرى على يمين جبل ممتد متسلسل .

عيون القصب

وفي يوم السبت ١١ منه سنة ٩٧ في ابتداء الساعة الأولى من النهار نزل الركب حذاء الجبل بمحطة (عيون القصب) وهناك بقعة بين جبلين بها نخيل وحشيش وسعتر وسلسول ماء آت من الجبال يجتمع في حفرة تحمل منها الحجاج مياهاً وقد بلغت الحرارة وقت الظهر ٤٠ درجة سنتجراد وفي س ٧ ق ٣٥ سار ومرّ من فوق جبل كثير الزلط إلى واد متسع أرضه صلبة بها حصى وحشائش وفي س ٨ ق ٢٠ قرب الدرب من المالح بمسافة قليلة وصعد الركب على تل إلى واد آخر وفي س ٨ ق ٤٥ صار البحر عن يمينه وجبل مرمل ممتد عن يساره وفي س ٩ ق ١٠ قل الجبل وكثر النخيل وصار البحر يبعد شيئاً فشيئاً ثم يقرب ثم يبعد وفي س ٩ ق ٤٥ انتهى النخيل واتسع الوادي وفي س ١٢ استراح الركب وفي الساعة الأولى من الليل سار في هذا الوادي مع السهولة يشاهد بعضاً من شجر الدوم وفي س ٥ ق ٤٠ استراح بالقرب من البحر وفي س ٦ ق ١٥ سار وفي س ١١ نزل بالقرب من (المويلِح) بضم الميم وكسر اللام .

المُويلِح

وفي يوم الأحد ١٢ منه بعد مضي ق ٢٠ من الساعة الأولى من النهار استعد الموكب ودخل بلدة (المُويلِح) بعد الساعة واحدة وثلث ونزل على شاطىء البحر وهناك قلعة حصينة بها جامع ومخازن ومحافظ و ٢٣ عسكرياً يتبعهم أربعون في محطة (سلمى وكفافة) والقلعة مبنية حصينة أنشأها السلطان سليم طولها مائة متر في عرض ثمانين وفي أركانها الأربعة بروج قطر الواحد منها عشرة أمتار وطول حوش القلعة ٨٣ متراً في عرض ٦٢ متراً وبها مدفع من النحاس مستعمل وسبعة من

الحديد غير صالحة للاستعمال وبها بئر قيسوني الماء عمقها أحد عشر متراً وفي خارج القلعة آبار متعددة ونخيل بكثرة ومساكن من عشش الأبيتين أو ثلاثة ومخازن لتجارة الفحم والحطب والسمن والعسل ويزرع هناك بعض خضارات وأهلها نحو مائة شخص خلاف العربان والحمى متسلطنة على سكانها دائماً وكذا داء الطحال وسبب ذلك اقتياتهم بالبلح قبل استوائه وبعده طول العام لفقد مايقتاتون به غيره .

الزار

لأن الحنطة عندهم عزيزة جداً ولجميعهم من نساء ورجال اعتقاد قوي في الزار الذي عمت به البلوى في سائر الأمصار ويحكون في ذلك حكايات ماهي إلا خرافات.

سلمى وكفافة

وفي ١٣ منه صرف للعربان مرتباتهم صباحاً وفي س ٨ ق ٥٠ سار الحاج في طريق مرمل إلى واد سهل ذي عبل أرضه صالحة للزراعة به بعض مجار للسيل ، وفي س١٠ ق ١٠ مرّ في محجر بين تلال ممتدة في طريق تضيق تارة وتتسع أخرى وفي س١٠ ق ٥٠ مرّ في محجر آخر وفي س١١ ق ١٠ ارتقى إلى مصعد وبعد الغروب بربع ساعة استراح وفي الساعة الأولى من الليل سار الركب وفي س ٣ ق٣٠ مرّ بواد مستوٍ جداً صلب الأرض صالح للزراعة وفي س ٤ ق ٣٠ مرّ بأرض مرملة وتلال على الجانبين ثم في أرض مستوية يعلوها حصى وفي س ٥ ق٣٠ استراح وفي س ٦ ق ١٠ جد السير وفي س ٩ مرّ في محجر ضيق لا يمرّ منه إلا الجمل فالجمل يسمى (بنقر العجوز) ثم هبط بين جبلين ثم اتسع الطريق واستوى وفي س ٩ ق ٥٠ مرّ في محجر إلى واد ذي عبل وفي س ١٠ اتسع الوادي وفي س ١٠ ق ٤٠ نزل بمحطة (الضبا) المسماة (بسلمى وكفافة) وهي بقعة متسعة محاطة بجبال قريبة من البحر وبها بيوت وحواصل وجامع وبرج صغير وهي تابعة لمحافظة المويلح كما نبهنا على ذلك وآبارها عذبة وتجارتها الحطب والفحم والسمك وبها شجر دوم .

محطة أزلم

وفي يوم الثلاثاء ١٤ منه س ٨ ق ٣٥ سار الركب وفي س ٨ ق ٤٥ صعد إلى تلال مفضية إلى واد متسع مستوٍ يعلوه زلط عن يمين البحر بعيداً منه بمسافة قليلة وفي س ١٠ ق ٣٠ مرّ على قبر الأكفافي وفي س ١١ هبط يسيراً في محجر وفي س ١١ ق ١٥ صعد فوق تلال ثم مرّ بالقرب من البحر وفي س ١١ ق ٣٠ جاز خوراً ثم وادياً سهل الأرض ، وفي س ١٢ استراح وفي الساعة الأولى من الليل سار الركب وفي س ١ ق ٣٠ وصل إلى منحدر خفيف وفي س ٥ ق ١٥ سار في واد مستوٍ سهل به بعض زلط وفي س ٦ ق ١٠ هبط من منحدر وفي س ١٠ ق ٥٥ وصل إلى محطة (ازلم) وهناك قلعة مربعة الشكل مبنية بالحجر النحت خربة من مدّة سنين كان قد أنشأها الملك الأشرف أبو النصر في سنة ٥١٦ وليس بهذه المحطة سكن وفيها ثلاث آبار لشرب الدواب فقط عمق كل منها خمسة أمتار وبالصحراء حشائش تسمى بالرمث لاينتفع بها وقد بلغت الحرارة وقت الظهر ٣٧ درجة .

وفي يوم الأربعاء ١٥ منه في س ٨ ق ٣٥ سار الركب في هذا الوادي المتسع المحاط بالجبال وفي س ٩ ق ١٠ ظهرت جبال على الجانبين ممتدة إلى المحطة الآتية تارة تبعد وتارة تقرب مع وجود حصى وشجر السنط وبعد ق ٤٥ من الغروب استراح وفي س ١ ق ٣٠ جد السير وفي س ٦ استراح وفي س ٦ ق ٤٥ سار في أرض متسعة محاطة بجبال تارة تعلو وتارة تنخفض .

اصطبل عنتر

وفي يوم الخميس ١٦ منه سنة ٩٧ بعد مضي نصف ساعة من النهار وصل الركب إلى محطة (اصطبل عنتر) وهو محل متسع نوعاً ومحاط بالجبال في وسطه ثلاث آبار إحداها مردومة والآخريان فيهما مياه قليلة مرة لعدم نزحهما سنوياً وإن كان الميري يصرف في كل عام مبلغا لنزحهما وبجوارها حوضان طول كل منهما ١٥ متراً في عرض ١٥ وعمق ثلاثة وبهذه المحطة أعراب يبيعون الحشيش ، وقد بلغت الحرارة عند الزوال ٣٨ درجة وفي س ٨ ق ٤٠ سار الركب ومرّ من فوق أكمة محجرة

بين جبلين ومتعرجة كطريق الفار ، وفي س ٩ ق ٣٥ اتسع الطريق وقرب من المالح بمسافة قليلة مع وجود حصى وفي س ٩ ق ٤٠ سار في واد متسع به جبل فاصل بينه وبين البحر وفي س ١٠ ق ٤٠ صعد على أكمات وفي س ١٢ استراح وفي الساعة الأولى من الليل سار

قلعة الوجه

وفي س ٥ ق ٥٥ استراح وفي س ٦ ونصف جد السير بواد أرضه سهلة بسيطة وفي س ١٠ ق ٢٠ استراح وفي س ١١ ق ١٥ وصل إلى (قلعة الوجه) وهي قلعة حصينة من البناء كقلعة نخل في فلاة بين جبال من حجر أحمر صواني بها جامع ومخازن لخزن ميرة الحجاج والمحامل ومدفع واحد وثمانية أنفار حولها قفار كثيرة الزلط ليس بها إلا بعض نخل وشجر نبق لم يسق منذ أربع سنين لعدم نزول السيل في هذه المدة وليس بها بيوت ولا أسواق لكن في أوان الحج يأتي إليها البياعون من المينا بساحل البحر وهي مينا متوسطة من مينا القلزم معدّة للسفن وبها برج مشيد على جبل شاهق مشرف على البحر في ارتفاع ٥١ متراً به مدفعان من عيار واحد ونصف وثلاثون عسكرياً وصاغقول أغاسي محافظ وبيوت صغيرة وسوق وثلاثة جوامع وتجار وأهاليها نحوالخمسمائة تقريباً ماعدا العربان المقيمين هناك والخضار معدوم منها وبها بئر ماؤها عذب تحمل منها المياه إلى القلعة وإن كان بالقلعة آبار مبنية عمق الواحد منها خمسة أمتار وقطرها متران إلا أن مياهها مُرّة لاتصلح للشرب إلا إذا غلب عليها السيل أو نزحت كما ينبغي مع أنه كل عام يصرف الميري مبلغاً لأجل نزحها وتطهيرها فالمبلغ لايزال يصرف كالمعتاد والآبار لاتنزح في الميعاد، وعند نزول الركب هناك وجدت المياه غير صالحة لشرب البهائم بالكلية لمرارتها فتحقق أنها لم تنزح وأضرّ ذلك بالحجاج حتى اجتمع السقاؤون المتوظفون للحاج فنزحوا بئرين منها في نحو ثلاث ساعات حتى زالت المرارة منا فارتوت الدواب وأما المستخدمون بالمحمل فقد حملت إليهم المياه من المينا على الجمال وبعضهم استبطأ مجيء الماء فاشترى من العربان القربة الواحدة من الماء بنصف ريال وقد بلغت الحرارة وقت الزوال ٤٢ درجة ويصعد إلى البرج بطريقين أحدهما من جانبه والآخر من الطريق

الموصلة للقلعة وله سفح متسع تنزل به القوافل وينزل من هذا السفح لدرب منحدر يمرّ به الجمل فالجمل ينتهي إلى واد بين جبال متسلسلة وينعطف للطريق التي تتصل بالدرب الآتي من جهة البحر ويسير فيه حتى يصل لقلعة الوجه أعني بعد ساعة وخمسين دقيقة من المينا والمسافة ٩٠٠٠ متر ومحافظو تلك القلعة مقيمون بداخلها خوفاً من العرب الذين لا يأمنونهم وصرف للعرب حقوقهم من الدراهم والكساوي فوجد عدد من الكساوي والخلع ناقصاً عن المرتب فسئل كاتب الصرة عن سبب ذلك فأجاب بأن الروزنامجه صرفت للصرة أثمان ما ينقص ليصرف لأربابه وقد أبى بعض من نقص مرتبه قبض هذا المبلغ وأنف من ذلك ومنهم الشيخ سليمان شيخ عرب الوجه فإنه لعدم وجود بنشه الذي هو من العال أراد كاتب الصرة إعطاءه دراهم في مقابلته فأبى ذلك ورأى أن أخذه للثمن عار وأخذ بنشا من النمرة الدون .

اعلم أن الأعراب إذا اجتمعوا في مجلس لايتميز بينهم الأمير من الحقير ولسوء أدبهم لا يوقر صغيرهم الكبير لا أمان لهم شيمتهم الغدر ولولا الخوف من سطوة الحكام لذبحوا كل من مرّ بهم وسلبوه ومع هذا فإنهم يفعلون ذلك بمن انفردوا به حصونهم الجبال لايبالون بحرام ولا حلال حفاة جفاة شيخهم بلا نعال لايعرف لبس السروال وشرفه في كوفيته وعقاله وقلما يصغون إلى مقاله وقد شاهدت فيما بعد منهم عدم التوقير وكثرة الجراءة أمام شريف مكة المكرمة مع ماله من الجلالة والعظمة.

وحيث قد سبق لي التوجه إلى المدينة المنوّرة من الوجه سنة ١٢٧٧ بوظيفة مهندس بمعية المرحوم محمد سعيد باشا والي مصر مدة سفره إلى المدينة ورسمت الطريق ومقاسها بالمتر بواسطة آلة تسمى هكتومتر فاستصوبت أن أبين ذلك الخط قبل التوجه إلى مكة حيث إن كثيراً من الناس يتوجهون إلى المدينة قبل الحج للزيارة وينتظرون قدوم أوان الحج حتى يتوجهوا من هناك مع قافلة المدينة إلى مكة لأداء الحج ومنها يعودون إلى أوطانهم بدون عودتهم للزيارة ثانياً .

وقد كان القيام من السويس يوم السبت صباحاً ١٥ رجب سنة ١٢٧٧ على البواخر البحرية المستعدة لذلك وكان برفقة المرحوم سعيد باشا ألف نفس من العساكر

وخلافهم ومايلزم لهم ذهاباً وإياباً ، ورسينا بمينا الوجه في الساعة الثامنة من اليوم الاثنين ١٧ منه وكانت الجمال اللازمة للركوب والمشال مستحضرة هناك من مدة أيام من إبل العرب المسماة عندهم بعرانا وبلا تحريفاً من إبل وهي دون جمال مصر والشام بكثير بها نحافة وهزال ووبر زائد لاتقدر على حمل المثقلات وسيرها بسرعة على غير انتظام وتزعجها أصحابها وتوقفها بأصوات ولقلقة معروفة عندهم ولايمكن شد المحفات عليها لهزالها وعدم ائتلافها ولكن البعض منها يشدّون عليه شيئاً يشبه المحفة يسمونه (شقدفا) وهو شطران مصنوعان من خشب الخيزران ومقضب بقشرة يوضع على جانبي البعير وظهر الشطر محدب مرتفع يتصل بزميله عند شده على البعير بحيث يسع كل شطر منهما نومة إنسان ويصير الظهران مظللين على الراكبين بهما وهي معدة لركوب نساء أغنياء العرب وتارة يستأجرها الحجاج من نحو المدينة ومكة ويغطيها بعضهم بأبسطة لاظهار الافتخار وتلك الإبل تقتات بحشيش معروف وأحياناً يسففونها معجون مدقوق نوى التمر ولها صبر على الجوع والعطش كأصحابها .

وبالقلعة تتقاطع ثلاث طرق ، الأول موصلة للسويس وتسمى طريق العلا ، والثانية الستار ، والثالثة الموصلة للمدينة المنوّرة .

طريق المدينة

وفي ثاني يوم سرنا من تجاه القلعة تارة تجوب أرضاً سهلة وتارة نمرّ بجبال أو صخر وحجارة في رمال وهناك بعض أعشاب وأشجار مثل عبل وشوك نابتة من السيول وبعد نصف ساعة هبوط من محجر زلط واد متسع ذي سنط أرضه صلبة مرملة ثم مرّ من بين جبلين إلى واد متسع به أكمات منحصرة زرقاء مشققة تشققاً رأسياً على شكل ألواح يعسر السير فوقها بدون نعال ووصلنا إلى واد متسع يسمى (بوادي المياه) على مسيرة ٢٤٠٠٠ من القلعة ، وبعد الاستراحة نصف ساعة نهضنا ووصلنا منه لواد يسمى (بفرش النعام) ومنه لواد متسع معد لنزول القوافل وبه محطة (أم حرز) أو مفرق الدربين أعني الدرب الموصل إلى مكة والذي إلى

المدينة فنزل هناك الركب على مسيرة ٢٤٠٠٠ متر من وادي المياه وهذه المحطة لم يكن بها آبار ولا مياه ولا أعشاب وإنما الحجاج تحرز المياه مما قبلها ونزل علينا بها أمطار طول ليلتنا من غير أن تتجمع منها سيول لوجود الرمال ، وفي العادة أن أغلب الأمطار في تلك الجهات وما يليها لجهة القطب تكون في الصيف ويكون أكثر ابتدائها من قبل الغروب وتمرّ أحياناً للشرق وقلّ أن تكون بالنهار إلا في زمن الشتاء.

وفي صباح اليوم الثاني الساعة الثانية سرنا من وادي (أبي العجاج) وعلى مسيرة ١٨٠٠٠ متر وصلنا لواد متسع يسمى بالرويضة واسترحنا به قدر ربع ساعة ثم سرنا بميمنة جبل ٧٠٠٠ متر وانتهينا إلى جبال شاهقة من صخر أسود أصم يقال لها جبال سلع يتقطع الغمام من فوقها يصعد منها أبخرة كثيرة وارتفاعها من ٧٠٠ متر إلى ٨٠٠ متر يعسر صعودها جدا لملاستها والطريق تمرّ من بينها بمفازات ضيقة وهذه المفازات من أعظم الدربندات ولكن لم يكن هناك من الأعراب من يسكن بها لعدم صلاحيتها لسكناهم ثم بعد ١٠٥٠٠ متر وصلنا لواد متسع به أشجار سنط ومنه إلى ٢٥٠٠ متر تضيق الطريق كالأول إلى مسيرة ألف متر ثم تأخذ في الاتساع إلى ألف متر وهناك المحطة المسماة (بالخوثلة) وكان السير من أم حرز ٤٠٠٠٠ متر وهذه المفازة يسمى ابتداؤها بالمبحرة والدرب كله يسمى (بدرب المحشرة) ومسافته ١٤٠٠٠ متر والجبل الذي بميمنة المبحرة يسمونه (رال) والطريق هناك تكون تارة في اتساع خمسين متراً وتتسع أحياناً إلى مائة وثلاثين متراً وبعض المحلات عسر السير جداً لكثرة الزلط وأشجار السنط التي بها ومحيط بهذه المحطة جبال شاهقة عجيبة الشكل والحجاج يبيتون بها وفيها مياه عذبة ، وفي ثاني يوم س ٣ ق ١٥ سرنا ودخلنا طريقاً أقل عرضة ٢٠ متراً وعلى مسيرة ٣٥٠٠ متر صخرة من حجر أحمر في وسط الطريق تمرّ الحجاج من طرفيها ويضيق الطريق بسببها وعلى ٣٠٠٠ متر منها صخور وأحجار إلى ١٥٠٠ متر ثم يبدو طريق به أشجار محدقة وأحجار مفرقة متكونة من طبقات ومتفتتة من كثرة الحرارة والأمطار وفي س ٧ ق ٣٠ وصلنا إلى واد متسع وأقمنا به نصف ساعة وسرنا منه إلى محطة (مطر) على

مسيرة أحد وثلاثين ألف متر من الخوثلة ، ومحطة مطر لم يكن بها مياه ولوجود المياه معنا بكثرة ونشاط دوابنا سرنا بدون مكث وقبل الغروب بنصف ساعة أنخنا بمحل بين جبلين شاهقين من حجر أسود على مسيرة خمسة آلاف وخمسمائة متر منها وبتنا بها فيكون سير هذا اليوم من الخوثلة ستة وثلاثين ألف متر وخمسمائة متر ومن قلعة الوجه مائة وأربعة عشر ألف متر وخمسمائة متر وأحياناً يوجد بهذا الطريق شجر وبه رمل وحجر والجبال لم تزل يميناً وشمالاً وبعض الأودية واسع وبعضها لمرأى العين ومرتفع الجبل أكثر من منخفضه .

وسرنا في س ٣ ونصف من يوم الأحد ٢٣ الشهر ودخلنا طريقاً به أشجار وزلط كثير إلى مسافة ٨٠٠٠ متر ثم مررنا بطريق ذي رمل كثير طوله ١٢٠٠٠ متر ووصلنا لوادي (العقلة) وكانت س ٦ ق ٣٠ من النهار فنزلنا به قدر نصف ساعة وهو واد ذو أشجار ورمل وأحجار صفلية ثم سرنا منه ١٣٢٠٠ متر حتى وصلنا إلى محطة (العقلة) في س ١٠ فيكون سير هذا النهار ٣٣٢٠٠ متر والسير من قلعة الوجه ١٤٧٧٠٠ متر وهذه المحطة بها مياه مالحة لاتصلح إلا لشرب البهائم وتحرز الحجاج لها المياه مما قبلها ويتلاقى بهذه المحطة طريقان إحداهما طريق الحج المعتادة والثانية أقرب من الأول بنحو ٤ ساعات لكنها عسرة السلوك وخطرة المناخ ولايمكن سير العربات والمدافع بها وفيها أشجار سنط بكثرة كما علمنا .

وفي صباح يوم الاثنين ٢٤ منه سرنا في س ١ وق ٥٠ من طريق الحج المعتاد إلى الساعة ٦ ق ٣٠ مسافة ٢٤٠٠٠ متر واسترحنا نصف ساعة وهناك جبال من حجر أحمر وأرض مرملة بها شجر ثم سرنا من ذلك المحل ٤٥٠٠ متر فوجدنا آثار بناء على يمين الطريق ظاهرة طلله في صورة شكل مربع ضلعة خمسون متراً ويسمى بالقصر الأحمدي وشهرته على لسان العامة قصر حجي وبه حائط قائم فيه باب ووصلنا من ذلك المحل لواد يقال له (عمودان) وانتهينا منه إلى محطة (الفُقَيِّر) بضم الفاء وفتح القاف وتشديد الياء ونزلنا بها بعد الغروب بساعة واحدة وخمسين دقيقة وكان سيرنا هذا اليوم من محطة العقلة ٥١٠٠٠ متر ويكون السير من قلعة الوجه إلى هناك مائة ألف وثمانية وتسعين ألف متر وسبعمائة متر وأقمنا بها يوم

الثلاثاء للاستراحة لوجود المياه بها وفقدانها في المحطة التي بعدها .

وفي صباح يوم الأربعاء السادس والعشرين من الشهر سرنا في س ١ وق ٣٥ وفي ابتداء هذه الطريق صعوبة لامتلائها بالعبل وأرضها مسبخة وعليها طبقات ملح متكون من تجمع مياه المطر على السبخ وهناك أيضاً جداول مياه جارية من الوادي وانقطع العبل على خمسة آلاف متر وعلى الميمنة جبل من حجر أسود كالح ثم يتسع الوادي وعلى يساره زلط وكيمان بكثرة لمسافة سبعة آلاف وخمسمائة متر ثم يكثر الزلط والتلول في شكل الشقافة وفي س ٥ ق ١٥ نزلنا للاستراحة على سير ١٦٠٠٠ متر من ذلك النهار ونهضنا في س ٦ و ق ٢٠ وسرنا بين تلول لا نشاهد جبالاً حتى وصلنا لمحطة (النقارات) في س ٨ و ق ٢٠ على مسيرة ٢٩ ألف متر من الفُقَيّر وهذه المحطة ينزل بها الحجاج وليس بها آبار وحيث كان الوقت وقت عصر سرنا منها ٨٥٠٠ متر ودخلنا وادياً سهلاً لا نرى حدوده وبتنا به فكان سير هذا اليوم ٣٧ ألفاً وخمسمائة متر فيكون السير من قلعة الوجه إلى هنا ٢٣٦٢٠٠ متر وفي س ١ ق ٣٠ من صباح ٢٧ منه سرنا ودخلنا في متسع سهل به حشيش ذو رائحة يميل إلى طعم النعناع أو البان وهو مرعى الأرانب والغزلان وعلى الجهتين جبال مرملة ولدى سير ٢٤ ألف متر وصلنا في س ٦ و ق ٥٠ إلى محطة (أبي الحلو) وتسمى بالآبار الحلوة وفي س ٨ أخذنا في المسير وأخذنا الماء للمحطة التي بعدها حيث لم يكن بها مياه وكان السير بين جبلين من رمل وزلط وأنخنا قبل الغروب بنصف ساعة على مسيرة أربعين ألف متر وخمسمائة متر من مسير ذلك اليوم وبتنا في واد متسع محاط بتلول وعلى هذا يكون من قلعة الوجه ٢٧٦٧٠٠ متر .

وفي صباح يوم الجمعة ٢٨ رجب قمنا من هذا المحل في الساعة واحدة ونصف وبعد مسافة قليلة انتهى الوادي لتل يتخطاه الطريق ومنه دخلنا في طريق متسع ذي أشجار من سنط وعبل وتراءى لنا من بُعد عن جهة اليمين جبل شاهق في ارتفاع ٥٠٠ متر وفوقه صخرة عظيمة كهيئة أعظم مايكون من الطوابي العسكرية يظنها الرائي مركبة من بناء تعرف عند العامة (باصطبل عنتر) وهو على مسير ١٩٠٠٠ متر من سير هذا اليوم ومازال منا بمرأى العين لثاني يوم وفي س ٧ و ق ٥٠ وصلنا

إلى محطة (الشجوى) على مسير ١١٥٠٠ متر من اصطبل عنتر وبهذه المحطة آبار وقلعة مهجورة قيل إنها منذ سنتين نهبتها العرب وشتتت محافظيها وعندها يجتمع ويفترق طريقا الحج الشامي والمصري فأنخنا بها على مسيرة ٣٠٥٠٠ متر من سير هذا اليوم فيكون المسير من قلعة الوجه ٣٠٧٢٠٠ متر واشتد الحر في هذا النهار حتى وجدنا درجة الحرارة داخل الخيمة بلغت ٣٥ درجة من الترمومتر المئيني أي السنتجراد وكان ذلك في شهر طوبه وفي الصباح س ١١ نزلت الحرارة لدرجة صفر وكانت درجة الحرارة خارج الخيمة ٤ تحت الصفر وقارب الماء أن يتجمد .

وفي س ٢ و ق ٣٠ من صباح السبت ٢٩ رجب قمنا من هذا المحل واعتدلنا إلى الطريق وعلى مسافة ٢٠٢٠٠ متر وصلنا لواد متسع أرضه سهلة مرملة تصلح للزراعة وبعضه طين صلب أبيض كشقافة القلل ثم انحرفنا لطريق بين جبلين ابتداؤه في عرض خمسين متراً ثم يأخذ في الاتساع شيئاً فشيئاً وبه زلط كثير وجبال من صخر أسود وبعض أشجار من سنط وخلافه وجميع أشجار تلك المحلات غير مثمرة ولاتنفع لشيء سوى الحريق لكون الشمس أخذت قواها وامتصت ماءها وجدواها وكبيرها قليل بسبب الأملاح والزلط والأحجار التي تصادف جذورها وتعطلها عن النمو وفي س ٧ و ق ٢٠ أنخنا للاستراحة قدر نصف ساعة على مسير ٢٣٠٠٠ متر وكانت الشمس كثيرة الحرارة في هذا اليوم مع أن الشمس كانت في الحوت والفصل فصل الشتاء ولولا كثرة المياه التي معنا لأتعبتنا شدة الحر .

محطة الملليح

ثم سرنا وأنخنا على مسيرة خمس وثلاثين ألف متر من سير هذا اليوم بمحطة (الملليح) وكانت الساعة عشرة ونصفاً فيكون المسير من قلعة الوجه ثلثمائة ألف متر واثنين وأربعين ومائتي متر وهذه المحطة بقعة سهلة الأرض بها آبار وماء حلو .

الضعيني

وفي صباح يوم الأحد سلخ الشهر س ١ و ق ٥٠ قمنا من هذا المحل وبه طريق

توصل لينبع النخل على مسير ثلاثة أيام وهي قريبة جدا لكن بهاعقبة ضيقة لا يمرّ منها إلا الجمل الواحد في طول ساعة ولا يمكن سلوك عربة مدفع ولا تخترون منها وهي مسلوكة للسعاة كما دلت عليه الاستكشافات وتبعنا في سيرنا طريقاً عرضها من ألف متر إلى ألفي متر أرضها سهلة ورملها ثابت بها أشجار في بعض مواضع ذات جبال كالتلول ووصلنا إلى محطة (الضعيني) في س ٧ و ق ٥٥ على مسيرة ٢٩٥٠٠ متر ومحل هذه المحطة متسع به آبار قليلة واسترحنا إلى س ٩ و ق ١٠ وسرنا إلى س ١١ و ق ٥٥ ونزلنا بمحل به زلط على مسيرة اثنين وأربعين ألف متر وستمائة متر من سير هذا اليوم فيكون السير من قلعة الوجه ٣٨٤٨٠٠ متر .

آبار عثمان

وفي صباح يوم الاثنين س ١ و ق ٣٠ قمنا من هذا المحل وسلكنا درباً به زلط كثير محاط بجبال من الطرفين من نوع الصوّان إلى أن وصلنا س ٦ و ق ١٥ إلى آبار عثمان على مسيرة عشرين ألف متر وثلثمائة متر وهو محل متسع به بعض محلات مزروعة تروى من آبار عند عدم السيل وهناك حوض لطيف بجانبه مصلى تنسب لسيدنا عثمان بن عفان رضي اللّه تعالى عنه ويرى جبل أُحُد عن مسيرة هذا المصلى وهناك مقام سيدنا حمزة عم النبي صلى اللّه عليه وسلم ورضي اللّه عنه فاسترحنا هناك للساعة سبعة وسرنا بين جبلين أحدهما جهة اليمين يقال له سلع والآخر قطعة من صخر جهة اليسار ولما خلصنا من بينهما دخلنا أضاحي المدينة المنوّرة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام وهي بقعة في غاية الاتساع وعلى مرأى العين منها جبال شاهقة وهذه البقعة كادت أن تكون كبستان محاط بأشجار وأنهار وفي وسطها المدينة المنوّرة النبوية محاطة بسور عظيم مشيد منيع والحرم النبوي بوسط المدينة كمشكاة فيها مصباح وقبته الخضراء عليه الصلاة والسلام ترى من بُعد كأنها قباب ملك وسط معسكره والمنارات الخمسة كأعلام النصر يحصل للرائي عند مشاهدتها الانشراح والسرور .

باب المدينة

وجبل سلع غربي المدينة فاصل بينهما الطريق الموصلة إلى مكة وعلى مسيرة ٢٧٠٠ متر من آبار عثمان قصر وبستان على يسار الطريق لسعادة داوود باشا وعلى الميمنة قبة شيخ وجبل سلع ، وباب المدينة تجاه الطريق ويسمى بالباب (الشامي) وحينئذ يكون مقام سيدنا حمزة خلف الداخل إلى المدينة وعلى ألف متر من القصر المذكور باب المدينة المنوّرة وعليه غفر من العسكر ومن داخل الباب محل على اليمين يسمى بالطوبخانة، وفي الساعة ثمانية إلا ربعاً وصلنا باب المناخة على مائة متر من الباب الشامي وعن يسار باب المناخة من الداخل طريق موصل لداخل المدينة فيكون سير هذا اليوم ٢٤١٠٠ متر والسير من قلعة الوجه إلى باب المناخة ٤٠٨٩٠٠ متر، بانضمام ٩٠٠٠ متر التي من مينا الوجه إلى قلعته تصير المسافة من مينا الوجه لباب المناخة أربعمائة ألف وسبعة عشر ألفاً وتسعمائة متر .

واعلم أن كل ساعة وربع من ساعات سير جمال الركب من القوافل تضاهي سير ساعة فقط من هذا السير المعين بالمقاس المتري .

السير براً من الوجه إلى مكة

وحيث وصلنا من الوجه إلى المدينة فلنرجع الآن لما نحن في صدده ونستمر بالطريق الموصلة إلى مكة من الوجه براً ليتم المقصود فنقول إن الحج المصري بعد صرف مرتبات العرب والاستراحة يوماً قام يوم السبت وسار في الساعة السابعة وأربعين دقيقة بين جبال وتلال وبعد نصف ساعة هبط من محجر وزلط إلى واد متسع ذي سنط أرضه مرملة صلبة وفي س ١١ و ق ٣٠ مرّ من بين جبلين إلى واد متسع به أكمات متحجرة زرقاء مشققة تشققاً رأسياً على شكل ألواح يعسر السير فوقها بدون نعال وفي س ١٢ راحة وفي الأولى من الليل جدّ السير وفي س ٥ و ق ٣٠ استراح بالقرب من مفرق الدربين أعني الدرب الموصل إلى المدينة والذي إلى مكة، وفي س ٦ و ق ١٥ اتّبع درب مكة وسار في واد تارة يعلوه زلط وتارة رمال فيها عبل وفي س ١١ و ق ١٥ استراح قدر عشر دقائق ثم سار وبعد أن مضى ربع

الساعة الأولى من يوم لأحد مرّ بكثير من العبل والسنط في أرض تعلوها طبقات طين صالحة للزراعة وفي س١ و ق١٥ من النهار صعد فوق أكمة إلى سطح واد مستوٍ فيه زلط كثير يسمى (بوادي العكرة) وهنالك نزل على غير ماء ولا مساكن لأن المياه لاتوجد في نحو هذا المكان إلا عند نزول السيل وقد بلغت الحرارة عند الزوال ٣٨ درجة وفي الساعة ثمانية وخمسة وأربعين دقيقة سار الركب واستمر في الوادي إلى الساعة التاسعة ثم ارتقى على سطح واد آخر به حصى ، وفي الساعة اثنتي عشرة وربع استراح وفي س ١ و ق ٤٥ من الليل جد السير وفي س ٦ استراح وفي س ٧ سار .

محطة حنك

وفي العاشرة وربع وصل إلى محطة (حنك) ولعدم وجود المياه بها استمر على السير وفي س ١١ و ق ٤٥ نزل في محل متسع به سنط وزلط وليس فيه آبار ولا مياه لكن مياه الركب كانت قد حملت قبل ذلك من الوجه .

وفي يوم الاثنين ٢٠ منه سنة ١٢٩٧ قد بلغت الحرارة وقت الظهر ٣٥ درجة وفي الساعة السابعة ونصف سار في واد ذي رمل ثابت في بعض مواضع منه حصى وسنط وحشائش كثيرة للجمال ، وفي الساعة العاشرة رؤي البحر على بعد وفي س ١٢ استراح الركب وفي الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء سار وفي س ٢ و ق ٥٠ مرّ في محجر عرضه خمسة عشر متراً منحدر بقدر اثنى عشر متراً به أحجار كبيرة لا يمر منه إلا الجمل أو الجملان ولم يقطعه إلا بعد نصف ساعة فضلاً عن عشرين دقيقة مضت قبل المرور في تحضير وترتيب المشاعل والماهتابات ثم استراح قدر ربع ساعة وفي س ٤ سار وفي س ٧ استراح ورؤي عن يمينه البحر وفي س ٧ و ق ٣٠ سار وفي س ١٠ و ق ٤٠ وصل إلى محطة (الحوراء) في محل متسع به عين ماء عذب تجري إلى بقعة يتخللها النخيل كجنة وسط هذه الصحراء يرى البحر بعيداً عنها بمسافة نصف ساعة وبها أعراب يبيعون التمر والعسل والحشيش للدواب ، وفي يوم الثلاثاء ٢١ منه لم يزل مقيماً بها وكانت الحرارة عند الزوال ٣٧ درجة .

وفي يوم الأربعاء ٢٢ منه بلغت الحرارة وقت الزوال ٣٤ درجة وفي س ٧ و ق ٣٠ سار الركب وفي الساعة ثمانية ونصف مرّ بين جبلين متباعدين وفي الساعة التاسعة وصل إلى واد متسع ذي أرض صلبة وفي س ٩ و ق ٤٠ مرّ بين تلال وفي س ١٠ و ق ٢٥ وصل إلى منحدر مستوٍ عرضه عشرة أمتار ثم إلى اتساع بين جبال وسنط كثير وفي س ١٠ و ق ٣٠ صعدا إلى مرتفع عرضه خمسة عشر متراً في زلط كثير وفي س ١٠ ق ٤٥ اتسع الطريق إلى ثلاثين متراً ووجد في أعلى الجبال شجر القفل المستعمل في تبخير أواني الشرب وفي الساعة ١١ وصل إلى متسع بين جبلين ذي زلط يكثر تارة ويقل أخرى وفي س ١١ و ق ٣٠ وصل إلى منحدر يسير عرضه عشرون متراً ثم إلى متسع كثير الرمل وفي الساعة ١١ و ق ٤٠ مرّ في محجر ضيق بين جبلين عرضه من ثمانية إلى عشرة أمتار ثم من أربعة إلى خمسة ثم اتسع شيئاً فشيئاً وفي الساعة ١١ و ق ٤٥ وصل إلى دربند أي مضيق عرضه عشرة أمتار بين صخرتين مرتفعتين نحو ثلاثين متراً ثم اتسع الطريق وفي الساعة ١٢ وصل إلى رمال في مبدأ الأرض المشهورة بوكالة الحمير وذلك أن الحمير الضعيفة تنقطع هناك لكثرة الرمال وفي نصف الساعة الأولى بعد الغروب استراح وفي س ١ و ق ٣٠ من الليل جدّ السير وفي س ٣ و ق ٢٠ صعد فوق تل رمل وفي الساعة ٦ استراح وبعد نصف ساعة سار وفي الساعة ١١ ق ٣٥ استراح .

محطة نبك

وفي يوم الخميس ٢٣ منه أخذ في السير في ابتداء الساعة الأولى من النهار وبعد خمس وعشرين دقيقة منها نزل بمحطة (نبك) المعروفة ببير السيد وهي محل متسع مرمل بين جبال من صخر بها معادن الحديد والنحاس والمرقشيشا وبالمحطة أربعة آبار مبنية اثنتان منها مردومتان وبالثالثة ماء يسير لوجود ردم بها وأما الرابعة ففيها ماء عذب وعمقها خمسة أمتار وقطرها من الأعلى ثلاثة أمتار ومن سطح الماء أربعة لوجود أربعة أكتاف كالعمد مبنية من قرارها إلى الماء وفوق ذلك بناء دائر البئر أقل قطراً من الأسفل وارتفاعه إلى سطح الأرض نحو أربعة أمتار وفيها أيضاً ردم فإن لم تنزح ارتدمت في أقل زمن كالآخرين وقد بلغت الحرارة عند الزوال ٣٠ درجة

محطة الخضيرة

وفي الساعة ٩ ق ٤٥ سار الركب في واد مرمل محاط بجبال يسمى (بوادي النار) لاشتداد الحرارة به صيفاً وفي الساعة ١٢ عند الغروب نزل وفي الساعة الأولى من الليل سار وفي س ٦ استراح وفي س ٦ ق ٤٠ سار وفي س ١١ ق ١٠ نزل بذلك الوادي بين جبلين بهما آثار حديد ونحاس كثير أرضه سهلة تعلوها حشائش وعند اشتداد الشمس تلمع الرمال كالذهب لكثرة اختلاطها بالمرقشيثا وهذا المكان يسمى (بمحطة الخضيرة) .

وفي يوم الجمعة ٢٤ منه بلغت الحرارة بعد الزوال بساعة ٣٩ درجة وفي الساعة ٩ ق ٤٥ سار الركب واستمر بين جبال سود مكونة من حديد وغيره في أرض سهلة جداً في غاية الاستواء صالحة للطرق الحديدية ولم تزل كذلك إلى الغروب وبعد عشر دقائق من الغروب استراح ثم في الساعة الأولى من الليل سار وفي س ٢ ق ٥٠ انتهت الجبال واتسع الوادي وأما الأرض فمازالت بحالها وفي س ٧ ق ٣٠ استراح وفي س ٨ سار وفي س ١٠ ق ٢٠ نزل للاستراحة والتهيؤ للدخول إلى (ينبع البحر) ولم تزل الأرض مستوية جداً .

ينبع

وفي يوم السبت ٢٥ منه سنة ٩٧ في الساعة الأولى من النهار سار الركب والمحمل راكباً ونزل بجوار بلدة (ينبع) س ١ و ق ٣٠ على مسافة ألف متر منها وهذه البلدة على البحر وبها مينا مشهورة للمدينة الوابور يرسو على بعد ١٥٠ متراً من الرصيف وبها ٨٠٠ بيت وسوق يباع بها كل شيء يلزم للحجاج وبعض خضراوات وبها نحو ٥٠٠٠ نفس وأغلب تجارها من مصر والصعيد وعند موسم الحج تأتي إليها العرب للتجارة وأما في غير أوان الحج فلايوجد بها شيء وتصير كالخراب وتحمل إليها الغلال من مصر لترسل إلى المدينة وبها شونة كبيرة وبرج به مدفع من نحاس وعشرة طوبجية من الترك وبها محل للكرنتينة مبني في غاية الانتظام ومحافظها من أهلها برتبة قائمقام معين من ضباط العساكر الموجودة بالمدينة وتحت

أوامر محافظها لأن هذه البلدة تحت حكومة الدولة وسورها متهدم ثم بني جميع ما بها من الأبنية الميرية كالشونة والمحافظة والبرج والسور ونحوها قد صار بناؤه في مدة المرحوم محمد علي باشا والي مصر سابقاً ولم يتجدد مما ذكر شيء بعد أن صارت تحت إدارة الدولة بل آل أغلبه إلى السقوط وليس هناك آبار وإنما تخزن مياه السيل في صهاريج وتباع على الحجاج وثمن زق الماء عندهم غرشان والزق هو قربة صغيرة تستعمله العرب للماء وكل ثلاثة زقاق أو أربعة ملء قربة مصرية ومشهورة بكثرة الذباب للعفونات من عدم المراحيض بالمنازل فأما أهاليها من نساء ورجال فيتبرزون بالفلاة وعلى شاطىء البحر وقد بلغت الحرارة وقت الزوال ٣٨ درجة وبعد الحج تأتي الوابورات إليها لتحمل الحجاج إلى السويس وفي يوم الأحد ٢٦ منه س ٥ ق ٤٥ سار الركب وفي س ٦ هبط من منحدر بينه وبين شاطىء البحر خمسة أمتار يستمر كذلك مدة ثم يتباعد عنه في أرض مرملة مستوية السطح سهلة السير وفي س ٨ مرّ في أرض ذات شوك وحشائش وتباعد عن البحر ثم في أرض يعلوها زلط وسنط وحشائش وفي س ١٠ مرّ بأرض صلبة صالحة للزراعة وفي الساعة ١١ ق ٢٥ استراح .

محطة السقيفه

وبعد نصف ساعة من الغروب سار وفي س ٦ ليلاً استراح وفي س ٦ و ق ٣٠ سار وفي س ١٢ من الليل نزل بمحطة (السقيفة) في صحراء متسعة سهلة مستوية ليس بها سكان ويوجد بها حفائر ماؤها مالح لاتصلح إلا لشرب الجمال .

وفي يوم الاثنين ٢٧ منه كانت الحرارة صباحاً ١٥ درجة وفي وقت الزوال ٢٩ درجة وفي س ٧ ق ٤٥ سار الركب وفي س ٩ مرّ عن يمين طريق بدر وفي س ١١ ق ٤٥ استراح الركب وبعد خمس وأربعين دقيقة من الغروب سار في أرض لم تزل سهلة وفي س ٦ استراح وفي س ٦ ق ٣٠ سار إلى الصباح .

القاع

وفي يوم الثلاثاء ٢٨ منه بعد مضي خمس وأربعين دقيقة من الساعة الأولى نزل الركب في محل متسع يسمى (القاع) ليس به مياه ولا سكان وبلغت الحرارة

وقت الزوال ٣١ درجة وفي س ٧ ق ٣٥ سار في أرض سهلة مستوية وفي س ١١ ق ٣٠ استراح وبعد نصف ساعة من الغروب سار وفي س ٢ ق ٣٥ هبط في منحدر يسير وفي س ٢ ق ٤٥ وصل إلى محطة (مستورة) وهي محطة بها سوق ومساكن للعربان وبئران ماؤهما عذب ومرّ عليها الركب بدون استراحة وفي س ٦ ق ٣٠ استراح وفي السابعة سار حتى طلع النهار .

رابغ

وفي يوم الأربعاء في الساعة الأولى نزل الركب ووكب المحمل وأتى إلى هناك الشريف حمزة وأتباعه من طرف أمير مكة ليسير مع الركب إلى مكة كما هي العادة وفي الساعة الثانية سار ودخل (رابغ) بعد عشرين دقيقة وهي بلدة بينها وبين البحر نحو ساعة بها بيوت كبيوت الريف وسوق كبير وقلعة تحتوي على مخازن للغلال وذخائر لكل من الحاجين المصري والشامي ولمن بها من العساكر لكن لم يصرف هناك لمستخدمي المحمل المصري إلا قنيطة قديمة مكسرة متربة من السوس فضلاً عن تطفيف موازين المرتبات وهذا جار في سائر القلاع وهذه البلدة تحت حكم الدولة وبها خمس آبار قيسونية الماء وصهاريج عذبة المياه وهناك يتلبس الحاج بالإحرام إلى بيت الله الحرام الوارد من مصر والشام قبل مسيره إلى محطة أخرى وركاب البحر يحرمون عند محاذاتهم لهذه البلدة والمواقيت للحج إما زمانية أو مكانية فالزمانية شوال وذو القعدة وعشر ذي الحجة وأما المكانية التي لايجوز أن يجاوزها الإنسان إلا محرماً فخمسة لأهل المدينة (ذو الحليفة) وتسمية العوام آبار علي ولأهل العراق وفارس وخراسان وما وراء النهر (ذات عرق) ولأهل اليمن والهند (يلملم) ولأهل الشام ومصر (حجفة أو رابغ) ولأهل تهامة ونجد (قرن) .

الإحرام وشروطه

وكيفية الإحرام أنه في صباح يوم الخميس غرة ذي الحجة سنة ١٢٩٧ حلقت لحيتي ولم أحلق رأسي لاعتيادي ذلك وقصصت شاربي إلى أن بدت شفتي العليا وقلمت أظفاري وحلقت عانتي وإبطي ثم اغتسلت ناوياً للإحرام ثم إئتزرت بفوطة

بيضاء كبيرة من فوط الحمام الاسلامبولية وارتديت بأخرى أدخلت طرفها في المئزر وأدرتها على جسمي بحيث سترت ظهري وصدري وكتفي إلى عنقي حتى انتهت وتركت طرفها الآخر مسدولاً على كتفي من غير ربط ورأسي مكشوف وفي رجلي نعلان لا تستران إلا نصف الأصابع دائرهما منحط عن الكعبين ثم صليت ركعتين بنيّة الإحرام وفي وقت تجوز فيه صلاة النافلة بالفاتحة وقل ياأيها الكافرون (سورة الكافرون الآية ١) في الأولى والفاتحة والإخلاص في الثانية وبعد السلام قلت بلسان موافق للقلب (نويت الحج وأحرمت به للّه تعالى) حيث نويت الإفراد (لبيك اللّهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك) ثم بعد سكتة يسيرة قلت (لاشريك لك) ثلاث مرات متواليات .

ومن أراد التمتع نوى العمرة فقط وإن كان قارناً أي قرن العمرة بالحج يقول (نويت الحج والعمرة وأحرمت بهما فيسرهما لي وتقبّلهما مني لبيك الخ) ثم صليت على الرسول بقولي (اللّهم صلّي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صليت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد) ثم قلت (اللّهم إني أسألك رضاك والجنة وأعوذ بك من سخطك والنار) وكررت هذه التلبية عند الركوب والنزول عن الدابة وبعد كل صلاة وتحزمت بكمر على وسطي وإن كان مخيطاً لإباحته لحفظ المعاملة وتقلدت بسيفي ومن الواجب على الرجل المحرم لبس ثوبين جديدين أو ثوبين غسيلين والجديد أفضل إزاراً كان أو رداء ولابد من ستر العورة ودفع الحر والبرد وأن لا يلبس مخيطاً من قميص أو قباء أو سراويل ولا عمامة كي لا يغطي رأسه ولا وجهه لقوله عليه الصلاة والسلام (إحرام الرجل في رأسه وإحرام المرأة في وجهها) إلا لعذر ويلزمه حينئذ كفارة فإن وضع رداء أو برنساً أو عباءة بدون إدخال يديه في أكمامها فلا تجب فدية وإلا وجبت ولا يلبس خفاً إلا إذا كان مقطوعاً من أسفل الكعبين والكعب هو المفصل أي العظم المرتفع في وسط القدم من الأعلى عند معقد الشراك وبذا يمكن ستر الأصابع كلها وعند المالكية يستر نصف الأصابع ويسن الإحرام في منسوج أبيض نظيف كالفوط

والقماش والحرام ويجوز التختم وبعد نية الإحرام لايجوز الحلاقة ولا قص الأظافر ولا حك الجسم بها ولا ستر الرأس إلا بنحو شمسية أو غطاء محفة بشرط أن لايمسه شيء من ذلك عمداً ولا التدهن ولا التعطر ولا قتل الصيد ولا الإشارة إلى صيده ولا الإشارة إلى من يقتله ولا الجماع ولا الجدال مع أحد وإذا طيب المحرم عضواً أو لبس المخيطة أو غطى رأسه يوماً أو حلق ربع رأسه أو موضع المحاجم أو الإبطين أو أحدهما أو العانة أو الرقبة أو قص أظافر يديه أو رجليه أو واحدة منها أو طاف للقدوم أو للوداع جنباً أو للزيارة محدثاً أو أفاض من عرفة قبل الإمام أو ترك من طواف الزيارة ثلاثة أشواط فما دونها أو طواف الصدر أو أربعة أشواط منه أو جمرة العقبة يوم النحر فعليه شاة ، وأما إذا طيب أقل من عضو أو غطى رأسه أو لبس أقل من يوم أو حلق أقل من ربع رأسه أو قص دون خمسة أظافر أو خمسة متفرقة أو ترك طواف الصدر تصدّق بنصف صاع من البر فإن اضطر المحرم إلى لبس المخيط لعذر يقصد الاستمرار إلى آخر مدة الإحرام يكفيه فداء واحد .

إحرام الرجل والمرأة

ويفرق في الإحرام بين ملبوس الرجل وملبوس المرأة فالرجل يلبس (المحيط) الذي لا خياطة فيه ويحيط بجسمه ، والمرأة تلبس (المخيط) أي ثيابها المخيطة المعتادة نظيفة لكن مع كشف وجهها للحديث المتقدم وإنما لمنع نظر الرجل إليها والافتتان بها تستر وجهها بقطعة مجدولة من الخوص كالمروحة المعروفة فيها خروق صغيرة للنظر منها يربط أحد جانبيها على الجبهة ويسدل باقيها على الوجه بشرط أن لا تمسّه ومنهن من تخيط على الطرف المسدول نحو الشاش ويسترسل إلى الصدر كالبرقع ولايجوز لهن ستر أكفهن بساتر ما ويستحب لهن الخضاب قبل ليلة الإحرام، وفي حديث البخاري عن النبي صلى الله عليه وسلم (لايحل لإمرأة تؤمن بالله واليوم الآخر أن تسافر مسيرة ثلاثة أيام إلا مع زوج أو محرم) وقال عليه السلام (لا تحجنّ امرأة إلا ومعها محرم) والمحرم هو من لايحل له نكاحها على التأبيد برحم أو رضاع أو مصاهرة كالعم والخال وابن الأخت وابن الأخ ولايجوز لها أن تحج بغيرهما إذا كان بينها وبين مكة ثلاثة أيام .

هيئة المحرمين

وعند مشاهدة الركب يوم الإحرام محرمين جميعاً على هيئة واحدة صار الكبير كالصغير والأمير كالحقير متجردين عن الثياب وعن زخارف الدنيا لابسين ثياب الإحرام كالأموات المؤتزرين بأكفانهم فإن الله عزّ وجلّ استدعى عباده إلى بيته الحرام وشرع الغسل عند الإحرام إشارة إلى التطهر ظاهراً وباطناً وشرع خلع الثياب إشعاراً بحالة الموتى لأجل تخليهم عن الدنيا وإقبالهم على باب ربهم وعبادته بتركهم الرفاهية وحظوظ النفس فإن التجرد عن الثياب كتجرد الميت عن ثيابه عند المغسل ولبس ثياب الإحرام كلبس الأكفان ليقدم العبد إلى باب مولاه خاضعاً ذليلاً غير مشتغل إلا به تعالى .

وأما أصول المناسك فسنذكرها عند الوصول إلى مكة المكرمة .

وفي الساعة الخامسة ونصف من يوم الخميس غرة الحجة سار الركب متوجهاً إلى مكة مشرفها الله في فلاة متسعة أرضها سهلة ثابتة وفي س ٩ مرّ بأعشاب وسنط وحشائش ذكية الرائحة تنتشر منها عند مضغطها رائحة النعناع أو السعتر .

القضيمة

وفي الساعة ١١ ق ٤٥ استراح وفي الساعة واحدة إلا ربعاً بعد الغروب سار وفي السادسة استراح وبعد نصف ساعة سار وفي التاسعة مرّ بمحطة (بئر الهندي) أي القضيمة أو بئر قديمة وهي مكان يوجد به آبار وسوق يباع فيها اللحم والسمن والبطيخ والبلح والركب لم يقف بل استمر سائراً إلى الصباح .

محطة خليص

وفي يوم الجمعة ٢ منه بعد مضي خمس عشرة دقيقة من الساعة الأولى من النهار نزل بمحل مرمل به حشائش تسمى بالدرن تأكلها الجمال وبلغت الحرارة وقت الظهر ٣٩ درجة وفي س ٦ ق ٥٠ سار الركب وفي س ٨ تعسر السير لزيادة الرمال وفي س ٨ ق ٤٥ مرّ بعبل يصعب السير فيه ليلاً لكثرته مع عدم استقامة الطريق

وعلى يساره جبل وفي س ٩ ق ٣٠ مرّ بآبار مجاورة للطريق وسط العبل وفي س ١٠ ق ٣٠ مرّ بجبل على اليمين وفي س ١١ انتهى هذا العبل من جهة اليسار في مكان ذي صخر من الصوان أزرق وأحمر يتجه مشرقاً مقبلاً وسهلت الأرض للمسير وفي س ١١ ق ٣٠ نزل بمحطة (خليص) في مكان على يساره نخيل وبها سوق وعشش للعربان وبعد خمس وأربعين دقيقة من الغروب سار الركب وفي س ٢ مرّ بعبل بوادي عسفان وفي س ٤ ق ٣٠ مرّ (بقهوة العبد) وفي س ٥ ق ٤٥ استراح في مبدء بوغاز وادي عسفان .

محطة عسفان

وبعد ساعة قام الركب ومر منه هابطاً من محجر ضيق عسر بين جبلين لا يمرّ منه إلا الجمل أو الجملان ومسافته ألف متر وانتهى في الساعة الثامنة وهناك آثار يقال لها قصر حجا وفي الساعة ثمانية ونصف وصل إلى محطة (عسفان أو بئر التفلة) وهو محل متسع محاط بجبال به عشش وسوق يباع بها اللحم والسمن والبلح والنارنج المسمى عندهم بالليم وهناك ثلاث آبار عذبة المياه لاسيما بئر التفلة فإن ماءها كماء النيل ويقال إن ماءها كان مراً فتفل فيه الرسول عليه الصلاة والسلام عند مروره هناك فحلا إلى وقتنا هذا بخلاف مياه الآخرين فإنها ثقيلة .

سبيل الجوخي

وفي يوم السبت ٣ منه بلغت الحرارة وقت الزوال ٣٩ درجة ونصفاً وفي س ٨ ق ٤٠ سار وبعد ساعة من السير مرّ بكيمان وزلط أسود وفي س ١٠ مرّ بسهل به حشائش وفي إحدى عشرة ونصف استراح بجوار سبيل (الجوخي) وهو مبني من قديم على يسار الطريق إلا أنه الآن خرب وكان يملأ من بئر الباشا الآتية وبعد نصف ساعة من الغروب سار

بئر الباشا

وفي أربعة ونصف مرّ على يسار (بئر الباشا) وفي س ٥ ق ٤٥ استراح وفي

السادسة وربع سار وفي س ٨ ق ٣٠ مرّ بين الشجر المعروف بأم غيلان الذي هو ممتد بطول الطريق وفي س ١١ ق ٤٥ مرّ بوادي فاطمة وفي س ١٢ نزل به في محل متسع يسمى بالجموم محاط بجبال على بُعد وبه سوق يباع بها اللحم والخضار والبطيخ والخبز والفطير وشرقيه بساتين من الموز والليمون وهناك عين عليها خرزة بئر مبنية عمقها متر ونصف ماؤها عذب جارية من البئر تحت الأرض بواسطة قناة إلى أرض منخفضة بها بعض مزارع وبجوار البئر تل مرتفع وبلغت الحرارة وقت الزوال ٣٧ درجة .

ضريح السيدة ميمونه

وفي يوم الأحد ٤ منه استراح الركب طول النهار وفي ليلة الاثنين الساعة ثلاثة ونصف سار وفي الرابعة مرّ على يسار جبل وبعد ق ١٠ صار الطريق بين جبلين وفي س ٦ ق ٧ استراح عن ضريح السيدة (ميمونة) إحدى زوجات الرسول عليه الصلاة والسلام ورضي الله عنهنّ وهو على يمين الطريق

العمرة

وفي س ٨ ق ١٥ سار وفي س ١١ وصل إلى (العمرة) وهو محل مبني على يمين الطريق به مصلى يصلي به من يحرم بالعمرة ركعتين لله تعالى ويدعو ويلبي ويستديم التلبية على قدر الإمكان إلى أن يدخل مكة وبجانبها بركة كبيرة من الأمطار ومن بعد العمرة بخمسين متراً حائط مرتفع بقدر ستة أمتار عرضها خمسة أمتار في سمك اثنين وعليها ثلاث قباب صغار يقابلها على يسار الطريق حائط أخرى مثلها اتساع الطريق بينهما أربعون متراً وهذا البناء علامة بين أرض الحل والحرم ولابد للحاج الآتي من هذا الطريق أن يمر بينهما قبل دخول مكة وهذا المكان يسمى (الشهداء) ولايجوز الصيد بين حدود العمرة ومكة لأن ذلك معدود من الحرم.

وفي يوم الاثنين ٥ الحجة في الساعة الأولى وكب المحمل وسار بين جبلين إلى أن وصل إلى محل يسمى (الجرول) بعد أربعين دقيقة فأناخ هناك بجوار آبار عذبة

بعيدة عن مكة بأربعين دقيقة وذلك للخوف من وباء الخيل الذي كان حاصلاً بمكة مع كون هذا المكان أعدل هواء من غيره ومنه إلى المكان المسمى بـ (الشيخ محمود) ٢٠ ق وهو ابتداء مكة المكرّمة .

مناسك الحج

المحرمون بالحج ثلاثة مفرد وقارن ومتمتع فالواجب على الداخل مكة أن يطوف طواف القدوم أي التحية إن أفرد حين أحرم ونوى الحج فقط وقال (اللّهم إني نويت الحج وأحرمت به فيسره لي وتقبله مني لبيك اللّهم لبيك الخ) فيطوف طواف القدوم ويسعى ويبقى بإحرامه ثم يتوجه لقضاء شؤونه ويطوف حول البيت كلما أراد إلى أن يتوجه إلى عرفات ولايجب عليه إلا ذبح الأضحية .

وإن كان قارناً بالعمرة أي قرن العمرة بالحج يقول (نويت الحج والعمرة وأحرمت بهما فيسرهما لي وتقبلهما مني لبيك اللّهم لبيك الخ) ويطوف طواف العمرة سبعة أشواط ويسعى لها سبعة أشواط ثم يعود إلى الكعبة فيطوف بها طواف القدوم سبعة أشواط ويسعى إن شاء سبع مرات وإلا أخَّرَ السعي بعد طواف الإفاضة ثم يتوجه إلى عرفة ومتى نزل منى رمى جمرة العقبة ثم عاد إلى مخيمه فيذبح هدي التمتع أو القران دم شكر ثم يحلق أو يقص فيحل له كل شيء إلا النساء ثم يعود في هذا اليوم إلى مكة فيطوف طواف الإفاضة ولايسعى إن كان سعى بعد طواف القدوم وحينئذ تحل له النساء ثم يعود إلى منى فيرمي الجمرات في كل مرة ثاني وثالث يوم العيد وإن بات ليلتها بمكة جاز له والأفضل المبيت بمنى ثم إن لم يكن من أهل مكة ولا ناوياً الإقامة بها رجع إليها في آخر اليوم الثالث فطاف طواف الوداع بدون أن يسعى وعند ذلك تم الحج فإن أقام بها طاف متى شاء من غير سعي وجاز له الاغتسال أيّ وقت وحك الجسم والرأس بالأظافر ونحو ذلك وإن أراد العمرة فليخرج إلى الحِل بعد أيام النحر فيحرم بالعمرة وليأت البيت فيطوف ويسعى ويحلق وإن نوى الإقامة بمكة خمسة عشر يوماً فأكثر لم يطلب منه إلا ذبح الأضحية وإن أراد التمتع نوى العمرة وقال (اللّهم إني نويت

العمرة وأحرمت بها الخ) ثم يأتي مكة فيطوف طواف العمرة ويسعى ثم يحلق فيحل من إحرامه ويقيم بمكة غير محرم كأهلها ثم إذا كان ثامن ذي الحجة أحرم بالحج وهو بمكة وطاف وسعى وخرج إلى عرفة ففعل جميع ما تقدّم كالقارن أعني أنه يجب عليه دم التمتع وهو دم شكر إما شاة أو سبع بدنة ويذبح الأضحية إن كان مقيماً ولامانع من تأخير دم الشكر إلى ثالث أيام النحر .

السفر ببحر السويس

ولنرجع الآن ونذكر الطريق من جدّة إلى مكة المكرّمة حيث كان المحمل بوكبه قام من السويس وأتى بحراً إلى جدّة وسبب ذلك أني عند عودتي إلى مصر بعد الحج عرضت ما هو آت على ولاة الأمر ما يقاسيه الحجاج براً وقلت :

«قد كان للحجاج في الأزمنة الأول شأن عظيم وفخر زائد جسيم يسافرون في البر جماً غفيراً ويرغبون في البحر لكونه عسيراً إذ لم تكن لهم معرفة بغير مراكب الشراع وخطر السفر في بحر السويس بين الناس مشاع ثم لما وقع بين الولاة النزاع واشتهر هذا الأمر في سائر الإقطاع وذاع واستمر بينهم اللجاج واشتغلوا بالمحاربة عن مصالح الحجاج استشعر بذلك أعراب الحجاز فارتفعت منهم للنهب الرؤوس وقطع الطريق على المارة والمرؤوسون منهم والرؤوس فكثر الخطر وعظم الضرر واضطرّ ولاة مصر إذ ذاك إلى أن رتبوا مرتبات وعطايا للأعراب الذين تمرّ الحجاج من أوعارهم طمعاً في أن تكفهم تلك المرتبات عن فضائحهم وأوعارهم فيسهل للحاج المرور عليهم مع الاطمئنان ويكونون من النهب في أمان وبنوا هنالك للعساكر قلاعاً شحنوها بالذخائر وأحدثوا فيها سواقي وآباراً وحفائر رغبة في راحة الحجاج وتسهيلاً لمرورهم في تلك الفجاج إلا أن أغلب هذه الآبار والسواقي تعطل عنها المنافع وصار أكثر تلك القلاع بتطاول الأزمان بلاقع فلا يسافر من طريق البر الآن غير المحمل والصرة المقرّرة لعوائد الحرمين والعربان مع العساكر الذين هم عليها مستحفظان لما أسلفناه من أوعار الطريق وعدم الأمان ، وأما سائر الحجاج فيسافرون في البحر حيث الوابورات صيرت المدّة أقصر بكثير من مدة السفر في البر فضلاً عن الراحة من

مشاق السير في القفار والأمن من الخوف والفزع بمهول هاتيك الأخطار وقد سبق سفر الصرة والمحمل مرتين في البحر وحصل بذلك للميري كثير من الوفر ثم أعيد لأسباب لاتؤدي إلى السفر في البر وحيث إن الحجاج يسافرون الآن في البحر أجمعهم فإن وافق أن كلا من الصرة والمحمل يتبعهم بأن يقوم المحمل من مصر إلى السويس بعد موكبه المعتاد ثم من السويس إلى جدّة متقدماً بسبعة أيام عن الميعاد ويكون معاون من طرف المالية قد تقدم إلى هنالك بعشرة أيام ليستأجر بمعرفة والي جدة الجمال ويأخذ على الجمالة الضمانات فيأمن بذلك من المتاعب في السفر ومن المشقات ويجتمع المحمل في جدة بالحاج المصري فتحصل زيادة الأمنية ويتم للحاج بهذا الاجتماع كمال السرور وبلوغ الأمنية ويكون مصحوباً بمائتي عسكري فقط فيتوفر للميري كثير من المصروفات ويوكبون به عند قدومه إلى جدّة ومكة وعند طلوع عرفات وبعد أداء الفريضة يتوجهون إلى زيارة حرم خيرالأنام عليه أفضل الصلاة والسلام من الطريق التي تحصل الإتفاق بمجلس شريف مكة على التوجه منها إلى المدينة ثم الرجوع إلى ينبع أو رابغ ليعودوا من طريق البحر إلى أوطانهم في أسرع الأوقات فرحين مستريحين من مكابدة المتاعب ومقاساة المشقات ومن طول صعوبة الطريق وتبدد أمتعتهم في كل محجر ومضيق فيتوفر للميري كثير من المرتبات والعلائق ويزداد كل من جدة ومكة وينبع ثروة بالبيع والشراء وتتسع فيهن دائرة التجارة بالأخذ والاعطاء ولايزيد القادر على مصروفات الحج في البر شيئاً في طريق البحر بل لايصرف إلا القليل بالنسبة إلى ما كان يصرفه في طريق البر فضلاً على ماكان يلحقه فيها من المشاق والصعوبات والشدائد التي لاتطاق وأما الفقراء غير المستطيعين فليسوا بالحج مكلفين بل إذا سافروا تألموا من السفر وسخطوا وتشاجروا مع البدو والحضر وعاد البعض منهم صفر اليدين مفلساً قليل الدين كثير الدين وعلى كل حال لابد أن تصرف للعربان مرتباتهم كالجاري في كل عام ويأخذوا عوائده الخاص منهم والعام كما هو جار في كل سنة من دفع مرتبات عربان الطريق السلطاني إليهم مع عدم مرور الحاج من سنين عديدة عليهم وبدلاً عن الذهاب إليهم في كل سنة بهذه المرتبات يرسلون عند خروج الحاج من ينوب عنهم في استلامها من الروزنامجة أو ما يصير الإتفاق عليه من الجهات (فإن قيل) ما فائدة توجه الحج في

البحر مع صرف مرتبات العربان إليهم في كل عام على ماهو مقرر (فالجواب) إن لذلك من الفوائد الكثيرة ما لا ينكر منها وفر العلائق ومرتبات أغلب المستخدمين واطمئنان الحاج بالاجتماع مع المحمل وعساكره المستحفظين فإن للعساكر عند العربان هيبة تردّ مساعيهم السيئة مقترنة بالخيبة وراحة الإنسان هي المعوّل عليها في كل آن» فاستصوب إرسال المحمل ووكبه بحراً وقد كان وفي ٢١ القعدة سنة١٣٠٢ هجرية أعني سنة ١٨٨٥مسيحية تعينت أميناً للصرة وكان الأمير المرحوم علي باشا وهبي.

توجه المحمل بحراً

وفي ٢٢ القعدة استلم صراف الصرة المبلغ المقنن من المالية وقدره ١١٧٠٠٠٠ غرش لكونه نقص عما كان يسافر المحمل براً بيانه جنيه أفرنكي عدد ٦٧١٠ ريال أبي طاقة عدد ٣٠٠٠٠ فضة عدد ٥٧٧٥ غرش من ذلك جنيه عدد ٤٤٧٨ لزوم ماهيات ومصروفات المحمل خلاف تعيينات العساكر الذين كان عددهم ٢٢٠ وطوبجية عدد ٢٠ وخيول الجندرمة ٣٥ وبغال المدافع ٧ وسبلغ ١٦٠٩١٢ غرش مرتب تكية مكة ومبلغ ١٦٥٦٧٠ غرش مرتب تكية المدينة والباقي مرتبات عربان ومجاورين بالحرمين ثم مبلغ ٦٥٢٣٠٠ غرش أمانات من الأوقاف ومن الروزنامجه وبعض من الدوائر لزوم مرتبات أهالي الحرمين وأشخاص مقيمين بالحجاز وأما التعيينات والمرتبات المختصة بتوابع الصرة فيصرف لكل موظف ماهو مقنن له من تعيين الأنفار وعددهم ٦١ بمافيهم الأمير والأمين وتعيين النفر الواحد بالسفرية يومياً بقسماط ٢٠٠ درهم أرز ٥٠ درهم مسلي ١٠ دراهم مثلاً الأمير مرتب له تعيين عشرين نفراً والأمين ستة وكاتب أوّل وثاني عشرة والصراف أربعة والمبلغ أربعة وأمين الكساوي اثنين الخ حسبما هو مبين بدفتر كاتب الصرة وذلك خلاف كمية الجمال اللازمة لهم .

وفي يوم الخميس ٢٣ منه وكب المحمل في س ٣ من ميدان محمد علي في موكب عظيم وجم غفير من العالم كما هو حاصل سنوياً كما سبق ذكر ذلك حتى

وصل إلى العباسية في س ٦ أمام مدرسة الطوبجية بجوار الرصيف وكان معداً له ٤٦ عربة من عربات سكة الحديد مع وابورين لجرّها فبعد شحنها بالمحمل وما يتبعه من أرباب الوظائف والخدم والمهمات والتعيينات سار الركب تمام س ٦ ووصل إلى السويس في س ٥ من الليل وذلك بخلاف ماسبق من سفر المحمل براً حيث كان قيامه من ميدان محمد علي في ٢٢ ل والآن لقصر المسافة بحراً قام في ٢٣ القعدة وفي يوم الجمعة في س ٢ وكب المحمل ومرّ في شوارع البلد كالمعتاد سنوياً حتى وصل إلى الرصيف بعد ساعة ونقل إلى الوابور مع أمرائه وأتباعه إلى أن وصل إلى الهاويس فحمل إلى وابور شيبين المعدّ لحمله إلى جدّة وكان بالوابور كثير من الحجاج الأغراب قد أخذوا تذاكر من القومبانية وكان تبعة المحمل ٣٧٠ شخصاً منهم عساكر ٢٢٠ وأتباع الصرة ٨٠ وطوبجية ٢٠ وأتباع أمير الحاج ٥٠ ونحو مائة من الفقراء ولم يمكن حمل زيادة عليهم لكثرة الأغراب من الحجاج وكان عدد خيول الجندرمة ٣٥ وبغال المدافع ٧ وجمال المحمل ٣ غير الذخائر والمهمات ومدفعين ششخانة جبلي و ٤٠ صندوقاً فيها خرطوش وفشنك ودانات وصلقوم وقد ازدحم الوابور وتعسر على ركابه المرور من جهة إلى جهة أخرى بحيث لا يتأتى لراكبه قضاء بعض الحاجات إلاّ بأكبر المشقات فصار كأنه مركب معاش وذلك من إعطاء التذاكر للحجاج الأغراب مع أنه معدّ لشال المحمل والفقراء ومن العجب أنهم يضعون الفقراء في مقدم الوابور مكابدين لحرّ الشمس نهاراً وللبرد مع الأرياح ليلاً زيادة على ما ينالهم من أهوال البحر والأمواج وما يقاسون فيه من الخوف والانزعاج وقد أخبرني وكيل البوستة الخديوية بالسويس أن عدد الحجاج المسافرين في الوابورات إلى جدّة بلغ نحو اثنى عشر ألفاً من المصريين وثمانية آلاف من الأتراك فضلاً عمن مرّ من قنال السويس من مغاربة وأتراك وشوام ممن عددهم نحو عشرين ألفا ومع كثرة الحجاج جداً تنازلت أجرة الوابورات البحرية السائرة من السويس إلى جدّة فلا يؤخذ على الشخص الواحد إلا سبعة فرانق بدلاً عن الأربعين وحصل ذلك في وابورات روباتينو وغيرها وهذا لم يسمع بمثله قط وقد أخذوا في العودة على الشخص الواحد ثلاثة جنيهات فويل لهم مما كسبت أيديهم .

جدة

وفي نهاية س ٦ من يوم السبت ٢ ذي القعدة سار الوابور من السويس متوجهاً إلى جدّة وهذا البحر يسمى ببحر السويس ابتداؤه من السويس إلى باب المندب ويسمى أيضاً ببحر القلزم بالتركي (شاب دكزي) وباليوناني القديم (سنيوس ارابيكوس) وباللاتيني (ماراروسو) يعني البحرالأحمر .

وفي ثاني يوم بلغت الحرارة ٣٥ درجة سنتجراد حتى تصبب العرق على الأجساد وفي يوم الاثنين انخفضت إلى ٣٢ درجة وكان الوابور يقطع في الساعة من ثمانية أميال ونصف إلى ٩ وفي نهاية الساعة الأولى من ليلة الثلاثاء حاذى الوابور رابغ فأحرم الحجاج جميعاً حيث هي ميقات الإحرام لأهل مصر والشام واتبعوا ما ذكر في كيفيته آنفاً وخفف سير الوابور إلى ٥ أميال في الساعة لتعذر الدخول إلى ميناء جدّة ليلاً .

وفي صباح يوم الثلاثاء ٢٨ منه لم تمكن مشاهدة الجبال من بعد ٥ أميال لتراكم الضباب مع أنها في الصحو تشاهد من بعد مائة ميل ووصلت الحرارة قبيل الشروق ٣١ درجة ، وفي نصف س ٦ من هذا اليوم رسا الوابور أمام بوغاز جدّة فضربت الموسيقى والطبول والمدافع فرحاً بالوصول وكانت المسافة التي بين السويس لجدّة ٦٤٦ ميلاً وهي على شاطىء البحر واقعة على ٦ درجة و ق ٣٩ من الطول الشرقي وعلى ١٤ درجة و ق ٣٣ من العرض البحري وبهذه المينا يرى مدّ وجزر البحر يومياً فترتفع المياه وتنخفض بقدر قدم ونصف انكليزي وعمقها من ١٣ إلى ١٧ باعاً ونقل ما في الوابور إلى البر في القطائر لعدم اسكلة هنالك فيقف بعيداً عن البر بميلين أعني ربع ساعة وهي مينا عظيمة لمكة المكرمة وأقبل الليل والحجاج مقيمون أمام الكمرك إلى الصباح خارجاً عن السور المحيط بجدّة ، وفي منتصف الساعة الرابعة من يوم الأربعاء وكب المحمل من أمام ديوان الكمرك في محفل عظيم ودخل من باب البلدة المسمى بباب الكمرك ولعدم كفاية ارتفاعه لمرور المحمل هدم منه ما لزم هدمه ومرّ من طريق ببحري البلد عرضها من خمسة عشر متر إلى عشرين والسور عن يساره حتى

وصل س ٥ إلى المعسكر بعيداً عن القشلاق بمسافة يسيرة فنزل أمام صوان الأمير وحضر الضباط والأعيان وهنؤا الأمير ومن معه بالسلامة وكان حضرته منحرف المزاج لعدم تعوّده على ثياب الإحرام ولانكشاف رأسه فأثر ذلك فيه حتى ألزمه الفراش عدة أيام بعد الإحلال من الإحرام بل استمرّ به إلى الخروج من المدينة . والقشلاق مبني في الجهة البحرية مع الشرقية مربع الشكل طوله ٧٧ متراً مربعاً وارتفاعه نحو أربعة أمتار وفيه بيكباشي ناظر عليه ، وبعد الظهر بلغت الحرارة ٣٧ سنتجراد والبلد محاطة بسور له خمسة أضلاع أحدها وهوالقبلي طوله ٨١٠ متر وأما الغربي فهو ٥٧٦ متراً والبحري ٦٧٥ متراً والشرقي ٥٠٤ متر والشرقي القبلي ٣١٥ وارتفاعه نحو أربعة أمتار وأول من بناه السلطان قانصوة الغوري من ملوك مصر سنة ٩١٥ وبعد بنائه بمدة قليلة أتت مراكب البورتغيز من جهة بحر الهند وضربت عليها بالمدافع فقاومتها قلعة جدة بمدافعها حتى عجز البورتغيز وانسحب عنها وفي سنة ٩٤٨ رجع ومعه خمسة وثمانون مركباً مشحونة بالعساكر والمهمات ولكن قامت عليهم العرب وشريف مكة ونهبوهم ورجع خائباً .

والجبانة خارج السور بالقرب من القشلاق محاطة بسور طوله ١٦٠ متراً مربعاً وفي وسطها ضريح أمنا حواء على ماقيل طوله ١٥٠ متراً وعرضه ٤ أمتار محاط بجدار ارتفاعه متر وعلى كل من طرفيه ووسطه قبة إشارة إلى الرأس والسرة والقدمين ويضعون على قبورهم الصبارة .

والبلد بها نحو ٣٠٠٠ منزلاً بناؤها بالدبش المستخرج من الأرض ومن البحر بخارج باب السور والمون من طينة البحر فقط لأنهم يبنون بها بعد عجنها جيداً بيوم فتصير أجود وأمتن وبيوتهم تجارية ليس لها حيشان ذات دورين وتارة ثلاثة أدوار بل أربعة وخمسة وسُمك جدران الدور الأرضي ثمانون سنتيمتراً وارتفاعها ٤ أمتار ونصف بها ميد والوجهة عندهم مركبة من رواشن أعني شبابيك ومشربيات من الخرط على طرز الهند في غاية الظرافة وحسن المنظر مع قلة أثمانها وحاراتها غير منتظمة عرضها متران فأكثر وشوارعها من ١٠ أمتار إلى ١٥ متراً وأرضها مستوية غير محجرة وبها مجار لتصريف مياه الأمطار التي تستمر فيها نحو شهرين أو ثلاثة

وفي خارج البلد وفي بيوتها صهاريج مبنية نحوالشمنمائة تجتمع فيها مياه المطر وتغلق إلى وقت الحج للتجارة فيربحون فيها ربحاً عظيماً جسيماً وأما أهل البلد فيقتصرون على الشرب من ماء الحفائر المتكونة من اجتماع مياه الأمطار التي تتعطن بطول المكث ولذا يتسلطن فيهم داء الحمى خصوصاً في العفونات المتكونة من مياه مد البحر على البر كالبرك وتترك أقذاراً متعسرا تنظيفها وتنظيف الشوارع لقلة المياه اللازمة ، وفي أيام الحر يقل وجود ماء بارد في هذه البلدة وقد تعطلت الآن أغلب هذه الصهاريج لظهور عين ماء عذب تحت أرض بمحل يسمى (الرغامة) بعيد عن البلد بنحو ساعتين ونصف بسير الجمل وبهمة دولة عثمان باشا نوري والي الحجاز وقتها سنة ١٣٠٢ صار وضع مجاري تحت الأرض حتى أوصلت الماء إلى حوض كبير كمخزن بخارج البلد ومنه توزعت بواسطة مواسير متفرقة إلى داخل البلد لسبعة حيضان بحنفيات كافية لشرب أهالي البلد وزيادة حتى استغنى عن شرب ماء الصهاريج رغماً عن تشكي أصحاب الصهاريج للآستانة بتعطيلها لمنفعتهم واعتنى بتنظيف الشوارع وصارت الصحة للغاية وسميت هذه العين (بالحميدية) لظهورها في عصر مولانا السلطان عبد الحميد خان ، وبخارج السور حمام مستجد معد للرجال خاصة وبها خمسة جوامع يخطب فيها سوى ثلاثين زاوية ومحاريبها منحرفة من الشرق إلى الشمال بثلاثين درجة ووابور طحين و ٣٠ خان ولوكندتين ومكاتب وتلغراف وسلخانة ومحل للحكومة ومحل للصحة وللكرنتينة و ٤ قومبانيات للوابورات عثمانية وانجليزية ومصرية ونمساوية وشونة للغلال وأغلب تجارتها من الهند وأنواع الحرير والثياب والصدف والمرجان واللؤلؤ والأعطار الهندية ويحمل إليها القمح والأرز والشعير ونحوها من الهند والبصرة والشام ومصر والقصير ويأتيها من الحجاج سنوياً قدر ١٢٠٠٠٠ نفس ويستولى الكمرك منها سنوياً على خمسة ملايين من القروش وفي سنة ١٣٠٤ بلغ وارداتها ٦٣٧٩٠١٦ غرشاً وخضراواتها وفواكهها ولحومها تحمل إليها من وادي فاطمة ومكة وضواحيها رخيصة الأثمان وأما البطيخ والقاوون فيزرعان بماء السيل في البراح الفاصل بينها وبين الجبال البعيدة عنها بنحو الساعتين أو الثلاث بدون أن يرى حشائش أو أشجار إلاّ جبال صغيرة وبهذه البلدة من الحكام مأمور اسلامبولي برتبة قائم مقام تحت أوامر

والي الحجاز المقيم بمكة وبيكباشي واحد مأمور الضبطية وبها مجلس للتجارة مكون من تجار الأهالي ومجلس بلدي أعضاؤه من الأهالي أيضاً ومجلس أحكام من القاضي والتجار وضباط الجهادية وبها من العساكر نحو ثلثمائة نفر وتعداد سكانها نحو ٢٥٠٠٠ من أهالي وهنود وحضارمة ومصريين وبعض من الأتراك ومن الأعجام ونحو خمسين من أوروباويين وبها يباع الرقيق بلا حرج كمكة في وقت الحج في أمكنة يتوجه الشاري إليها يشتري ما يعجبه والثمن من سبعين ريالاً فما فوقها ومن عادات أهاليها في الزواج أن لايخرج النساء للزفاف بل يتوجه الزوج في الساعه الرابعة من الليل مع بعض أصدقائه إلى المسجد ثم يأتي إلى بيت عروسه فيشاهدها ويتحفها بالهدايا في مقابلة كشف الوجه ثم يرجع إلى منزله وتتبعه النساء من أقارب زوجته إلى بيته في خفية فينتظرنها إلى أن تأتي في الساعة السادسة من الليل في الخفية مع بعض محارمها أمامها مشعل فتدخل منزل بعلها ، وفي الليلة الثانية يدعو الزوج أصدقائه للوليمة وعندهم من أنواع المطربات آلات الطرب المعروفة للرجال فقط والمغنيات للنساء فقط ويشرب في بعض مجالسهم المسكرات ويتغنون على آلة صغيرة شبيهة بالعود يسمونها (القبوس) يرقص عليها شبانهم وشيوخهم وأغلب النساء بها ، وبمكة يتعاطون التنباك كما أنهن يأتلفن مع بعض دون الرجال ولا يتبعن الجنائز ومن أغرب ما يقال في نساء جدة ومكة التي يتخلفن عن طلوع عرفة في موسم الحج ويسمون ذلك (التخليف) يعني التخلف عن الحج (أو الجيس) وهو أنهن في مدة ثلاثة أيام منى يطفن بالأزقة ليلاً كل جملة مع بعض من بعد العشاء إلى قرب الصباح لابسين التخاليع كملبوس الرجال نحو سترة ومنطلون أو جبة وعمامة وما أشبه ويغنون بهذا القول ياالله ياجيس ياعرص ياتيس الناس حجوا وأنت هنا ليش قرن التيس انت قاعد هنا ليش قم اخبز العيش ، وهكذا من الكلام الهزليات وإذا وجدن رجلاً نائماً في الأزقة كما هي عادة البلد أو ماشياً ولو من طرف الحكومة أثخنوه ضرباً ، وموجود بعض عادات بين أهل البلد وهم ينقسمون خمسة أقسام يتعصب بعض هذه الأقسام أحياناً على قسم آخر ويتضاربون بالنبابيت ويسمون الأولاد بزور .

وفي يوم الخميس صار التنبيه على الشريف مهني المعين من طرف سعادة الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة لإحضار الجمال اللازمة لشال المحمل المصري ومن معه من جدة إلى مكة بأن يحضر نحو أربعمائة جمل بكرة يوم الجمعة ، وفي يوم الجمعة انتظرنا حضور الجمال فلم يحضر منها إلا البعض بعد الظهر والبعض الباقي حضر بكل مشقة بعد العصر بحيث أن مهني المذكور صار يرسل العساكر للقبض على جمال العربان بالقوة الجبرية فكان أغلبها مهزولاً جداً من عدم القوت وألقت أحمالها أثناء الطريق وأتعبت ركابها من كثرة الحط والتحميل ووجدت ثلاثة منها عند التحميل واقفة أمام حمل لبعض المستخدمين عاجزة عن حمله فأخبرت بذلك مهني المذكور ليحضر غيرها وكان عند الأمير فأمر أحد أتباعه بالتوجه معي ليرى ذلك فأبيت وزجرته أمام الأمير والحاضرين بكلام عنيف قائلاً له ذهاب غيرك معي عدم اعتناء واحترام لموظفي الحكومة المصرية وماكان ينبغي حضورك لهذه الخدمة الجليلة بهذه الصفة التي يعامل بها أتباعهم فإن ذلك يخل بمقام سعادة الشريف الذي وكلك براحة الركب المصري وسنعرض ذلك على سعادته وولاة الأمر وما لنا بك حاجة فعند ذلك تنازل عن معرضه الأول وكبريائه واعتذر وأراد أن يتوجه معي بنفسه فأبيت أن أصحبه وأرسلت معه صاحب الحمل تشريفاً للحكومة الخديوية المصرية وأجرة الجمل من جدة إلى مكة ريالين وثلاثة أرباع ريال وذلك لكثرة الحجاج في هذا العام وغلو الأثمان .

وفي نصف الساعة الثانية عشرة من يوم الجمعة ثاني الحجة سار المحمل ومن معه قاصداً مكة المكرمة متجهاً إلى الشرق في طريق متسع وجميع الأهالي على طرفي هذا الطريق خارجين من البلد للتفرج على سير المحمل ، وفي س ١١ و ٤٨ ق مررنا بتلال على الجهتين ارتفاعها خمسة أمتار وانتهاؤها بعد مسير خمسة دقائق مع اتساع الوادي من الطرفين وفي س ١ و ٢٠ ق من ليلة السبت مررنا على اليسار بقهوة تسمى (برأس القائم) أو أول غرزة هي عبارة عن محطة لاستراحة ركاب الحمير من جدة إلى مكة بكل منها نحو أحد عشر عسكرياً للمحافظة وفي س ٢ و ٣٣ ق مررنا بالغرزة الثانية تسمى قهوة (الرغامة) على اليسار والعين الجديدة عن اليمين

بمسافة وفي س ٢ و ٤٧ ق مررنا بتلال من الجهتين وفي س ٣ و ٥٣ ق بتلٍ عالٍ وفي س ٤ بتلال خفاف عن اليمين وتلال عن اليسار تقل على بعد قليل فيتسع الطريق باستواء مع صلابة رملها فهي صالحة لعمل سكة الحديد وفي س ٤ و ٢٥ ق بقهوة (جرادة) عن اليسار أو الفرعية وفي هذا المكان عسكر وبأرضه زلط وفي س ٥ و ١٥ ق بقهوة (الفرقد) على اليسار وفي س٦ و ٢٠ ق بقهوة (العبد) عن اليسار وفي س ٦ و ٤٠ ق مررنا بطريق ضيق عرضها عشرون متراً تتسع في الانتهاء وفي س ١٠ و ٢٣ ق (ببحرة) عن اليسار وبها بناء ومنها تتجه الطريق إلى الشرق الشمالي بين جبال قليلة الارتفاع بأرضها بعض حشائش وفي س ١١ و ١٥ ق بزلط كبير مسافة سبعة دقائق ثم رمل ثم زلط خفيف وفي س ١٢ و ٢٠ ق بزلط ثم حشيش كثير وفي س ١ من يوم السبت مررنا بنخيل على اليسار وبعد عشر دقائق نزل المحمل ببلدة (الحدّة) بالحاء والدال المشددة بجانب جامع له مأذنة ببقعة في وسط الوادي محدقة بها الجبال من بعد وفيها سوق للبطيخ والبلح والقاوون الذي يسمى عندهم بالخربز ومياه هذا البلد وسط نخيل عذبة باردة لاسيما وقت الظهر وهناك محل في وسط بستان من شجر الكادي الذكي الراحة وقد بلغت الحرارة ٤٢ ق درجة سنتجراد مع استمرار الهواء تارة حاراً وأخرى رطباً وهناك عشرون من العساكر الشاهانية مخيمون ونحو ألف من الأهالي مقيمون في عشش صغيرة شيخهم الشريف مساعد وقوتهم الذرة والدخن والسمن وحرفتهم تأجير جمالهم من جدّة إلى مكة وبعضهم أهل زراعة وطريقتهم سنوسية ونساؤهم يسترون وجوههنّ ببراقع صغيرة سوداء وتلبس الواحدة منهنّ قميصاً أسود وتأتزر بإزار أسود وقد أقمنا بهذه المحطة بقية اليوم ، وفي هذه المحطة حضر عندي صباحاً شاب محرم سِنّهُ نحو ١٧ سنة وأخبرني أنه خرج من مصر مع حاج من الأغراب الذين معنا وأودع عند هذا الحاج أربع جنيهات وأنه فقده في هذه المحطة فأرسلت من يأتي به فلم يقع له على أثر لا في الخيام ولا في السوق فتردد إلينا صاحب الوديعة مراراً باكياً حزيناً على ماله طول يومه ومن شدة الحر وانكشاف رأسه لأجل الإحرام اختل عقله وعند قيام الركب وجدنا الذي عنده الوديعة واعتذر بأنه كان عند النهر لأجل غسل ثيابه ولم يمكني أخذ الوديعة منه وتسليمها لصاحبها لاختلال عقله ومازال مختل العقل حتى خرجنا

من مكة قاصدين المدينة فرأينا الذي عنده الوديعة قاصداً المدينة أيضاً وتاركاً صاحبها بمكة عارياً من الثياب ومن العقل فمنعته من السفر وقلت له يجب عليك أن تعيد هذا المصاب إلى والدته بمصر فإنك تسببت في خروجه منها بإغوائك له وأرسلته بكتاب إلى سعادة والي مكة ليرسله وصاحبه إلى جدة ثم منها إلى مصر وقد حصل وسبب ذلك ظنه ضياع ماله من جهة ومن شدة حرارة الشمس اختلاله من الجهة الأخرى فإن حرارتها في تلك البقاع مشهورة ولهذا السبب تسري الجمال ليلاً وتستريح نهاراً حتى إن المرحوم اسمعيل باشا راتب لما حلّ بها قبلنا بشهر حم من شدة الحر فمات بعد دخوله مكة بيومين رحمة اللّه عليه .

وفي س ١١ ق ٣٠ سار الركب متجهاً إلى الشمال الشرقي في طريق متسع ذي رمل ثم إلى الشرق الجنوبي وعن يمينه تلغراف موصل من جدة إلى مكة وفي س ١ و ٤٥ ق من الليل مرّ بقهوة (سالم) عن اليمين ثم اتجه إلى الشرق وفي س ٢ و ٣٥ ق مرّ بالعلامتين الفاصلتين لأرض الحل من أرض الحرم والمسافة بينهما ٤٥ خطوة وفي س ٤ وربع اتسع الطريق بين الجبال عند قهوة (الشميسي) وفي س ٤ ق ٣٠ ضاقت الجبال من الجانبين وفي س ٤ و ٤٥ ق استراح الركب في ابتداء بوغاز قهوة (سالم) وفي س ٦ و ١٠ ق سار متوجهاً إلى الشمال الشرقي ثم مال إلى الشمال قليلاً وقربت جبال اليسار وفي س ٦ وثلث مرّ على قهوة (المقتلة) عن اليمين وفي س ٧ و ٤٥ ق على قهوة (البستان) عن اليمين وعلى الجانبين تلول والطريق متسعة والاتجاه إلى الشرق وفي س ٨ ونصف مرّ (بالمدرج) وهو صعود على سطح محجر وفي س ٩ نزل الركب بالبقعة المجاورة (للشيخ محمود) ومن بعده (الجرول) ثم باب مكة المكرمة وحواريها .

وقد تيسر لي بعد المجيء مراراً إلى جدة ومكة من غير أوان الحج وعند التوجه من جدة إلى مكة أتى لي بحمير معدّة للأجرة حصاوي شداد بدون لجام ولا ركاب كما هي العادة وأصحابها لهم الصناعة التامة في شد عفش المسافر عليها كخرج وغطاء ومخدّة وما أشبه ذلك حتى يركب عليها المسافر بالراحة التامة ، ووصلت مكة بعد ١٢ ساعة من جدة منها ساعة ونصف استراحة بالمحطات وأما الجمل فيصل بعد ٣٣ ساعة من جدة من ذلك ١٠ ساعات إقامة في محطة حدّة بالحاء وتشديد الدال .

دخول مكة والحرم وكيفية الطواف

والسُنّة لداخل مكة الغسل إن تيسر وإلا فالوضوء وأن يدخل من (كداء) ويمر من (الحجون) وهو اسم لطريق بين جبلين فيه صعود على يساره مجزرة يهبط منه إلى (المعلاة) وهي مقبرة مكة يفصل بينهما جداران فيمر منهما ويدخل إلى المقبرة التي على اليسار ويتوجه إلى آخرها فيزور عن يساره ضريح السيدة (خديجة) أولى زوجات المصطفى صلى اللّه عليه وسلم وأوّل من آمن به على الإطلاق رضي اللّه تعالى عنها ويزور عن يمينه ضريح السيدة آمنة أم الرسول عليه الصلاة والسلام وبعدهما قبتان إحداهما مبنية على ضريح السيد عبد المطلب وأبيه هاشم جدّي الرسول والثانية مبنية على ضريح عمه (أبي طالب) الذي هو أبو الإمام علي رضي اللّه عنه وعند خروج الزائر من هذه المقبرة يجد على يساره قبر سيدي عبد الرحمن بن أبي بكر رضي اللّه عنه وقبر محمد جان النقشبندي وقد رسمت منظر هذه المقبرة بالفطوغرافيا ثم يخرج منها ويدخل في المقبرة التي أمامها المسماة (بشعبة النور) فيزور جملة قبور من الصحابة وبعد عشر دقائق من المقبرة يبتدىء في دخول سوق مكة المكرمة وبعد عشر دقائق أخرى يصل إلى بيت اللّه الحرام .

وعند دخول مكة ليلاً دخلها أو نهاراً يقول (اللّهم إن هذا البلد بلدك والبيت بيتك جئت أطلب رحمتك متبعاً لأمرك راضياً بقدرتك اللّهم إني أسألك مسألة المضطر إليك المشفق من عذابك أن تستقبلني بعفوك وأن تتجاوز عني برحمتك وأن تدخلني الجنة) ثم يبادر إلى دخول بيت اللّه الحرام قبل كل شيء وعند وصوله إلى باب (السلام) ومشاهدة الحرم يقول (اللّهم إن هذا حرمك وحرم رسولك فحرّم لحمي ودمي على النار اللّهم آمني في عذابك يوم تبعث عبادك) ثم يدخل برجله اليمنى ويقول (أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم اللّهم صلّي على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد اللّهم اغفر لي ذنوبي وافتح لي أبواب رحمتك) ، وإذا وقع بصره على البيت وهو موضوع على شكل مربع في وسط الحرم كالمصباح يقول (بسم اللّه واللّه أكبر لا إله إلا اللّه اللّهم زد هذا البيت تشريفاً وتعظيماً ومهابة وتكريماً) ويدعو اللّه بما شاء بالقلب مع الخشوع والتذلل ولا يزاحم أحداً ويتجه إلى باب (بني شيبة) وهو

مشتمل على عمودين تعلوهما قنطرة أمام مقام إبراهيم عليه السلام عرضه أربعة أمتار ويمر منه قائلاً (رب أدخلني مدخل صدق وأخرجني مخرج صدق واجعل لي من لدنك سلطاناً نصيراً وقل جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل كان زهوقا) .

الحجر الأسود

ويتوجه إلى الجهة القبلية من الكعبة ويقف ما بين الركن اليماني و (الحجر الأسود) وينوي طواف القدوم أي التحية سبعة أشواط ويتوجه إلى الركن الذي فيه الحجر الأسود الذي هو مبدأ الطواف داعياً إلى الله تعالى فيستلم الحجر ويقبله وهو حجرٌ أسود قد أخذته القرامطة سنة ٣١٧ هجرية من بعد استيلائها على مكة وأرسل إلى اليمن كما سيأتي ثم أعيد في القعدة سنة ٣٣٩ بعد أن مكث هناك اثنتين وعشرين سنة والآن به تشقق مصون في صندوق من الفضة قد صنع له في سنة ١٢٩٠ في الركن الشرقي القبلي من الكعبة بارتفاع متر ونصف عن الأرض وفي هذا الصندوق فتحة مستديرة قطرها سبعة وعشرون سنتي أعني شبراً وثلثاً يرى منها الحجر ويستلم وقد صار ذا شكل مقعر كطاسة الشرب وكيفية استلامه أن يأتي الشخص إليه فيضع يده عليه ويقبّله مكبراً فإن لم يمكن القرب منه للازدحام وقف محاذياً له واستقبله برهة ورفع يديه للتكبير قائلا (بسم الله الله أكبر ولله الحمد) ويرفع يديه للتكبير كالصلاة ويقول (اللّهم اغفر لي ذنبي وطهر قلبي واشرح لي صدري وعافني برحمتك فيمن تعافى) فإذا استلمه وقبله قال (اللّهم إيماناً بك وتصديقاً بكتابك ووفاءً بعهدك واتباعاً لسُنّة نبيك وحبيبك محمد صلى الله عليه وسلم أشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له وأن محمداً عبده ورسوله آمنت بالله وكفرت بالجبت والطاغوت اللّهم إليك بسطت يدي وفيما عندك عظمت رغبتي فأقبل دعوتي وأقل عثرتي وارحم تضرعي وجد لي بمغفرة وأعذني من مضلات الفتن) ثم يطوف حول البيت من شرقية ومتى سامت الباب قال (اللّهم إن هذا البيت بيتك وهذا الحرم حرمك وهذا الأمن أمنك وهذا مقام العائذ بك من النار فأعذني من النار) ثم يستمر الطواف وقد اضطبع رداءه أي يجعله تحت إبطه الأيمن ويلقيه على كتفه الأيسر وهو سُنّة إلا المرأة لا ترمل في الطواف ولا تهرول في السعي ويكون الطواف خارجاً عن الشاذروان ماراً من وراء الحطيم .

الشاذروان

فأما الشاذروان فهو الجدار المحيط بالبيت البارز من أسفله كدرجة سلّم عرضه من جهة عشرون سنتي ومن جهة أخرى أربعون وارتفاعه نحو عشرين من جهة وثلاثين من أخرى ويقال هو من أصل البيت قديماً وترك خارجاً عنه بعد بنائه الأخير وبه حلقات لربط كسوة الكعبة من أسفل كما لها من الأعلا .

الحطيم

(وأما الحطيم) أي حطم من البيت أي كسر منه فهو بناء مستدير أمام الجهة البحرية من البيت على شكل نصف دائرة ارتفاعه متر وسمكه متر ونصف مغلف بالرخام أحد طرفيه محاذ للركن الشامي والآخر للغربي مسافة ما بين كل طرف منهما وبين الركن متران وخمسة وثلاثون سنتي فهما منفذان متقابلان يمر منهما إلى حجر إسمعيل عليه السلام ومسافة ما بين طرفي نصف الدائرة من داخل ثمانية أمتار .

حجر إسماعيل

وأما نفس (حجر اسمعيل) أي حجر من البيت أي منع وهو منه فهو المحل المتسع المنحصر بين ضلع الكعبة البحري وبين الحطيم والمسافة ما بين وسط هذا الضلع ووسط تجويف الحطيم من داخل ثمانية أمتار وأربعة وأربعون سنتي من ذلك ثلاثة أمتار من أصل الكعبة وباقية من أرض الزريبة التي كان إسمعيل عليه السلام يربط بها غنمه وقيل إن تحت الميزاب قبر إسمعيل عليه السلام وأمه هاجر .

الميزاب

وفي أعلى منتصف هذا الضلع من الكعبة أعني ما بين الركن العراقي والركن الشامي (الميزاب) يعني المزراب لتصريف ماء المطر من سطح الكعبة كان من النحاس ويقال له ميزاب الرحمة ثم وضعه السلطان سليمان القانوني سنة ٩٥٩ من الفضة وفي سنة ١٠٢١ جدده السلطان أحمد بآخر من الفضة منقوش بالذهب والمينا

اللازورديه وفي سنة ١٢٧٠ أرسل السلطان عبد المجيد ميزاباً من الذهب وهو الموجود الآن وزيد في عدد الأعمدة والقناديل الموجودة حول المطاف .

المطاف

ووراء الحطيم بمسافة اثنى عشر متراً (حد المطاف) المستدير حول الكعبة ببعد١٩ متر المفروش بالرخام وفي حدود هذا المطاف أعمدة من حديد مزخرفة الشكل متصل بعضها ببعض بواسطة قضبان تعلق فيها قناديل البلور للاستصباح ليلاً ومتى أوقدت هذه القناديل للمطاف مع قناديل القباب فالناظر إلى الحرم يشاهده متلألأ بالنور ككوكب دري يسر الناظرين فيشترط أن لايطاف خارجاً عنها ولا داخل الحطيم ولا فوق الشاذروان ويتم دور الطواف بالوصول إلى أمام الحجر الأسود وعند ذلك يقف الطائف برهة مستقبلاً له ومكبراً ثم يمسه بيده إن أمكن وإلا فيشير إليه مع التكبير وحينئذ يتم أوّل شوط ويستمر على ذلك إلى تمام السبعة الأشواط إنما يرمل في الثلاث الأول من الأشواط أي يهز في مشيه الكتفين (دون النساء) كالمبارز يتبختر بين الصفين مع الاضطباع ويمشي في الباقي على هيئته والمطوّف معه يلقنه دعاء كل شوط فإن لم يكن مطوّف ولم يكن حافظاً للأدعية قال في جميع الأشواط (سبحان اللّه والحمد للّه ولا إله إلا اللّه واللّه أكبر ولا حول ولا قوّة إلا باللّه العلي العظيم) ثم بعد مس الحجر الأسود في انتهاء الشوط السابع يأتي إلى أمام (الملتزم).

الملتزم

و(الملتزم) هو مابين باب الكعبة والحجر الأسود فيدعو اللّه بما شاء وسمي بذلك لكون الحاج يلتزم هذا المحل للدعاء فيه وكان عليه الصلاة والسلام يدعو فيه ثم يصلي ركعتين في (حفرة المعجن) وهي قطعة أرض مربعة منخفضة عن الأرض بجوار الشاذروان ما بين الباب والركن العراقي وكان معجناً لإبراهيم عليه السلام حين بنى الكعبة .

مقام سيدنا إبراهيم

ثم يتوجه إلى (مقام إبراهيم) عليه السلام المقابل لباب الكعبة البعيد عنه بنحو اثني عشر متراً وهو بداخل مقصورة من التنج المفرغ بالنقش مربعة الشكل ثلاثة أمتار وستون سنتي في مثلها وبداخلها (الحجر الأسعد) الذي كان يقف عليه سيدنا إبراهيم عليه السلام عند بناء الكعبة وبه أثر قدميه وله كسوة مزركشة بالمخيش وكذا ستارتان من ضمن الكسوة الآتية من مصر سنوياً .

بئر زمزم

وخارجاً عن المقصورة من الشرق فسحة بعرض المقصورة وبطول متر وثمانين سنتي للمصلي فيصلي ركعتي الطواف بها ويدعو اللّه ويتوجه إلى بئر (زمزم) فيشرب من مائها ويتضلع وهذه البئر بقبلى المقام بحيث إن الزاوية البحرية الغربية منها محاذية للحجر الأسود على بُعد ثمانية عشر متراً منه طعم مائها قيسوني تعقبه مرارة يسيرة عمقها اثنى عشر متراً وفي سنة ١٤٥ بنى أبو جعفر المنصور هذا المحل الموجود بداخله البئر وهو مربع من الداخل خمسة أمتار وربع في مثلها وفرش أرضها بالرخام وجعل بها الشبابيك النحاس وفي سنة ٢١٤ شحت ماؤها فبأمر الخليفة المأمون صار تعميق قاعها فزاد الماء وفي سنة ١٠٢٠ وضع بأمر السلطان أحمد خان شبكة من الحديد بداخل البئر ومنخفضة عن سطح الماء بمتر لأن بعضاً من المجاذيب كانوا يلقون أنفسهم بها ليموتوا فداء حسب تصوِّرهم .

القرامطة

ومما ذكره المؤرخون عن كتاب نزهة الجليس أنه في عام ٢٩٣ ظهر بصنعاء اليمن شخص يدعى علي بن الفضل القرمطي من اليمن كان صاحب مذهب خبيث ودين مشؤوم إدعى النبوّة وارتكب محظورات الشرع وكان يؤذن في مجلسه أشهد أنَ علي ابن الفضل رسول اللّه وأباح لأصحابه شرب الخمر ونكاح البنات وسائر المحرمات وكان عنوان كتابه من باسط الأرض وداحيها ومزلزل الجبال ومرسيها علي بن الفضل إلى عبده فلان وكان ينشد على المنبر بصنعا

خذي الدف ياهذه واضربي ... وغني هذاذيك ثم اطربي

تولى نبيّ بني هاشم ... وهذا نبيّ بني يعرب

أحل البنات مع الأمهات ... ومن فضله زاد حل الصبي

وقد حط عنا فروض الصلاة ... وحط الصيام ولم يتعب

إذا الناس صلوا فلا تنهضي ... وإن أمسكوا فكلي وأشربي

ولا تطلبي السعي عند الصفا ... ولا زورة القبر في يثرب

ولا تمنعي نفسك الناكحين ... من الأقربين أو الأجنبي

فلم ذا حللت لهذا الغريب ... وصرت محرّمة للاب

أليس الغراس لمن ربه ... وأسقاه في الزمن المجدب

وما الخمر إلا كماء السماء ... حلال فقدّست من مذهب

وهي طويلة حلل فيها سائر المحرّمات لعنه اللّه ولعن مذهبه وهلك مفصوداً مسموماً في سنة ٣٠٣ ومدة محنته وكفره تسع عشر سنة وامتدت سطوتهم وزادت شوكتهم وعلا ظلمهم وهتك حرمات اللّه ونهب قوافل الحج وقتل النساء والأطفال .

وسافر كبيرهم أبو طاهر القرمطي سنة ٣١٧ بجيشه إلى مكة (عن كتاب ابن الأثير) ودخلها يوم التروية ونهب أموال الحجاج وقتلهم حتى في المسجد الحرام وفي البيت نفسه وقلع الحجر الأسود ونفذه إلى (هجر) بلده فخرج إليه ابن محلب أمير مكة في جماعة من الأشراف وقاتلوه فقتلهم أجمعين وقلع الباب وأخذ كسوته وطرح القتلى في بئر (زمزم) ودفن الباقي في المسجد الحرام حيث قتلوا بغير كفن ولا غسل ولا صلاة على أحد منهم ونهب دور أهل مكة واستمروا في طغيانهم ونهبهم .

وفي ذي القعدة سنة ٣٣٩ أعادوا الحجر الأسود إلى مكة وكان قد بذل لهم أوّلاً أحد الملوك في ردّه خمسين ألف دينار فلم يجيبوه ولما فسد حالهم وضعفت قوّتهم

ردّوه بلاشيء من بعد أن علقوه بجامع الكوفة[1] وكان مكثه عندهم اثنتين وعشرين سنة ولهم محاربات كثيرة وانتصروا مراراً على عساكر الخلفاء واشتهر نهبهم البلاد وقتل النساء والأطفال حتى فسد حالهم وأبادهم الله وقطع دابرهم .

وأما ما نقله (الاسحاقي في تاريخه في خلافة جعفر المقتدر بن المعتضد) أن في أيامه ظهرت الطائفة الملحدة التي تسمى القرامطة لهم اعتقاد يؤدي إلى الكفر أوّل من ظهر منهم أبو طاهر القرمطي وبنى داراً في (هجر) وأراد نقل الحج إليها لعنه الله فكثر فتكه في المسلمين وسفك الدماء وكثرت طائفته واشتدت شوكته حينئذ وجاء أبو طاهر القرمطي بعسكر جرار بآلات السلاح إلى المسجد الحرام يوم التروية ووضعوا السيف في الطائفين والمصلين وفي مكة وشعابها وقتلوا مايزيد على ثمانين ألف إنسان وركض أبو طاهر بسيفه مشهوراً في يديه وهو سكران راكب فرسه ودخل إلى المطاف الشريف فبالت فرسه وراثت وطلع إلى باب الكعبة وهو يقول :

أنا بالله وبالله أنا ... يخلق الخلق وأفنيهم أنا

وأقام بمكة أحد عشر يوماً وقلع (الحجر الأسود) وحمله معه يريد أن يحوّل الناس إلى مسجد ضرار واستمر الحجر الأسود عند القرامطة اثنتين وعشرين سنة وهي مصيبة من أعظم مصائب الإسلام ولولا خوف الإطالة لذكرنا من أحوال القرامطة المناحيس فإن وقائعهم مشهورة وقد اقتصرنا على ما ذكر .

السعي بين الصفا والمروة

ثم يخرج من الحرم من الباب المسمى بباب (الصفا) إلى الشارع ومنه إلى (الصفا) بالجهة الأخرى من الشارع وهو مكان شبيه بالمصلى مقابل للحرم طوله ستة أمتار وعرضه ثلاثة مرتفع عن الأرض بنحو مترين يصعد إليه على سلّم فمن أتى إليه صعد على السلّم واستقبل الحرم ويكبر ويهلل ويصلي على النبي ويرفع يديه

---

(١) لم يعرف الحجر الاسود جاوز هجر بعد اقتلاعه، كما ان الكوفة لم تكن في تلك الفترة تابعة للقرامطة.

ويدعو اللّه بحاجته وينوي السعي سبعة أشواط ثم ينحط منه ويتوجه إلى(المروة) داعياً بما يلقنه المطوّف في شارع عرضه تارة عشرة أمتار وتارة اثنا عشر متراً ماشياً كالعادة قدر خمسة وسبعين متراً حتى يحاذي (الميلين) الأخضرين أي العلمين وهما علامتان خضراوتان إحداهما على الحائط الأيمن من الشارع والأخرى حذاءها يساراً بجوار باب الحرم المسمى بباب (البغلة) وعند ذلك يسعى مهرولاً (دون النساء) كأنه يسعى بدون نعال على رمل وقت اشتداد الحر ويداه قائمتان بجانبيه حتى يأتي بين الميلين الآخرين اللذين أحدهما بباب الحرم المسمى بباب (علي) والآخر مقابل له في الحائط الآخر من الطريق ومسافة الهرولة سبعون متراً ثم يمشي مشيه المعتاد قبل الهرولة حتى يصل إلى المروة بعد مائتين وستين متراً تقريباً فالمسافة كلها نحو أربعمائة وخمسة أمتار .

(والمروة) محل مرتفع له سلّم كالصفا فيصعد عليها ويفعل كما فعل على الصفا ثم يعود ثانياً إلى الصفا ويهرول مابين العلمين كما فعل أولاً حتى يصل إلى الصفا (والمرأة لا تهرول في السعي بين الميلين ولا ترمل في الطواف ولا ترفع صوتها بالتلبية لما فيه من الفتنة) وهكذا سبعة أشواط وبهذا تم السعي والطواف .

وهذا لمن أحرم بالحج وبقي بإحرامه وصار المسعى أحب البقاع إلى اللّه عز وجل لأنه يذل فيه كل جبار ثم يتوجه لقضاء شؤونه والبحث عن مسكنه ويطوف حول البيت كلما أراد إلى أن يتوجه إلى عرفات .

وصف الحرم

والحرم الشريف في وسط مكة باتساع منيف طوله مشرقاً مغرباً نحو ١٩٢ متراً وعرضه ١٣٢ متراً زوايا أضلعه ليست قائمة في دوائره الأربع قباب على أعمدة من المرمر والحجر النحت بناؤه متين عليه سبع مآذن وقبل بنائه كان حول البيت غوطة مشتبكة بأشجار ذات شوك قطعها عبد مناف بن قصي أحد أجداد النبي عليه الصلاة والسلام وهو أوّل من بنى داراً بمكة ولم تكن بمكة دار قبلها بل كان مضارب للعرب من الشعر الأسود وأما الحرم فكان اتساعه في خلافة أبي بكر لحد الباب

العتيق القريب من مقام إبراهيم عليه السلام ثم اشترى عمر بن الخطاب رضي اللّه عنه جملة بيوت وأدخلها فيه وبنى عليه الحائط سنة سبع عشرة بعد الهجرة ثم زاد فيه عبد اللّه بن الزبير ثم عبد الملك بن مروان زاد في أبوابه وارتفاع حيطانه فلما ولّيَ أبو جعفر المنصور العباسي زاد في الحرم سنة ١٤٤ وجعل طوله ٣٧٠ ذراعاً بذراع العمل وعرضه ٣١٥ والأعمدة كانت ٤٣٤ وهو الذي عيّن الأغوات للخدمة به وفي سنة ١٤٩ وسّع أبو جعفر المنصور الحرم من مقام الحنفي إلى باب العمرة وفي سنة ١٦٤ اشترى ولده المهدي جملة بيوت من الجهة القبلية وأدخلها بالحرم لكون الكعبة في وسطه وكل من ولّيَ من الخلفاء والسلاطين يزيد في اتساع الحرم حتى صار على ماهو عليه الآن .

بيت اللّه الحرام

وفي وسط الحرم (بيت اللّه الحرام) أي الكعبة مربع الشكل تقريباً طوله اثنا عشر متراً في عشرة أمتار وعشرة سانتي فضلاً عن عرض الشاذوران وارتفاعه نحو خمسة عشر متراً فالضلع الذي به الملتزم وباب الكعبة وهو الجهة الشرقية مائل إلى الشمال نحو عشرين درجة وطوله اثنا عشر متراً وذلك مخالف لما ذكره المؤلف (ورجرس) في تاريخه نقلاً عن المؤلف (برخارض) من أن باب الكعبة في الجهة الشمالية والحال أنه كما ذكرناه والضلع الذي به حجر إسمعيل وبأعلاه الميزاب وهو الشمالي مائل للغرب نحو العشرين درجة وطوله عشرة أمتار ويواجهه من البلاد المدينة المنورة والشام وما وراءهما من البلاد لجهة الشمال .

وعلى هذا يكون (ركن الحجر الأسود) مابين الشرقي والشرقي الجنوبي تقريباً ويواجهه من البلاد الجزء الجنوبي من بلاد الحجاز لغاية عدن وبلاد هرار ومدغشقر واستراليا وجنوب الهند والصين وجميع صوماترا وبورنيوا وما حولها من الجزائر بحيث إن من صلى في هذه البلاد تكون قبلته هذا الركن وركن حجر إسمعيل أي (الركن الشامي) ويسمى بالعراقي أيضاً يكون مابين الشمالي والشرقي الشمالي تقريباً ويواجهه من البلاد الجزء الأكبر من الحجاز والعجم وتركستان والعراق وشمال

الهند والسند والصين وسيبريا والركن الذي يليه المسمى (بالركن الغربي) مابين الغربي والغربي الشمالي يواجهه من البلاد غرب الروسيا وجميع أوروبا مع القسطنطينية وشمال أفريقية نحو الغرب والجزائر ومراكش وتونس وطرابلس ومصر إلى غاية الشلال الثاني من بلاد النوبة ، والركن الرابع المسمى (باليماني) ما بين الجنوبي والجنوب الغربي ، ويواجهه من البلاد قطعة أفريقية الجنوبية مبتدأ من سواكن بالبحر الأحمر إلى الرأس الخضرة بالاوقيانوس الاتلانتيقي وما دون هذا الخط لغاية رأس الرجا الصالح والمصلي في الحرم يستقبل البيت في أي جهة كان فالحرم كدائرة نقطة مركزها البيت كما أن المصلين خارجاً عن الحرم وفي كل البلاد يستقبلونه بحسب الوضع .

باب الكعبة

والبيت المعَظّم مبني من حجارة الجص الكبار الصماء الزرقاء ويستدير به من أسفل الشاذوران كدرجة سلّم (وباب الكعبة) مرتفع عن الأرض بمترين وعتبته من الفضة مع قفل الباب الذي مصراعاه من الصاج المصفح بالفضة المذهبة وذلك من مدة خلافة السلطان سليمان سنة ٩٥٩ وله ستارة كبيرة مزركشة في غاية الظرافة من ضمن الكسوة الآتية من مصر يصعد إليه بمدرج من خشب ومصفح بالفضة يدخل منه إلى جوف البيت وهو مربع به ثلاثة أعمدة من العود الماوردي العال قطر الواحد منها خمسة وعشرون سانتي موضوعة على حذاء واحد في منتصف المحل مبحراً مقبلاً وبسقفه هدايا من الجواهر الثمينة معلقة من عهد الخلفاء إلى الآن وحيطانه مكسوة بالأطلس الأحمر المنسوج عليه مربعات من الحرير الأبيض مرسوم عليها (اللّه جل جلاله) هدية من السلطان عبد العزيز وفي زاوية ركن حجر إسمعيل شطرة على يمين الداخل فيها باب يصعد منه على مدرج إلى أعلى الكعبة يقال له (باب التوبة) وفي سنة ١٢٩٥ فرش السطح بألواح المرمر وبدائر جهاته الأربعة حلق لربط الكسوة بها من الخارج حتى تكون مسدولة على أربع جهاته من الأعلى إلى الأسفل وهذه الكسوة من الحرير الأسود من نسيج مصر تحمل إليه منها في كل عام كما ذكرناه في أول الكتاب ويصير وضع هذه الكسوة الجديدة على الكعبة مع ستر مقام سيدنا إبراهيم والستائر في ١٠ الحجة والحجاج بمنى .

إنما في ٢٧ ذي القعدة يحاط بالبيت من الأسفل إلى ارتفاع مترين بالبفتة البيضاء ادعاء بأن هذا علامة إحرام الكعبة وحقيقته أن الموكل بها يأخذ هذا الجزء من الكسوة الأصلية ليبيعه إلى الحجاج تبركاً .

وقد تفتح الكعبة في موسم الحج خلاف أيام المواسم لمن يريد الدخول للزيارة بشرط أن يدفع ريالاً لمن يفتح الباب من طرف الشيخ الشيبي إن لم يكن ذا ثروة ، وإلا أخذوا منه مبلغاً كبيراً ، والكعبة بنيت وتجددت إحدى عشر مرة على ماقيل وأوّل من بناها الملائكة ثم آدم عليه السلام ثم شيث وأوّل بانيها بالحجارة إبراهيم الخليل عليه السلام مستعيناً بولده اسمعيل عليه السلام ثم العمالقة ثم جراهم ثم قصي بن كلاب ثم هدمت وبناها قريش في زمن الرسول عليه السلام قبل النبوّة وكان سنة خمساً وثلاثين سنة وهدمت بسبب سيل ولم يكن لها سقف وكان بداخلها بئر عند بابها على يمين الداخل منه يلقي الناس فيه الهدايا يقال لها خزانة الكعبة فلما بنوا حتى بلغ البنيان موضع الركن أراد كل قبيلة رفعه إلى موضعه حتى تحالفوا وتواعدوا للقتال ثم تشاوروا فقال أبو أمية بن المغيرة وكان أسنّ قريش اجعلوا بينكم حكماً أوّل من يدخل من باب المسجد يقضي بينكم فكان أوّل من دخل رسول اللّه صلى اللّه عليه وسلم فلما رأوه قالوا هذا الأمين قد رضينا به وأخبروه الخبر فقال هلموا إليّ ثوباً فأتى به فأخذ الحجر الأسود فوضعه فيه ثم قال لتأخذ كل قبيلة بناحية من الثوب ثم ارفعوه جميعاً ففعلوا فلما بلغوا به موضعه وضعه بيده الشريفة ثم بنى عليه ثم هدمها عبد اللّه بن الزبير وعمّرها وأدخل الحجر فيها ثم لما قتل الحجاج ابن الزبير هدم ماكان بناه وجدد بناء الكعبة على ما هي عليه الآن سنة ٧٢ [(١)]في خلافة عبدالملك بن مروان وأخرج الحجر من البيت وجعل على حائط الكعبة من جهة الشام ميزاباً ألبس بالذهب فيصب منه ماء الأمطار في (الحجر) وجعل على البيت باباً مرتفعاً عن الأرض على قدر قامة وهو مصفح بصفائح من الفضة المطلية بالذهب وهو أوّل من كسا البيت بالديباج وقاية من السيل وفي سنة ١٠٣٩ نزلت أمطار كثيرة وعمت مكة وحاراتها وعلت المياه عن قفل باب الكعبة بذراعين حتى بعد يومين

---

(١) قتل ابن الزبير في ١٥ جمادي الأول سنة ٧٣هـ، وجدد عبد الملك بن مروان بناء الكعبة بعد مقتل ابن الزبير.

انهدمت دفعة واحدة ماعدا الجهة اليمانية وجددها السلطان مرادخان الرابع وقد أرسل مندوبين من الآستانة ومهندسين من مصر وأقاموا بناءها وتجديدها سنة ١٠٤٠ مع بذل المال الكثير .

فتح باب الكعبة

ومن العادة في كل سنة أن تفتح الكعبة في مواسم للزائرين منها في عشر المحرم للرجال وليلة الحادي عشر للنساء ومنها ليلة ١٢ ربيع الأوّل للدعاء للسلطان بدون أن يدخلها أحد وفي صبيحة تلك الليلة للرجال وفي ليلة ١٣ للنساء وفي ٢٠ منه غسل الكعبة بحضور شريف مكة والوالي وقد تيسر لي ذلك عندما كنت بمكة في شهر ربيع أوّل سنة ١٣٠٣ وهو بعد الساعة الثانية فتح بيت اللّه الحرام ودخلت مع سعادة الشريف وسعادة الوالي وخمسة من المتوظفين وصلينا عدة ركعات في كل الجهات ثم غسلنا جميعاً أرضية الكعبة بماء زمزم دفعات ثم بماء الورد بمقشات من الخوص وبعد ذلك ضمخنا الحيطان إلى ارتفاع اليد بأنواع العطر ودهن الورد بقطع من البفتة صار تفريقها على الحاضرين والبخور صاعد من ند. وعود والند مركب من عود وقشر عنبر وسنبل طيب أجزاء متساوية تدق ناعماً وتمزج بماء الورد ورسراس وتجفف ظلاً بعد التحبيب ثم بعد انتهاء الغسل صار تلاوة الدعاء وخرجنا حامدين شاكرين للّه رب العالمين ، ومن المواسم أيضاً أوّل جمعة رجب تفتح للرجال وفي ثاني يوم للنساء وفي ليلة ٢٧ منه للدعاء للسلطان بدون أن يدخلها أحد وصباحاً للرجال ومساءً للنساء ومنها ليلة النصف من شعبان للدعاء ويوم النصف صباحاً للرجال وثانيه للنساء ومنها يوم الجمعة الأولى من رمضان للرجال وثانية للنساء وليلة ١٧ للدعاء وآخر جمعة كذلك ومنها في نصف ذي القعدة للرجال وثانيه للنساء وفي ٢٠ منه تغسل الكعبة وفي ٢٨ منه إحرامها أعني إحاطتها من الخارج بقماش أبيض من الأسفل إلى إرتفاع مترين كما تقدّم وقد تفتح فتحاً خصوصياً لبعض الأعيان وقد رسمت صورة حضرة الشيخ عمر الشيبي حامل مفتاح الكعبة من ذرية بني شيبة

الذين نزلت الآية الشريفة في حقهم[1] قوله تعالى (إن اللّه يأمركم أن تؤدوا الأمانات إلى أهلها) وأرسلتها إلى حضرته مع هذه الأبيات من قولي

قلبي يصوّر شخصكم في كعبة	بنيت على الرحمات والأنوار

فالقلب مشتعل بنار فراقكم	أوليس كل مصوّر في النار

بيدي رسمت مثالكم في رقعة	أملاً لقرب الود والتذكار

وفي بحري مقام سيدنا إبراهيم عليه السلام (المنبر) من المرمر أرسله السلطان سليمان سنة ٩٥٦ ومنقوش عليه بالفحم (إنه من سليمان وإنه بسم اللّه الرحمن الرحيم) .

وخلف قناديل المطاف بمتر تجاه الضلع البحري من الكعبة والميزاب (محراب الحنفي) وكان أصل هذا المحل محل مشورة قريش ويسمى بدار الندوة فاشتراه أبو سفيان وأدخله في الحرم وخلف قناديل المطاف بمترين تجاه الضلع الغربي محراب (المالكي) ومحراب (الحنبلي) مواجهة للضلع القبلي وأما محراب (الشافعي) فخلف مقام إبراهيم .

هذه المقامات الأربعة صار إيجادها في سنة ٩٧٣ في زمن السلطان سليمان عند بناء أربعة مدارس بجوار الحرم للأربعة مذاهب لكل مذهب مدرسة بشرط أن يوجد في كل مدرسة خمسة عشر طالباً للعلم وواحد معيد وواحد مدرس من المذهب التابع لتلك المدرسة وبمقابلة كل منهما أنشىء مقام على بعد قليل من الكعبة كالمبين أعلاه كي يصلي كل امام من المذاهب الأربعة مع جماعته منفرداً وقد تيسر لي رسم مسطح الحرم بالبيان وأخذ رسم منظره من جملة جهات مع ماحوله من البيوت بواسطة آلة الفطوغرافيا .

وبعض مواضع من صحن الحرم ليس بها بلاط وإنما يعلوها زلط وباقية مع ما

---

(١) بنو شيبة حجبة الكعبة ومفاتيحها (صبح الأعشى ج ١ ص ٣٥٦)، اما السدانة فهي حق بني شيبة بلا نزاع وقد ثبت ذلك بالعمل المتواتر.

تحت العقود مبلط بحجر الجص وأرضية الحرم من تحت العقودات منخفضة عن الشوارع بنحو ثلاثة أمتار ويصعد من أبوابها إلى الشوارع بسلّم والبيت منحدر تدريجياً عن هذه الأرضة نحو متر وبذا يسهل تصريف ماء السيل عند نزوله .

وصف مكة

وأما المراحيض فإنها خارجة عن الحرم في بعض جهات مخصوصة وللوضوء حنفيات خارجة عن المسجد وبالحرم (حمام الحمى) وهو كثير ولا ينفر من المارين لأمنه من صيده وقتله محرم يُلقى إليه الحَبْ فيلتقطه بدون نفور ولونه مباين للون غيره من الحمام لأنه أزرق غمق به نقط رمادية وخطوط سود وهو مطوّق بالخضرة المحمرة والقطط مسلطة عليه تصطاده وأما مكة شرّفها اللّه تعالى فهي بلدة كبيرة بين جبال صعبة المرور طولها من الشمال للجنوب ميلان وعرضها شرقاً من جبل أبي قبيس إلى أسفل جبل قعيقعان من الغرب ميل واحد يقطع الماشي طولها في نحو نصف ساعة وإن عرضها أقل من طولها لكن لوجود أماكن على تلال كل من جانبيها يلزم لقطع عرضها زمن أكثر من الذي يقطعه الماشي في طولها وهواؤها جاف لزيادة حرارتها وطيب للصحة وبها من الجبال المأثورة جبل (حراء)[1] وبه الغار الذي كان يتعبد فيه النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وجبل (ثور) وبه الغار الذي اختفى فيه النبي صلى اللّه عليه وسلم وصاحبه حين أخرجه من مكة كفار قريش وهو بجنوب البلد بمسافة ساعتين ، وجبل (النور) ببحري مكة بساعة وهو أول مهبط جبريل عليه السلام ، وجبل (أبي قبيس) بشرق البلد .

وأسماء مكة كثيرة منها بكة والبلد الأمين والمسجد الحرام أم الرحمة أم الصفا أم المشاعر أم القرى تهامة حجاز مدينة العرب بلد طيبة .

ومن الألقاب مشرّفة مكرّمة مفخمة جامعة مباركة وهي مرتفعة عن البحر المالح بنحو ٢٦٢ متراً وهي وطن الرسول عليه السلام وولد فيها ومن الاتفاق الغريب أنه

---

(١) "غار حراء"، الذي كان النبي صلى الله عليه وسلم يتعبّد فيه قبل النبوة واثناءها، يقع في «جبل النور».

إذا أخذ عدد حروف مكة وهو ٦٥ وأخذ عدد حروف وطن ٦٥ وجدا عدادهما متساويين وقال عليه السلام (حب الوطن من الإيمان) فكان حب مكة عنده واجباً لكونها وطنه .

بيوتها نحو ٦٥٠٠ جميعها تجارية عالية بها خمس طبقات تُبنى بالحجر الجص الأصم ليس لها حوش وبها خلاف الحرم المكي ستة جوامع و ٦٧ مسجداً المشهورة منها مسجد (الراية) بشرق البلد ومسجد (الجن) بغربها ومسجد (الاجابة) ومسجد (البيعة) ببحريها ومسجد (منى) بين الجمرة الأولى والوسطى ومسجد (الكبش) ببحري منى ومسجد (الخيف) بجنوبها .

وبمكة قلعتان وقشلتان وثلاثة تكايا منهم تكية مصرية أمام باب الحرم المسمى باب جياد وحمامان وتسعة خانات وست مدارس للعلوم وشونتان ومدبغتان .

وشوارعها ضيقة بدون انتظام ما عدا شارعاً مشهوراً مبتدؤه الشيخ محمود ماراً بباب العمرة إلى أمام التكية المصرية ثم على المسعى وعلى طريق القشاشية وسوق الليل إلى آخر مكة من جهة المعلاة وعرض الشارع يكون تارة ثمانية أمتار وتارة عشرة وتارة عشرين متراً ومن الحارات النافذة للشارع المذكور حارة الباب وحارة الشبيكة والسوق الصغير وجياد به التكية المصرية والحميدية ديوان الحكام الشاهانية وسوق الليل وسوق الصفا والمسعى والقشاشية عن اليمين الموصلة إلى المعلاة ثم الغزة وبها منزل سعادة أمير مكة عون الرفيق باشا ثم سوق المعلاة والبراضية وعن يسار القشاشية المسعى إلى المروة الذي به يساراً باب السلام ويميناً طريق المدعى ثم الجودرية ثم المحناطة ومن حارة الباب ينفذ إلى سوق الشامية ومنه إلى المروة .

إجابة الدعاء

وبمكة عشرة مواقف قيل يستجاب فيها الدعاء أولها دخول الحرم ومواجهة الكعبة من باب السلام ثم عند نية الطواف ثم عند الملتزم عند باب الكعبة ثم في الطواف ثم عند مقام إبراهيم الخليل ثم في حجر اسمعيل ثم عند زمزم ثم في الصفا ثم في المروة .

وبخارجها خمسة يوم عرفة وليلة المزدلفة وثلاثة المرمى .

وبها لحوم الأغنام بكثرة وليس بها بساتين ولا أشجارٌ إلا بمحل خارج عنها بثلاث ساعات ويسمى (بركة ماجد) به بعض نخيل وخضراوات وأغلب الخضارات تأتي إليها من جناين (وادي فاطمة)على بُعد خمس ساعات ومن (سولة) ووادي (الليمون) يبعد عن مكة بأربع عشرة ساعة .

ومن فواكهها اللذيذة العنب والرمان والموز واللوز والجوز والسفرجل وغيرها تأتي إليها من (الطائف) ومن سائر جهاتها وان سكانها أخلاط من الجاوا والهنود والمصريين والأتراك والتكارنة وأهل اليمن والعربان ويبلغ عددهم ما يزيد عن العشرة آلاف نفس وإن الأقوات والتجارات تأتي إليهم من الخارج كجهة البصرة ومصر وبومباي .

أوقاف الدشيشة

وقيل إن سيدنا عمر رضي الله عنه قد رتب مدة خلافته لأهل مكة والمدينة مائة ألف أردب من القمح يرسل إليهم من مصر باسم حب الصدقة أو الدشيشة وتنازل هذا المرتب شيئاً فشيئاً ومما ذكر في التاريخ من آثار السلطان سليمان أنه ضم إلى أوقاف الدشيشة الكبرى أوقافاً أخرى فصارت جملة أوقاف منها ,وقف السلطان قايتباي ووقف السلطان جقمق والسلطان سليمان والسلطان مراد الثالث وولده السلطان محمد خان والقرى الموقوفة عليها ستة بالقليوبية وخمسة بالمنوفية وثمانية بالغربية وإحدى عشرة بالدقهلية وخمسة بالبحيرة وخمسة بالجيزة وعشرون بالوجه القبلي ، والمتحصل من النواحي في كل سنة ماهو من المال سبعون كيساً وما هو من الغلال ٤٨٨٠ أردب من القمح وذلك خارج عن أجرة الأماكن الكائنة بمصر وغيرها وهو في كل شهر هلالي أربعة وأربعون كيساً والغلال تجهز إلى بندر السويس من متحصل النواحي المذكورة وتحمل في مراكب في وقف الدشائش برسم التكايا ومجاوري الحرمين الشريفين ، وأما ما يجهز من النقد من متحصل النواحي والأملاك المسمى (بالصرة) يرسل في كل عام صحبة أمير الحاج المصري وتوزع على أربابها

من مجاوري وفقراء الحرمين ، ومن يريد كثرة الإيضاح فعليه بتاريخ الإسحاقي عن مدة السلطان أحمد بن السلطان محمد وخلافه ، وفي مدة المرحوم محمد علي باشا والي مصر بلغ المرتب إلى (٢٠٧٨٨) أردب منها يرسل لمكة (١٢٠٠٠) أردب وللمدينة (٨٧٨٨) أردب باسم جراية الصدقة أو بدعا كوى يرسل سنوياً إلى الآن بمعرفة ديوان المالية بمصر وجميعها تفرق على فقراء البلدتين من أهالي وأشراف بموجب وصولات تحت يدهم وذلك خلاف المرتب للتكية المصرية بمكة والمدينة من القمح والأرز والسمن والأردب المصري الذي يساوي ٢٤ ربعاً يساوي بمكة ٥٤ كيلة مكية بحسب أحجام مكاييل هذه الجهات ووزن الاردب (١٠٢) أوقية استانبولي ولكنّ الموظفين بالتفرقة ينهبون منها جانباً عظيماً وقد عاينت ذلك مراراً وألّفت كتاباً على تفريق حب الصدقة ولكن لم يتيسر لي طبعه وليس هناك ما يتجرون فيه إلا ماء زمزم والحناء والآراك الذي يستعمل في السواك وتجارهم من الغرباء ومنهم من يخرج ماله بالربح بأن يعطي عشرة ويأخذ سنداً باثنى عشر أو أكثر واكتسابهم من الحجاج وخصوصاً الجاوا لغناهم وتدينهم وأغلب سكانها ما بين مطوّف وسقّاء وبنّاء ونجار .

عوايد أهل مكة - عين زبيدة

ومن عوائدهم اجتماع بعضهم بعد الحج ببعض للخروج إلى النزهة بالطائف وبالسيدة ميمونة في ١٣ صفر وبالزاهر جمعياتهم تحتوي على سماع آلات الطرب وترقيص الغلمان وأفراح الزواج وفي رجب يسافرون للزيارة بالمدينة وفي هذه الأشياء يصرفون كل ما اكتسبوه في سائر عامهم ومنهم من يحفظ شيئاً من هذا الكسب يستعين به على السفر إلى الآستانة أو مصر أو الهند أو بلاد الجاوا ليتعارفوا مع من يريد الحج في العام الآتي فهم بهذه الأسباب فقراء على الدوام تركبهم الديون ولولا وجود مياه (عين زبيدة) لهلكوا عطشا وهذه العين تسمى (عين حنين) لشهرتها وماؤها عذب بعيدة عن مكة بمسافة ثلاثة أيام بين جبال سود عاليات بواد قليل الأمطار وهي من عمل أم جعفر (زبيدة) بنت جعفر بن المنصور زوجة هرون الرشيد واسمها (أم العزيز) وكان جدها المنصور يرقصها وهي طفلة وكان يقول لها زبيدة فاشتهرت به وكانت من أهل الخيرات منها اجراء عين حنين هذه إلى مكة وأنفقت

عليها خزائن أموال حتى أوصلتها إلى محل بوادي (النعمان) البعيدة عن عرفات بنحو ساعتين وهو منحط عن سطح الأرض بثمانية عشر متراً ونفقت الأموال إلى أن سلك الماء واجتمع المباشرون لديها وأخرجوا دفاترهم لإخراج الحساب فيما صرفوه وكانت في قصر مشرف على الدجلة فأخذت الدفاتر منهم ورمتها في بحر الفرات[1] وقالت (تركنا الحساب ليوم الحساب فمن فضل عنده شيء من بقية المال فهو له ومن بقي له شيء عندنا أعطيناه) ثم ألبستهم الخلع ، ومنبع هذه العين في جبل شامخ شاهق يقال له (طاد) بطاء مهملة وألف ودال مهملة من جبال الثنية من طريق الطائف وكان يجري الماء إلى أرض يقال لها (حنين) يسقى بها مزارع للناس وإليها ينتهي جريان هذا الماء وكان يسمى (بستان حنين) وهو موضع غزا فيه النبي صلى اللّه عليه وسلم المشركين (غزوة حنين) فاشترت زبيدة هذا البستان وأبطلت المزارع وشقت له القناة في الأرض وجعلت له الشحاحيذ في كل جبل يكون ذيله مظنة لاجتماع الماء عند الأمطار وجعلت فيها قناة متصلة إلى مجرى هذه العين فصار كل شحاذ عيناً يساعد عين حنين وهي سبعة تنصب فيها وينقص البعض ويزيد البعض بحسب الأمطار الواقعة على أم تلك العيون إلى أن وصلت إلى مكة ثم إنها أمرت بإجراء عين (وادي النعمان) إلى عرفة وعين نعمان منبعها ذيل (جبل كرا) وهو جبل شامخ عال أعلاه أرض الطائف صعب المرقى مسيرة نصف يوم من أسفله إلى أعلاه وينصب من ذيل جبل كرا في قناة إلى موضع يقال له (الأوجر) من وادي النعمان ثم يجري منه إلى موضع بين جبلين شاهقين في علو أرض عرفات فيها مزارع ولشعراء العرب تغزلات في وادي نعمان وفيه يقول القائل

أيا جبلي نعمان باللّه خليا ... نسيم الصبا يخلص إليّ نسيمها

فعملت القنوات إلى أن جرى ماء عين نعمان إلى عرفات ثم أديرت القناة بجبل (الرحمة) محل الوقوف الشريف في الحج وجعل منها الطرق إلى البرك التي بأرض عرفات فتمتلىء ماء يشرب منه الحجاج في يوم عرفة ثم استمر عمل القناة إلى أن

(١) قصر زبيدة مشرف على دجلة (لا يقال "الدجلة" حسب ياقوت الرومي) فرمي الدفاتر يجب ان يتم على ذلك النهر.

خرجت إلى أرض عرفات خلف جبل على يسار العائد من عرفات بطريق (المُظلمة) بضم الميم ثم وصلت إلى المزدلفة ثم تستمر إلى جبل خلف منى ثم تنصب في بئر عظيمة بقبليها مقطوعة بأحجار كبار تسمى بئر (زبيدة) ينتهي عمل هذه القناة إليها وهي من الأبنية المهولة وتوفيت الملكة زبيدة إلى رحمة الله تعالى وتعلق الشغل عند مكة بمسافة ٣٣٠٠٠ متراً ثم صارت عين حنين وعين عرفة بعد سنين تنقطع لقلة الأمطار وتنهدم قنواتها وتخربها السيول بطول الأيام وكان الخلفاء والسلاطين إذا بلغهم ذلك أرسلوا وعمروها فتجري تارة وتنقطع تارة أخرى ، واستمر الحال على هذا المنوال ثم انقطعت وعمّرها السلطان المؤيد الجركسي ملك مصر في سنة ٨٢١ ثم عمّرها وعمّر عين عرفات أيضاً السلطان الأشرف قايتباي سنة ٨٧٥ ثم عمّر عين حنين السلطان قانصوه الغوري حتى جرت وملأت برك المعلى وبركة ماجن في درب اليمن من أسفل مكة ثم انقطعت في أوائل السلطنة العثمانية وبطلت العيون لقلة الأمطار وتَهدّمت قنواتها وانقطعت عين حنين عن مكة وصار أهل البلاد يستقون من الآبار حول مكة قريباً من المنحنى والزاهر وانقطعت عين عرفات وتهدّمت قنواتها وصار فقراء الحجاج في يوم عرفة لايطلبون شيئاً غير الماء (قال القطبي) إني أذكر أنه في سنة ٩٣٠ قلّ الماء وارتفعت أسعاره في عرفة فاشتريت قربة ماء صغيرة يكاد يحملها الإنسان بإصبعيه بدينار ذهب ، والفقراء يضجون من العطش ويطلبون من الماء ما يبل حلوقهم في ذلك اليوم الشريف وجاء وقت الوقوف والناس عطاش يلهثون فأمطرت السماء وسالت السيول من فضل الله ورحمته ، والناس واقفون تحت جبل الرحمة فصاروا يشربون من السيل من تحت أرجلهم وحصل البكاء الشديد من الحجاج لما رأوا من رحمة الله ولطفه بهم ، ثم برزت الأوامر السلطانية الشريفة السليمانية بإصلاح عين حنين وعين عرفات وصار تصليحها وجرت عين حنين ودخلت إلى مكة وأصلح عين عرفات في سنة ٩٣١ ثم قلّت الأمطار في بعض سنين متعدّدة ويبست العيون من سنة ٩٦٥ وما بعدها وكانت تشبه سنين يوسف عجافا وانقطعت العيون إلا عين عرفة إنما قلّ ماؤها ولما عرضت أحوالها للسدة السلطانية السليمانية وصدر الأمر بتصليح ذلك فعمل مجلس بمكة وانحط الرأي على توصيل الماء من بئر زبيدة بخلف منى إلى مكة حيث هي أقوى العيون الموجودة وظنوا أنه موجود مجرى

تحت الأرض إلى مكة وانهدمت وطلبوا من السلطنة ثلاثين ألف دينار للتعمير سنة ٩٦٩ فالتمست صاحبة الخيرات (مهروماه سلطان) كريمة السلطان سليمان أن يأذن لها في عمل هذه الخيرات فأذن لها في ذلك وتعين من يلزم للمباشرة واستلم خمسين ألف دينار وشرع في حفر القناة من وادي نعمان في علو عرفات وتنظيف ذيولها إلى أن وصل العمل إلى بئر عين زبيدة وما وجد بعدها ذيلاً وتحقق العمل الباقي إنما تركته زبيدة اضطراراً وعدلت عنه إلى عين حنين وترك العمل عند البئر لصلاة الحجر وصعوبة قطعه وطول مسافته ويحتاج إلى ذيل منقور تحت الأرض في الحجر الصوان طوله ألفا ذراع حتى يصل بذيل عين حنين وينصب فيه ويصل إلى مكة ولايمكن نقب ذلك الحجر تحت الأرض فإنه يحتاج إلى النزول إلى خمسين ذراعاً في العمق فصار الشروع في الحفر على وجه الأرض إلى أن يصل إلى الحجر الصوان ثم يوقد عليه النار من الحطب ليلة كاملة في مقدار سبعة أذرع من وجه الأرض والنار لاتعمل إلا قدر قيراطين من ٢٤ قيراطاً من ذراع فيكسر بالحديد إلى أن يوصل إلى الحجر الصلب الشديد فيوقد عليه بالحطب ليلة أخرى وهلم جرا إلى أن ينزل في ذلك الحجر خمسين ذراعاً في العمق في عرض خمسة أذرع إلى أن يستوفي ألفي ذراع ثم يقطع على هذا الحكم وصرف أكثر من خمسمائة ألف دينار من الخزائن السلطانية إلى أن جرت عين عرفات ووصل الماء إلى مكة سنة ٩٧٩ وفرحت الأهالي فرحاً شديداً ، وأما عين حنين في هذا الزمان فقد انقطعت من مدة سنين وصارت في خبر كان إلا أن ذيولها وآثارها باقية إلى الآن ، وأما عين عرفة فتارة تزيد وتارة تنقص وفي أواخر سنة ١١٤٣ انقطع ماؤها أجمع وصار الناس يستقون من آبار العسيلان والزاهر وغيرهما ثم صار تصليحها من طرف السلطنة وقد صار إصلاحها أيضاً في سنة ١٠٩٣ وسنة ١١٨١ وسنة ١٢٣٥ في زمن السلطان محمود .

وأخيراً في سنة ١٢٩٦ قد حصل فيها قبل أوان الحج بعض انهدام وجرى ترميمه في غاية الاتقان من أهل الخيرات حتى صار ماؤها يجري في قناة مبنية من المنبع إلى مكة كقناة الوابور عرضها من الأعلى متر بل تارة يزيد وفراغها من خمسين سانتي إلى ستين وعمقها متر ونصف وارتفاع الماء عن قاعها سبعون سانتي مغطاة

ببناء من الحجارة وبالغطاء فتحات بقدر خمسين سانتي أو أكثر لأجل الملء منها وهذه الفتحات متباعدة عن بعضها بنحو العشرة أو العشرين متراً على حسب المواقع وبجانبها أحواض لشرب المارين وأحواض أخرى لشرب الآدميين وسطح القناة تارة يكون مساوياً لسطح الأرض وتارة مرتفعاً عنها إلى سبعة أمتار على حسب ارتفاع الأرض وانخفاضها كما شاهدت جميع ذلك بعرفات حيث تمرّ بجانب جبل الرحمة من الجهة الشرقية من عرفات متجهة إلى منى ثم إلى مكة ،وهناك تصب في جملة صهاريج متعددة .

وفي سنة ١٢٩٧ أرسل من مصر إمداداً خمسة وعشرون ألف جنيه مع أحد معاوني الداخلية وبرفقته أحد المهندسين المشهورين لمشاهدة العمارة الجارية بقناة العين مع كونها كانت قد انتهت تقريباً وشاهدت القناة مبنية بناءً متيناً من مكة إلى عرفات .

وفي عام آخر وجدت تعميرها صار إتمامه حتى أن الماء كثر بمكة وجهاتها .

وهذه أصناف المعاملة المستعملة بكل من مكة وجدة والأغلب المستعمل بها دائماً هي الاسلامبولية وأما غيرها فأكثر ما يتعامل به في أوان الحج وبحسب القيمة

من بعد الحج	بوقت الحج	أسماء العملة	من بعد الحج	بوقت الحج	أسماء العملة
غرش	غرش		غرش	غرش	
١٧١	١٦٩	فالجنيه المصري	٢٩	٢٨	الريال الشنكوا
١٧٠	١٦٨	الإنجليزي	٢٨	٢٦	المجيدي
١٥١	١٤٨	الاسلامبولي	١٣	١٣	الروبية
١٣٣	١٢٨	البنتو	٠٠	٥٠	الفرانق
٢٨٢٠.	٢٨.	الريال البطاقة	٠٠	١٢٠.	الغرش المصري

التكية المصرية

وقبالة الحرم من الجهة القبلية تكية مصرية بجانب الدائرة الحميدية متينة البناء بناها المرحوم محمد علي باشا والي مصر للخيرات وبها ناظر ومستخدمون من مصر وبها أماكن ومخازن وفي دائرها من الداخل أود ومخازن للغلال ولسائر المرتبات التي ترد إليها من مصر كما ذكرنا وبها طاحون ومطبخ متسع تطبخ فيه الشوربة صباحاً فقط وتفرق في كل يوم على نحو أربعمائة فأكثر من الفقراء مع الخبز وهي دور أرضي فقط وليس بها حواصل تحت الأرض تحفظ الغلال من التسويس واتلافها كالحاصل سنوياً عند اشتداد الحر .

الحكام

وأما حكام مكة فأميرها سنة ١٢٩٧ كان الشريف عبد المطلب ثم توفى سنة ١٢٩٩ وفي سنة ١٣٠٢ عند عودتي ثانياً وجدت دولتلوسيادتلو الشريف عون الرفيق باشا أمير مكة وكل من تولى من الأشراف يدعى بسيد الجميع وله اليد العليا على العربان والولاة من قنفدة اليمن إلى الحجاز ومن الشرق إلى المدينة وصار الحجاز تابعاً للدولة العثمانية سنة ٩٢٣ من بعد دخول السلطان سليم مصر وأطاعه الشريف أبو البركات .

ولابأس بذكر من تولى الإمارة من منذ قرن من الشرفاء ففي سنة ١٢٠٢ الشريف غالب بن مساعد ، وفي سنة ١٢٢٨ الشريف يحيي بن سرور ، وفي سنة ١٢٤٢ الشريف محمد بن عبد المعين بن عون ، وفي سنة ١٢٦٧ الشريف عبدالمطلب بن غالب ، وفي سنة ١٢٧٢ الشريف محمد بن عبد المعين بن عون ثانياً ، وفي سنة ١٢٧٤ الشريف عبد اللّه باشا بن محمد بن عون ،وفي سنة ١٢٩٧ الشريف عبدالمطلب بن غالب ثانياً ، وفي سنة ١٢٩٩ الشريف عون الرفيق باشا بن محمد بن عون الموجود الآن .

والشرفاء هم من ذرّية سيدنا الحسن بن علي كرّم اللّه وجهه لكونه بويع له بالخلافة بعد وفاة أبيه ، وأما ذرّية سيدنا الحسين رضي اللّه عنه فيقال لهم السادة وسيدنا الحسن والحسين شرفاء بدون شك .

وعلى العساكر والضباط والٍ بصفة مشير وكان وقتئذ دولة عثمان باشا نوري الذي من مآثره إنشاء ديوان الحميدية بجوار التكية المصرية بمكة لمتوظفي الحكومة الشاهانية وجدّد حنفيات للوضوء بمحلات قريبة من الحرم وأحواضاً وصهاريج من الحارات للأهالي تأتي إليها المياه من قناة عين زبيدة ، وأنشأ عين رغامه بجدّة ،وهي من أكبر المآثر للحجاج وأهل البلد وبنى سور ينبع البحر لمنع تعدّي العربان على البلد وجملة تنظيمات وبرفقته واحدلوا باشا وعلى العساكر المتوظفين من الدولة بمكة وجدّة والطائف والمدينة والٍ آخر برتبة لوا باشا له وكيل برتبة ميرالاي هو ضابط البلد وهناك جملة متوظفون من أهل الدولة وكلهم تابع لها وبمكة طابوران من العساكر البيادة كل طابور ٨٠٠ نفر وبالطائف نصف طابور وكذا بجدة وكذا برابغ وكذا بينبع فالمجموع أربعة طوابير وبمكة أيضاً ثلاثة طوابير ضبطية جندرمة سواري وواحد بياده موزعين على الجهات و(بالمدينة) ثلاثة طوابير نظامية وطابور سواري وطابور بياده ضبطيه ، وبالحجاز آلاي طوبجي محلي وآلاي طوبجي جبلي وستة مراكب حربية نصف فيلو بالبحر الأحمر ثلاثة منها دورية من باب المندب إلى ينبع البحر والاخريان إحداهما بباب المندب والثانية بالحديدة والثالثة بجدة ومن أعيان البلد من هو متوظف من أعضاء مجلس الأحكام وغيره .

ولاية الحجاز

واعلم أن ولاية الحجاز واقعة بين نجد وتهامة وهي من الأقاليم الحارة بآسيا ماعدا الطائف وجبل قرا لاعتدال الهواء محدودة من الجنوب ببلاد عسير ومن الشرق بصحراء نجد ومن الشمال بسورية ومن الغرب بالبحر الأحمر وأن مساحتها بالتقريب (١١٩٣٥١٧) كيلومتر مربع وأكبر جبل بها جبل (قرا) ارتفاعه عن سطح البحر بألفي متر وببعض محلاته يدوم الشتاء صيفاً يبتدىء من عدن ويتسلسل إلى الطور وبجنوب مكة جبل (أيوب) وجبل (سبوغ) وبالمدينة جبل (فقرة) وجبل (أُحُد) وجبل (جهينة) كلها من الشوامخ ومجموع سكانها من الحواضر والبوادي بالتخمين (٨٠٠٠٠٠) نفس جميعهم مسلمون وتابعون للدولة العثمانية وليس بها زروع ولا حشائش بكثرة لقلة الأمطار وكثرة الأحجار والرمال والصحاري وربما يوجد بالجبال

وبعض وديان (تهامة) الصالحة أرضها للزراعة مع جريان المياه بها محصولات وأثمار متنوعة ومعيشة العربان من زراعة الذرة والدخن وعدد ما بين مكة والمدينة من الجمال ينيف عن (١٥٠٠٠) جمل ويوجد في أوديتها وفي جبل كبكب من الوحوش الثعالب والفهود وأما القرود فكثيرة بجبل قرا .

واعلم أن مجموع وارداتها مبلغ باره ٢٠ و (١٥٣٣٩٣٤) قرش منها بارة ٣٠ و (٢٥٦٦٠٧) قرش احتسابيه (٤٠٠٠٠) قرش قنطارية (٨٠٠٠٠) قرش أسماك باره ٣٠ و(٩٩٧٧٨٩) قرش تخريجيه (١٣٧٤٤٥) قرش زكوات أي عشور (٢٢٠٩٢) قرش واردات متنوعة ،وأما المنصرفات فهي باره ٨ و (٢٥٥١٨٩٠٦) قرش منها معاشات ومرتبات أشراف وسادات ومحتاجين ومجاورين بمكة والمدينة وجدّة ، باره ٢٧ و (٦٠٥٩٥٦٦) قرش ومنها منصرفات للمحملين والعربان وثمن ذخائر وبعض مصروفات محلية باره ٢٩ و (٤٩٨٧٧٠٤) قرش ومنصرفات للعساكر والبحرية والضبطية الشاهانية ، باره ٣٢ و (١٤٤٧١٦٣٤) قرش فبعد خصم المنصرف من الوارد يزيد المنصرف مبلغ باره ٢٨ و (٢٣٩٨٤٩٧١) قرش تدفعه الدولة من خزينتها .

سكان ولاية الحجاز

واعلم أن سكان هذه الولاية قبائل متنوعة منها قبيلة الصميدات التي عددها ٩٠٠ وشيخ مشايخها حذيفة ، ومنها قبيلة رهقان بالبعد عن المدينة بثلاثين ساعة وقبيلة صحاري عددها ٣٠٠٠ نفس وشيخها إبراهيم بن مطلق ومنها قبيلة فضيلة عددها ٩٠٠ نفس وشيخها فهد وبالجديدة من الدرب السلطاني قبيلة بني عمر عددها ٧٠٠ نفس وشيخهم عوض بن درويش وفي بئر الراحة قبيلة رحلة عددها ٥٠٠ نفس من شعب بني عمر بيوتهم الخيش وليس سوى الجمال لهم عيش ،وقبيلة الأحامدة التي عددها ٦٠٠ نفس منازلهم بكل من الصفراء والحمراء وتعيشهم من الجمال أيضاً وفي بحري المدينة قبيلة تميم عددها ٧٠٠ نفس وبجوارها قبيلة السعادين عددها ٦٠٠ نفس ، وفي بدر قبيلة صبح عددها ١٤٠٠ نفس وأغلبهم

جمّالة وقبيلة الحوازم في كل من الصفراء والحمراء والجديدة عددها ٢٥٠٠ نفس تحمل على جمالهم المهمات الميرية والتجارية من ينبع إلى المدينة وإلى سائر الجهات وعامة من ذكرنا من هذه القبائل تسمى بني حرب وهم بمنزلة قبيلة واحدة ماعدا الحوازم ولجميعهم مرتبات وعوائد من الدولة العلية ومصر تصل إليهم في كل عام مع المحملين (ومن قبائل الطريق الفرعي) بنو عوف والصواعد الذين شيخهم محمد بن الربيع وعددهم ٣٥٠٠ نفس وهم في الفلاة بين الريان والمدينة بيوتهم الخيش وبنو عمر عددهم ٢٥٠٠ نفس نصفهم مقيم بالشرق في بيوت من الخيش والنصف الآخر نازلون بكل من الريان والمضيق وفيما بين أبي ضباع ورابغ من الأراضي وقبيلة بلادية عددها ١٣٠٠ نفس بالقرب من منازل بني عمر وفيما بين غائر ورابغ قبيلة لهيبة في بيوت من الخيش عددهم ١٠٠٠ نفس وقبيلة زبيد عددها ٧٠٠٠ نفس منازلها من رابغ إلى الأماكن القريبة من مكة وجدة كخليص وعسفان وقضيمة ووادية وهؤلاء بعضهم في بيوت الخيش وبعضهم يسكنون البلاد وهناك قبائل غير هؤلاء مشايخهم بمنزلة عمد ليس لهم أخذ ولا عطاء مع الدولة بحسب مواقعهم مع أن جميعهم مطيعون لها .

طبائع القبائل

وأما من حيث طبائع ومعايش ومذاهب هذه القبائل فمنهم من يسكنون بيوتاً كالعشش يسمونها بلدة ولهم زروع ونخيل ومنهم من يسكنون بيوتاً من الخيش ويتخذون الجمال والغنم للتعيش منها (ومن عرب الطريق الشرقي) قبيلة أبي ضباع المسماة بالزيود[1] أي الزيدية نسبة إلى زيد بن علي زين العابدين رضوان الله عليه وعلى آله الطاهرين لادعائهم كذباً أنهم على مذهبه وإنما ابتدعوا مذهباً خارجاً عن مذاهب أهل السُنّة يُقال إنهم يبيحون الجمع بين الاختين ولا يوجبون على المطلقة عدة ويقتلون الصيد في الحرم ويصلون الصبح أداء بعد شروق الشمس ولايصلّون المغرب إلا قريباً من العشاء ويبغضون كثيراً من الصحابة كالأعجام ويضعون في أكفان

(١) ما قيل عن "الزيود" لا يخلو من المبالغة، لان المعلوم ان الرافضة هم الذين يزاولون هذه الاعمال.

موتاهم خبزاً معه إناء فيه ماء وقضيبين من الخيزران أو من جريد النخل ولهم نخيل وبساتين وأغلبهم قطّاع الطريق والأمر عندهم بالشورى فمتى استحسنت عقولهم شيئاً عملوا به ولايصاهرهم أحد من سائر القبائل لخروجهم عن مذاهب أهل السُنّة والجماعة.

وأما غير هؤلاء من بقية القبائل فعلى مذاهب أهل السُنّة ويصاهر بعضهم بعضاً برضى والد الزوجة أو غيره من أوليائها عند عدم وجوده بدون استشارة المتزوجة في ذلك وبدون أن تخرج من بيتها ولا يشربون الخمر وإنما يشرب الرجل منهم قهوة البن والدخان دون الإناث ولهم مساجد وفقهاء يُعَلِمون أولادهم الكتابة وقراءة القرآن العظيم ولايجتمعون للذكر وطريقتهم سنوسية جهرية ويعملون في أفراحهم الولائم ولاتختلط الرجال منهم بالنساء ويزفون عرائسهم بالجواري السود ليلاً إلى بيت الزوج من غير أن يبصرها الرجال وهذه هي العادة عند الأحامدة وما عداهم من القبائل لا حرج عندهم في اختلاط النساء بالرجال إلا أن جميعهم يذبحون كلا من الزاني والزانية ولا تخرج نساؤهم لتشييع الجنائز ويتصدقون على قدر حالهم ويصنعون الولائم في الأعراس مع الطبول والبرجاس وغذاؤهم التمر مع السمن واللحم مع العسل وخبزهم من الحنطة مع القلة وذبائحهم من الجمال والأغنام ولايوجد عندهم بقر ولا جاموس ولا دجاج رومي بل قليل من الدجاج البلدي ولا يأكلون الخضراوات لاعتقادهم أنها تسبب رخاوة الأجسام ومتى تشاجر أحد من قبيلة ولو طفلاً مع أحد من قبيلة أخرى واستغاث أحدهما بقبيلته قامت الحرب بين القبيلتين بدون استشارة رئيس ولا ينكفون عن ذلك إلا مدة الليل ومتى جاء النهار عادوا إلى ماكانوا فيه مالم تتوسط كبارهم في إطفاء الفتنة ويصلحوا بينهم .

وفي يوم الاثنين ٥ ذي الحجة جرى صرف مرتبات التكية المصرية وبلغت الحرارة في وقت الظهر ٣٧ درجة وقرب العصر توجهت إلى الوالي لقضاء بعض شؤون متعلقة بالوظيفة فرأيت اثنين من حجاج الأتراك الواردين من طريق المدينة يشكون من الجمّالة فإنهم أتوا بهما مع الواردين من المدينة لأداء الحج ولما وصلوا بهما إلى ما بين رابغ ومكة انفردوا بهما وضربوهما وسلبوهما وتركوهما عاريين حافيين وشجوا

رأس أحدهما فما وصلا إلى مكة إلا بعد كل مشقة ولما عرضا حالهما على سعادة الوالي تأسف عليهما ورفق بهما ووعدهما بالنظر في أمرهما بعد النزول من عرفات ولم أعلم بعد ذلك ما تم في أمرهما لأن أغلب حجاج القوافل توجهوا في هذا اليوم إلى عرفات ، وبعد خروجي من عند سعادته توجهت إلى منزل أحد الحكماء المسمى عبد الغفار أفندي الطبيب لأن الحكماء قليلون بمكة والمشهورون هم من الهنود وهذا يشتغل بالطب والفطوغرافيا وحضر معي إلى مصر وتعلم صناعة الأسنان من الدكتور فولر الشهير وأكثر شهرته بمكة استخراج الروائح العطرية ثم استحوذ أيضاً على إذن من الشريف بأن يكون من جملة المطوّفين وبعد جلوسي عنده برهة من الزمان أتى عبد كبير يريد المداواة من صداع مزمن اعتراه مدة مديدة وأرمد عينه فالحكيم استصوب له الكيّ على الصدغين فوضع سيخاً رفيعاً من حديد معوج الطرف المعوج وحلق صدغي العبد وعلم على المحل اللازم كيه بالحبر عموداً على العرق بعيداً عن الأذن بقيراط ثم أخذ السيخ محمياً ووضعه على المحل المؤشر عليه بالحبر حتى طش وتركه قدر ثانيتين ورفعه وحماه ثانياً وفعل في الصدغ الآخر كذلك ثم وضع على الكي ملحاً ناعماً وقام العبد بدون أن يتأوّه وتوجه من حيث أتى .

وفي ثاني يوم أثناء صرف المرتبات جاءت إمرأة اسمها مسعودة كان لها زوج من عساكر الباشبوزوق فتوفى ورتب لها ولابنتها منه معاش بالروزنامة ، حجت في العام الماضي ثم توجهت للزيارة فسلبها الاعراب في طريق المدينة فعادت إلى مكة وأقامت بها وصرف لها مرتبها بالروزنامة لكن مع استنزال فرق المعاملة بين مكة ومصر أعني أنهم صرفوا لها الريال الأبوطاقة زائداً عن قيمته بمصر ثلاثة غروش حيث حسبوه بعشرين بدلاً من سبعة عشر بذاك الوقت ولا حق للمالية ولا للروزنامة في ذلك فإن مرتب المعاش مبلغ معين لاينقص ولايزيد باختلاف البلاد والمرتب لهذه المرأة سنوياً ١٩٦٩ قرشاً فكيف يصرف لها بمكة ١٤٥٧ قرشاً وينقص معاشها ٥١٢ قرشاً وهو مبلغ جسيم تستعين به مع بنتها على حالهما وهما فقيرتان جداً ومعلوم أن مرتب المعاش كالماهيات وحيث إن ماهيات المستخدمين بالتكية تصرف على ماهو الجاري بمصر لا بمكة فمن العدالة صرف معاشات زوجات المتوفين بالخدمة على ذلك أيضاً مع أن هناك من الناس من يعامل بذلك حتى يزيد شكرهن ودعاؤهن لأولياء الأمر .

صرف المرتبات

وكيفية صرف المرتبات بالأراضي الحجازية مثالها أن أولاد الشريف هاشم مربوط لهم من الروزنامة عن كل عام مبلغ ١٥٧٩ قرشاً وإنما يصرف لهم بمكة ١٣٤٠ قرشاً عملة صاغ في مقابلة المبلغ المربوط وذلك على حسب قيمة عملة مكة ويتوفر لخزينة الميري ٢٣٩٢٠ قرشاً وأن المربوط لسعادة أمير مكة عن مرتب الوظيفة والمعاش وثمن كساوي ٦٤٩ جنيهاً أفرنكيا ومرتبات المستخدمين بالمحمل فأمير الحاج استولى مرتباته بالتمام من عشرين جملاً وعلائفهم وصرف له قبل قيامه من مصر ٥٠٠ جنيه مصري قيمة السفرية والماهية مدة السفر ومرتب أمين الصرة ستة جمال بدلاً عن أحد عشر في السنين الماضية و ٧٥ جنيها انعامية خلاف الماهية والتعيينات وصار حجز الترحيلة التي كانت تعطى لكل من السقائين والفراشين والضويّة والعكامة في كل عام عند سفرهم إلى الحج علاوة على مرتباتهم فإنه كان عدد الفراشين ثمانية يصرف لهم مبلغ ٩٨٠ قرشاً وكانت الضويّة عشرة وكان يصرف لهم ٩٠٥ قرش وكان السقاؤون سبعة والترحيلة التي كانت تصرف لهم ٨٥٠ قرشاً والعكامة ثمانية والترحيلة ١٠٤٠ قرشاً فطلب رؤساء كل من السقائين والفراشين في هذا العام السفر مع المحمل بالتعيينات فقط رغبة في الحج ووفروا الترحيلة لجانب الميري وفضلاً عن ذلك تعهد رئيس السقائين بأن القرب التي تلزم للصرة تكون من طرفه وقبل ذلك من الديوان ولم يتذكر ما يترتب عليه من التعطيل والضرر والتعب الكلي للمتوظفين في الطريق من توفير نحو عشرين جنيهاً ليست شيئاً بالنسبة للمصروفات الجسيمة الجاري صرفها وأما العكامة والضوية فما طعن فيهما أحد كغيرهما ليتم تعطيل أداء الوظائف الذي كان جارياً من القديم وقد شاهدنا الإهمال مراراً في الطريق من السقائين والفراشين بسبب هذا الوفر .

موكب الشريف

وفي يوم الأربعاء ٧ ذي الحجة الساعة ٢ توجه سعادة شريف مكة في موكبه لملاقاة الحاج الشامي وكان قد وصل إلى مكة في النصف من ليلة الأربعاء وهذا

الموكب عبارة عن عدة من الخيالة والقرابة تتقدم لتوسيع الطريق تعقبها جماعة من الهجانة ثم ٢٤ حصاناً جواداً ويسمونها الجنائب عليها مراشح من الفضة تقودها السوّاس ثم أربعة من الجاوشية السواري عليهم سراويل بيض وعناتر حمر وبأيديهم عصيّ مركب عليها فضة وفيها جلاجل من الفضة ثم عربان قرابة حربية نحو ٢٠٠ عليهم قمصان طوال وبأوساطهم مناطق فيها أسلحتهم وعلى رؤوسهم قلانس من الكوفيات وبأيديهم البيارق يغنون بمدح الشريف هذه عادتهم على الدوام ثم عبيد قرابة نحو خمسين وبعدهم سعادة الشريف راكباً جواده وعليه فرجية مزركشة يتبعه خاصته راكبين خيولهم بيد أحدهم مظلة مقصبة وبيد آخر البيرق وثمانية من الضباط البيكباشية ثم خمسة عشر من الأشراف ثم عربة الشريف يتبعها الهجانة الحربية ثم الطبل والمزمار وبهذا ينتهي الموكب .

ثم بعد نصف ساعة مرّ موكب الوالي أيضاً وهو مكوّن من نحو خمسين سوارياً أمامهم طبول الدالاتية ثم عربة سعادة الوالي وكان على يساره سعادة الباشا قومندان العساكر يتبعه ثمانية من السواري أتباعه .

وفي الساعة ٣ مرّ ركب المدينة مكوّناً من عدة من الهجانة ومن ركاب الحمير يغنون بمدح مكة وبيت الله وأمامهم أناس يطلقون البارود تنبيهاً على الموكب ، ثم بعد برهة رجع الشريف من أمام التكية المصرية متوجهاً إلى منزله ثم عاد الوالي أيضاً بعد برهة وذلك بعد توجههم إلى خيمة أمير الحاج المصري أيضاً وتهنئتهم له بالحضور ، وبلغت الحرارة وقت الظهر ٣٧ درجة.

وبعد أن صلى الإمام ظهر هذا اليوم الذي هو سابع ذي الحجة سنة ١٣٠٢ بالحرم المكي صعد المنبر فخطب وكان إنسان آخر بأسفل منه يبلغ وبعد انتهاء الخطبة ألبس خلعة من طرف الشريف وأخرى من الوالي وشالاً من الشيخ الشيبي ومن العجائب أن رخام المطاف صار حاراً جداً من شدة حرارة الشمس بحيث لايمكنني أن أضع قدمي عليه ثانيتين مع أن أغلب الحجاج كانوا يمشون عليه بغير مبالاة رغبة في تأدية الطواف وعند إقامة الصلاة وقفوا عليه حفاة والشمس ساطعة على رؤوسهم وصلوا بها كأنهم واقفون على أبسطة ومظللون بسقف حتى انتهت الصلاة ومن ابتداء

الصلاة إلى قرب انتهائها كان الازدحام على الحجر الأسود لأجل تقبيله لايوصف فمن الناس من كان يدفع من حوله بالعنف بل وبالضرب وإن كان حراماً ومنهم من يصعد على أعناق المزدحمين ليقبله ولايبالون بما ينالهم من الأذى والمشقة وكانت الأغوات تجتهد في منعهم عند إقامة الصلاة فلا يمكنهم لا بالزجر ولا بالضرب وقد كنت إذ ذاك واقفاً بجانب سعادة الوالي لأداء صلاة الظهر واستماع الخطبة في المحل المعد لشيخ المؤذنين فوق بئر زمزم ويدعى بمقام (الشافعية) .

الذهاب إلى عرفة

وفي يوم الخميس ٨ منه س ١ ق ٤٥ وكب المحمل المصري من محل (الجرول) ومرّ بالزاهر ثم بالشيخ محمود ودخل مكة من باب العمرة ومرّ أمام التكية المصرية ثم من وسط المسعى إلى القشاشية وسوق الليل وبيت الإمارة إلى أن خرج من مكة إلى المعلاة مشرقا إلى البياضية ماراً على (جبل النور) إلى منى ونزل في آخرها س ٤ ونصف بجوار الخيمة المعدة لحلول سعادة الشريف عند نزوله من عرفات و(منى) بلدة مستطيلة يقطعها الركب في ثمان عشرة دقيقة بها أكثر من مائتي منزل لا تؤجر إلا في أيام العيد وهي منحصرة بين جبلين يفصلها شارع عرضه تارة عشرة أمتار وتارة عشرون متراً وتارة ثلاثون على جانبيه دكاكين مخازن ، وهناك شارع آخر مبتدىء من وسط هذا الشارع وممتد على اليسار إلى آخر البلد وهذه البلدة لاتسكن إلا في أيام الحج وسميت (منى) لأن إبراهيم عليه السلام تمنى هناك أن يجعل الله مكان ابنه كبشاً يأمره بذبحه فدية له ، وخارج منى مما يلي عرفات على اليمين جامع كان عليه السلام يجلس فيه مكان القبة ،وهناك أنزلت عليه سورة المرسلات وهذا الجامع بني في أيام خلافة عبد الله بن الزبير إحياءً لآثار رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو المسمى بمسجد (الخيف)أعني حضيض الجبل وعلى يسار الداخل في منى ركن مبني تزعم العامة أنه مكان (إبليس الكبير) ويعبر عنه في كتب الشرع (بجمرة العقبة) يرجمونه بعد النزول من عرفات ثم بعده بنحو مائة وخمسين متراً بناء آخر على اليسار تزعم العامة أنه ابليس الثاني وهو (الجمرة الثانية) وبعد مائة وخمسين متراً في وسط الطريق حوض مستدير به بناء مربع كالعمود تزعم العامة أيضاً أنه

إبليس الثالث وهو (الجمرة الثالثة) وبعد نصف ساعة من وصولنا لمنى أتى المحمل الشامي ونزل بالقرب منا أمام مسجد الخيف .

عرفات

وفي س ٥ سار وفي س ٥ ق ٥٥ وصل إلى (المزدلفة) وهي أرض متسعة تحتوي على محل به جداران على جانبي الطريق المسافة بينهما ستون متراً وارتفاعهما أربعة أمتار عرض الواحد منهما ثلاثة أمتار ويسمى هذا المحل (بالمشعر الحرام) ومنه تؤخذ الحصى لرمي الجمرات عند العودة ثم في س ٧ وصل إلى (العلمين) وهما بناآن (بناءان) أصغر من الأولّين المسافة بينهما مائة متر يفصلان بين أرض مكة أي حرمها وعرفات وفي س ٧ ق ٤٥ وصل إلى (عرفات) وهي بقعة سطحها مستوٍ اتساعها واحد كيلومتر مربع محاطة بالجبال تنصب فيها خيام الحجاج في غربيها جامع كبير يسمى بجامع (نمرة) وبشرقيها بالقرب من الجبال جبل صغير من زلط منفرد على حدته يسمى (جبل الرحمة) وعند العامة (جبل عرفات) يقال إن آدم وحواء تعارفا به وقيل لأن جبريل قال لإبراهيم عليهما السلام هناك اعترف بذنبك واعرف مناسكك فلذلك سميت عرفة ولايتم للحجاج الوقف إلا بها وبها تنزل الرحمة على الحجاج وارتفاع الجبل نحو ثلاثين متراً وطوله قريب من ثلثمائة متر ويصعد إليه على مدرج من الصخر كالسلم وفي وسط الصعود مكان مستوٍ طوله عشرة أمتار في خمسة عشر متراً به مصلى به قبلة يقال إن النبي صلى الله عليه وسلم صلى فيه والمحراب منحرف نحو ٢٠ درجة من الغرب للشمال وأعلى هذا الجبل سطح مستوٍ مبلط بالحجر مربع في نحو عشرين متراً وفي وسطه مصطبة طولها سبعة أمتار في سبعة ارتفاعها متر ونصف وفي ركنها الغربي عمود مربع ارتفاعه أربعة أمتار في عرض اثنين يرى من أسفل الجبل كمنار للطريق وبالجانب الغربي من سطح الجبل محراب كالذي بالمصلى وبأسفل الجبل قناة (عين زبيدة) مبنية ومحيطة بثلاث من جهاته ولها فتحات تملأ منها أحواض بجانبها لشرب الحجاج ، وقد اجتمع بعرفات عالم كثير من الحجاج نحو مائة وخمسين ألفاً بل أزيد ناصبين خيامهم ومعهم دوابهم وأمتعتهم وقد تيسر لي أخذ رسم عرفات بالفطوغرافيا وكانت الحرارة

٤٢ درجة بعد الزوال وانخفضت في المساء إلى ٣٢ درجة .

وفي يوم الجمعة ٩ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ كانت الحرارة صباحاً ٣١ درجة وبعد الزوال ٤٢ درجة وبعد صلاة العصر الساعة العاشرة وكب المحملان المصري وعن يسار الشامي وأميراهما أمامهما وحولهما العساكر حتى أتيا إلى أسفل (جبل الرحمة) في مكان مرتفع قليلاً عن سطح الأرض ومعدّ لهما بأسفله مصطبة مرتفعة في ثلث الجبل فوقها الخطيب راكب على جمل وهو قاضي مكة محاط ببلوك من العساكر يحفظونه من ازدحام الحجاج المجاورة له ولمنعهم من القرب منه ومسه على سبيل التبرك ، ويقرأ دعاء الحزب الأكبر ويلبي وبجانبه بيرق أحمر لونه طوبي وبجانبه مبلّغ مصري يشير بالمنديل للقريب والبعيد ممن حوله ومن الواقفين أمام خيامهم وللحاضرين بعرفة ليلبوا أيضاً (والمرأة لاترفع صوتها بالتلبية لما فيه من الفتنة) ويقولون (لبيك اللّهم لبيك لبيك لاشريك لك لبيك إن الحمد والنعمة لك والملك لاشريك لك) وكلما أشار بالمنديل لبى الحاضرون مع البكاء والتضرع والنحيب كيوم العرض بالتقريب وهم في غاية الازدحام عراة الرؤوس حفاة الأقدام ليس عليهم سوى الإحرام خاشعون خاضعون قاصدون باب كريم غفار وعدهم بغفرانه وكرمه على لسان نبيه المختار صلى اللّه عليه وسلم مادام الليل والنهار فياله من يوم تعجز عن وصفه رواة الأخبار .

وما أظرف ما قاله ابن هانىء المشهور بأبي نواس في التلبية :

إلهنا ما أعدلك * مليك كل من ملك لبيك قد لبيت لك * لبيك إنّ الحمد لك

والملك لا شريك لك * ماخاب عبد سألك أنت له حيث سلك * لولاك يارب هلك

لبيك إنّ الحمد لك * والملك لاشريك لك والليل لما أن حلك * والسابحات في الفلك

على مجاري المنسلك * كل نبيّ وملك وكل من أهلّ لك * سبح أو لبى فلك

يا مخطئاً ما أغفلك * عَجِّل وبادر أجلك اختم بخير عملك * لبيك إنّ الحمد لك

والملك لا شريك لك * والحمد والنعمة لك

النزول من عرفة

وبعد الساعة الثانية عشرة عقب غروب الشمس أطلق ساروخ ليعلم الحاضرون أن المناجاة بعرفات قد تمت وربحت كل نفس بقدر ما اهتمت ثم صفت فرسان وتبعة المحملين على الطرفين ولويت أعنة الجمال للنزول إلى منى وفي وسطهم المحملان متجاوران المصري يميناً والشامي يساراً وأمام كل منهما أميره وأمينه وسارا على هذا الشكل في موكب يسر الناظرين لم يشاهد مثله فيما سبق من السنين تميل المحامل تبختراً كالعرائس المجلوّة والصلاة من هذا الجم الغفير على خير البرية متلوّة والمدافع والسواريخ تضرب في كل مسافة قريبة والطبول والمزامير والموسيقى تطرب بكل نغمة غريبة وجميع الحجاج من ركاب الخيول والإبل والتختروانات والشقادف وغيرها والمشاة عن يمين وشمال وخلف المحملين سائرون مع الراحة فرحون مستبشرون بدون أن يحصل أدنى خطر لأحد منهم على خلاف ما كان يحصل في السنين الماضية من الهرج وازدحامهم لسير المحملين متفرقين وكل منهما يريد أن يسبق الآخر بدون فائدة فللّه الحمد والمنة لم يحصل ذلك في هذا العام ولم يتضرر أحد من الازدحام وقد وصل الركب من جبل (الرحمة) إلى أوّل (العلمين) في خمس وعشرين دقيقة ومنها إلى الثاني كذلك .

المزدلفة

وسار الركب على هذه الصفة إلى أن وصل (المزدلفة) س ٢ ق ٢٥ ليلاً وبعد إطلاق مدافع الوصول نزل كل من المحملين في محله المختص به كالأصول والمشعر يسمى مزدلفة كما ذكرنا لأن جبريل عليه السلام قال لإبراهيم عليه السلام بعرفات ياإبراهيم ازدلف إلى المشعر أي اقترب وبتنا جميعاً في غير خيام عطاشا من إهمال الفراشين والسقائين الموظفين للصرة ومن كثرة ازدحام الحجاج ماأمكننا الحصول عليهم، وفي هذه الليلة بالمزدلفة كل شخص يلتقط من الأرض تسعاً وأربعين حصاة من الزلط بقدر الحمصة أو الفولة لرمي الجمرات ويغسلها سبعاً ويحفظها عنده وقد ذكر أن سيدنا إبراهيم الخليل لما مرّ من هذا الوادي مع ولده إسماعيل ليذبحه تمثّل له

الشيطان ليمنعه عن قصده ويغويه لمخالفة أمر ربه فأخذ إبراهيم عليه السلام الحصى من الأرض ورجمه به وأخزاه ، وقد شوهد عند نزول الحجاج من عرفة صعود حجاج الأعجام ليقفوا بعرفة يوم العيد .

رمي الجمرات

وفي يوم السبت ١٠ ذي الحجة سنة ١٢٩٧ وهو يوم العيد الأكبر وكب المحملان بعد مضي ربع ساعة من النهار وأتيا إلى قريب من (المشعر الحرام) بجوار سلّم في ركن من جدار قد صعد عليه الخطيب وصار يدعو الله ويلبي والحاضرون يلبون جميعاً وعند الشروق بعد مضي خمس وثلاثين دقيقة من الساعة الأولى من النهار ختم الدعاء واتجهت الأحمال إلى منى ، وأما في سنة ١٣٠٢ وكب المحملان مع طلوع الفجر وأتم الخطبة الساعة ١١ و ق ٢٥ وسار المحملان واكبين في سيرهما كالأمس إلى أن وصلا إلى (منى) بعد ساعة من السير ونزل الركبان كل من محله المعتاد ثم توجه كل أحد من الحجاج إلى العقبة الأولى المشهورة بإبليس الأكبر بآخر منى ورمى (الجمرة الأولى) سبع حصيات من حصى المزدلفة واحدة بعد واحدة مع التكبير ثم عاد إلى مخيمه وحلق (والحرمة لاتحلق ولكن تقصر) وفك إحرامه ولبس ثيابه وتحلى بزخارف الدنيا وضحى أو توجه إلى مكة وطاف بالبيت طواف (الإفاضة) ثم عاد إلى منى فضحّى وفدى وبلغ ثمن الشاة الواحدة من الغنم من ريال ونصف إلى ثلاث ونصف وقد حصل تأخر من السقائين من إحضار المياه للمتوظفين حتى انتصف النهار وذلك لبُعد المياه من جهة ولإهمالهم من جهة أخرى حتى اشترى أغلب الناس مياها وسبب إهمالهم عدم صرف الترحيلة لهم من الروزنامة كما ذكرناه سابقاً .

وفي يوم الأحد ١١ منه الساعة ١٢ ونصف كانت الحرارة ٢٣ درجة توجهت الأمراء والأمناء إلى خيمة الشريف لابسين كساوي التشريفة لتهنئته بالعيد واستماع تلاوة الفرمان المحضر إليه من الآستانة ، وقد تُلي بحضور دولة الوالي وقومندان العساكر وعدّة من الضباط والأمراء والشرفاء والعلماء وكلهم بملابس التشريفة والنياشين وبعد قراءة الفرمان والدعاء لمولانا السلطان وضع على ظهر حضرة الشريف

بنش مزركش منظم باللؤلؤ مشابكه من ألماس من طرف السلطنة وسعادته أمر بخلع أكراك ثمينة القيمة على سعادة الوالي وأمير وأمين الحج الشامي وعلى بعض الموظفين ثم بارك له الحاضرون وشربوا الشربات وانصرفوا شاكرين وتوجه كل من الذوات إلى الآخر في خيمته يهنئه بالعيد على حسب مراتبهم فأولاً أنجال الشريف ثم الوالي ثم أرباب الوظائف ثم أمير الحج الشامي ثم أمينه وفي وقت الزوال والساعة خمسة أطلقت المدافع من كل جهة وقلّ الهواء وكانت الحرارة ٣٧ درجة ، وبعد الظهر صلى كل حاج ركعتين في مسجد الخيف ثم توجه إلى الجمرة الثالثة أي إبليس الأصغر على اعتقاد العامة ورمى سبع حصيات ثم إلى الثانية ورمى سبعاً أيضاً ثم إلى الأولى ورمى سبعة أخرى وعاد إلى محله فكان الرمي من الظهر إلى المغرب وفي الساعة السابعة بلغت الحرارة ٤٠ درجة مع وجود الهواء ثم توجهت إلى مكة لأداء الطواف ولم أعد منها إلا عند الغروب لرطوبة الهواء بها نوعاً وكانت خالية من السكان وكثر فيها الذباب وذلك لتحوّل البياعين وغيرهم منها إلى منى وفي الساعة ١١ حضر والي مكة إلى أمير الحاج المصري مهنئاً له بالعيد وبعد العشاء ضربت المدافع والسواريخ من جهة الإمارة والولاية والمصري والشامي وبرد الهواء طول الليل مع أن الحرّ كان في النهار شديداً وكانت الإقامة يوم العيد وثانيه صعبة لكثرة العفونات والوخامات وصارت لحوم الأضاحي ملقاة على الطرق مع اجتهاد مأموري الصحة في منع ذلك وطبعها للمنشورات وإعدادها عربات لحمل القاذورات أولاً فأولا لكن لم يتيسر ذلك وإن كان قد عمل خارج منى ببقعة مسجد الخيف مجار لذبح الفداء بجانبها حفائر لإلقاء الدم والذبائح فيها إلا أنه لم يحصل من ذلك إلا القليل جداً حتى عند غروب يوم العيد انتشرت رائحة جيف الذبائح من كل ناحية لأن أغلب الناس ذبحوا بالقرب من خيامهم وألقوا ذبائحهم حول خيامهم وتحت أرجل المارّين ، وفي صبح ثاني العيد ازدادت العفونات من تراكم الرمم ووجودها ملقاة حول الخيام وتحت كل قدم حتى حول خيمة الشريف ولولا نزول الحجاج إلى مكة في ثالث يوم العيد لحصل ضرر كبير ومع هذا حصل من ذلك فتور في الأجسام لما شاهدت ذلك في نفسي ولم أدر أهو من تأثير العفونات أو لعدم الاعتياد على الإحرام ولولا أن الزمن كان معتدلاً لزاد ضعف أغلب الحجاج ولو نزل السيل بمنى أيام

العيد لحصل بمكة وباء شديد من العفونات التي تتحلل من الضحايا.

حكام في مصر

وقد أخذ الحاكم بجدة عن كل وارد لها بحرا من الحجاج نصف ريال في مقابلة المصروفات السانيتا وحفر وردم الحفائر بمنى وإزالة العفونات وعلى هذا إذا كان الوارد لها مائة ألف شخص كان مبلغ المتحصل خمسين ألف ريال فضلاً عما خصص على المواشي كما قيل .

وقد حضر بمكة في هذا العام حكيمان برتبة ميرالاي أحدهما حضرة عبد الرحمن بك الهراوي أحد خوجات مدرسة الطب بمصر والآخر يدعى أحمد بك الشافعي حكيم جدة وهما تابعان للحكومة المصرية ليكونا مع الحجاج بمنى ويخبرا بما يشاهدان من وباء أو غيره ، وبلغ ما صرف عليهما من الصرة نقداً عشرة آلاف وتسعمائة وأربعة وعشرون غرشاً ، وهذا فضلاً عما حضر معهما من الصناديق المملوءة بالأدوية التي صرفت بمعرفتهما وقد تيسر لي رسم مسجد الخيف وبقعة منى في هذا اليوم بالفطوغرافيا .

العودة من منى إلى مكة

وفي يوم ١٢ منه س ٥ وربع كانت الحرارة ٣٧ درجة وأطلق مدفع التحميل وفي س ٦ من بعد آذان الظهر سار المحمل المصري واكباً ودخل في شارع (منى) وعند وصوله إلى الجمرة الثالثة رمى كل من الركب سبع حصيات وعند الجمرة التالية وهي الوسطى كذلك ، ولما وصلوا إلى الأولى رموا السبع الباقية وهي آخر الحصى ثم تقهقروا إلى منى نحو عشر خطوات ثم اتجهوا سائرين إلى مكة .

جبل النور

وفي س ٧ ونصف وصل الركب إلى (جبل النور) وهو جبل على يمين السائر إلى مكة عليه بناء مربع كالعمود علامة له والجبال من الجانبين شاهقة من الصخر الأزرق وفي س ٨ وصل إلى مبدء مكة وفي س ٨ وثلث نزل بباب الحرم المسمى (بباب

النبي) وانطوت كسوة المحمل المزركشة ووضعت في الصناديق ووضعت عليه كسوته الخضراء وأدخل في الحرم ووضع على مصطبة بجانب الباب على يمين الداخل وتوجهت مع الأمير إلى التكية المصرية فما وجدنا فيها أحداً من مستخدميها وفي س ١١ ونصف بلغت الحرارة ٣٩ درجة ولم يأتوا إليها إلا قريباً من العشاء ، والتكية خالية من النور والنظافة لإهمال الخدمة في خدماتهم إهمالاً كلياً وقد بلغني أن رجلين وامرأة حاملا ماتوا بعد مغرب هذا اليوم في المطاف تحت أرجل الناس من شدة الازدحام وخرجت أمعاؤهم وانتشرت دماؤهم .

العُمرة

وفي ١٤ منه كانت الحرارة صباحاً ٣١ درجة وبعد الظهر بلغت ٣٦ وذلك جميعه داخل مكان بالتكية وبداخل الخيمة أثناء السفر وصرفت مرتبات التكية وأعطي لكل مقوّم عن كل جمل أربع ريالات من مكة إلى عرفات ذهاباً وإياباً وكان الحجاج يتوجهون للإحرام بالعمرة من مكان يسمى (التنعيم) في الجهة الغربية الشمالية بمسافة ساعة ونصف من مكة .

وفي يوم الخميس ١٥ منه توجهت إلى العمرة لتأخري عنها بسبب الفتور الذي عرض لجسمي عقب نزولي من منى إلى مكة فأحرمت بعد الاغتسال وأتيت الكعبة وطفت طواف العمرة سبعة أشواط ثم سعيت بين الصفا والمروة سبعة أشواط ثم حلقت وتحللت من الإحرام وبذا تم لي الحج والعمرة والمنة للّه تعالى وحده وقد جرى بالتكية المصرية صرف مرتبات العربان والمشايخ والشرفاء وسائر المرتبات والأمانات المرسلة لبعض الأهالي والمجاورين المقيمين بمكة من الصرة المصرية واستمر الصرف مدة أربعة أيام .

خيل الشريف

وفي ليلة ١٦ منه توجهت إلى سعادة الشريف فوجدته جالساً على كرسي بين اثنين من أعيان مكة في محل من الدور الثاني غير مسقف طوله ١٨ متر وعرضه

ستة أمتار وفيه شبابيك مطلة على حوش متسع في وسطه خيول قائمة ليلاً ونهاراً بدون تظليل ولا مداود وفي دائرة أيضاً خيول تحت عروش البواكي غير معتنى بجميعها من حيث الخدمة كما ينبغي وفي نصف الساعة الرابعة حضرت آلات الطرب أي الموسيقى بأيدي عشرة أشخاص قد أحضرهم من مصر فوقفوا أمام سعادة الشريف حذاء الحائط بحيث كانت المسافة بينه وبينهم أربعة أمتار ، ثم أتى الفرايحية وهم من مصر أيضاً عددهم خمسة من الزمارة والطبالة وصار كل من هؤلاء المطربين يلحنون ويزمرون بالنوبة وصار الجليس لايمكنه سماع كلام جليسه من ارتفاع أصوات هذه الآلات المطربات المزعجات وتضايق المكان بمن حضر فسبحان المعطي الوهاب ، وفي نصف الساعة الخامسة أمروا جميعاً بالانصراف وراق المجلس للكلام وعاينت في ليلة أخرى بعد العشاء الموسيقاتية والفرايحية والنقرزانية يضربون سوية أمام منزل سعادته ، وفي الليل التالي كانت الحرارة ٢٩ درجة ونصفاً وحصل قبيل العصر رعد ومطر يسير وكان سعادة الشريف قد دعاني إلى الغداء معه فأجبت ولم يكن معنا ثالث وعاينت منه غاية الملاطفة والبشاشة والاعتناء وطيب النفس وسمح لي برسم صورته بالفطوغرافية بملابس التشريف .

وحيث إني أدّيت فريضة الحج بحمد الله فلنذكر قبل التوجه إلى المدينة المنورة والطائف وطريقه ووصفه كما شاهدت ذلك في عام آخر ورسمته .

وهو أنه في شهر شعبان عام ١٣٠٤ حضرت إلى مكة بخصوص مأمورية غلال الصدقة فوجدت سعادة الشريف عون الرفيق باشا وسعادة الوالي صفوت باشا عازمين على التوجه إلى الطائف في آخر الشهر لشدّة الحر بمكة ودعوني أن أكون برفقتهم .

طريق الطايف

وفي يوم الثلاثاء غرة رمضان الموافق ٢٤ مايو سنة ١٨٨٣ قبل الغروب بنصف ساعة خرجنا من مكة قاصدين الطائف والحرارة ٣٩ درجة سنتجراد وبلدة الطائف موجودة بالجهة الشرقية القبلية من مكة ولها طريقان مسافة أقصرهما ١٨ ساعة

فاتبعنا الطويلة لسهولتها عن الأخرى فسرنا مبحّراً ومشرّقاً إلى جبل النور بقدر ٢٠ دقيقة ونزلنا بجوار ساقية وبعد الغروب سرنا وعطفنا يساراً من بعد جبل النور تاركين منى يميناً متبعين طريق (السيل) أو (اليمانيه) مبحراً مشرقاً حتى وصلنا إلى بئر (البارود) وبعد الاستراحة برهة سرنا تابعين نصف دائرة مشرقاً وبعد ساعتين من البئر مدخل جبال (السوله) وبعد نصف ساعة من هذا استرحنا ببقعة بين جبال وفي س ١٠ و ق ٤٥ من ليلة الأربعاء اتجهنا سائرين للشرق في صعود خفيف الانحدار ووصلنا بأعلى الجبل س ١١ ونصف وكان الشريف يركب عربته تارة وتخته تارة أو الحصان فأمر برجوع العربة إلى مكة لعدم إمكان ركوبها بعد هذا المحل لكثرة الحجارة والصخور وعسر الطريق وسرنا في هبوط صعب لكثرة الأحجار إلى محل متسع بين جبال ، وفي س ١٢ و ق ٢٠ من الأربعاء وصلنا إلى بقعة متسعة بها مزارع وجنائن محاطة بأسوار بها نخيل وليمون متنوّع وبعض فواكه ليست بناضجة وسلسول ماء جار يسمى عندهم نهراً وهذا المكان يسمى (وادي اليمانية) فدخل الركب بإحدى الجنائن ونصبت الخيام تحت ظلال الأشجار واسترحنا طول النهار وتغدينا ونسينا مشقة السفر بتغريد الطيور فمن قمرى وشحرور ويمام وزرزور وبلغت الحرارة ٣٧ درجة وبعد الغروب سرنا نحو ساعتين ونصف ، ومررنا (بالسوله) وفي س ١٢ من الليل نزلنا بمحل متسع به مياه جارية ومكثنا تحت الخيام ، وفي يوم الخميس ٣ رمضان الساعة ١٠ قمنا وسرنا بين صخور مرتفعة وعقبات صعبة إلى الساعة ٣ ونصف من ليلة الجمعة وبتنا بمحل يقال له (نُبيه) بضم النون أو (كوجك دره) وهناك بئر تسمى بئر عابد وكانت الحرارة ٣١ درجة وفي س ١٠ قمنا وبعد مضي نصف ساعة من يوم الجمعة صعدنا من عقبة محجرة إلى سطح متسع به أشجار واتجهنا القبلى تقريباً ، وفي الساعة الثانية مررنا (بالجديرة) وفي الساعة الرابعة (بأم حمض) وفي الساعة السادسة مررنا بمحل يسمى (الجيم) .

الطايف

وفي س ٧ و ق ٤٠ وصلنا (الطائف) في صحراء متسعة محاطة بجبال صغيرة غير منتظمة أرضها صالحة للزراعة متركبة من رمل ناعم جداً مع طين ، ويقال أيضاً

للطائف (وادي العباس) وكانت مسافة الطريق على الجمال من مكة إلى الطائف ٣٦ ساعة وبلدة الطائف محاطة بسور من لبن داخله ٤٠٠ منزل و ٢٠٠ دكان وسلخانتان وحمام وستة جوامع أشهرها جامع سيدي (عبد الله بن عباس) حبر الأمة وابن عم الرسول عليه السلام ومفسر القرآن رحمه الله وبجواره مقام (الطيب) و (الطاهر) ولدا رسول الله صلى الله عليه وسلم وبه أيضاً سبعة مساجد ودائرة للحكومة ومنزل للمدير وقشلة للعساكر وقلعة لحبس أهل الجرائم وقد حبس بها مدحت باشا الشهير ورفقاؤه وتوفوا بها وعدد أهاليها من ذكور وإناث نحو ٢٠٠٠ نفس ، وبيوتها في أكثر الأشهر خالية من السكان إلا القليل ، ولا تعمر إلا في الصيف عند طلوع سكان مكة بها هرباً من الحر وكان به في زمن الجاهلية صنمان وهما (اللات) و (العزى) كانوا يعبدونهما قبل الإسلام وصار إتلافهما ومحو أثرهما وبجوار الطائف جنائن مثمرة وعيون جارية وقرى مسكونة وكان الطائف أوّلا مسكن العمالقة ثم آل ثمود وأخيراً بني ثقيف وبالبعد عن السور خارجاً موجود نحو ٢٥ منزلاً بعيدة عن بعضها مختصرة جداً كالكشك مركبة من ثلاث محلات أرضية نافذة على بعضها وفوقها دور مثلها محاطة بأشجار داخل أسوار تابعة لأغنياء مكة خصوصاً أمير مكة والشيخ عمر الشيبي لهما منازل مشهورة والهواء مستمر بالطائف تارة في الصباح والأغلب قرب العصر وهو جاف جداً والحرارة نهاراً ٢٩ درجة وعند الغروب ٣٠ وليلاً ٢٤ وعند كثرة الهواء لاينقص ميزان الحرارة إلا قليلاً ويصعب السير خارجاً عن المنزل من قبل الظهر إلى العصر لتسلط حرارة الشمس ولو بمظلة لأنه يهب على المار حرارة جافة كحرارة النار مع زهوق وهذا مضر بالأغراب لعدم تعوّدهم كأهل مكة لأن مرور الهواء المحرق يمنع الإحساس بذلك فالجسم ينسلي على نار هينة بدون تألم مع فتور دائم في الجسم وكسل وزهوق في النفس ، فلذلك أغلبهم نحفاء الجسم والبنية ولولا شدّة حر مكة لما طاف طائف حتى أهل السوق يشكون من الحر وقت الظهر لعدم اتساع الشوارع والمنازل مانعة لمرور الهواء ويحلو الجلوس بعد العصر في الجنائن تحت الأشجار وأما أهل الحجاز فجسمهم معتاد على هواء السموم فيجدون هواء الطائف رحمة لهم بالنسبة لحر مكة وجنائنها قليلة وأشهرها (الهَداء) بالهاء المفتوحة غربي البلد بثلاث ساعات ولانتظام درجة الجوّ على الدوام تنضج فواكهها

على الهينة حتى تبلغ منتهاها مع اللذة بخلاف غيرها من سائر بقاع الحجاز فلذا شبهوا هواء الطائف ببلاد الروم فأما الفاكهة فنعم وأما الهواء فلا ومن فواكهها اللذيذة عنب الجاووش وأنواع الأعناب والخوخ والرمان خصوصاً الملليسي والتين العلبي والبرشومي والتوت الشامي والبرقوق والبلح والليمون وأنواع الخضراوات وقد دعاني مراراً حضرة الشيخ عمر الشيبي للإفطار بمنزله ورأيت منه ما سرني من حسن خلقه وطيب ملاقاته مع البشاشة والإكرام ومنزله خارج عن السور محاط بجنينة بها أشجار وأزهار وأعناب متنوّعة وعين جارية تأتي من جبل في قناة صناعية إلى حوض كبير والجلوس هناك قرب الغروب يشرح القلوب وقد توفى سنة ١٣٠٦ رحمه اللّه رحمة واسعة ،والسواقي هناك عمقها من ستة أبواع إلى تسعة بحسب الأرض وبالمياه مواد باريتية تمنع رغو الصابون كالواجب سريعة البرودة عند مرور الهواء وقيل إنها في الشتاء تجمد ولو لم تنزل ثلج وقد وجدت درجة الحرارة بالطائف معادلة لدرجة الحرارة بجدّة لكن هواء الطائف جاف وهواء جدة رطب جداً وهي مرتفعة عن البحر بنحو (١٥٤٥) متراً وعن مكة بنحو (١٢٦٦) متراً وولد بها الحجاج الثقفي وجميع عربان الطائف مطيعون لسعادة الشريف أمير مكة وللحكومة وأغلبهم مقيم بأرض (سفيان) و (ثقيف) .

ولبعضهم عوائد وحشية يعتقدونها دينية منها أنهم لا يختنون صبيانهم إلا بعد البلوغ أعني بعد سن خمس عشرة سنة وكيفية الختان عندهم أن يسلخوا جلد المختون من أسفل سرته بعرض بطنه إلى ثلثي فخديه مع جميع جلد ذكره وأغلبهم يموت من ذلك ويكون المختون قد خطب له زوجة من قبل فتحضر وقت سلخه وتزغرت تشجيعاً له مع ضرب الطبول وهو واقف ثابت يهز خنجراً بيده ويذكر بأعلى صوته بدون تضجر بل بفرح اسمه وألقابه ونسبه حتى تنتهي العملية وإن تأوّه كان ذلك عليه عاراً ولا ترضى به مخطوبته وقد ابتدأوا في محو هذه العادة السيئة الذميمة ، وأما إناثهم فلا ختان لهن ، وكيفية عقد النكاح عند هؤلاء أن أحد أقارب الزوجة يقول لها زوّجتك فلاناً فقط بدون أن يحضر فقيه أو يذكر مهر[1] ، ونساؤهم لايستترن عن الرجال ، وقد بلغني عن سعادة أحمد فيضي باشا قومندان عموم الحجاز وكان قد

---

(١) ان الكلام عن عادات أهل الطائف في الزواج لا يسري على الجميع.

سبق له الخدمة في اليمن أنه موجود بالعسير قبائل يتركون بناتهم يختلطن بالرجال[1] حتى يحبلن فيزوّجونها لمن حبلت منه وإن لم تحبل تصير معرّة بينهم و(بمسكت) يزوّجون الذكور بالذكور ويحجزونهم كالنساء في بيوتهم ويخضبون أيديهم ويكحلون عيونهم ويحففون وجوههم وأذقانهم .

العودة إلى مكة من طريق الكرا

ومن بعد إقامتي بالطائف مدّة أيام أردت العود إلى مكة فوصيت على البغال اللازمة للسفر في صباح يوم الخميس ١٧ منه لأني نويت التوجه من طريق (الكرا) الذي لايصلح له إلا البغال ونبه الوالي على ثلاثة من العساكر ليكونوا برفقتي إلى مكة وبعد الظهر ودّعت سعادة الشريف والوالي وفي العصر حضرت البغال ووضعوا عليها الأحمال وفي الساعة العاشرة قمت من الطائف واتبعنا طريق (الكرا) ما بين الشمال والغرب ، وبعد ربع ساعة دخلنا بين جبال ومررنا بجملة محاجر ثم بأرض مرملة بين الجبال ، وفي س ١٠ و ق ٥٥ صعدنا من محجر بين جبال حجرية صماء ثم هبطنا إلى طريق مستوٍ يسمى (بالحميرات) أو الجبال الحمر ،وفي س ١٢ و ق ٥ صعدنا من محجر ثم هبطنا ثم صعدنا فوق تلال متعددة وبعد عشر دقائق اتجه الطريق للغرب وبعد سبع دقائق هبطنا وبآخره اتساع نزلنا به بجوار بئر يسمى (بئر العسكر) عذب المياه حتى صلينا المغرب وفي س ١٢ ونصف سرنا وبعد خمس دقائق مررنا بمحجر صعب وخيران وبعد عشر دقائق مررنا بجنائن وبيوت بوادي (محرم) ، وفي س ٢ و ق ١٠ نفذنا من عقبة صعبة الصعود لكثرة أحجارها وارتفاعها بحيث لايمكن أن يمر منها إلا فرد فرد ومرور التختروان من هذا الطريق غير ممكن وبعد صخور وصعود وكثرة انعطاف إلى س ٣ و ق ١٠ وصلنا (الهدا) بني صخر وهو أعلى الجبل وهناك بيوت وجنائن والفواكه تحلو وتحسن في هذه الجهة أكثر من غيرها لاعتدال هوائها وارتفاعها عن سطح البحر بنحو (١٧٥٨) متراً وبتنا في محل متسع مفروش بالأبسطة ، وفي س ٩ ونصف ليلاً ركبنا وسرنا وبعد خمس دقائق مررنا

(١) قد يوجد الاختلاط، اما أن تترك البنت حتى تحبل ثم تزوج ممن حبلت منه فهذا غير دقيق، مع استبعاد ان يحصل هذا جملة وتفصيلا.

بدرب الجمال على اليمين وتركناه لكونه مختصاً بسير الجمال وبعد ثلاث دقائق ابتدأ النزول من الجبل من درب ضيق صناعي غير منتظم كثير الانعطاف وفي س ٩ و ق ٤٥ مررنا بعين ماء جارية من الجبل تصب في حوض مبني وتندفق منه إلى الصخور ويقال إن هذا الماء كثير الهضم جداً وكان نزول هذه البغال من هذه البقعة المعتادة حاملة العفش بأصحابها من الغرائب لصعوبة انحدارها ولولا مهارة البغال وصناعتهم العجيبة في التحميل وربط العفش بحيث إن الراكب يستريح عليه للغاية ولايخاف من تزحزح الأربطة عند صعود البغل وهبوطه لحصل خطر عظيم للمسافر ، وأما الخيل والحمير فإنها لا تركب لشدة الصعود والانحدار وكثرة الأحجار وانعطافات كسير الثعبان والتلغراف الموصل من مكة إلى الطائف مار من هذا الطريق ، وفي س ١١ مررنا على ماء جار عذب المذاق ويتهيأ للراكب أن البهيم نازل من سلّم مرتفع لكثرة صعوبة الانحدار ولولا قبض الراكب على رباط البرذعة الموجودة من خلف لانكبّ على الأرض مراراً عند نزول كل انحدار وفي س ١١ و ق ٢٥ اجتمع الدربان وفي س ١٢ و ق ٤٨ وصلنا (الكُر) بضم الكاف أعني آخر صعوبة الجبل وهناك ماء عذب جار وعرب راعية نساؤهم لابسات قمصا سودا من صوف أو قماش ويغطين رؤوسهن بقماش أسود مثنيّ على الخلف كشبه مظلة على الأعين يسمى (بيرام) ويسترن الفم مع العنق فقط دون الوجه وبعد أن مكثنا برهة لتصليح الأحمال قمنا وكانت س ١ وربع من يوم الجمعة وسرنا نازلين من انحدار خفيف نوعاً وفي س ١ و ق ٤٨ وصلنا إلى آخر الجبل المسمى (بوادي خريف الراس) وفي س ٢ و ق ٢٥ نزلنا ببقعة مرملة محاطة بالجبال فملنا على يسار الجبل أعني للجنوب الغربي وفي س ٣ و ق ١٠ وصلنا قهوة (شداد) وهذه القهوة إحدى ثلاث قهاوي موجودة بهذا الوادي ساقتنا إليها البغال لمنفعتها من صاحبها وهي مركبة من أربعة أخصاص متفرّقة قطر الواحد منها ثلاثة أمتار ونصف في ارتفاع متر ونصف بإحداها عائلة القهوجي والآخر للمسافرين والبهائم ولما لم يمكننا القعود بها من شدّة الشرد وتعرض أبوابها لأهوية السموم عرض علينا القهوجي خص عائلته بعد أن أخلاه منهم فوجدنا به بعض أثاث المنزل ودجاجاً بعضه قائم يلقط الحصى والبعض نائم على البيض ففرشنا السجاجيد في جهة على قدر الامكان لقلة اتساع المكان ومكثنا ننتظر زوال القيلولة

مع سمومها بين أثاث وكأكأة الفراخ وشم رائحتها التي تزهق الأرواح فضلاً عن كثرة الشرد والتعب وفي س ٩ سرنا لجهة الجنوب الغربي وفي س ١٠ وربع وصلنا وادي (النعمان) وعلى اليمين مبدأ بناء مجرى عين (زبيدة) ثم بعد برهة اتجهنا غرباً بطريق متسع بين جبال وهذا الطريق صالح لسير العربات من مكة إلى ابتداء وادي خريف الراس وفي س ١١ و ق ٨ وصلنا قهوة (عرفات) مرجود بجوارها عساكر ضبطية للخفر وبعد الاستراحة قمنا في س ١ من ليلة السبت، وبعد ق ٥٠ وصلنا إلى جامع (نمره) بعرفات وفي س ٢ و ق ١٠ مررنا بين العلمين وفي س ٤ ليلاً دخلنا مكة المباركة .

فتكون المسافة من الطائف إلى مكة خمس عشرة ساعة وربعاً بالبغال والبعض يقطعها في ١٣ ساعة وهو أقرب طريق ، وهاهو بيان ارتفاع المحلات المشهورة عن سطح البحر المالح بالقدم الإنكليزي وكل عشرة أقدام تساوي ثلاثة أمتار .

	قدم	متر		قدم	متر
مكة مرتفعة عن بحر جدّة بمقدار	٩٣٠	٢٧٩	الكر مرتفع عن بحر جدّة	٢٧٤٠	٨٢٢
عرفة مرتفعة عن بحر جدّة بمقدار	١٠٥٠	٣١٥	الهدا مرتفعة عن بحر جدّة بمقدار	٥٨٦٠	١٥٧٨
عين زبيدة مرتفعة عن بحر جدّة بمقدار	١١١٤	٣٣٤	الطائف مرتفعة عن بحر جدّة بمقدار	٥١٥٠	١٥٤٥
الوادي أول الجبل مرتفعة عن بحر جدّة بمقدار	١٧٦٠	٥٢٨			

ولنذكر ما شاهدته بمكة عند عودتي سنة ١٣٠٣ وهو أنه قد صادف قدومي بمكة ليلة الأربعين من وفاة والدة سعادة عثمان باشا نوري والي الحجاز في ذاك الوقت وكان بمنزله بعد العشاء ازدحام من الذوات والأمراء والفقهاء وناول كلاً ممن حضر جزاً من القرآن الشريف والشموع موقدة أمامهم وبعد التلاوة ختموا القراءة وشربوا الشربات ووضع أمام كل واحد طبق مملوء بالحلواء الجافة فأخذ كل شخص ما بطبقه في منديله وتوجه به إلى منزله بعد أخذ خاطر صاحب المنزل كما هي العادة عندهم .

وفي يوم آخر وجدت ازدحاماً بعد الغروب حول تابوت فيه شاب قتيل محمول

إلى سعادة شريف مكة لكونه حاكم البلد وكان هذا القتيل خياطاً وقد حصل بينه وبين قهوجي بأسفل بيته مشاجرة بسبب شرب الحشيش وتشكى إلى الأمير من ذلك وبعد أيام قليلة وجدوه مخنوقاً مكتف اليدين بجانب حماره بحاصل في بيته والبحث عن ضرب القهوجي وجد أنه مشترك مع ثلاثة أشخاص في القتل فحبسوا ودفن القتيل .

مجلس الشريف

ولنرجع الآن ونذكر التوجه من مكة المكرمة إلى المدينة المنوّرة وهو أنه في يوم الأربعاء ٢١ من ذي الحجة سنة ١٢٩٧ دعا حضرة الشريف أمراء وأمناء المحملين ووالي مكة والمدينة وبعضاً من الموظفين من أعيان مكة إلى مجلس عقده بقصره ليتشاوروا في الطريق المستحسنة لوصول المحملين إلى المدينة من الطرق الثلاثة الموصلة إليها التي إحداها تسمى بالدرب (الشرقي) وهي بعيدة والثانية تسمى (بالفرعي) ومسافتها اثنا عشر يوماً والثالثة تسمى بالدرب (السلطاني) وهي طريق الجديدة وكان اتيان المحمل الشامي منها في هذا العام وأما المحمل المصري فلم يمر منها منذ سبع عشرة سنة فحصل إتفاق المجلس بحضرة الشريف على مرورهما من السلطاني وإن لم يستحسن أمير الحاج الشامي مرورهما من هناك لعدم ائتمان من هناك من العربان فأمنه حضرة الشريف واستصوب الطريق السلطاني للمحملين إلا أنه حصل توقف من خليل بن حذيفة بن سعد وعمه عمر المندوبين نيابة عن حذيفة شيخ مشايخ الدرب السلطاني ليضمنا مرور الحاج من هناك مع الأمن والراحة وادعيا في آخر هذا المجلس أن لهم على الحاج المصري مبلغاً جسيماً خلاف ما صرف إليهم في كل عام من الأعوام الماضية وإن لم يمر المحمل المصري عليهم وطلبا تجديد مرتبات لهما زيادة على الأصل وأطالوا القول والتصلب في ذلك حتى تعجب الحاضرون من أفعالهم وجراءتهم فبعد خروجهما من المجلس استقر الرأي على المرور من الدرب (الفرعي) وأخذت من مشايخه الضمانات القوية والرهائن وبعد الغداء وشرب القهوة والشربات عاد كل شخص إلى محله بالفرح والسرور .

وأما الطريق (السلطاني) فتستمر مع طريق الوجه الذي ذكرناه إلى (القاع) ويفترق إلى (بدر وحنين) وأول محطة به من مكة (وادي فاطمة) ثم (عسفان) ثم (خليص) ثم (بئر قديمة) ثم (رابغ) ثم (مستوره) ثم (بدر) ثم (الصفراء) ثم (بئر عباس) ثم (بئر شريوفي) ثم (المدينة المنوّرة) على ساكنها أفضل الصلاة والسلام .

وأما الفرعي فيستمر مع السلطاني من مكة إلى (رابغ) ثم يفترق لجهة أخرى إلى المدينة ومحطاته بعد رابغ (وادي حرشان) ثم (بئر رضوان) أو الشيوخ ثم (أبو دبع) أو أبي ضباع ثم(الريان) ثم (الغدير) ثم (بئر ماشا) ثم (المدينة المنورة) وسنعود إلى ذكر السير بالطريق الشرقي مفصلاً بعد إيضاح الفرعي .

العربان المقوّمون

وبعد قرار المجلس توجه أغلب الحجاج إلى ديارهم مع القوافل ومنهم من انتظر المحملين ليتوجه معهما خوفاً من عربان الطريق ومن العربان المقوّمين أعني الجمّالة ومن أشنع ما بلغني عنهم أن كل مقوّم يضمن لمن يكتري منه وصوله إلى مقصده مع الأمن والراحة ثم متى تجاوز العمار وصار في القفار تمرد على ركابه وتنمر وتحكم عليهم تأمرّ خصوصاً إذا كثر بالركب الإناث ولم يكن مع الرجال سلاح فينجبرون على الانقياد لأمره إلى أن يصلوا إلى مقصدهم وأغلب هؤلاء المقوّمين يبحثون عن القويّ من ركابهم والضعيف ويتفحصون عما بأمتعتهم من الثقيل والخفيف ومتى وصلوا ليلاً إلى محل مخوف يجعلون أنفسهم حراساً طول الليل على ركابهم وأمتعتهم ومتى علموا أن أعينهم قد حل بها المنام وهدأت منهم الأجسام وثب كل مقوّم على ركاب صاحبه وافترسهم بافاعيه وعقاربه وصال عليهم صولة الذئب على الخروف السمين فهذا دأب هؤلاء المقوّمين فإذا أصبح كل وشكا فَقْد أمتعته لم يجد من يعذره فضلاً عن كون المقوّم يحنق عليه ويزجره وقد سرق من القوافل بهذا الحال كثير من الأحمال وطالما قتل الجمّالون الغنيّ بجانب متاعه ليلاً وسلبوا منه الأموال .

إنكار الجميل

وقد بلغني بالمدينة المنورة من حضرة أحمد بيك ناشد المرسل من مصر بالإعانة لعين زبيدة أنه أتى من مكة إلى المدينة مع القوافل من الدرب السلطاني وشاهد عندما نزل الركب بمحطة وقت العشاء واشتغل كل شخص بالعشاء رجلاً قرمانياً مذبوحاً بجانب جمله ودراهمه مأخوذة من كمره ، ماذاك إلا بدسيس من مقوّمه وقد سرقوا ليلاً من حضرة البيك المذكور بعض ملبوسه ولولا انتباهه من نومه سريعاً لضاع متاعه جميعاً ، ومن عادة هؤلاء الاعراب مع من يحملونه من الركاب أنه إذا نزل أحدهم ليلاً ليفك الحصر وتأخر نحو عشرين خطوة قتلوه في الحال وسلبوا ما معه من الثياب والأموال ولهم في ذبح من ينفردون به السرعة العجيبة التي هي كلمح البصر أو أقرب بحيث لايتركونه ينطق بكلمة وحسبنا اللّه ونعم الوكيل ، ولنذكر هنا واقعة غريبة ونادرة عجيبة هي أنه كان في الفقراء الذين قصدوا الحج براً من السويس واتبعوا المحمل على الأقدام يقتاتون بصدقة الخاص والعام رجل من دراويش الأعجام فقير الحال مكشوف الرأس ليس برجليه نعال وما عليه من اللباس ولا معه إلا خلقة مرقعة فرقّ لحاله أحد مستخدمي الصرة وأحسن إليه بما يقيه البرد ويستر منه العورة وعند الوصول إلى العقبة أنزله في البحر إلى الوجه في مركب الشراع مع الفقراء مجاناً على الحكومة المصرية التي لايحصى مالها من الإحسانات والإنعامات الخيرية وذلك لأجل عدم ازدحام الركب بحمل المنقطعين منهم في البريّة وبوصول الركب إلى قلعة المويلح كان مركب الشراع قد وصل إليه فتخلص منه الدرويش بكل حيلة وأتى عرياناً ملتجئاً إلى من ابتدأه بالجميله وأخذ يخدعه بأحاديث متنوّعة وأكاذيب مصطنعة حتى رقّ لحاله وكساه وقرّبه وأحسن مثواه وبما أن هذا الأفندي المحسن طاعن في السن وبه رمد مزمن طالما سأل عن علاجه كل كافر ومؤمن اتفق أنه سأل هذا الدرويش عن مادة الأكحال لظنه أن هؤلاء الفقراء يحتوون من الصناعات على ما يغنيهم عن الأموال وقد بلغه عنهم ما يذهب العقول ويثبت ما ليس بمعقول من دعوى الكيمياء الباطلة التي من اشتغل بها أصبح والنعمة عنه زائلة ففي الحال فطن الدرويش إلى مرغوب الأفندي ذي الإحسان ومدح له كحلاً مركباً من

الميمران والذهب والكهرباء والمرجان حتى خامر ذلك عقله وتملك زمامه فاتخذ هذا الدرويش قدوته وأمامه وزاد احترامه وإكرامه كي ينال منه بالوصول إلى مكة مرامه ولما وصلا إليها اشترى الأفندي له الميمران الهندي والمرجان الغشيم والكهرباء ودفع إليه أربعة عشر مجراً ذهباً لكون هذا الكحل يدخل في تركيبه الذهب على ماقال ويحتاج إلى عدة عقاقير وأوان تشترى في الحال وتوجه إلى منزل الأفندي ومكث فيه يومين معززاً مكرماً آكلاً شارباً منعماً يسحق هذه العقاقير ساتراً ما في الضمير ثم في اليوم الثالث خرج من المنزل بعلة تكليس مجرات الذهب فأخذ كل ما أحضره له الأفندي وذهب ولما عيل صبر هذا الأفندي وكلّ بصره من طول الانتظار لهذا الدجال الغدّار يئس من رجوعه وألقى باقي العقاقير في النار وصار يحط على هذا الدرويش وأمثاله من الأشرار المدعين للأسرار فاعتبروا ياأولي الأبصار والحمد للّه على خلاص الأفندي منه بهذا المقدار ولو تمادى معه لباع الدار والعقار فكم من غنيّ اتبع الدجالين فأصبح في الذل والافتقار فليت كلاً منّا اعتبر بسير غيره واستقام وحمد ربه وشكره على الدوام .

وفي يوم الأحد ٢٥ منه نزل السيل صباحاً بمكة واستمر يهطل نحو ساعتين وصار الناس يخوضون في الماء في الشوارع والأزقة وقبل ظهر هذا اليوم وكب المحمل المصري من الحرم المكي إلى محطته خارج البلد وطاف كل حاج طواف الوداع وخرج من باب الوداع واحتمل ما معه من المتاع وتوجه إلى محطة المحمل فبات متأسفاً على مفارقة محل الرحمات وللّه درّ من قال

الهي عبدك العاصي أتاكا	**مقراً بالذنوب وقد دعاكا**
فإن تغفر فأنت لذاك أهل	**وان تطرد فمن يرحم سواكا**

الطريق الفرعي

وفي يوم الاثنين ٢٦ منه الموافق ٢٩ نوفمبر شدت الأحمال على الجمال وفي نهاية س ٦ و ق ١٥ سار الركب متكلاً على الرب المتعال وفي س ٣ وصل إلى العمرة وفي س ٥ و ق ٥٠ وصل إلى السيدة ميمونة زوج الرسول عليه السلام وبعد استراحته نحو ربع ساعة جدّ في السير .

الجمالة المصرية

ووصل س ٨ و ق ٣٠ إلى وادي فاطمة تابعاً لسير المحمل الشامي ومتأخراً عنه بقدر ثلث ساعة وكان سير الجمال بالركب ضعيفاً وذلك أن الجمالة المصرية المقاولين لحمل الركب والصرة الذين هم من الحجارة بمصر غدروا الميري غدراً كبيراً لأنهم مع صرف علائق جمالهم إليهم كاملة مدة الإقامة بمكة التي هي عشرون يوماً أجروها إلى جدة لحمل بضائع التجار واشتروا بثمن الإيجار جمالاً أخرى وأشركوها مع جمالهم الأولى في عليق الميري حتى اضمحلت من قلة العلف وصارت مهزولة بحيث إن من ركبها عند الرجوع ولو ساعة أدرك الفرق بين حالتها الأولى وحالتها عند الرجوع وإن اشتكى من الجمال احتج له الجمالون بالعلل الواهية في الحال لأنه ليس عليهم رقيب ولا حسيب يتعللون بثقل الأحمال مع أنهم حملوها مع الفرح والمسرة في ابتداء الحال ولايزالون ينغصون على الراكب مدة الطريق ولولا خوفهم من سطوة الحكومة والعساكر التي مع الركب لفعلوا أقبح ما يفعله جمالة العرب .

الأمير

ومنشأ ذلك تعيين موظفين مستجدة للحاج في عام لأن (الأمير) الجديد إذا لم يكن له بالطريق ولا بالعادات معلومية ولا إلمام يترك المقصرين من الموظفين على حالهم ولايجازيهم على التقصير في أشغالهم كمحافظي القلاع على عدم تطهير ونزح الآبار التي في الطريق مجاورة للقلاع وتركها مردومة معطلة بدون انتفاع ولايسعى في إزالة بعض صعوبات في الطريق تسهل إزالتها بدون تعويق ويترك المقوّمين يؤجرون جمال الميري بمكة بدون التفحص عليهم ومجازاتهم لتحققه أنه ليس عائداً في هذه الوظيفة بعد سنته بل إنما يفتخر بكونه أمير الحاج وكل ما استحسنه برأيه فعله بدون معارض .

الأمين

وأما (الأمين) فليس عليه إلاّ ختم الكشوفات فقط إذ لايعلم بحقيقة الحال وكان

ينبغي للروزنامجه أن تعطيه استمارة بما يخص مأموريته والاطلاع على كلياتها وجزئياتها ليكون على بصيرة ولا تحيله على كاتب الصرة في هذه المعلوميات كما هو الجاري فإنه في الطريق يبين له البعض ويخفي عنه البعض وكذا كان ينبغي لها أن تفرز المستخدمين بالصرة نحو الفراشين والسقائين والضويّة والعكامة من حيث لياقتهم لهذه السفرية وعدمها لأن مقدمي هذه الطوائف متى تقيدوا بالروزنامجه قيدوا معهم أنفاراً حسبما اتفق ليأخذوا من مرتباتهم ما أرادوا ويترتب على ذلك تعطيل أشغالهم أثناء الطريق .

كاتب الصرة

(وأما كاتب الصرة) فلما كانت وظيفته دائمة على ممر السنين صار له معرفة تامة بالطريق وسكانها وسلاطة على كافة الجمالة ونحوهم من المستخدمين وعلى أغلب العربان ومن بالقلاع بحيث إن أمره عندهم مسموع ومطاع وله في الركب اليد العليا لأن توزيع الصرة والعطايا بمعرفته وبحسب دفتره .

العساكر

(وأما العساكر) فلعدم غيارهم ليس أحد منهم بشاكر فالحاج في البر يكابد أعظم المشاق ولا يعرف ذلك إلاّ من ذاق وفي يوم الثلاثاء ٢٧ منه في الساعة الأولى من النهار سار الركب ومعه كثير من الحجاج الأغراب مقتفياً أثر المحمل الشامي بمسافة نصف ساعة وذلك لسهولة السير وأخذ المياه من المحطات بالراحة بدون ازدحام وكان الدرب بين جبال وفي س ٤ وصل إلى واد متسع سهل ذي سنط وحشائش وفي س ٦ و ق ٣٠ استراح بهذا الوادي ويسمى بوادي (فاطمة) وفي س ٧ و ق ١٠ أخذ في السير وفي س ٧ و ق ٥٥ وصل إلى بئر (الباشا) وفي س ١٠ و ق ٤٥ مرّ بسبيل (الجوخي) وبعد الغروب بنصف ساعة من ليلة الأربعاء نزل قريباً من المحمل الشامي متباعداً نحو ساعة وربع عند محطة (عسفان) وكانت هناك برك كثيرة من سيل نزل وكان الجوّ بارداً رطباً ولعدم وجود الخيام منصوبة عند الوصول كما كانت الأصول والانتظار لنصبها نحو ساعة مابين العفش والجمال مع التعب وتشتت البال حصل ضرر كثير للموظفين من ذلك .

وفي يوم الأربعاء ٢٨ ذي الحجة غرة ديسمبر سار الركب في الساعة الأولى من النهار وفي س ٢ و ق ١٥ وصل إلى محطة (عسفان) وفي س ٢ و ق ٣٥ استراح بالقرب من بوغاز وادي عسفان ، وفي س ٣ و ق ١٠ سار وفي س ٣ و ق ٣٠ مرّ من أوّل البوغاز وصعد بين تلال من الأحجار والزلط الكثير وهذا البوغاز يضيق تارة ويتسع أخرى وفي س ٣ و ق ٥٠ مرّ ببناء على يساره وانتهى المنفذ إلى واد متسع أرضه صلبة سهلة وفي س ٤ و ق ١٠ استراح وفي س ٤ و ق ٥٠ سار وفي س ٩ و ق ٢٠ نزل بمحطة (خُلِيص) بضم الخاء وكسر اللام .

وفي يوم الخميس ٢٩ منه سار الركب في الساعة الأولى بعد سير الركب الشامي وفي س ٥ و ق ٤٥ استراح وفي س ٦ و ق ٢٥ سار في واد متسع به درن واتجه نحو عشرين درجة إلى الغرب وفي س ٩ و ق ٥٥ مرّ بمحطة آبار الهندي أو (القضيمة) وهي بئر قديمة وفي س ١١ و ق ٥٥ نزل بواد متسع به زلط يسير وهناك تشكى بعض الحجاج الأغراب من جمالة الركب المؤجرين لهم من الخارج بسبب ضعف الجمال وعدم قوتهم على الاحمال .

وفي يوم الجمعة غرة شهر محرم الحرام سنة ١٢٩٨ سار الركب بعد مضي ربع ساعة من أوّل النهار وفي س ٥ و ق ٥٠ نزل للاستراحة وفي س ٦ و ق ٣٠ سار وبعد نصف ساعة من الغروب وصل (إلى رابغ) وهذا التأخير سببه كثرة السيول في الطريق المعتادة والسير في طريق أخرى عارية عن السيل لارتفاعها أبعد من الأولى بساعة ونصف .

وفي يوم السبت ٢ منه استلم الخرج كافة المستخدمين ولعدم وجود الشعير بشونة رابغ صرف للخيل فول عوضاً عن الشعير كما حصل ذلك في مكة ووجدت القنيطة متعفنة ومتفتتة وادّعوا أن ذلك من كثرة الشيل والحط ونزول الأمطار عليها عند ورودها من مصر حتى تركها البعض لعدم الانتفاع بها ولايخفى ما في ذلك من الخسارة العائدة على الميري فإنه أجرى تكاليف جسيمة لإرسال ما يلزم من مرتبات مستخدمي الصرة والمحمل إلى القلاع التي يمرون عليها ولم يجر صرفها كالواجب بل صار كل من المخزنجي والناظر يتصرف في أحسنها ولايجد المستخدمون عند مرورهم

إلا فضلات من متفتت ومتعفن فضلاً عن نقص الوزن وتطفيف الكيل .

وفي يوم الأحد ٣ منه سار الركب س ٣ و ق ٤٥ وفي س ٤ خاض في سيل ثم انحرف مابين البحري والبحري الشرقي وفي س ٤ و ق ٣٠ استراح وفي س ٦ و ق ٤٥ جدّ السير في واد به زلط وبعض أكمات من رمال مع صعود وهبوط وفي س ١٢ مرّ بتلال على اليمين وفي الساعة الأولى من الليل نزل تحت سفح وادي (حرشان) .

وفي يوم الاثنين ٤ منه بعد مضيّ خمس وأربعين دقيقة من النهار سار عن يمين تلال وفي س ١ و ق ٥ سار بين تلال عالية وفي س ١ و ق ٢٠ صعد إلى جبل لا يمرّ منه إلا الجمل أو الجملان وفي س ١ و ق ٢٥ هبط إلى واد ذي رمل وتلال على اليسار وفي س ٣ و ق ٥٠ وصل إلى يمين جبل هرميّ الشكل وفي س ٤ و ق ٢٠ استراح وفي س ٥ و ق ٢٥ سار شيئاً فشيئاً ونفذ من منفذ يسمى (نقر الفار) يمر منه الجمل فالجمل مع هبوط شديد في محجر ضيق بين جبلين طوله نحو مائتي متر ثم اتسع الدرب بين الجبال وفي س ٥ و ق ٤٥ استراح لانتظار باقي الركب وفي س ٧ و ق ١٥ سار في سنط كثير وفي س ١٠ نزل بمحطة بئر (رضوان) في مكان متسع بين الجبال ليس به مساكن إنما فيه بئر واحدة ماؤها عذب وقد اشتد البرد ليلاً ولكون الترمومتر الذي كان معي أنجبر بمكة ما أمكنني بعد ذلك معرفة درجة الجوّ على التحقيق .

وفي يوم الثلاثاء ٥ منه سار الركب في س ١ و ق ١٥ وفي س ١ و ق ٤٠ مرّ بزلط وحجارة وفي س ٢ مرّ ببوغاز عرضه خمسون متراً بين جبلين مرتفعين قائمين أملسين وبعد عشر دقائق قل ارتفاعهما وتسلسلا في أرض وعرة ذات هبوط وصعود في محجر وزلط كثير مستمر وفي س ٦ استراح وفي س ٦ و ق ٥٠ سار وفي س ٩ و ق ٣٠ خف الزلط نوعاً وسهل السير وفي س ١١ و ق ١٥ مرّ بأكمات محجرة ثم ببقعة بها نخيل بكثرة وبيوت كبيوت الأرياف وسوق يباع به التمر والأكياس الجلد المزخرفة المتنوعة من صناعة تلك الأراضي وتسمى (خرائز وقلص) وفي س ١١ ونصف نزل بمحطة (أبي ضباع) وبها عين ماء عذبة جارية في آخر النخيل عن يسار البلد .

وفي يوم الأربعاء ٦ منه في الساعة الأولى سار الركب في زلط كثير وفي س ٢ و ق ٣٠ مرّ على نخيل كثير وفي س ٣ و ق ٣٠ ارتفعت جبال الطرفين وصار عرض الطريق مائة متر وكسوراً وفي س ٥ كثر النخيل على الطرفين ما بين الجبال والطريق وهناك سوق يباع فيه التمر والأكياس والمخدات الجلد وفي س ٥ و ق ١٠ مرّ بدرب (المضيق) عرضه عشرة أمتار بين النخيل وبه سوق وبأعلى الجبال من اليسار بيوت وفي س ٥ و ق ١٥ مرّ على مجرى ماء بين النخيل وفي س ٥ و ق ٥٠ انتهت المزارع وفي س ٦ مرّ بماء جار عرضه متر ونزل الركب للاستراحة إلى س ٦ و ق ٥٠ ثم سار بين زرع وجداول ماء متباعدة بمسافات قليلة وفي س ٨ و ق ٣٥ انتهى كل من المزارع والجداول واتسع الطريق بين جبال منخفضة عما قبلها وفي س ١١ و ق١٠ نزل بوادي (الريان) بجوار نخيل وماء جار وبيوت وعشش وسوق .

وفي يوم الخميس ٧ منه سار بعد مضي خمسين دقيقة من الساعة الأولى بأرض أقل زلطاً مما قبلها وفي س ٣ كثرت أشجار السنط وصار الطريق مشرقاً مبحراً وفي س ٦ اتجه الركب إلى بحري ثم بعد ربع ساعة اتجه مشرقاً وفي س ٦ و ق ٤٠ اتجه مشرقاً مبحراً وهناك عقبة (ريع الخيف) واستراح في ابتداء هذه العقبة وفي س ٧ و ق ٣٠ سار وصعد العقبة إلى أعلى جبل لا يمرّ منه إلا جملان فجملان وفي س ٧ و ق ٤٥ وصل إلى سطح الجبل في اتساع مستوٍ وبعد خمس دقائق هبط منه بسهولة وفي س ٨ و ق ١٠ انتهى الشوك المسمى بام غيلان وفي س ٨ و ق ٢٠ وصل إلى واد متسع وفي س ٨ و ق ٤٥ استراح وفي س ٩ و ق ٥٠ سار وفي س ١٠ و ق ٤٠ نزل بـ (الغدير) بجوار جبل هرميّ في وسط الوادي وكان هناك سيل جار وفي يوم الجمعة ٨ منه سار الركب بعد نصف من الساعة الأولى تاركاً ذلك الجبل عن يمينه متبعاً جهة الغرب حتى قطع الجبل وفي س ٢ و ق ٣٠ اتجه بين الشمال والغرب الشمالي في أرض تارة يعلوها زلط خفيف وتارة رمل ثم اتجه مبحراً وفي س ٥ و ق ١٠ مرّ بجبال على اليسار وفي س ٦ و ق ٢٠ وصل إلى محطة (بئر العظم) وهناك بئر واحدة بجوار نخلتين ماؤها عذب وعلى بُعد مائتي متر تقريباً من جبل هرميّ على يسارها وفي س ٦ و ق ٣٠ استراح وفي س ٧ و ق ١٥ سار وفي س ٩ و ق ٣٠ مرّ بين جبال

واتسع الطريق من مائة متر إلى ثلثمائة متر متجهاً إلى بحري وفي س ١٠ و ق ٢٠ صار العرض تارة دون مائة وخمسين متراً وتارة أكثر في سنط كثير وفي س ١١ و ق ٥٠ استراح وفي نصف الساعة الأولى من الليل سار وفي س ٣ و ق ٣٠ وصل إلى (العلواية) وهي مهبط منحدر مستوٍ بين جبلين طوله مسافة ثلاث عشرة دقيقة وفي س ٤ و ق ٣٠ انتهت الجبال وفي س ٦ و ق ٣٥ هبط من محجر إلى تلال على الجانبين وفي س ٧ و ق ٣٠ نزل بمحطة (بئر الماشي) وهناك بئر واحدة عذبة في بقعة محاطة بالجبال بها مخزن كبير للغلال وحرسه من أعراب المدينة .

وفي يوم السبت ٩ منه س ١ و ق ٣٠ سار الركب في طريق متسع بواد محاط بتلال به شجر وزلط وهذه التلال تتقاطع تارة وتارة تتسلسل بجبال وفي س ٦ مرّ على نخيل وآبار على اليمين وتوارت المزارع في بقع متقطعة يميناً ويساراً إلى س ٧ و ق ٤٥ ونزل بمحطة (آبار علي) على يسار الطريق في نخيل وآبار وبناء تعلوه قبة وهناك يلتقي الدرب السلطاني بالفرعي ، وفي س ٨ و ق ٤٥ سار مبحراً مشرقاً وفي س ١٠ و ق ٤٠ وصل إلى باب المدينة المنوّرة المسمى بباب (العنبرية) غربي المدينة ونزل بمكانة المعتاد .

مجلس الشريف

ولنرجع الآن ونشرح السير بالطريق الشرقي من مكة إلى المدينة حسبما وعدنا وهو أنه في يوم الثلاثاء ٢٠ ذي الحجة سنة ١٣٠٢ الساعة الثامنة توجهت مع الأمير إلى منزل سعادة الشريف عون الرفيق باشا لنحضر المجلس المنعقد في شأن تعيين الطريق التي تمرّ المحامل منها كما هو العادة في كل عام وكان مشتملاً على سعادة الوالي وبعض من الضباط وأمير الحاج الشامي وأمين صرته وبعض أكابر مكة ومشايخ عربان الطريق الثلاث أو من ينوب عنهم .

واستقرت الآراء على المرور من الطريق الشرقي والسير في ٢٩ من الشهر فسقى الحاضرون ماء مثلجاً بواسطة آلة ضاغطة فيها حمض كبريتيك وعند الغروب أحضر لهم الطعام فتناولوه مع ترنم الموسيقى والمزمار أمام منزل سعادته وسقوا بعد الطعام

الشربات على استماع الآلات من ناي وقانون وشكر الحاضرون حسن التفات سعادة الشريف وملاقاته وبعد صلاة المغرب استأذن بعضهم في الانصراف وبعضهم أقام ليستكمل حظه من هذا السرور .

ولابأس بأن أذكر هنا ما عرضه عليّ كثير من رؤساء عربان الطريق السلطاني في شأن مرور المحمل المصري في طريقهم مع الأمن وأنهم يعطون على ذلك رهونات إما لسعادة الوالي أو للشريف نظراً لرؤيتهم توجهي إلى الحج دفعتين ورسم الطرق ومعالمها ومعرفتي بها وسؤالي بالدقة عن سبب عدم رضاهم في ذلك ولكن لعدم صدور أوامر قطعية من الحكومة المصرية لأمراء الحج في هذا الشأن لم يتجاسر أحد على الاتفاق معهم على ذلك .

وقد اختار سعادة الوالي والشريف هذا الدرب الشرقي الذي يمر الآن منه من تلقاء أنفسهما للعلم بأن المحمل الشامي لا يتأتى له أن يسير من الطريق السلطاني للمشاجرات السابقة بين الحج الشامي وبين أعراب هذه الطريق ويترك المصري فانجبر طبعاً على اتباعه ليتقوى كل منهما بالآخر مع أن الطريق السلطاني أقرب من غيرها ولا يتعسر وجود الماء فيها كغيرها الذي هو كثير الخطر فالأوفق أن ترسل الحكومة الخديوية مع الحج أميراً تعوّد على ذلك ذا دراية بالطرق ومعرفة برؤساء قبائل العرب وعوائدهم وطبائعهم ليتألفهم ويسترضيهم شيئاً فشيئاً فيعتمدوه ويتكفلوا له بمرور المحمل من طريقهم مع الأمن وتقل زيادة المصاريف على الحكومة الخديوية المصرية كما علمت ذلك .

وفي يوم الأربعاء ٢١ منه صار صرف بعض مرتبات للعربان وفي أثناء الصرف حضر أحد الشرفاء بكتاب من سعادة الشريف مضمونه أنه مندوب للتوجه مع المحمل المصري إلى المدينة ليحفظه من غدر ومكايد عربان الطريق كما هي العادة في كل عام وطلب أن يصرف له مرتبه المخصص له في مقابلة ذلك ولعلمي بعدم توجه هذا المندوب في العام الماضي مع المحمل طلبت منه أن يعطيني تعهداً عليه بذلك فامتنع وامتنعت من إعطائه شيئاً والحالة هذه ولما تقابلت مع سعادة الشريف أخبرته بما جرى بيني وبين هذا المندوب فصوّب رأيي وأمره بإعطاء التعهد وبالسير صحبة المحمل إلى

المدينة فكان ذلك إلا أنه عجز عن حمايته للمحمل فإنهم سلبوا أربعة جمال من ركب المحمل بأحمالها وسلبوا منه هجيناً وقتلوا آخر لما تخلف عن الركب في إحدى المحطات كما سيأتي ولولا أنه فرّ منهم هارباً وأغاثه العساكر لقتله اللصوص ومن معه والحرارة بلغت بعد الزوال ٣٥ درجة .

وفي ٢٧ منه توجهت صباحاً إلى سعادة الشريف فوجدته جالساً في روشن بمحل الدور الأول يقضى حوائج العربان وغيرهم ويسعى في مصالحهم ومنهم من يقبّل يده ولايتركها مادام يشكو حاله إليه والآخر يكلم سعادته بصوت عال وآخرون يعرضون شؤونهم معاً في آن واحد بأصوات مرتفعة وآخر يحكي له حكاية طويلة مع هزه لركبته لظنه أنه لا يصغي إليه إلا بذلك هذا كله وهو يحكم عليهم مع الرزانة والبشاشة التي هي شيمته وعنده الفقير والغني سيان ويدعونه (بسيد الجميع) ومنهم من يقبّل ركبته ومن يقبّل يده على حسب مراتبهم فتعجبت من جراءتهم عليه وأفعالهم غير المرضية أمامه فالتفت إليّ وتبسم وقال اكتب فعلهم هذا في الكتاب الذي تؤلفه بخصوص الحج ، وفي يوم الخميس لم يتأت المسير إلى المدينة حسبما كان قرره المجلس لتأخر الشامي في انتظار صرف مرتباته .

وفي يوم السبت أوّل محرم سنة ١٣٠٣ الموافق (١٩ اكتوبر سنة ٨٥) وكب المحمل من باب علي الساعة اثنين ونصف وكان سعادة الوالي عثمان باشا نوري المشير في انتظاره أمام منزله وبجانبه سعادة عمر باشا قومندان العسكر وعدة من الضباط والأمراء فلما دنا منه أخذ زمام الجمل فدار بالموكب ثلاث دورات أمام المنزل ثم سلم الزمام للأمير فسار المحمل إلى أن وصل أمام خيمة الأمير خارجاً عن الشيخ محمود فنزل هناك للمبيت وعدت إلى مكة لطواف الوداع ووداع كل من سعادة الوالي ودولة الشريف وبتنا مع المحمل وفي هذا اليوم قام الشامي إلى المدينة وكان سبق التنبيه في يوم الجمعة على المقوّمين بإحضار الجمال اللازمة وكان الهواء معتدلاً بتلك البقعة وبلغت الحرارة قبيل الشروق ٢٦ درجة .

أجرة الجمال

وفي صباح يوم الأحد لم يكن عدد الجمال المطلوبة تم بالنظر لكثرة الحجاج وتوجه القوافل وعدم تعوّد المقوّمين الأعراب على مثال حملة المحمل مع أنّا صرفنا لهم نصف الأجرة مقدّماً على حسب شروطهم وكانت أجرة الشقدف من مكة إلى المدينة ١٨ ريالاً بطاقة وأجرة العصم ١٧ وأما من مكة إلى المدينة ثم إلى ينبع البحر فأجرة الشقدف ٢٣ والعصم ٢٢ ومن مكة إلى المدينة ثم إلى جدة الشقدف ٢٨ والعصم ٢٧ ومن مكة إلى المدينة ثم إلى الوجه الشقدف ٣٥ والعصم ٣٤ .

والعادة الجارية بمكة أن يدفع المقوّم من أجرة جماله عن كل جمل يسافر إلى المدينة ريالاً للشريف وريالاً للوالي وثالثاً للمخرّج ورابعاً للمطوّف فإن كان إلى جدة فربع ريال فقط للميري وكذا على الآتي منها إلى مكة وأما من المدينة إلى ينبع فريال للمزوّر وآخر للميري ومع هذا انتظرنا تمام الجمال إلى س ٤ و ق ٤٥ .

الدرب الشرقي

وفي س ٥ سار الركب إلى جهة الشمال الغربي في طريق العمرة ثم شمالاً وفي س ٥ و ق ٣٥ انحرف إلى الشمال الشرقي في طريق مرملة متسعة بين جبال فيها زلط خفيف وفي س ٦ اتجه شرقاً وبعد خمس دقائق شرّق مقبلاً وبعد خمسة أخرى مال من الشرق إلى الشمال وفي س ٦ و ق ٣٠ مرّ على جبل (النور) عن يمينه بعيداً عنه وهو على يسار طريق منى ثم شرّق وفي س ٧ و ق ٢٣ مرّ بين جبال متجهاً إلى الشمال الشرقي ثم بعد س ٩ و ق ٤٨ شرقي في واد متسع مرمل به سنط قليل يعرف بأم غيلان وفي س ١١ و ق ١٨ نزل ببئر (البارود) وهي متينة البناء اتساعها ستة أمتار وعمقها ١٢ متراً عذبة الماء في قاعها شجرة جميز كبيرة وفي وقت الغروب أرعدت السماء وأبرقت وأمطرت نحو ساعة وربع فأسقطت الرياح الخيام على مافيها وتكاسل الفراشون عن أشغالهم طول ليلتهم .

وفي يوم الاثنين ٣ منه س ١ و ق ٤٥ سار مبحراً مشرقاً ثم بعد ساعة انتهى الوادي وصار اتساع الطريق ٣٠٠ متر بين جبال بعدها تلال وفي س ٣ ضاق الطريق

وبعد عشر دقائق مرّ على تل لكثرة الزلط يساراً وفي س ٤ ضاق الطريق وصار عرضه خمسة أمتار بين أحجار وصخور ثم اتسع شيئاً فشيئاً مبحراً وفي س ٤ و ق ٣٠ انتهى إلى طريق ضيق مشرق قريباً من وادي الليمون ثم اتجه إلى الشمال الشرقي وفي س ٤ و ق ٤٥ مرّ على بئر عذبة الماء تعقبه مرارة في طريق مرملة اتساعها ٢٠ متراً بين جبال ثم اتجه مبحراً مائلاً إلى الغرب وفي س ٥ و ق ٤٠ استراح وفي س ٦ سار مبحراً ثم مبحراً مغرّباً وفي س ٧ اتجه إلى الشرق الشمالي يساراً محاذياً لجبل وبعد ٥ دقائق مرّ على بئر معطلة على اليسار واتجه مشرقاً في واد متسع فيه على بُعد أراض ذات شكل مربع تارة ومستطيل تارة مرتفعة نحو خمسة أمتار مسطحة مرملة يغمرها السيل من الجبال المجاورة لها ويزرعها العربان ذرة وخضراوات وفي س ٨ و ق ٢٠ مرّ بقطعة أرض عن يساره مرتفعة فيها نخيل وزروع وعشش تسمى بـ (الجديدة) وعلى يمين الطريق صخرة منفردة في جنب طريق بين الشرق والجنوب صالحة لمن يسير من السعاة إلى مكة ثم اتجه الركب مشرقاً منحرفاً إلى الشمال وفي س ٩ و ق ٤٥ شرع في (وادي الليمون) عن يسار أرض مرتفعة محاطة بسور ذي حجارة مرصوصة ارتفاعه نحو مترين متسعة فيها نخيل وأشجار وبيوت مبنية في سفل الجبل وعن يمينه في أسفل الجبل بعض نخيل وهناك يباع النارنج والليمون والفجل والفقوس وغير ذلك وعن يساره جنائن ممتدة على الطريق فيها أشجار ليمون كثيرة وتين شوكي تنصب إليها المياه من جبل بعيد وتجري في وسطها فكأنها روضة من الجنة وفي س ١٠ و ق ١٥ اتجه شمالياً ومرّ على قناة كبيرة ماؤها جار إلى جنان وهو عذب جداً وبعد خمسمائة متر اتجه إلى الشرق وبعد ألف متر انتهى الزرع ومرّ على ماء منصب من الجبل يميناً إلى قناة مبنية ثم منها إلى الأرض ليدخل في الجنان ثم يجري إلى مسافة بعيدة ونزل الركب بوادي الليمون قريباً من هذه العين في س ١٠ و ق ٤٠ في مكان متسع مرتفع عنده سوق فيها يباع اللحم والسمن والأرز المطبوخ والفطير ونحو ذلك تأتي إليها البياعون من مكة خصوصاً للتسبب .

وفي يوم الثلاثاء كانت الحرارة عند الشروق ٢٦ سنتجراد وبعد س ١ و ق ٤٥

سار الركب مشرقاً مبحراً في أرض متسعة مرملة ذات زلط محاطة بالجبال وفي س ٦ و ق ٤٠ استراح وفي س ٧ و ق ٢٠ سار إلى الشرق تقريباً وفي س ٨ و ق ١٠ اتجه إلى الشرق الشمالي ثم تارة إلى الشرق وتارة إلى الشمال على حسب وضع الجبال في سنط وزلط ورمل وفي س ٩ و ق ٢٠ ظهر جبل بالأمام يظن أنه سادّ للطريق فهبط يسيراً واتجه إلى الشمال في اتساع بين الجبال ورمل مستوٍ ثم مال إلى الشمال الغربي وفي س ١٠ و ق ١٠ مرّ على بئر يميناً في أسفل الجبل ماؤها مالح صالح لشرب الدواب واستمر الرعد مع انتشار الغمام وفي س ١٠ و ق ٢٠ نزل الركب للمبيت قريباً من أول البقعة المسماة (بالمضيق) .

وفي يوم الأربعاء ٥ محرم س ١٢ و ق ٣٠ سار مبحراً وكانت الحرارة ٢١ درجة والبرد شديد وبعد عشر دقائق مرّ على عبل وارتفاع قليل من انخفاض وسنط وزلط ثم بمتسع عن يساره تلول صغيرة وفي س ١ و ق ١٠ اتجه إلى الشمال الغربي وبعد س ١ و ق ٣٠ اتجه إلى الشمال بين جبال وضاقت الطريق فصارت نحو عشرين متراً وهذا ابتداء المضيق ثم اتجه من الشمال الشرقي إلى الشرق ثم تكاثرت المحاجر واعتدل إلى الشمال بعد س ١ و ق ٤٧ ثم مرّ في متسع وبعد دقيقتين تعسر المنفذ من الحجارة فلم يمر غير جملين جملين ثم انحرف مغرباً وفي س ١ و ق ٥٧ بحّر ثم شرّق ثم أخذ مُبحّراً على حسب وضع جبال الجهتين في الاعوجاج والارتفاع والانخفاض وكثرة السنط والزلط وفي س ٢ اتسع الطريق شمالاً والجبال في ارتفاع وانخفاض مع كثرة الحجارة ثم انحرف إلى الغرب الشمالي وفي س ٢ و ق ٢٥ شرق نصف دائرة ثم اتجه شمالاً وفي س ٢ و ق ٣٥ دخل في محجر لا يمرّ منه إلا الجمل فالجمل مسافة ٢٥ متراً ثم صار يمر منه الجملان فالجملان وفي س ٢ و ق ٤٣ دخل مشرّقاً في محجر ثم اتجه للشرق القبلي وفي س ٢ و ق ٥٤ شرّق في عرض عشرين متراً وسهل المسير وبعد س ٣ و ق ٨ انتهى المضيق واتسع الطريق بعض اتساع بين سنط وزلط واتجه إلى الشمال الشرقي وبعد س ٣ و ق ٢٥ تناقصت جبال اليسار مع وجود تلول على اليمين وبعد عشر دقائق مرّ في محجر مرتفع يسيراً منحدر عرضه عشرة أمتار وبعد ثلاث دقائق مرّ في منحدر خفيف يصعد منه إلى أرض بين تلال

نحو خمسين متراً ثم يهبط منه إلى واد بين تلال متجهاً إلى الشمال وهنا تنتهي محاجر المضيق ثم يستوي الطريق ويتسع الوادي يساراً ثم تتباعد جبال اليمين وبعد س ٥ أخذ في هبوط وصعود إلى أرض مستوية وبعد س ٥ و ق ١٥ نزل للرياضة وبعد س ٦ سار بين جبال من الطرفين في اتساع ٣٠٠ متر وبعد ١٠ دقائق ضاقت الطريق إلى مائة متر ثم إلى ٥٠ وشرق الركب ماراً بين تقاطع السلسلة كدائرة ثم اعتدل إلى الشمال الشرقي بعد س ٦ و ق ١٥ في اتساع وانخفاض لجبال اليسار وبعد س ٦ و ق ٢٥ نزل للمبيت في أرض (الحفائر) أو الضريبة بين الجبال ليأخذ منها المياه إلى المحطة التي تليها لعدم وجود ماء فيها وأما هذه الأرض فبمجرد حفرها قليلاً ينبع منها الماء وبعد س ٧ و ق ٣٠ من هذا اليوم كانت الحرارة ٣٧ سنتجراد ثم عند الغروب انخفضت إلى ٣٠ درجة وعربان هذه الجهة لا تؤمن ، وفي يوم الخميس ٦ منه س ١٢ و ق ٢٠ سار والحرارة ٢١ درجة وبعد س ١٢ و ق ٥٥ ضاق الطريق من كثرة الأحجار والتلال في الجهتين ثم اتسع نوعاً مشرّقاً مبحّراً وبعد س ١ و ق ٤٠ مرّ في زلط كثير واتجه إلى الشرق وانتهت الجبال وبعد ثلاث دقائق عاد إلى الشرق الشمالي في واد متسع ذي سنط وزلط وبعد الساعة الثالثة مرّ على رمل بلا زلط وشجر وبعد ربع ساعة على زلط خفيف بأرض في غاية الاستواء صالحة للطرق الحديدية وفي س ٦ و ق ٦ كانت رياضة وفي س ٦ و ق ٤٥ سار في براح مستوٍ والحرارة ٣٥ سنتجراد وبعد خمس دقائق مرّ على تلال على اليمين بعيدة موازية للطريق وبعد س ٧ و ق ٣٥ انتهت التلال مع بقاء الاستواء وبعد س ٧ و ق ٣٥ مرّ على ثلاثة كيمان يميناً وتلال خفيفة بعيدة يساراً وبعد س ٨ و ق ١٠ مرّ على حشائش بالبعد نافعة للدواب وهذا المكان يسمى بوادي (البركة) ومال عن الشمال إلى الشمال الشرقي ولاستواء الأرض كان الجمل يسير من ٤٠٠٠ متر إلى ٥٠٠٠ متر في الساعة وبعد س ١٢ مرّ في زلط كبير كثير وبعد ثلاث دقائق مرّ في رمل وحشيش وبعد س ١٢ و ق ٢٠ مرّ في بقعة أرض يساراً منخفضة عن الأرض بمترين مربعة الشكل طولها خمسون متراً كانت بها بركة ماء وهي الآن مردومة ليس فيها ماء وإنما يحمل الحجاج الماء معهم من الحفائر السابقة وبعد س ١٢ و ق ٢٥ نزل الركب للمبيت .

وفي يوم الجمعة بعد س ١٢ سار والجوّ بارد والحرارة ٢٧ سنتجراد وبعد ق ٥ مرّ من محجر معوج عرضه ٥٠ متراً كثير الزلط يعسر المرور فيه فشرّق مغرّباً نحو نصف دائرة ثم اعتدل مبحراً وبعد ق ١٢ أشرقت الشمس واتجه إلى الشمال في براح من الأرض مستوٍ مرمل وبعد س ١ مرّ على حشيش وأخذ الوادي في الاتساع جداً وهو صالح للزراعة وبعد س ٣ و ق ٣٥ على أرض صلبة وحشيش وبعد س ٦ و ق ٣ نزل للرياضة وبعد س ٦ و ق ٣٥ سار بين الشمال والشمال الغربي في أرض مستوية وبعد س ٧ و ق ٣٠ مرّ على زلط كبير منتشر نحو مائتي متر ثم على رمل وحشيش وبعد ربع ساعة قربت تلال اليمين شيئاً فشيئاً متسلسلة من زلط أسود وكانت الحرارة ٣٤ سنتجراد وبعد س ٩ انتهت التلال وبعد ق ٦ مرّ في زلط كبير ينتهي بعد ق ٢٠ متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد س ٩ و ق ٤٨ مرّ على زلط خفيف ثم رمل وحشيش وبعد س ١٠ و ق ٨ مرّ على تلال متقطعة يميناً وأخرى على بعد ٣٠٠ متر يساراً متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد ق ٤ كثر الزلط وبعد س ١٠ و ق ٤٥ مرّ على تلال خفيفة متجهاً إلى الشرق وبعد س ١١ و ق ١٠ مرّ على تل يميناً وعلى حشائش ثم زلط ثم حشيش وعبل كثير ثم زلط ثم عبل وحشيش ثم زلط في واد متسع ثم حشيش وهكذا إلى محطة (حاذا) فنزل بها الركب بعد س ٢ و ق ٤٥ ليلاً في محل متسع مخطط بقنوات وأحواض للزراعة فيه ثلاثة آبار مياهها عذبة وهناك جبل في أعلاه بناء شبيه بالمرقب أي المنظرة .

وفي يوم السبت قبل الشروق كانت الحرارة ١٧ سنتجراد وفي نهاية الساعة الأولى سار في أرض خصبة جيدة للزراعة مابين الشرق والشرق الجنوبي وبعد ق ٨ مرّ بأرض سبخة فيها حشائش وكان السير فيها صعباً من الأمطار وبعد س ٣ كثر السبخ واتجهنا على يسار تلول بعيدة على شكل أهرام وبعد ق ١٠ مررنا على تلال يساراً ممتدة على محاذاة الطريق وبعد س ٣ و ق ١٧ مرّ على زلط خفيف وتل قريب على اليسار ثم على سبخة واتجه إلى الشرق وبعد س ٣ و ق ٤٠ اتجه بين الشرق والشرق الشمالي وتلال اليمين إلى الجنوب وبعد ق ٥ بعدت وتسلسلت إلى اليسار على امتداد الطريق في مستوٍ متسع من الأرض قليل السبخ وفي س ٤ و ق ٢٥

ظهر على اليسار جبل مغرّب وعلى اليمين براح واتجه بين الشمال والشرق الشمالي في أرض متسعة ممتدة يعلوها سبخ بدون حشيش وبعد س ٥ و ق ٣٠ قربت جبال اليسار وبعد س ٦ كانت الرياضة والحرارة ٣٢ درجة وبعد س ٦ و ق ٣٥ سار وعن يمينه جبال بعيدة متقطعة وبعد س ٦ و ق ٤٧ مرّ وعن يساره مغرّباً جبل ثم أكمة عالية بعيدة تعقبها جبال متسلسلة وبعد س ٨ و ق ٤٠ بحّر تاركاً عن يمينه أكمتين ممتدتين إلى الجنوب وعن يساره جبال محدقة وبعد ق ٢٠ مرّ وعن يمينه بالبعد جبال وأمام الطريق جبال متقطعة والأرض في جميع سير هذا اليوم سبخة وبعد س ١٠ و ق ٣٠ جبل هرميّ على بُعد ٢٠٠ متر واتجه الطريق مبحراً في أرض بها بعض حشائش وصخور وبعد ق ٧ وجد صعود يسير يعلوه زلط من تلول اليسار الممتدة إلى الغرب المتصلة بجبل اليمين وبعد ق ١٠ هبوط بأرض مرملة وفي س ١٠ و ق ٤٥ كانت رياضة وسار بعد س ١١ ثم وصل بعد ق ١٠ إلى مكان المحطة لكن لفقد الماء بها استمر على السير في أرض سبخة وبعد س ١١ و ق٣٠ سار في رمل صلب واتساع عن يمينه صخور متكوّنة من أحجار هائلة وفي يساره بعد ق ١٥ صخور أيضاً تليها على البُعد جبال وبراح متسع يميناً وبعد س ١٢ و ق ٢٠ نزل للمبيت بواد متسع ذي أرض صلبة يسمى (الحبيط) أو ضبعة .

وفي يوم الأحد ١٠ محرم سنة ١٣٠٣ سار بعد س ١٠ وكانت الحرارة ٢٢ درجة ثم انخفضت بعد س ١٢ إلى ١٩ درجة واتجه من الشمال إلى الشمال الغربي في فلاة متسعة سبخة فيها يسير زلط تحيط بها جبال بعيدة والبرد مشتد وبعد ق ٢٠ أشرقت الشمس وبعد س ١٢ و ق ٣٠ سار في أرض يعلوها ملح كثير وأمامه على البُعد أكمات هرمية وبعد س ١٢ و ق ٥٥ خف الملح نوعاً وبعد س ٣ اتجه إلى الشمال الغربي في أرض ذات حشائش وبعد س ٣ و ق ٢٠ وصل إلى أحجار كبار

على اليسار وبعد ق ٥ إلى أرض حجرية مستوية وجبل لطيف متسلسل إلى الغرب وبعد ق ٥ إلى رمل وسنط وبعد ق ٧ إلى أحجار كبار على يساره وجبل هرميّ بعيد عن يمينه وبعد س ٣ و ق ٤٠ إلى صخر بعضه مستوٍ مع رمل الأرض وبعضه مرتفع وعلى يساره أكمات حجرية وعن يمينه أشجار وصخور متقطعة

متباعدة عن بعضها بمسافة ومحاذية للطريق وأمامه سلسلة جبال من الشرق إلى الغرب وبعد س ٤ استراح وبعد س ٤ و ق ٤٠ سار في أرض ذات زلط يسير وبعد ق ١٠ مرّ على جبال صغار متفرّقة عن اليمين وبعد س ٥ و ق ١٠ مرّ على زلط خفيف عند مبدأ جبل مشرّق يميناً وجبال قريبة مبحّرة وكانت مسافة السير نحو ٤٠٠٠ متر في الساعة وبعد ق ١٥ استراح وفي س ٥ و ق ٤٠ سار وبعد ٥ دقائق مرّ على سنط كبير مسافته ٢٠٠ متر أكثره على اليمين وبعد س ٦ على تل حجري عن يساره وبعد س ٦ و ق ١٢ بين سلسلة جبال شرقية غربية وعلى الجانبين تلال مع صعود وهبوط يسيرين وبلغت الحرارة ٣٤ سنتجراد وبعد س ٦ و ق ٤٠ على تل صغير عن اليمين وآخرين على اليسار ببُعد ، وبعد س ٧ و ق ٢٥ على حشائش متجهاً إلى الشمال الغربي مغرباً على سلسلة أكمات عالية مشرقة مغربة وبعد س ٨ و ق ٥ صعد على محجر كثير الزلط مشرقاً نحو ق ٥ ثم اتجه مغرباً تاركاً عن يمينه الجبال في براح من الأرض يعلوه زلط يسير وبعد س ٨ و ق ٢٦ مرّ على سنط على يساره وبعد ق ٢٢ انتهى جبل اليمين وظهرت أمامنا جبال على البُعد مبحّرة مغرّبة في س ٩ وزلط كثير وبعد ق ٤ في هبوط إلى أرض متسعة ذات حشائش وبعد س ٩ و ق ١٥ وصل إلى محطة (السفيّنة) بتشديد الياء فنزل بها بجوار نخيل وآبار عذبة الماء ومزارع وعشش وسوق مُعد للبيع والشراء .

وفي يوم الاثنين ١١ منه سار س ١٢ و ق ١٥ والحرارة ١٧ سنتجراد متجهاً إلى الشمال الغربي تاركاً الجبال عن يمينه وبعد س ١٢ و ق ٤٠ صعد في محجر صعب كثير الأحجار وبعد س ١ و ق ١٢ انتهى المحجر واتجه مبحّراً وبعد س ٢ و ق ٧ مرّ على زلط بين جبال من الجهتين وبعد ق ٦ صعد وبعد ق ١٥ هبط وبعد ق ٧ اتجه مغرّباً ثم بعد ق ٧ أخرى صعد في ملتقى جبلين وبعد ق ٨ هبط واتجه مبحّراً ثم مال إلى الغرب الشمالي وبعد س ٢ و ق ٥٥ انتهى جبل اليسار وظهر غيره متسلسلاً على بُعد وحشيش صالح لمرعى الجمال وبعد س ٣ و ق ٣٥ اتجه إلى الشمال وبعدت جبال اليمين نوعاً ماراً بين حشائش وسنط وبعد ق ٣٠ كثر السنط وبعد س ٤ و ق ٢٠ مرّ على زلط ثم حشيش وبعد ق ٥ اتجه إلى الشمال الشرقي عن يمين جبل هرميّ

بعيد وقلّت الجبال من الجهتين وبعد س ٤ و ق ٣٠ مرّ في واد متسع وبعد س ٥ و ق ١١ على جبل يميناً واتجه إلى الشمال وبعد ق ٩ مرّ في صعود سهل وانعطف إلى الشمال الشرقي وبعد س ٥ و ق ٢٥ أفضى على الصعود إلى واد متسع تاركاً الجبل المار ذكره عن يمينه ومتجهاً إلى الشمال وبعد ق ٥ شرق تاركاً درب الطريق المعتاد عن يساره وبعد س ٥ و ق ٣٧ مرّ الركب وعن يمينه جبل متجه إلى الشمال في انحدار يسير ذي زلط وبعد س ٥ و ق ٥٥ نزل للرياضة وبعد س ٦ و ق ٣٠ سار وبعد ق ٢٠ اتسع الوادي وبعد س ٧ مال الطريق إلى الشمال الغربي وبعد ق ٨ سار في سبخ ذي ملح وعن يمينه بمسافة ذات بُعد يسير جبل وبعد س ٧ و ق ٣٠ سار في سبخ ثم رمل ثم حشائش وبعد س ٨ في سبخ متسع يعلوه ملح وبعد س ٩ انتهى الملح والسباخ وهذه الطريق أقصر من الطريق السويرجية ولم يمر منها الركب لكون موقعها على اليسار بمسافة كبيرة وبعد س ١٠ و ق ٤٠ مرّ على بعض حشائش وسنط وبعد س ١٠ و ق ٥٠ نزل للرياضة وبعد الساعة ١١ و ق ٥ سار وبعد س ١ من الليل مرّ بمحطة العام الماضي التي لا ماء فيها تاركاً عن يمينه جبالاً متسلسلة إلى الشرق وبعد س ١ و ق ٣٠ مرّ في أرض مرملة ذات زلط يسير وفي س ٢ مرّ على سنط وحشيش وبعد س ٢ و ق ٢٠ نزل الركب في أرض متسعة بها على يسير من البُعد جبال ولا ماء بها تسمى أرض (السويرجية) وقد ناله تعب شديد من العربان الجمالة لهزال جمالهم من قلة العلف وفقدهم الحبال الكافية لشدّ الأحمال ومن كون كل عشرة من الجمال بل أزيد ليس لها إلا جمّال واحد يتعسر عليه تحميلها وحده فأصحاب الأحمال من عساكر وفراشين وضويّة وعكامة يحمّلون جمالهم بأنفسهم وجمال سائر المتوظفين ولولاهم لكان المتوظفون يحمّلون جمالهم بأيديهم ومع هذا يغضب الجمّال من أدنى شيء ويسل سيفه على الخدمة فيجتمعون عليه ويأخذون منه السيف قهراً ويأتوني به فكنت أطفاء للفتنة أسترضيهم للاحتياج إلى أباعرهم التي لا وجود لغيرها في هذه الأراضي المنقطعة امتثالاً للحديث (رأس العقل بعد الإيمان بالله مداراة الناس) وعملاً بقول بعض البلغاء دارهم مادمت في دارهم وأرضهم مادمت في أرضهم ولم يمر يوم إلا وترفع إليّ منهم شكوى على أدنى سبب ومتى أراد أحد من الخدمة الركوب على الجمل الذي عليه متاع قليل تشاجر معه

الجمال ومنعه من الركوب وركب هو وترك هذا الخادم ماشياً ويقول الجمّال إن الجمل جملي وأنا أحق بأن أركب على المتاع من الخادم ولم يرض الجمالون بركوب الخدامين إلا بشق الأنفس وبشرط أن يتناوبوا معهم في الركوب وما زالوا ينغصون على الراكب والماشي فلا يبلغ أحد من الحجاج أربه منهم إلا بعد كل مشقة مع الانقياد لأغراضهم الفظيعة فيندم الحاج على السفر للحج الذي أحوجه إليهم فكلهم جاعة حفاة عراة ليس عليهم ثياب إلا القمص الرثة والاكمار والاردية الحمر وترى الأمراء منهم يتجملون إذا دخلوا البلدان بأفخر الملبوس من مقصب ومزركش وحرير وفي الطريق تراه صعلوكاً حافياً أسوأ حالاً من الفقراء وما منهم أحد إلا ومعه سلاح من سيف أو خنجر أو طبنجات ليخيفوا بذلك الركاب ويشبوا على الضعيف وثوب الكلاب وعندهم السرقة شطارة والخيانة إمارة قاتلهم اللّه أنى يؤفكون ، وفي يوم الثلاثاء ١٢ محرم سنة ١٣٠٣ سار الركب بعد س ١٢ و ق ٤٠ والحرارة ١٩ سنتجراد في واد متسع أرضه ثابتة وفيها حشيش يعلوه زلط خفيف محاط بجبال بعيدة متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد س ٢ و ق ٣٠ صعد بين جبلين إلى واد آخر متجهاً إلى الشمال عن يمين جبل هرميّ وبعد س ٥ مرّ في محجر مسافته ق ٣ مُشرّقاً ثم مُبحّراً مائلاً إلى الشمال الشرقي ثم مبحّراً بين أكمات وزلط وشجر وبعد س ٥ و ق ٥٠ بين جبال على الجانبين من الشرق إلى الغرب مدة ق ٦ ثم مال قليلاً إلى الشرق الشمالي وبعد س ٦ اتجه إلى الشمال الشرقي مع تلال حجرية وبعد ق ٣ اتجه إلى الشمال وبعد س ٦ و ق ٢٥ مرّ بالقرب من جبل على اليمين وعن يساره على البُعد جبلان هرميان واستمر في طريق متسعة ذات أحجار صخرية وسنط كبير وبعد س ٧ نزل الركب للاستراحة بجوار حفائر ماؤها عذب والحرارة ٣٦ سنتجراد وبعد س ٧ و ق ٥٠ سار وبعد س ٨ و ق ٩ مرّ في محجر يسير ثم في سنط كثير وبعد ق ١٠ هاج الجمالة والعساكر وشاع في الركب أن العربان نزلت من الجبال على أواخر الحجاج فنهبوا جملاً وقتلوا مقوّما وعسكرياً فتقهقر أحد المدافعين إلى الوراء ثم انكشف عن أن الشريف الذي انتدبه سعادة شريف مكة ليحمينا ويمنعنا من أذى العربان إلى أن نصل المدينة بقي جالساً بجانب إحدى الحفائر حتى سار الركب وغاب عن العيون فنزلت عليه العربان من الجبل المجاور لهذه الحفائر الذين من دأبهم اتباع

القوافل والمحامل في الخفية مدة خمسة أيام فأكثر ليسلبوا من يتأخر منهم ماله وجماله التي لايتركونها ولو ماتت ليسلخوا جلودها وحالاً أطلقوا الرصاص على هجين لهذا الشريف فقتلوها وسلبوا أخرى مع حملها ففر إلى جهة الركب على هجين أخرى وتلاحق به أتباعه وعدوا السلامة غنيمة فحمدوا الله على نجاتهم وحكوا ما جرى لهم مع أن وظيفة هذا الشريف حفظ الركب من هؤلاء الأعراب وحراسته من هذه الذئاب فقلت .

سلب الذي قد قلدوه محاميا للركب حتى صار تحت حمايته

ومن هذا المعنى قول بعض العوام

طلعت تجري يامغرور لأجل كيد الرجاله

أخذوا طقيتك يامسكين وجيت براسك عريانه

اللهباء

كما أن قبيلة من العرب تسمى اللهباء ما بين رابغ والمدينة حرفتها السرقة والنهب قديماً ويتبعون القوافل من مكة إلى المدينة ذهاباً وإيابا ويختفون نهاراً في الجبال وفي الليل يسرقون الحجاج وبعد انقضاء الحج يبيعون سرقتهم من الأمتعة الثمينة بأدنى قيمة ، ومن عاداتهم إذا تزوج منهم أحد يمهل زوجته بالمهر إلى آخر موسم الحج ليدفعه من سرقته وبعد س ٩ و ق ٥٠ سار الركب في محجر ذي زلط كبير كثير واتجه مبحراً بين جبال قريبة من جهة اليمين وبعيدة من جهة اليسار وبعد ق ٥ في زلط صغير وبعد س ١٠ و ق ٦ مرّ الركب في محجر متسع وجبال كالسابقة وبعد ق ١١ اتجه إلى الشمال الغربي ماراً على زلط كثير وبعد س ١٠ و ق ٣٥ اتجه مغرّباً في واد متسع وبعد س ١٠ و ق ٥٥ كثر الشجر ووصل إلى مهبط ذي انحدار ومنه إلى مصعد من محجر إلى أحجار كثيرة بين تلال منخفضة المسير منها مستصعب ممتدة ومائلة إلى الجنوب الغربي وصعوبة المسير من تراكم الأحجار واعوجاج الدرب وبعد س ١١ و ق ٢٠ سهل الدرب نوعاً وبعد ق ١٠ مرّ من مهبط

صعب حجري إلى خور وقبل مصعداً ولولا عدم الأمطار لكان السير خطراً وبعد ق ٨ انتهى الصعود واتجه مغرباً في أحجار كثيرة ذات اتساع كبير بين جبال وبعد س ١٢ نزل الركب للمبيت بمحطة (الحجرية) الكثيرة الحجارة أسفل جبل بعيد عن الآبار بربع ساعة .

وفي يوم الأربعاء ١٣ منه سار س ١٢ و ق ٥٠ مُبحّراً في سنط وعن يساره جبال وبعد س ١ و ق ٥ إتجه إلى الشمال الشرقي في أرض متسعة ذات جبال على اليسار وبعد ق ٥ بحّر في براح ذي زلط يسير وبعد س ١ و ق ٤٠ مرّ على أشجار كثيرة وبعد ق ٢٠ على زلط كبير كثير مسافته ٥٠ متراً متجهاً بانحراف إلى الشمال الشرقي وبعد س ٢ و ق ١٠ انتهت الجبال واتسع الوادي في أرض مستوية صلبة متجهاً تقريباً إلى الشمال عن يسار السنط وبعد س ٣ مرّ في سنط كثير مع الميل تارة إلى الشرق الشمالي وبعد س ٤ و ق ٢٥ في سنط وعن يمينه آكام من الزلط وبعد س ٤ و ق ٥٨ على أحجار سود متسلسلة من الشرق إلى الغرب وبعد س ٥ و ق ٦ انتهت الأحجار وبعد ق ٧ مرّ وعن يمينه أحجار وسنط إلى براح وبعد س ٥ و ق ٢٠ إلى زلط مسافته كبيرة ثم إلى براح وسنط عن اليمين وبعد س ٥ و ق ٤٥ إلى براح مستوٍ خال من الشجر وبعد ق ٨ إلى زلط منتثر وسلسلة مُشرّقة مُغرّبة وبعد س ٦ انتهى المرور والهبوط منها وبعد ق ٣ مرّ في واد به حشيش وبعد س ٦ و ق ١٥ استراح وكانت الحرارة ٣٢ سنتجراد وبعد س ٦ و ق ٤٧ سار وعن يساره تل عال وخلفه جبال بعيدة مبحرة وبعد س ٧ و ق ٥ صار التل المذكور عن يمينه واتجه السير إلى الشمال قريباً من أحد الجبال المذكورة في أرض مرملة ذات حشائش وبعد س ٨ و ق ٤٣ مرّ على شجرة سنط كبيرة منفردة ذات اليمين وبعد ق ٥ على تلال من زلط شبيهة بجسر على ذات اليسار بعضها متجه إلى الغرب وبعضها إلى الشمال وبعد س ٩ و ق ٣٥ مرّ على تلال على اليمين متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد ق ٥ على تلال عن اليسار وعلى جبال ذات اليمين بعيدة في أرض ذات رمل ثابت وبعد س ١٠ على جبل عن اليمين مُشرّقاً وبعد س ١٠ و ق ٣٠ نزل للمبيت عن يسار تلال بمحطة (غرابه) في واد متسع مجرد عن المياه ومياه هذه الطريق باردة

كلها تحمل الشارب على تناول مقدار كبير منها لاحتوائها على أملاح كيماوية كالصودا وكبريتات الباريتا وهي لزجة ولا ترغي الصابون ما عدا مياه وادي الليمون ومياه الحجرية ، وبعد س ٩ و ق ٣٠ من الليل سار وبعد س ١١ و ق ٣٠ مرّ على تلال عن اليمين وبعد س ١٢ حط لصلاة الصبح وبعد ق ٣٠ سار متجهاً إلى الشمال الغربي .

وفي يوم الخميس س ١ و ق ٢٥ مرّ على حشيش كثير وبعد ق ٢٥ اتجهت جبال اليمين إلى الشرق وعلى اليسار جبال بعيدة وبعد س ٢ و ق ١٠ مرّ وعن يساره تلال منخفضة وبعدت جبال اليمين وبعد س ٢ و ق ٣٠ ابتدأت عن اليسار تلال متجهة إلى الغرب وبعد دقيقتين اتسع الوادي وبعد س ٣ و ق ٢٠ صعد يسيراً على تلال مستحجرة وبعد ق ٥ انحرف الاتجاه مُغرّباً بين تلال ثم اعتدل إلى الشمال الغربي وبعد س ٣ و ق ٣٥ مرّ بين تلال عن اليمين وجبال عن اليسار مقبلة وبعد ق ٥ مرّ بين سلسلة جبال في أرض متسعة فيها زلط كثير وبعد ق ٥ أخرى ابتدأ عن اليمين جبل مُبحّر وعن اليسار براح وبعد س ٤ نزل الركب للرياضة وبعد س ٤ و ق ٣٥ سار إلى الشمال الغربي إلى براح في أرض سهلة صلبة واتسع الوادي وتباعدت الجبال وكانت الحرارة ٣٣ سنتجراد وبعد س ٦ و ق ٤٥ مرّ على تلال عن اليسار متسلسلة إلى الغرب وبعد س ٧ و ق ٣٠ تقاربت التلال وبعد س ٩ و ق ١٥ مرّ وعن يمينه جبل على بُعد ٢٠٠٠ متر متسلسل إلى الشرق وبعد س ١١ و ق ٥ مرّ وعن يمينه جبل وبعد ق ١٠ مرّ بين جبال متسلسلة من الشرق إلى الغرب ترى من بعد ٥ ساعات لاستواء الأرض متجهاً بين الغرب والشمال الغربي وبعد س ١٢ اتجه إلى الشمال ثم إلى الشمال الشرقي ثم بعد ق ١٠ إلى الشمال الغربي بين جبال في أرض يعلوها زلط وبعد س ١٢ و ق ٤٠ مرّ في انحدار متناسب وانعطفت الطريق على حسب الجبال ثم في محاجر وبعد س ١ من الليل اتجه إلى الغرب وبعد س ١ و ق ٤٠ نزل للمبيت بمحطة (الغدير) أو الحنق المسماة بالخنق أيضاً بواد متسع بين جبال وهناك على بُعد ست دقائق بركة من ماء المطر في سفل جبل من الصخر طولها مائة متر وعرضها عشرة أمتار تمتلىء من قناة بين جبلين ماؤها عذب يرغي الصابون.

وفي يوم الجمعة ١٥ محرم بعد س ١ و ق ٢٥ سار مغرّباً تقريباً ثم اتجه إلى الشمال الغربي بين جبال تارة إلى الشمال وتارة إلى الغرب وبعد س ١ و ق ٥٠ اتجه إلى الغرب وبعد ق ١٠ بين الشمال والشمال الغربي في متسع نوعاً مع الاستواء وبعد س ٢ و ق ٣٠ تارة إلى الغرب وتارة إلى قبلي وبعد ق ١٠ سار في صعود سهل إلى أرض مستوية فيها عن اليمين جبال متجهاً بين الغرب والقبلي الغربي وبعد س ٣ و ق ١٥ استقام إلى الغرب وبعد س ٣ و ق ٣٥ هبط في محجر بين جبلين وبعد س ٤ سار في زلط كثير وهبط إلى واد ذي زلط عن اليسار وبعد ق ١٥ اتجه إلى الشمال الغربي على أحجار منتشرة في جميع الوادي فلولا آثار الجمال لصْعب المرور من هذا الطريق جداً لاسيما مع الأمطار وبعد س ٤ و ق ٤٥ انحرف بين الشمال والشمال الغربي وقلّت الأحجار ثم بعد ق ١٥ كثرت وبعد س ٥ و ق ٨ هبط إلى منخفض صعب لكثرة أحجاره وهذا الوادي يسمى الحادة ، وبعد س ٥ و ق ٤٠ اتجه إلى الشمال الغربي في أحجار كثيرة مع هبوط قليل وبعد س ٦ و ق ١٥ اتجه إلى الغرب على جبل كبير مُبحّر عن آخرين وبعد س ٧ مرّ في منحدر خفيف وعن يمينه تل وبعد ق ٧ صعد قليلاً إلى سطح متسع وبعد س ٧ و ق ٢٥ انتهت الأحجار وهبط إلى أرض مرملة تُعرف بغدير الأغوات ذات شجر من السنط وبعد س ٧ و ق ٣٠ كانت رياضة والحرارة ٣٨ سنتجراد وبعد س ٨ و ق ١٥ سار وبعد ق ٢٠ عبر على تل خفيف وبعد س ٨ و ق ٥٧ مرّ على خور متسع أرضه ثابتة ذات استواء تصلح للزراعة وبعد ق ٥ صعد في محجر صعب إلى أرض كثيرة الأحجار وبعد س ٩ و ق ١٣ هبط إلى رمل وزلط متجهاً إلى الغرب على جبل (أُحُد) وبعد س ٩ و ق ٣٠ وصل إلى هبوط يسير وبعد س ٩ و ق ٤٨ وصل إلى صعود وبعد س ١٠ و ق ٥ اتجه بين الغربي والقبلي الغربي وبعد س ١١ و ق ١٨ سار بين تلال وبعد ق ١٥ بين جبال جبل أُحُد عن اليمين وجبل صغير عن اليسار وبعد س ١٢ و ق ١٠ مرّ على عدة آبار متجهاً إلى الجنوب الغربي وبعد ق ٥ نزل للبيت بعيداً عن مسجد سيدنا (حمزة) رضي اللّه عنه .

وفي يوم السبت س ١ و ق ٢٠ وصل إلى قريب منه ثم انعطف إلى اليسار حتى

بلغ أمام باب المدينة المسمى بالعنبرية س ٣ وربع ونزل بمكانه المعتاد سنوياً والعساكر الشاهانية مصطفة على جانبي الطريق خارج الباب لاستقبال المحمل وموسيقاهما تتغنى بكل الألحان والأنغام فرحاً بالوصول إلى أرفع مقام .

دخول المدينة

وفي الساعة الثانية من صبيحة يوم الأحد دخل المحمل المدينة النبوية واكباً من باب العنبرية محاطاً بالخيالة وأمامه العساكر الشاهانية وعساكر المحمل وموسيقاهما في غاية الانتظام وأهل المدينة فرحون يتفرجون بالسرور التام والمحمل يتبختر تبختر العروس حتى وصل (المناخة) كما هي عادته في كل عام فأطلق من الطوبخانه أحد عشر مدفعاً للسلام وعند دخوله من الباب (المصري) ترجل كل راكب إجلالاً لصاحب المقام وقام كل قاعد ومرّ في شارع المدينة والبخور أمامه صاعد حتى وصل إلى باب (السلام) وصعد الجمل على السلّم في متسع بقدر مبركه مع الراحة فاستلم شيخ الحرم سعادة عادل باشا من المحامليّ الزمام وأناخه أمام العتبة التي تحيا بالقبل فرفع المحمل من فوق الجمل وأدخل الحرم الشريف إلى محله المعيّن في كل عام بالقرب من المنبر النبوي فرفع عنه متوظفوه كسوته وحملوها بمفرداتها بعد أن لبسوا الجبب البيض والأحزمة والعمائم مع غاية التأدب والاحتشام حتى أدخلوها حجرة المصطفى عليه الصلاة والسلام من الباب (الشامي) وتركوها في بقعة السيدة (فاطمة) رضي اللّه عنها بجوار ضريحه الشريف وأما البيرق فوضع بجوار الفجوة الكائنة عند الرأس الشريف وترك هناك وبعد أن دعوا اللّه مخلصين خرجوا من باب السيدة فاطمة رضي اللّه عنها مسرورين بزيارة حرم سيد الأنام حامدين شاكرين المملك العلام على هذا الإنعام وتوجه كل أحد لشأنه سواء إلى محله أو لزيارة حرم خير الأنام .

المناخة

ولنشرح الآن ما تيسر لنا معرفته من المدينة المنورة والحرم المدني وكيفية الزيارة فأقول (المناخة) محل متسع من ضمن المدينة يقفل به الحاج وبينها وبين المدينة سور به باب كبير عليه خفر يوصل أيضاً لداخل المدينة يسمى الباب (المصري) الذي دخل

منه المحمل بموكبه كما سبق وبجانبه بالمناخة وكالتان وقهاوي من أخشاب وسوق الغلال والمواشي ويرى بداخل سور المدينة قبة بيضاء وهي مقام سيدي (أبي سعيد مالك بن سنان) صاحب لواء رسول الله صلى الله عليه وسلم وبشرقيّ المناخة الطوبخانه وباب المدينة المسمى بالباب (الشامي) وببحريها أماكن وجامع (الإمام علي) كرم الله وجهه وبها أيضاً جامع صغير يقال له جامع (الغمامة) لأنه صلى الله عليه وسلم صلى به في يوم شديد الحر فظللته من الشمس غمامة مدة صلاته وباب السور المذكور يُغلق عند صلاة الجمعة لتكون الصلاة متفقاً عليها عند الأئمة حيث إن الشافعي رضي الله عنه لايقول بتعدد الخطبة ولذلك السادة الشافعية يصلّون الظهر عقب صلاة الجمعة في البلدة التي تعددت بها المساجد الجامعة ولم يكن بالمدينة مسجد جامع غير الحرم الشريف وهذا علة غلقهم باب السور المذكور عند صلاة الجمعة لتصير المناخة منفصلة كبلدة أخرى ثم إني بعد النزول بالمناخة دخلت من باب المدينة إلى السوق وهو غير منتظم عرضه تارة أربعة أمتار وتارة أقل وعلى طرفيه دكاكين صغيرة مرتفعة عن الأرض بمتر واحد على هيئة قيسرية تعلوها أماكن ويمتدّ هذا السوق على خط غير مستقيم نحو أربعمائة متر وينتهي إلى باب الحرم المسمى بباب (السلام) ويتصل بهذا السوق أزقة موصلة لداخل المدينة عرض أغلبها متران وبيسار باب السلام سوق آخر موصل لباب آخر للحرم من الغرب ويسمى (باب الرحمة) وباقي الأبواب ليست بالأسواق .

كيفية الزيارة

والزائر لحرم رسول الله صلى الله عليه وسلم يصطحب بأحد المزوّرين أعني المرشدين للزوّار على رسوم الزيارة ولديهم أدعية مأثورة تتلى ويدعى بها عند كل مشهد والمزوّر بالمدينة كالمطوّف بمكة ولولاهما لم ينتظم للحجاج بهذين البلدتين حال ويدخل برفقته الحرم الشريف النبوي برسم الزيارة من باب السلام واضعاً يديه على صدره متوجهاً إلى ناحية الروضة الشريفة سائراً في طرقة مفروشة بالمرمر وتنتهي إلى ما وراء حجرته عليه السلام وعلى يساره المسجد بعمد مزخرفة بشكل جميل ظريف

مفروشاً بالأبسطة الثمينة وفيه المنبر والمحراب الشريف وهو يقول[1] «اللّهم أنت السلام ومنك السلام وإليك يرجع السلام فحينا ربنا بالسلام وأدخلنا الجنة دارك دار السلام تباركت ربنا وتعاليت ياذا الجلال والإكرام» فيمر من بين المنبر والمحراب الشريف ويصلي ركعتين تحية المسجد بالبقعة الكائنة بين المنبر والحجرة النبوية وتسمى (بالروضة المطهرة) التي قال في حقها عليه الصلاة والسلام «ما بين حجرتي ومنبري روضة من رياض الجنة» ويدعو بعد صلاته ويقول «اللّهم إن هذه الروضة من رياض الجنة شرفتها وكرّمتها ومجدتها وعظمتها ونوّرتها بنور نبيك وحبيبك سيدنا محمد صلى اللّه عليه وسلم اللّهم كما بلغتنا في الحياة قبل الممات زيارة نبينا ومآثره الشريفة فلا تحرمنا ياالله في الآخرة من فضل شفاعته واحشرنا في زمرته وأمتنا على محبته وسنّته واسقنا ياالله من حوضه المورود بيده الشريفة شربة هنيئة مريئة لا نظمأ بعدها أبدا إنك على كل شيء قدير برحمتك ياأرحم الرحمين» ثم يخرج من باب (الروضة) الذي بين المحراب النبوي والحجرة الشريفة ويدخل في الطرقة التي كان بها ويتوجه إلى شباك (التوبة) قائلاً «رب اغفر لي ولوالديّ وارحمهما كما ربياني صغيرا» ويقف أمامه وهو الشباك المتوسط بين شباكين من نحاس منقوش كالشبك مكتوب عليها آيات قرآنية لأنه دائر ما يدور الحجرة من داخل شبكة من الفضة ومذهّبة أهداها السلطان أحمد وذلك الشباك مواجه للقبر الشريف يقفون أمامه للزيارة وهو من ضمن أبواب الحجرة النبوية مكتوب عليه بالخط الجلي المشبك هذان البيتان .

(من عـوّد الناس بإحسانه وعـمّ بالفضل جميع الأنام)

(تزاحم الناس على بابه والمنهل العذب كثير الزحام)

وبهذا الشباك ثلاث طاقات مستديرة في اتساع اليد يرى من الأولى (الكوكب الدريّ) المعلق على ستر المقام الشريف من داخل الحجرة على علو ذراع من الأرض وهو قطعة من حجر الماس كبير كبيضة الحمامة في وزن ٩٢ قيراطاً قيمته اثنا عشر

(١) التوسل الذي ذكر انه يقال عند الحرم النبوي لا يخلو من الشرك.

ألف دينار هدية من السلطان أحمد سنة ١٠٢٢ وبأسفلها فص زمرد كبير مثمن وهما في شبكة من الذهب معلقان بالمواجهة الشريفة ومن تحتهما فجوة صغيرة مستورة بستائر المقام يوضع فيها تراب الصندل في السابع عشر من ذي القعدة الحرام في كل عام وعند دوران الحول تقتسمه الأغوات ويعطون منه الزوّار بقصد التبرك ومن العادة الجارية في المدينة أنهم يضعون في هذه الفجوة كل مولود يوم أربعينه ويسبلون عليه الستر كما أن أهل مكة يضعون المولود كذلك على عتبة الكعبة المشرّفة .

والبرزخ الشريف بعيد عن الشباك بقدر ثلاثة أذرع معمارية يقف الزائر بعيداً عن الشباك المذكور بذراعين أمام الطاقة الأولى واضعاً يديه على صدره شاخصاً لجهة خير الأنام داعياً بما يلقنه المزوّر فيقول «بسم اللّه الرحمن الرحيم الصلاة والسلام عليك ياسيد الأنام ومصباح الظلام وقمر التمام ورسول اللّه الملك العلام الصلاة والسلام عليك يامن كلمك الحجر وانشق لك القمر وسعى إلى إجابتك الشجر الصلاة والسلام عليك ياسيدنا ونبينا وحبيبنا وشفيعنا وملاذنا وقرة أعيننا ياسيدي يارسول اللّه ، الصلاة والسلام عليك يانبي اللّه ، الصلاة والسلام عليك ياحبيب اللّه ، الصلاة والسلام عليك يامن بسيف النصر قلدك اللّه ، الصلاة والسلام عليك ياشفيع المذنبين عند اللّه ، الصلاة والسلام عليك ياأوّل خلق اللّه وخاتم رُسل اللّه ، الصلاة والسلام عليك يامحمد يا بن عبد اللّه يا بن عبد المطلب يا بن هاشم ياطه يايس يابشير يانذير ياسراج يامنير يامقدّم جيش الأنبياء والمرسلين أتيناك زائرين وقصدناك راغبين وعلى بابك وأعتابك واقفين لا تردّنا خائبين ولا عن باب شفاعتك محرومين، الصلاة والسلام عليك يامن أنزل اللّه على قلبك (ولو أنهم إذ ظلموا أنفسهم جاؤوك فاستغفروا اللّه واستغفر لهم الرسول لوجدوا اللّه تواباً رحيما) وهاأنا يارسول اللّه قد جئتك هارباً من ذنبي ومن عملي ومستجيراً ومتشفعاً بك إلى ربي فاشفع لي ياشفيع الأمة ، اشفع لي ياكاشف الغمة[1] أنت الشفيع أنت المشفع ،

أنت الشفيع الذي ترجى شفاعته * عند الصراط إذا مازلّت القدم

(١) هذا العبارات ينفرد بها سبحانه وتعالى دون سائر خلقه.

نشهد أنك قد بلّغت الرسالة وأدّيت الأمانة ونصحت الأمة وجليت الظلمة وجاهدت في سبيل اللّه حق جهاده وعبدت ربك حتى أتاك اليقين نسألك الشفاعة أن تشفع لنا ولوالدينا ولمشايخنا ولمن علمنا ولجيراننا ولمن أوصانا واستوصانا وقلدنا عندك بدعاء الخير والزيارة والصلاة والسلام عليك سلطان الأنبياء والمرسلين والحمد للّه رب العالمين» .

ثم يتقدم خطوة إلى اليمين حتى يحاذي الدائرة الثانية وهي بمواجهة سيدنا (أبي بكر) رضي اللّه عنه ويقول «السلام عليك أيها الصديق الأكبر والعلم الأشهر وخليفة رسول اللّه في الحضر والسفر ، السلام عليك ياسيدنا أبا بكر الصديق ، السلام عليك يا صديق رسول اللّه على التحقيق ، السلام عليك يامفرّج كل هم وغم وكرب وضيق ، السلام عليك ياصاحبه في الغار وفي الحضر والأسفار ، السلام عليك يامن قال اللّه في حقه (ثاني اثنين إذ هما في الغار إذ يقول لصاحبه لا تحزن إن اللّه معنا) السلام عليك يا من قال في حقه سيد البشر (ما طلعت الشمس ولا غربت بعد النبيين على رجل أفضل من أبي بكر) السلام عليك يامن أنفق ماله كله في حب اللّه وحب رسوله حتى تخلل بالعباء ، رضي اللّه تعالى عنك وأرضاك أحسن الرضا وجعل الجنة منزلك ومسكنك ومحلك ومأواك ، جزاك اللّه عنا أفضل الجزاء ، السلام عليك يا أول الخلفاء وتاج العلماء وعلى صهرك النبي المصطفى ورحمة اللّه وبركاته» ثم يتزحزح إلى اليمين خطوة ويحاذي الدائرة الثالثة المواجهة لسيدنا (عمر بن الخطاب) رضي اللّه عنه ويقول «السلام عليك يا فاروق الدين وكهف المستخلفين من أتم اللّه به الأربعين وأنزل في حقه (يا أيها النبي حسبك اللّه ومن اتبعك من المؤمنين) ، السلام عليك ياسيدنا عمر بن الخطاب ، السلام عليك يا حنفيّ المحراب ، السلام عليك يامكسّر الأصنام ، السلام عليك يامظهر دين الإسلام ، السلام عليك يامن فرّ منه الشيطان ، السلام عليك يامن قال في حقه سيد البشر (لو كان نبي بعدي لكان عمر) ، السلام عليك ياسراج أهل الجنة جزاك اللّه عنا أفضل الجزاء رضي اللّه تعالى عنك وأرضاك أحسن الرضا وجعل الجنة منزلك ومسكنك ومحلك ومأواك ، السلام

عليك يا ثاني الخلفاء وتاج العلماء وعلى صهرك المصطفى ورحمة الله وبركاته» ثم يتوجه شرقيّ المقام من الطرقة الثانية أمام الشباك الوسطاني من الثلاثة شبابيك التي هي شبابيك (مهبط الوحي) والستائر المحيطة بالمقام الشريف ترى من جميع هذه الشبابيك مسدولة إلى الأرض متصلة بمحيط قاعدة القبة الشريفة بحيث لايرى الزائر القبة من داخل الحرم أياً كان وعند هذا الشباك يسلم على الملائكة الأربعة الكرام ويدعو ويقول «السلام عليك يا سيدنا جبرائيل ، السلام عليك يا سيدنا ميكائيل ، السلام عليك يا سيدنا إسرافيل ، السلام عليك يا سيدنا عزرائيل ، السلام عليكم ياملائكة الله المقربين المشرفين المعظمين المنوّرين من أهل السموات وأهل الأرضين يا ربنا يا كريم يا حليم يا رؤوف يا رحيم أتمم لنا نورنا واغفر لنا ذنوبنا وكفرّ عنا سيئاتنا وتوفنا مع الأبرار برحمتك ياأرحم الراحمين يارب العالمين» ثم ينتقل لجهة اليمين إلى الشباك الثالث ومنه إلى باب يُقال له باب السيدة (فاطمة) رضي الله عنها ويسلم ويدعو بقوله «السلام عليك ياسيدتنا فاطمة الزهراء السلام عليك يا ابنة رسول الله، السلام عليك يا ابنة نبي الله ، السلام عليك يا ابنة المصطفى ، السلام عليك ياسيدة النساء ، السلام عليك يا خامسة أهل الكساء، رضي الله تعالى عنك وأرضاك أحسن الرضا ، السلام عليك وعلى أبيك المصطفى وبعلك المرتضى وابنيك الحسنين ورحمة الله وبركات» وبجوار هذا الباب من الداخل البقعة التي سيدفن فيها عيسى ابن مريم عليه السلام بعد نزوله من السماء ولم تكن السيدة فاطمة رضي الله عنها مدفونة تجاه هذا الباب وإنما هو من أبواب الحجرة الشريفة تسمى بها وهي مدفونة بالبقيع بجوار العباس عم النبي صلى الله عليه وسلم على القول الصحيح وهذا الباب مُعد للدخول إلى الحجرة النبوية في كل ليلة للخدمة ثم بعد أن يدعو الزائر هناك يستديره ويسلم على أهل (البقيع) لأن البقيع من وراء هذه الجهة خارج المدينة مُعدّ لدفن أمواتها ويدعو قائلاً «السلام عليكم يا أهل البقيع يا أهل الجنة الرفيع أنتم السابقون ونحن إن شاء الله تعالى بكم لاحقون أبشروا بأن الساعة آتية لاريب فيها وأن الله يبعث من في القبور آنسكم الله ثبتكم الله بقول أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمداً رسول الله» ثم يلتفت إلى شماله ويستدبر القبلة ويستقبل جهة جبل (أُحُد) ويسلم على سيدي (حمزة) عم النبي صلى

اللّه عليه وسلم وعلى الشهداء ويقول «السلام عليك ياسيدنا حمزة، السلام عليك ياعم رسول اللّه ، السلام عليك ياعم نبي اللّه ، السلام عليك ياعم المصطفى ، السلام عليكم ياشهداء ياسعداء يانجباء ياأصفياء ياأتقياء ياأهل الصدق والوفاء جاهدتم في سبيل اللّه حق جهاده وعبدتم ربكم حتى أتاكم اليقين ، السلام عليكم ورحمة اللّه وبركاته» ثم يرجع القهقري إلى مبدأ هذه الجهة حتى يأتي (قبلة المدّعى) ويدعو اللّه بماشاء بدون واسطة المزوّر ، أو يقول «اللّهم ياألله ياألله ياحنّان يامنّان ياديّان ياسلطان يابرهان يامستعان ياقديم الإحسان يامن علمه في كل مكان يامن إذا سُئل أعطى وإذا استعين أعان اللّهم اكتب السلامة والعافية علينا وعلى عبيدك الحجاج والغزاة والزوار والمسافرين والمقيمين في برّك وبحرك من المسلمين واغفر لأمة محمد أجمعين برحمتك ياأرحم الراحمين» ثم يستدير على يمينه ويتوجه إلى مواجهة الشباك (النبوي) ويدعو ثانياً ويقول «اللّهم إني أسألك وأتوسل إليك بجاه نبيك[1] المصطفى أن ترزقني يا الهي إيماناً كاملاً ويقيناً صادقاً وعلماً نافعاً وبدناً ناصحاً وقلباً خاشعاً وولداً صالحاً ورزقا واسعاً وعملاً مقبولاً وتوبة نصوحاً وتجارة لن تبور يانور النور يا عالم ما في الصدور أخرجني ياإلهي أنا ووالديّ من الظلمات إلى النور برحمتك ياأرحم الراحمين» ثم يلتفت خلفه ويتوجه لمحراب سيدنا (عثمان بن عفان) رضي اللّه عنه وهو في الحائط التي عن يمين الطرقة المبدوأة من باب السلام ويقول «اللهم يا إله العالمين وقابل التائبين وأمان الخائفين وحرز المتوكلين وجبار المنكسرين وراحم الضعفاء والفقراء والمساكين تقبّل منا أجمعين وعافنا واعف عنا ياكريم بسر الفاتحة» وبذلك تتم الزيارة ثم يدخل الحرم ويزور (الجذع) وهو جذع كان النبي صلى اللّه عليه وسلم يخطب عليه قبل اتخاذ المنبر الشريف وبعد اتخاذ المنبر حنّ ذلك الجذع لفراقه وبقي هناك مدة بعد وفاته صلى اللّه عليه وسلم ثم أحرز في هذا المحل بجوار المحراب ثم يتوجه لزيارة المحراب والمنبر والروضة ويصلي بها ركعتين يميل لزيارة (المصحف العثماني) من وراء الشبكة وهو موضوع على رحلة على يمين الداخل للحجرة الشريفة من باب (الوفود) ولايفتح هذا المصحف إلا عند حادث

(١) التوسل بالله، لا بجاه النبي.

عظيم كحرب أو وباء فتجتمع العالم بالحرم ويدخلون الحجرة من (الباب الشامي) لهذا المقصد ويفتحون المصحف ويقرأون فيه ما تيسر من القرآن ، وهذا المصحف أحد المصاحف السبعة الأولى التي استكتبت عند جمع القرآن الشريف من أفواه حملته في خلافة سيدنا عثمان رضي الله عنه ولما قتل رضي الله تعالى عنه كان هذا المصحف الشريف في حجره ووقع دمه على قوله تعالى (فسيكفيكهم الله وهو السميع العليم) وباق به هذا الأثر إلى الآن ومن أراد دخول الحجرة الشريفة تيسر له ذلك بواسطة الأغوات قبل الغروب بنيّة قيادة القناديل والشمع ويلبسونه ثياباً بيضاء من ثيابهم ، وأما زيارة أهل البقيع وحمزة رضي الله عنهم فقد جعلت في الحرم تسهيلاً على المسافر وليكرر زيارتهم مع زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وإن كان ولابدّ للحاج أن يزورهم ويتوجه إليهم .

الحرم النبوي

والحرم النبوي الشريف في وسط المدينة مهيب مزخرف موضوع بشكل جميل طوله من داخل (١٥٥) ذراعاً معمارياً إسلامبولياً وعرضه من جهة القبلة (١١٥) ذراعاً من البحري (٨٨) ذراعاً وأحجاره تجلب من جبل بالقرب من المدينة وعواميده مجصصة مغطاة بدهان ونقوش ولم تكن من رخام لعسر نقلها من محلها وأرضه مفروشة بالرخام ثم الأبسطة الثمينة وبه خمسة مآذن وخمسة أبواب بابان من الجهة الغربية وهما (باب السلام) في ابتداء الجدار الغربي من زاويته القبلية وفوقه مئذنة ويبتدىء الزائر بالدخول منه وفي وسط هذه الجهة الباب الثاني وهو باب (الرحمة) وخارجه مئذنة صغيرة وحنفيات للوضوء ويمكن الزائر أن يدخل من هذا الباب ويميل على يمينه ويسير في الطرقة الموصلة إلى طرقة باب السلام ومنها يتوجه للزيارة كما سبق وابتداء الحائط الشرقية مئذنة تواجه باب السلام وبهذا الحائط الشرقي بابان أحدهما باب (جبرائيل) أمام باب السيدة فاطمة والآخر باب (النساء) مواجهاً لباب الرحمة والجدار البحري في كل طرف منه منارة وفي وسطه باب (التوسل) وفي وسط الحرم صحن يقال له (الحصوة) به جنينة صغيرة بها بئر ونخل وتسمى بجنينة السيدة (فاطمة) والحجرة النبوية الشريفة هي بيت السيدة عائشة بنت أبي بكر وزوجة

الرسول صلى الله عليه وسلم كائنة بالجهة القبلية الشرقية من المسجد مدفون بها النبي صلى الله عليه وسلم وبجانبه سيدنا أبو بكر رضي الله عنه وبجانب أبي بكر سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه ولها أربعة أبواب باب صغير في شباك (التوبة) وباب السيدة (فاطمة) والباب (الشامي) يقابل شباك (التوبة) وباب (الوفود) مواجه لشباك (الوحي) وكان يخرج منه النبي صلى الله عليه وسلم للصلاة بالحرم ، والحرم الشريف تغلق أبوابه في الساعة الثالثة من الليل فيما عدا موسم الحج ولايبقى به إلا الأغوات المختصة بالخدمة ، وبالحرم حمام كحمام حرم مكة مُحرَّم صيده وقتله ، وقد أخذت خريطة الحرم السطحية بالضبط والتفصيل باعتبار كل متر بمليمتر واحد وأخذت كذلك رسم منظر المدينة المنورة وقبة المقام الشريف بواسطة الفطوغرافية .

والمسجد النبوي صار توسيعه قليلاً في خلافة سيدنا عمر بن الخطاب سنة ١٧ من الهجرة ثم زاد في وسعه سيدنا عثمان بن عفان سنة ١٩ ثم زاد فيه الوليد بن عبد الملك سنة ٨٩ وبنى المحراب ومآذن بأربع أركانه وكان عمر بن عبد العزيز أميراً على المدينة وقتئذ ثم زاد فيه المهدي بن المنصور سنة ١٦٠ وسقفه بالخشب ثم انحرق وعمّره الخليفة المستعصم وفي سنة ٦٥٠ عمّره وسقفه الملك الظاهر بيبرس ثم الناصر ابن قلاوون من ملوك مصر وأول من بنى قبته عليه السلام السلطان منصور قلاوون في سنة ٦٧٨ وفي سنة ٨٣١ عمّر سقفه السلطان الأشرف برسباي ثم السلطان الظاهر برقوق في سنة ٨٥٣ وفي مدة قايتباي سنة ٨٧٩ حرق جميعه وبناه وبنى قبة الحجرة على ماهي عليه الآن من الوسع والارتفاع وفي سنة ١٢٧٠ جدده السلطان عبد المجيد خان ونقش سقفه وأعمدته بالألوان البهجة وفرش أرضه بالرخام المشكل والقباب المزخرفة اللطيفة وصرف عليه ٧٥٠٠٠٠ جنيه مجيدي وأخبرني محمود أفندي مهندس عمارة الحرم أنه لما أراد وضع عمود الذي بجانب باب الوفود من الحجرة وحفر ثمانية أذرع نبعت عين ماء لونها أبيض في أشدّ الحلاوة وبخلاف ماء المدينة النبع فإنه قيسوني ووجد لديه جذور نخل تخاطفها الحاضرون للتبرك وأرسل من الماء المذكور للآستانة العلية وسدّ على هذه العين بوضع الأساس الجديد (وأما

كسوة حجرته) عليه السلام فأول من وضعها الست خيزران جارية المهدي من خلفاء العباسيين وهي أم الهادي وهارون الرشيد ، ثم صار أصولاً بين الخلفاء ثم السلاطين إلى الآن ، وأما (المنبر) فقد تعدد تجديده وتغييره في خلافة سلاطين متعددة حتى أرسل السلطان سليمان منبراً من المرمر في غاية الاتقان وهو باق إلى الآن وقد قلت متوسلاً به عليه السلام (شعراً) .

أنا عبد أتيتك اليوم أرجو منك فضلاً شفاعة عند ربك

ياحبيب الاله أنت شفيعي وشفيع لكل عبد محبك

خدمة الحرم

وأما خدمة الحرم فشتى وأكثرهم من الأغوات وهم أهل صلاح يتعممون بعمامة بيضاء ويسبلون وقت الخدمة على ثيابهم ثوباً أبيض ويشدون عليه حزاماً والرئيس عليهم سعادة عادل باشا شيخ الحرم برتبة مشير وأحمد نظيف أفندي المدير برتبة متمايز وأما الأغوات فنائب الحرم وخازنداره ومستلمه وشيخ أغواته و ٥٠ رئيساً و ٢٦ رديفاً للرؤساء و ١٢ مشداً للحجرة النبوية و ٥١ كناساً للحرم و ١١ بواباً و ١٠ سقائين البقيع ومن بعد الخروج من الحرم النبوي يتوجه الحاج لزيارة سيدي (عبد الله) والد النبي صلى الله عليه وسلم وهو مدفون داخل المدينة في دار (مالك) أحد أخواله ومنه يتوجه إلى البقيع و(البقيع) هو محل مستطيل خارج عن سور المدينة من الجهة الشرقية طوله مائة وخمسون متراً في عرض مائة به مقابر أموات المدينة منخفضة المشاهد وبه قبب للمزارات المشهورة كمزارات آل البيت والشهداء وأولاد النبي صلى الله عليه وسلم وهم زينب وفاطمة وإبراهيم والقاسم والطاهر والطيب وبه من أزواجه الطاهرات التي توفى عنهن عائشة وحفصة ورملة وسودة وصفية وأم سلمة وزينب وأم حبيبة وأما ميمونة فمدفونة بطريق مكة ولله درّ من قال

آل بيت النبي إني محب وجزاء المحبة الإكرام

فاز من زار حيكم آل طه وتناءت عنه الكروب العظام

حاشى للّه أن تردّوا محبا وهو فيكم مُتيم مستهام
أنتم القوم جودكم لايُضاهي وعلاكم لغيركم لا يرام

وبه أيضاً مقام العباس وعقيل والحسن بن علي وسفيان وعبد اللّه بن جعفر الطيار وعائشة وصفية عمتي النبي صلى اللّه عليه وسلم وسعد وسعيد والزبير وهؤلاء الثلاثة من العشرة المبشرين وعثمان بن عفان وحليمة السعدية مرضعة النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وكذلك قبر الإمام مالك ونافع شيخ القرّاء وإسماعيل ابن جعفر الصادق وأبي سعيد الخدري ولكل منهم مزار مشهور ، وهناك قبة تسمى (قبة الحزن) تنسب إلى السيدة فاطمة بنت النبي صلى اللّه عليه وسلم ، وزيارة البقيع يوم الخميس ويوضع على القبور ريحان بدل الخوص بمصر وبجانبه بعض أزهار ومن وراء البقيع يرى الوادي كالبساتين مزيناً بالنخيل .

ومن العوائد الجارية بالمدينة قديماً أن كل شخص من الشيعة لايدخل قبة أهل البيت بالبقيع للزيارة إلا إذا دفع خمسة غروش كما أنه يؤخذ بمكة من كل من يريد أن يدخل الكعبة للزيارة شيعياً أو سنياً ريال إن لم يكن ذا ثروة وإلا أخذوا منه مبلغاً كبيراً وكذا بالمدينة الأغوات المنوطون بخدمة الحجرة الشريفة يأخذون ريالاً من كل شخص يريد دخولها وذلك قبل الغروب بساعة عند إيقاد الشموع كما ذكر .

جبل أُحُد

ومن بحري المدينة بعيداً عنها بمسافة ثُلثي ساعة (جبل أُحُد) يتوجهون إليه يوم الخميس لزيارة مقام سيدنا (حمزة) وشهداء أُحُد رضي اللّه تعالى عنهم وجامع سيدنا حمزة لطيف ذو روحانية زكية وفي الطريق أشجار ومزروعات من الجهتين تتنزه بها أهل المدينة ، وهناك قبة للثنيتين اللتين وقعتا إذ أصاب أحد الأعداء النبي صلى اللّه عليه وسلم بحجر وهناك محلات مبنية ومصلى لاحاجة للإطالة بذكرها وبقبلي المدينة بنحو نصف ساعة مسجد (قباء) يتوجهون إليه لزيارته وزيارة من حوله وهو أوّل مسجد بُني في الإسلام .

وصف المدينة

وأما المدينة المنوّرة فهي ببحري مكة وتبعد عنها بقدر ٣٥٠ كيلومتر واسمها القديم (يثرب) وبانيها ملك تُبّع من حمير وهي معدودة من بلاد نجد الأول (وخيبر) من نجد الثاني (وحائل) الذي بالشرق من نجد الثالث المسمى (بجبل شمر) المقيم به ابن الرشيد وقبيلته وعرب عنزه تابعون له ونجد الرابع (القضيم) ونجد الخامس (الرياض) الذي منه الدرعية بلد ابن مسعود فيصل الوهابي ، والمدينة زادت شرفاً واعتباراً من يوم هجرته عليه السلام ووفاته بها ويُقال لها مدينة الرسول وطيبة ، وقال فيها ابن الفارض .

تيقنت أن لا دار من بعد طيبة تطيب وأن لا عز من بعد عزة

تكية مصرية

وهي في صحراء متسعة مستوية ببحريها جبل أُحُد وبقبليها جبل ثبير محيط بها وكشوفة من جهة الشرق وسورها بانيه عضد الدولة الديلمي ، ثم جدّده السلطان سليمان سنة ٩٤٥ وعمّره السلطان محمود سنة ١١٦٢ وعدد سكانها يبلغ (٨٠٠٠٠) وبها عشرة مساجد المشهور منها مسجد (قباء) ومسجد (علي) ومسجد (الغمامة) ومسجد (البقيع) و ١٧ مدرسة وقلعة واحدة وبيت للحكومة وقشلة واحدة و ٤٠٠٠ منزل وبها ١٠٠٠ دكان بالتقريب وأربع خانات وحمامان و ١٢ كتبخانة وأربعة مدابغ وثماني تكايا من ضمنها التكية المصرية على يسار الداخل من باب العنبرية طولها ٨٩ متراً في عرض ٥٠ متراً مبنية للخيرات كالتي بمكة وناظرها معيّن من مصر وبها مخازن وأفران ومطبخ والخزين اللازم لها يأتي من مصر سنوياً وفي صبيحة كل يوم تأتي الفقراء إليها ليأخذوا الشوربة مع الخبز وفي كل جمعة يطبخ لهم فيها أرز وفي موسم الحج يجتمع فيها كل يوم ما ينيف عن خمسمائة فقير ومحافظها برتبة فريق وبها ثلاثة طوابير نظامية وطابور سواري وطابور بياده ضبطية ، وأما أهلها فهم في الأصل من الأنصار ولكن الآن أغلب أهلها من ذرّية الهنود والأتراك المجاورين بها وغيرهم من الغرباء ولون أهلها السمرة المائلة إلى

السواد وبعضهم أسمر فاتح ويوجد فيهم البيض وتغلب عليهم النحافة وهم قوم أرقاء ظرفاء يميلون للخلاعة يحبون من هاجر إليهم فهم من الأخيار وأهل الانكسار وناهيك بتلك المنقبة التي هي بهم خاصة من وصفهم في القرآن بأنهم(يؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة) وبينهم تجار معتبرون تجارتهم تجلب إليهم مع الحجاج من كل نوع ولايتمكن غير المسلم من الدخول إلى المدينة مطلقاً ولايدخلها إلا في غاية التستر مع تبديل القيافة وبيوتها بوضع تجاري غير متسعة وبدون حوش في الغالب وليست منتظمة وبها قيعان ذات لوانين كالطرز القديم بمصر إلا أنها صغيرة جداً بالنسبة لقيعان مصر وأغلبها طبقات ويوجد بها ثلاث طبقات وقلّ أن توجد بها طبقة واحدة وأكثر شبابيكها خرط دقي وقد وجدت في منزل أحد أعيانها لوحتين من المرمر منقوش على إحداهما بالخط الكوفي لفظ الجلالة مكرراً كعدده ٦٦ مرة والأخرى منقوش عليها بالكوفي أيضاً أسماء العشرة البررة الكرام الذين بايعوا الرسول عليه السلام في غاية الظرف والاتقان .

عوائد أهل المدينة

ومن العوائد الجارية عندهم في الضيافات والولائم بدون تحاش من معترض ولائم أن الضيف يعرف مجلسه المختص به على قدر مقامه المعلوم ورتبته فلكل قاعة لوانان يجلس الضيف في ركن أحدهما أو صدره على حسب جلالة رتبته ونباهة قدره ولاحاجة للمضيف إلى الدلالة والتعريف حيث إن ذلك بينهم معلوم لدى أهل الخصوص والعموم ، وفي المدينة الخضروات والفواكه اللذيد جناها وأنواع التمر التي لا توجد في بلد سواها لكثرة النخيل المحيط بها ، وناهيك بمقال سيد الأنبياء(ما بين لابتيها شفاء) وبها نوع كالبرتقان في طعم النارنج يسمى ليم وبها الليمون المالح والحلو والجزر والفجل والبصل وبعض من الخضراوات ، وأما الحنطة فإنها تزرع بها لكنها قليلة وإنما تجلب للتجار من مصر كما أنه يرسل سنوياً منها ٨٧٨٨ إردباً باسم جراية الصدقة مرتبة للفقراء من السادة والخدمة والأهالي كما سبق ذكره فضلاً عن مرتبات وأوقاف من جهات أخرى كما هو الجاري بمكة أيضاً وأما الإيرادات المرتبة للحرم النبوي من الآستانة ومصر فهي مبلغ (١٠٥٠٠٠) غرشاً ثمن

زيت أوقه عدد (١٨١٥٥) يخص مصر منها أوقه (٤٤٥٩) وباقيها من طرف الآستانة ويوجد بها من أنواع النقود كثير والريال أبو طاقة وهو النمساوي أرغب العملة لائتلاف العرب له حتى إنهم يأخذونه بسعر الريال أبو مدفع ويطلقون على الريال دورو .

العين الزرقاء

وأما الماء المعدّ للشرب فهو ماء العين (الزرقاء) وهي التي أنشأها (عبد الملك ابن مروان) أحد خلفاء الدولة الأموية ، وهي غير نبع آتية من الجبال المجاورة للمدينة من جهة (قباء) بواسطة طرق تحت الأرض مغطاة وتنصبّ من عدة مجار في حوض منخفض عن سطح الأرض ينزل إليها بدرج متسع للملء وهذه العين ظهرت في مدة مروان بن الحكم لما كان والياً بالمدينة في خلافة معاوية رضي الله عنه ، وسميت بالزرقاء لظهورها في مدة مروان وكان أزرق العينين فنسبت إليه وفي سنة ٩٩٠ صار شراء بئرين آخرين بأمر السلطان مراد وهما بئر (غربال) وبئر (عقد) وصار ضم مجرى مياههما مع الزرقاء إلى المدينة ومن الآبار المشهورة بئر (رومة) بخارج المدينة ماؤها عذب وكانت لامرأة يهودية [1] فاشتراها منها سيدنا عثمان رضي الله عنه بخمسة وثلاثين ألف درهم وأوقفها سبيلاً لله تعالى .

بسر بن أرطاة

وفي تاريخ (القرطبي) أنه في سنة ٤٠ أرسل الخليفة معاوية بسر بن أرطاة إلى المدينة بجيش عظيم لقتل شيعة علي رضي الله عنه وعاملها يومئذ من جهة علي ابن أبي طالب رضي الله عنه هو أبو أيوب الأنصاري رضي الله عنه ففرّ أبو أيوب ولحق بعليّ ودخل بسر المدينة ليبايعوا لمعاوية فسفك الدم الحرام ولم يرع الذمام وذبح ابني عبيد الله بن العباس بن عبد المطلب وهما صغيران بين يدي أمهما وهدم دوراً كثيرة وقتل خلقاً كثيراً من أحياء بني سعد وسبى نساءهم فكنّ أوّل نساء سبين في الإسلام

(١) كانت لرومة الغفاري حسب معجم البلدان ج ١ص ٣٠٠.

وربط الخيل في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم وراثت الخيل بين المقام والمنبر وأزيلت بكارة ألف بِكر وباع المسلمات وهتك الحرمات[١] .

الوهابيون

وقد حصل مثل ذلك في سنة ١٢٢١ من الوهابيين الذين رئيسهم سعود القاطن بالدرعية من أرض نجد وقتل الأغوات بجانب القبر الشريف وأهان المسجد ونهب الهدايا من الحجرة الشريفة وهدم قباب الأولياء وفعل أموراً شتى[٢] حتى حاربهم محمد علي باشا والي مصر بأمر مولانا السلطان وانتصر عليهم وأخمد أنفاسهم ولزيادة الإيضاح نقلت ماهو آت من تاريخ (الجبرتي) أنه في عام ١٢٢١ وصلت الأخبار إلى مصر من الديار الحجازية بمسألة الشريف غالب للوهابيين وذلك لشدة ماحصل لهم من المضايقة الشديدة وقطع الجالب عنهم من كل ناحية حتى وصل ثمن الإردب المصري من الأرز ٥٠٠ ريال والقمح ٣١٠ وغير ذلك فلم يسع الشريف إلا مسالمتهم والدخول في طاعتهم وسلوك طريقتهم وأخذ العهد على دعاتهم وكبيرهم بداخل الكعبة وأمر بمنع المنكرات والتجاهر بها وشرب التنباك في المسعى وبين الصفا والمروة وبالملازمة على الصلوات في الجماعة ودفع الزكاة وترك لبس الحرير والمقصبات وإبطال المكوس والمظالم ومصادرات الناس في أموالهم فيكون الشخص من سائر الناس جالساً في داره فما يشعر إلا وأعوان الشريف يأمرونه بإخلاء الدار وخروجه منها ويقولون إن سيد الجميع محتاج إليها فما يجد حيلة إلا الطاعة وتصير من أملاك الشريف فعاهده الشريف على ترك ذلك كله واتباع ما أمر الله به في كتابه العزيز من إخلاص التوحيد لله وحده واتباع سُنّة الرسول عليه السلام وماكان عليه الخلفاء الراشدون والصحابة والأئمة إلى آخر القرن الثالث وترك ماحدث في الناس من الالتجاء لغير الله من المخلوقين الأحياء والأموات في الشدائد وما أحدثوه من بناء القباب على القبور والزخارف وتقبيل الأعتاب والخضوع والتذلل والمناداة

---

(١) هذا الكلام لا يخلو من المبالغة. ذكر القلقشندي (ج١٣ ص٢٣٢) ان معاوية بعث بسر بن أرطأة الى الحجاز في عسكر فدخل المدينة وسفك بها الدماء واستكره الناس على البيعة لمعاوية.

(٢) هذا الكلام يفتقر الى الدقة.

والطواف والندور والقربان وعمل الأعياد والمواسم لها واجتماع أصناف الخلائق واختلاط النساء بالرجال وباقي الأشياء التي فيها شركة المخلوقين مع الخالق في توحيد الألوهية التي بعثت الرسل إلى مقاتلة من خالفها ليكون الدين كله لله[1] فعاهده الشريف على منع ذلك كله وعلى هدم القباب المبنية على القبور والأضرحة فعند ذلك أمنت السبل وسلكت الطرق بين مكة والمدينة وجدّة والطائف وانحلت الأسعار حتى بيع الإردب من الحنطة بأربعة ريالات واستمر الشريف غالب يأخذ العشور من التجار بقوله إن هؤلاء مشركون وأنا آخذ من المشركين لا من الموحدين ، وفي سنة ١٢٢٤ وصل مسعود الوهابي إلى مكة بجيش كثيف وحج مع الناس بالأمن وعدم الضرر ورخاء الأسعار وأحضر أمير الحج المصري وقال له ماهذه العويدات والطبول التي معكم يعني بالعويدات (المحمل) فقال إشارة وعلامة على اجتماع الناس بحسب عادتهم فقال لا تأت بذلك بعد هذا العام وإن أتيت به أحرقته، وهدم القباب التي بينبع والمدينة وأبطل شرب التنباك في الأسواق وكذلك البدع وفي سنة ١٢٢٣ انقطع الحج الشامي والمصري معتلين بمنع الوهابي الناس عن الحج والحال ليس كذلك فإنه لم يمنع أحداً يأتي إلى الحج[2] على الطريقة المشروعة وإنما منع من يأتي بخلاف ذلك من البدع التي لايجيزها الشرع مثل المحمل والطبل والزمر وقد حج طائفة من المغاربة ولم يتعرض لهم أحد بشيء ولما امتنعت قوافل الحج المصري والشامي وامتنع عن أهل المدينة ومكة ماكان يصل إليهم من الصدقات والعلائف والصرر التي كانوا يتعيشون منها خرجوا من أوطانهم بعائلاتهم ولم يمكث إلا الذي ليس له إيراد من ذلك وأتوا إلى مصر والشام ومنهم من ذهب إلى اسلامبول يتشكون من الوهابي ويستغيثون بالدولة في خلاص الحرمين لتعود لهم الحالة التي كانوا عليها من إجراء الأرزاق ، واتصال الصلات والنيابات والخدم في الوظائف التي بأسماء رجال الدولة كالفراشة والكناسة ونحو ذلك ويذكرون أن الوهابي لما استولى

---

(١) هذه الشروط تعتبر من الاصلاحات التي تبناها الامير سعود.

(٢) ان الوهابيين منعوا مجيء المحمل المصري الى الاراضي المقدسة لما يحتوي عليه من المنكرات كالطبول والزمور والموسيقى، ولم يمنعوا احداً من اداء فريضة الحج من اي جنس او لون.

على المدينة أخذ ما كان بالحجرة الشريفة من الذخائر والجواهر المحلاة بالألماس والياقوت العظيمة القدر وعبى أربع سحاحير منها ومن ذلك أربع شمعدانات من الزمرد وبدل الشمعة قطعة ألماس مستطيلة ونحو مائة سيف أقربتها ملبسة بالذهب ومنزل عليها ألماس وياقوت ، ونصابها من الزمرد واليشم كل سيف منها لاقيمة له وعليها دمغات باسم الملوك والخلفاء والسالفين وغير ذلك فيرون أن أخذه لذلك من الكبائر العظام وهذه الأشياء أرسلها ووضعها سخاف العقول من الأغنياء والملوك والسلاطين الأعاجم وغيرهم إما حرصاً على الدنيا وكراهة أن يأخذها من يأتي بعدهم أو لنوائب الزمان فتكون مدخرة ومحفوظة لوقت الاحتياج إليها فيستعان بها على الجهاد ودفع الأعداء ، فلما تقادمت عليها الأزمنة وتوالت عليها السنين والأعوام وهي في الزيادة ارتصدت معنى لا حقيقة وارتسم في الأذهان حرمة تناولها وأنها صارت مالاً للنبي عليه الصلاة والسلام فلايجوز لأحد أخذها ولا إنفاقها والنبي صلى الله عليه وسلم منزّه عن ذلك لم يدخر شيئاً من عرض الدنيا في حياته وثبت في الصحيحين أنه قال « اللّهم اجعل رزق آل محمد قوتا » وكنز المال بحجرته وحرمان مستحقيه من الفقراء والمساكين مخالف لشريعته وإن قال المدخر أكنزها لنوائب الزمان ليستعان بها على مجاهدة الكفار والمشركين عند الحاجة إليها قلنا قد رأينا شدة احتياج ملوك زماننا واضطرارهم في مصالحات المتغلبين عليهم من قرانات الافرنج وخلو خزائنهم من الأموال التي أفنوها بسوء تدبيرهم وتفاخرهم فيصالحون المتغلبين بالمقادير العظيمة بكفالة أحد الفرق من الافرنج المسالمين لهم واحتالوا على تحصيل المال من رعاياهم بزيادة المكوس والمصادرات والاستيلاء على الأموال بغير حق حتى أفقروا تجارهم ورعاياهم ولم يأخذوا من هذه المدخرات شيئاً ولم ينتفع بها أحد إلا ما يختلسه أغوات الحرم وأما الفقراء من أولاد الرسول وأهل العلم والمحتاجين وأبناء السبيل يموتون جوعاً ولما كثرت شكاوي أهل المدينة إلى الباب العالي أمر مولانا السلطان محمد علي باشا والي مصر بمحاربة الوهابية فحاربهم وانتصر عليهم وفي ١٨ رجب سنة ١٢٣٣ حضر باقي الوهابية إلى مصر بحريمهم وأولادهم وهم نحو الأربعمائة نسمة وأسكنوهم في محلات تليق بهم وكان عبد الله بن سعود الوهابي وخواصه من جملتهم وسكن بدار عند جامع مسكة من غير حرج عليهم وصاروا يذهبون ويجيئون ويترددون على المشايخ وغيرهم ويمشون في الأسواق ولما وصل عبد الله بن سعود إلى مصر

عمل له موكب عظيم وضربت له المدافع وسكن في بيت إسماعيل باشا بن محمد علي باشا ببولاق ، وفي ثاني يوم تقابل مع محمد علي باشا بسراية شبرا فآنسه وأجلسه بجانبه وقال له ما هذه المطاولة فقال الحرب سجال وكان ما قدره اللّه ، فقال إن شاء اللّه أترجى فيك عند مولانا السلطان فقال المقدّر يكون وكان بصحبته صندوق صغير من صفيح فقال له الباشا ماهذا ، فقال هذا ما أخذه أبي من الحجرة أصحبه معي إلى السلطان وفتحه فوجد به ثلاثة مصاحف قرآنا مكلفة ونحو ثلثمائة حبة لؤلؤ كبار وحبة زمرد كبيرة فقال له الباشا الذي أخذه من الحجرة أشياء كثيرة فقال هذا هو الذي وجدته عند أبي فإنه لم يستأصل كل ماكان في الحجرة لنفسه بل أخذ كذلك كبار العرب وأهل المدينة وأغوات الحرم وشريف مكة فقال الباشا صحيح وجدنا عند الشريف أشياء من ذلك ثم ألبسه خلعة وانصرف عنه إلى بيت إسماعيل باشا المعدّ له وفي ١٩ محرم سنة ١٢٣٤ سافر عبد اللّه سعود إلى الاسكندرية ومنها إلى الآستانة ومعه خدم لزومه، وفي جمادى الأولى وصلت الأخبار عن عبد اللّه المذكور أنه لما وصل إلى دار السعادة طافوا به البلدة وقتلوه عند باب همايون وقتلوا أتباعه أيضاً في نواح متفرقة .

مكر المقوّمين

وفي يوم الثلاثاء كانت الحرارة ٢٩ درجة سنتجراد صباحاً و ٣٠ ظهراً وبلغني أن المتوجهين من مكة إلى المدينة مع جمالة الحوازم الذين مقوّمهم مساعد والأحامدة الذين مقومهم المعلى بلغهم لما وصلوا إلى وادي فاطمة أن الطريق بالأشقياء من العربان مقطوع فأرادوا إلى مكة الرجوع فمنعهم المقوّمون وخيلوا لهم أن الأمر بخلاف ما يظنون وأشاعوا أن الطريق قد سلكت وأن العربان قد اصطلحت وخدعوهم بهذا المقال لئلا يطالبوهم متى رجعوا بما دفعوه إليهم مقدّماً من أجر الجمال فتخيب آمالهم وتتعطل عن المكاسب جمالهم ، ولما اطمأن الركاب إلى هذه الأقاويل واغتروا بزخارف هذه الأباطيل وساروا حتى وصلوا إلى وادي فاطمة وأوقعهم الحصر بين هاتيك الجبال في مخالب الأمة الظالمة تواترت الأخبار بأن الطريق قطعه الشيخ محسن وأن التأخر والتقدم صار غير ممكن فعند ذلك تشوّشت من الركب الأفكار وتوقعوا حلول الأخطار

وودّوا لو أمكنهم الفرار من هؤلاء الفجار ولو مع سلب أحمالهم ونهب سائر أموالهم ولم يجدوا من يخاطبونه في هذا الشأن من هؤلاء اللئام ومكثوا على هذه الحالة ثلاثة أيام ثم سمحوا لهم بالمرور بشرط أخذ ريال عن كل جمل مما معهم من الجمال ، وكانت هذه الجمال غير يسيرة فتحصلوا بذلك على أموال كثيرة وكذا حصل منهم عند الوصول إلى عسفان وأخذوا عن كل جمل نصف ريال واغتصبوا فضلاً عن ذلك من الأغنياء الذين في الركب نحو ستمائة ريال مع ماكانوا فيه من الرعب وتشتت الأحمال وفقدهم لغالب أمتعتهم وتأخرهم أربعة أيام عن المواقيت وسلب الدخائر وتحكم الجمالة المماقيت على من في الركب من الأكابر فقد كان من جملتهم حضرة محرم بك أبي جبل وحرم المرحوم فاضل باشا وغير من ذكر من الأعيان الذين وقعوا تحت أسر هؤلاء العربان بل الغربان ، وبعد الوصول إلى المدينة شاع هناك هذا الخبر فكم كتبوا في شأن ذلك من محضر وما أفاد ولا أثمر وقد بلغني أنه قبل الحج حضر من الآستانة مفتش عن أحوال العساكر والأهالي بمكة والمدينة ومعه ماهيات العساكر ثلاثة أشهر فصرف لعساكر مكة وتوجه إلى المدينة من الطريق الشرقي وبصحبته أربعة من العساكر البياده أعني البيشة أي الهجانة فسلبوا منه ماهيات عساكر المدينة بالطريق ثم عاد من المدينة مع القافلة المتوجهة إلى مكة للحج وقبل وصوله إليها بمرحلتين تباعد عن خيمته لإزالة ضرورة قبل العشاء فوقع ميتاً برصاصة ولم يعلم قاتله فاتهموا من معه من العساكر وسجنوهم بقلعة جياد بمكة .

وفي يوم من الأيام حضر لديّ بالمدينة ثلاثة من الأعجام يشكون وكيل قنصلاتهم الذي بالمدينة من الجمالة المقومين لأنهم طلبوا منهم أجرة خارجة عن الحد لكونهم من الأعجام ورغبوا إليّ في التوجه مع المحمل من طريق الوجه فتخابرت مع الوكيل المذكور فأظهر الرضى بذلك بشرط أن يدفعوا إلى العربان من الأجرة ماهو برسم الاخوّة المعتادة من قديم الزمان وأخبرني أن تعريفة مشال العجم عند العربان من مكة إلى المدينة ٧٥ ريالاً لجمل الشقدف وللراكب ٢٠ وللعصم ١٠ وللمتاع ٧ ومنهم من دفع عن الشقدف الواحد من ينبع إلى المدينة ١٢ جنيها وتزعم العرب أن هذه الأجرة هي مرتب الأخوّة وفضلاً عن ذلك كان الوكيل يأخذ عن كل شخص ريالاً بل أكثر

والمقوّم ريالاً أيضاً في مقابلة تشهيل المشال وكذا المزوّر ريالاً ماعدا الأعجام فإنه يدفع عن الجمل الواحد من مكة إلى المدينة ١٨ ريالاً فقط ومن المدينة إلى الوجه ١٧ ريالاً ويدفع للمزوّر المقسوم وقد أخذ من هؤلاء الأعجام عن كل جمل من المدينة إلى الوجه ٤٠ ريالاً من ضمنها رسم الخوّة أي الأخوة على اصطلاحهم هذا مع ما يقاسيه الأعجام في الطريق من العربان الجمالة من الذل والنهب والسلب واتلاف الأنفس والأموال فلأجل ذلك لما وصلوا معنا سالمين إلى السويس اعترفوا لنا بالجميل وأظهروا لنا الممنونية والشكر الجزيل لأن ماحصل لهم معنا من الراحة في السفر مغاير لما قاسوه في طريق توجههم من مكة إلى المدينة من الكدر وبالبعد عن المدينة بساعة قبيلة النخولية من ذرية العجم تجتمع بهم العجم مدة الحج ومن عاداتهم نكاح المتعة ويضربون موتاهم قبل الغسل على الفم والوجه ويوصونهم بعدم ذكر الشيخين أعني أبابكر وعمر عند سؤال الملكين كما بلغني من السيد حسين بمكة وهؤلاء الطائفة المعروفون بالإسماعيلية ، وفي ٢٠ و ٢١ محرم صرفت المرتبات بالتكية المصرية والحرارة وقت الزوال بلغت ٣٠ سنتجراد وصلينا الجمعة في الحرم ونزلت آخر النهار الأمطار وفي ٢٣ منه كانت الحرارة صباحاً ٢٨ وفي الزوال ٢٩ سنتجراد وفي ٢٤ منه في س ٣ أخرج المحمل من الحجرة النبوية ووكب كما دخل حتى أتى العنبرية وحضر بعض أعيان المدينة ليلاً إلى الخيام للتفرج على الشنك والصواريخ فشربوا الشربات ، ثم عادوا ممنونين من حسن المعاملات وحيث قد تم الحج بزيارة حرم فخر الكائنات ، فلنبدأ بما قد تصوّرناه من التفكرات .

(اعلم) أن الشمس والقمر لو نزلا على الأرض متباعدين عن بعضهما لسعى من في الأرض لرؤيتهما بدون تفكر في المسافة التي يلزم قطعها لأجل الوصول إليهما بعيدة كانت أو قريبة سهلة أو صعبة مأمونة أو خطرة فأولاً يتجهون إلى الشمس ويمشون مهتدين بأشعتها شاخصة أبصارهم إليها لايرون ما حولهم ولا ماتحت أقدامهم سهلاً كان أو وعراً براً كان أو بحراً فكل على قدر درجة قوّتة يصل إليها بحسب همته فمنهم من يأتي سريعاً ومنهم من يُبطىء ومنهم من يصيب الغرض ومنهم من يُخطىء ثم بعد مشاهدة (الشمس) على حسب تفاوت درجات القرب منها

واطمئنان قلوبهم بها يتجهون إلى جهة القمر ليشاهدوه بالنظر فيسيرون على نوره ناظرين إليه دون غيره حتى يصلوا إليه بعد المشقة الزائدة غير مبالين بالمسافة قريبة كانت أو بعيدة وبعد المشاهدة والحصول على الفائدة يتوجهون من حيث جاؤوا ملتحفين بما به باؤوا تاركين النور وراءهم وظلمة أنفسهم ممتدة أمامهم فمن امتلأ بصره بالنور مشي وسويا على صراط مستقيم ومن انطمس بصره انكب على وجهه في ظلام مستديم فالكعبة للحجاج هي (الشمس والمدينة القمر) وكل امرىء يسعى بقضاء وقدر والمرام من الوصول الاقتباس بحسب طهارة الأنفاس لا التفرج والافتخار بين الناس والقلب المؤمن يتلألأ نوره كالجوهرة الثمينة ولكل مؤمن جوهرة في قلبه تزهو على حسب القيمة فالجواهر منثورة على العباد على حسب ما قسم من الاستعداد لقوله تعالى (نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات) فمنهم من احتوى على الجواهر ومنهم من احتوى على الذهب ومنهم من احتوى على الفضة أو النحاس بالتعب ومنهم من بقي مجرداً لاينال القوت إلا بشق النفس والنصب فدرجات الإيمان في قلوب المسلمين كذلك متفاوتة فكما أن الأغنياء بجواهر الدنيا يفوق بعضهم بعضاً كذلك، المؤمنون الذين قلوبهم بجوهرة الإيمان مستنيرة يتفاوتون بحسب السيرة والسريرة والله بصير بعباده ويوفق كلاً على حسب مراده وكلما حسنت النية حصل الفوز بالمواهب اللدنية كما قال عليه السلام «إنما الأعمال بالنيات وإنما لكل امرىء ما نوى» صدق من لاينطق عن الهوى.

ولنبدأ بضرب مثال لهذا المقال وهو أن الساعين للحج كالساعين لصلاة الجمعة فمنهم من يأتي الجامع قبل الازدحام ويسمع الخطبة ويقرب من الإمام ومنهم من يسمعه تارة وتارة على حسب بُعد المسافة والتأخر لعائق أو آفة فهؤلاء كلهم مصلون وبحسب سعيهم للقرب من الإمام ينالون وعلى أعمالهم يجازون .

وحيث أن أكثر الحجاج يتوجه مع القوافل إلى ينبع البحر من الطريق السلطاني لقصرها عن غيرها وقد سبق لي المرور منها ورسمها ومقاسها بآلة مترية في سنة ١٢٧٧ فلا بأس أن أذكرها قبلاً ثم أذكر الطريق الموصلة إلى الوجه فأقول :

من المدينة إلى ينبع

ولما كان يوم الجمعة المبارك ٥ شعبان سنة ١٢٧٧ صلينا الجمعة بالحرم النبوي وأخذنا أهبتنا للسفر وقفلنا في الساعة الثانية من يوم السبت قاصدين العود على طريق ينبع البحر وسرنا في الطريق التي بين المدينة وسلع وفي نهاية البلدة التكية المصرية وعلى مسير ١٠١٢٥ متراً وصلنا إلى (آبار علي) س ٤ و ق ١٥ وهو محل متسع به آبار عذبة قريبة القاع وبيوت كالعشش وببعضه زرع من شعير وكزبرة وثوم وبصل وفجل ونخل وأرضه صالحة للزراعة فبتنا وقلبنا مجذوب مولع بتلك المعاهد والمشاهد لا حرمنا الله من العود إليها ومازلنا نتذكر ماتم لنا من الصفاء بها ولله در من قال :

إذا لم نطب في طيبة عند طيب به طيبة طابت فأين نطيب

إذا لم يجب في حيه ربنا الدعا ففي أيّ حيّ للدعاء يجيب

وفي س ١ و ق ٣٠ سرنا وعلى مسافة ١٢٠٠٠ متر محجرة في عرض عشرة أمتار طولها ٥٠ مترا بين جبلين قليلي الارتفاع ثم يتسع الطريق ويتعالى الجبلان في بعض المواضع ولمسير ٧٠٠٠ متر منها يتسع الطريق لعرض ألف متر مسيرة ٢٥٠٠ متراً ثم يضيق لما بين ٣٠٠ و ٤٠٠ و ٥٠٠ متر وأقل وأكثر تارة وتارة إلى سير ٦٥٠٠ متر وهناك بئر يقال له (بئر الشريوفي) على مسيرة ٢٨٠٠٠ متر من مسير هذا اليوم وهناك محل متسع وكان الوصول إليه في س ٦ و ق ٤٥ فنزلنا واسترحنا للساعة ٩ و ق ٥٠ وسرنا ٣٥٠٠ متر فوجدنا مغارة في عرض عشرة أمتار وطولها كذلك تنتهي بواد طوله ألف متر وعند مسافة ٣٥ ألف متر من مسير يومنا واد آخر متسع عن الأوّل سرنا به ١٥٠٠ متر ونزلنا وقت الغروب في غير محطة على غير ماء على مسيرة ٣٦٥٠٠ متر من آبار علي فيكون السير من المدينة ٤٦٦٢٥ متر ، وفي س ١ و ق ٢٠ من يوم الاثنين نهضنا ومررنا بين جبال من صخر شاهقة ارتفاعها من ٣٠٠ إلى ٤٠٠ متر والطريق تارة تتسع وتارة تضيق وعلى ٢٥٠٠ متر مضيق في طول وعرض عشرة أمتار على يساره جبل وعلى يمينه صخرة تنتهي لمحل عرضه

ألف متر وطوله كذلك ثم الطريق تضيق عشرة أمتار بين صخرتين وتتسع وتضيق لخمسين متراً فأكثر إلى مسير ٢٦٠٠ متر وعلى اليمين طلل سبيل خراب ومنه تتسع الطريق لعرض ١٥٠٠ متر فأكثر وتضيق بعد ٢٧٠٠ متر لعرض مائة متر وأقل مسيرة خمسمائة متر وهناك قبور (الشهداء) على مسيرة ٩٥٠٠ متر من سير هذا اليوم ، وهم قوم من أهل البيت قتلوا هناك ظلما في سوق ذلك المحل الذي كان يعقد به ، وقبورهم متكوّنة من كيمان حجارة وزلط في وسط الطريق ويمينه وهذه الكيمان علامة لذلك وعلى سير ١٨٥٠٠ متر منها تتسع الطريق لعرض ألفي متر وفي آخر الاتساع بئر يقال لها (بئر الراحة) بجانبها أثر حوض فاسترحنا هناك من الساعة ٧ و ق ٤٠ إلى س ٩ و ق ٣٠ على سير ٣٠٨٠٠ من سير هذا اليوم وسرنا بين جبال وتلول وعلى ٤٤٠٠ متر عين ماء بيسار الطريق تحت الجبل وعلى ٢٣٠٠ متر منها واد في عرض ألفي متر به أشجار من شوك وبعد ١٥٠٠ متر ينتهي عرضه إلى ثلاثة آلاف متر ثم بعد خمسة آلاف متر من هذا الاتساع بئر يقال لها (بئر عباس) وبجانبها قلعة نزلنا تجاهها بعد غروب الشمس بنصف ساعة على مسير ٤٤٠٠٠ متر من سير هذا النهار .

بوغاز الجديدة

وسرنا في الساعة الثانية من يوم الثلاث تاسع الشهر ودخلنا من (بوغاز الجديدة) وهو يبتدىء بعرض ٤٠ متراً ثم يتسع إلى ٢٠٠ متر بين جبال شاهقة من الطرفين ممتدة والجبال في إرتفاع ٣٠٠ و ٥٠٠ متر وعلى مسير ٩٠٠ متر من هذا الاتساع قطعة أرض يميناً مزروعة أيضاً وبعدها بنحو ٢١٠٠ متر قطعة أرض كذلك مزروع فيها دخن وشعير محاطة بآثار بناء ومنها إلى ٧٠٠ متر بئر على اليسار بجانبها أرض مزروعة بجوار بعض عشش وعلى سير ٢٣٠٠ متر منها آثار حوض وعلى ٢٨٠٠ متر منه بئر على اليسار بجانب الجبل ويليه سبيل وآثار بناء وعلى ألف متر زرع جهة اليمين وبعد الزرع بمائة متر آثار بناء فوق الجبل وبعد ألف متر بلدة (الجديّدة) بتشديد الياء على يمين الطريق وهي بلدة كهيئة عشش موضوعة من أعلى الجبل لأسفله وبعد مسير مائة متر منها طابية وجامع سيدي (عبد الرحيم

البرعي) مادح النبي صلى اللّه عليه وسلم وهذا الجامع على مسيرة ١٧٠٠٠ متر من بوغاز الجديّدة وهناك سوق يباع فيه مايلزم للحجاج من حناء ودهن بلسان وبلح ومراوح مصنوعة من خوص ويوجد هناك القاوون والبطيخ والباذنجان وهي بلدة كثيرة النخيل بها عيون ماء تجري كالزلال من بين هذه الجبال في جداول كالترع ثم مررنا من بين جبلين في ارتفاع ٢٠٠ متر وعرض ٢٠ متراً على مسير ٥٠٠ متر من جامع البرعي وتتسع الطريق إلى ٥٠٠ متر بعد ٩٠٠ متر وتضيق إلى ٢٥٠ متراً بعد سير ٣٠٠ متر منها ثم يقل عرضها لمائة متر ثم يصير العرض أربعين متراً عند ألفي متر من الجامع وهذا آخر بوغاز الجديّدة وخرجنا منه لقطعة أرض متسعة في تربيع ألف متر استرحنا في أولها تحت نخيل بالقرب من مزارع ورياض مخضرة وهناك حشيش طبيعي يشبه البرسيم والماء متدفق من كل جانب وكان نزولنا في س ٦ و ق ١٠ وكان هذا اليوم شديد الحر وهذا المحل مظلل بالنخيل والنسيم يهب من خلالها فتذكرنا رياض مصر يوم نيروزها وفي س ٧ و ق ٤٥ سرنا في واد بين جبلين شاهقين بعد أن قطعنا محل الاستراحة وكانت أرض هذا الوادي صالحة جداً للزراعة وعلى ثمانية آلاف متر منه طريق صعوده سبعة أمتار يتخطى أكمة وينخفض ويتصل بطريق متسعة كالتي قبلها إلى (القلعة الحمراء) طولها ٤٥٠٠ متر فيكون السير من المدينة ١٢٢٢٦٥ متراً وكان وصولنا إليها س ١٠ و ق ٣٠ وهي قلعة حصينة عامرة بها مدافع ومحافظون وبتنا هناك تلك الليلة وكانت شديدة الحر وبهذا المحل بيوت كالعشش وسوق يباع فيه التمر والحناء وبعض أدهان وبجانبه قطعة أرض مرتفعة بها نخيل ومزروعات كباذنجان وفجل وبصل وبطيخ .

وفي ١٠ منه قمنا من هذه القلعة س ١ و ق ٣٠ وسرنا على يسارها في طريق عرضها يتزايد عن مائة متر إلى ألف متر وعلى مسير ٢٥٠٠ متر وجدنا مجمع طريقين اليسرى توصل (للصفراء) و (بئر حنين) واليمين لدرب (بئر سعيد) فعطفنا على درب بئر سعيد ومررنا من طريق في عرض عشرين متراً مخنق موصل لواد مستطيل في عرض ألف متر وعلى جهتيه تلول وأحجار وعلى مسيرة ٥٠٠٠ متر منه أخذ في الضيق إلى ٥٠٠ متر ومن بعده بألفين وخمسمائة متر طريق تعطف

للميمنة وأمامها بئر ومن بعد أن نخلف هذه الطريق بخمسمائة متر تضيق طريقنا إلى خمسين متراً ثم تتسع إلى مائة ثم إلى مائتين ولمسير ١١٠٠ متر تهيأ للإنسان أن الطريق قد انسدّت باتصال الجبلين فتخطينا هذه القطعة اللاحمة بينهما وهي ذات صعود وهبوط طولها مائة متر وعرضها ٣٥ متراً ثم مررنا من عقبة تسمى (نقر الفار) لايمكن منها إلا عبور جمل بعد جمل وتارة جملين جملين وبه مدقان وصعوبة سلوكه من كثرة الأحجار ومسافته ١٥٠ متراً ثم تمتد الطريق وتتسع أحياناً إلى مائة متر وعلى مسير ٢١٠٠ متر من انسداد الطريق واد متسع به أكمات وصخور وأحجار والجبال محدقة به وعلى مسير ١٢٥٠٠ متر يلتحم الجبلان والطريق تتخطاهما مستوية الهبوط والصعود عرضها من خمسة أمتار إلى عشرين متراً ثم تبتدىء أكمات زلط وحجر أكثرها متصلة ببعضها .

وفي س ٧ و ق ٣٠ وصلنا بالقرب من (بئر سعيد) على مسير ٢٥٠٠٠ متر من القلعة الحمراء وبئر سعيد هذه منعطفة عن الطريق بخمسمائة متر وفي س ٩ و ق ٢٠ سرنا ومررنا بين صخرتين في طريق عرضها عشرة أمتار ومازلنا نتخلل كيمانا بعد كيمان إلى ٦٨٠٠ متر انتهينا لواد سهل متسع كله رمال وسرنا فيه ٥٥٠٠ متر أنخنا به بعد الغروب بربع ساعة وكان على مسير ١١٠٠٠ متر من بئر سعيد فيكون السير من المدينة ١٥٨٦٢٥ متراً .

وفي يوم الخميس س ١ و ق ٤٠ قمنا وسرنا من هذا الوادي الذي بتنا به واشتدّ بنا الخبب في الرمل عند انتهائه وكان يرى على بُعد من طرفيه جبال من حجر وتلول من رمل وبعض أخشاب منثورة في الطريق وكثير من الشوك الذي يقال له أم غيلان ومازلنا حتى وصلنا (ينبع النخل) الساعة ١٠ من دون استراحة في الطريق على مسير ٣٩٠٠٠ متر فيكون السير من المدينة ١٩٧٦٢٥ متراً ونزلنا بمحل متسع بين جبال به بيوت وأراض مزروعة وعيون نابعة تجري في قنوات متتابعة وماؤها صاف كالزلال والنخل مردوم في الرمال وسطح الماء أوضع من سطح الأرض بنحو ذراعين وبذلك المحل خضراوات وبه كثير من الباميا وكان يمكننا التوجه من محل مبيتنا إلى ينبع البحر بطريق أقصر من هذه الطريق المرملة لكن لقلة المياه بينبع البحر وغلو

أسعارها وكون مائها مخزوناً في صهاريج من الأمطار عطفنا العنان إلى طريق ينبع النخل وتحملنا مشقة السفر بقصد الاستقاء من ينبع النخل وأقمنا هناك يوم الجمعة إلى س ١٠ و ق ٣٠ من النهار ثم قمنا وسرنا إلى أن أقبل الليل وأضاء القمر واستمرّ بنا السير ومررنا على مسير ١١٠٠٠ متر بطريق بين كيمان من رمل خفيف عرضها من ٥٠٠ متر إلى ٢٠٠ متر ثم انقطعت الكيمان من الجهة اليمنى وبقيت التي بالجهة اليسرى بعدها ١٥٠٠ متر وانتهت الطريق لواد متسع جداً به عبل وشوك وعلى مسيرة ٣٧٤٠٠ متر لاقينا رشحات البحر المالح ومازلنا مجدّين في السير حتى دخلنا ينبع البحر في الساعة السادسة من ليلة السبت ١٣ شعبان على مسيرة ٣٩٥٠٠ متر من ينبع النخل فيكون السير من المدينة المنوّرة إلى ينبع البحر ٢٣٧١٢٥ متراً .

ينبع البحر

وينبع البحر مينة متوسطة من مين بحر القلزم ومنها ترسل الغلال وغيرها إلى المدينة وقد سبق ذكر ذلك وقد اتفق لي التوجه إليها في سنة ١٣٠٣ فوجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة طوله ٣٠٠٠ ذراع تحفظاً من هجوم الأعراب الأغراب وتسهيلاً للهجوم على المتعدين منهم وصيانة للذخائر والسبب أنه وقعت ثورة بها من عربان بني إبراهيم وهجموا على السجن وأطلقوا منه شخصين وقتلوا أربعة من عساكر الضبطية ولما وصل الخبر إلى الوالي بمكة أرسل طابوراً من العساكر الشاهانية أعني خمسمائة نفر ومدفعاً واحداً وأطفئت الفتنة وأقيم السور ولنرجع الآن لشرح سير المحمل من المدينة إلى الوجه فنقول :

السير من المدينة إلى الوجه

وفي يوم الاثنين ٢٥ محرم كانت الحرارة صباحاً ٢٧ سنتجراد وفي الزوال ٢٨ وفي س ٩ وكب المحمل من الحرم النبوي وسار محفولاً بعساكره ماراً أمام باب العنبرية والعساكر الشاهانية مصطفة على الجانبين تشريفاً لقيامه والموسيقى أمامه إلى أن عطف على اليمين عن يسار سور المدينة في طريق سبخة غير صالحة للزراعة

قاصداً الوجه من الطريق الذي سبق ذكر مقاس مسافة محطاته، مترياً والآن نذكر تلك المسافات بالساعة وفي س ١٠ وصل إلى بئر (رومة) أي بئر سيدنا عثمان رضوان الله عليه وعلى الصحابة أجمعين التي اشتراها من امرأة[١] ووقفها صدقة على المسلمين، وهناك مصلى بجانبها وماء هذه البئر عذب جداً والأراضي المجاورة لها مزروعة فنزل للمبيت وبتنا وقلوبنا مولعة بصاحب تلك المآثر ولله در القائل

هنيئاً لمن زار خير الورى وحط عن النفس أوزارها

لأن السعادة مضمونة لمن حل طيبة أو زارها

وفي يوم الثلاثاء ٢٦ منه سار صباحاً بعد س ١ و ق ١٥ وكانت الحرارة ١٨ درجة متجهاً إلى الشمال الغربي وبعد ق ٢٥ إلى جبال على الجانبين واتجه إلى الغرب في أرض مستوية وبعد س ١ و ق ٥٣ اتجه إلى الشمال الغربي ثم إلى الغرب ثم اعتدل ثم غرّب وبعد س ٣ و ق ٤٥ مرّ على زلط بين جبال وبعد س ٥ و ق ٥٥ نزل للرياضة وبعد س ٦ و ق ٣٥ سار متجهاً إلى الشمال الغربي بين جبال تارة قريبة وتارة بعيدة وكانت الحرارة ٣٠ درجة ثم اتجه إلى الغرب وبعد س ٨ اتسع الطريق مع استواء الأرض وصلاحيتها لسير العربات وشوهد أمامنا من البعد قطعة أرض مرملة بين جبال سود كأنها قطعة قماش منشورة على أعلى الجبل وبعد س ١ نزل الركب للمبيت بمحطة (الضعيني) بجوار بئر مالح فبلغني من شخص يسمى أحمد ناجي من تجار خان الخليلي صحبنا من المدينة ليتوجه من هذه المحطة إلى ينبع من طريق السعاة مع اثنين من العرب كان استأجرهما من ينبع ليحضرانه إلى المدينة ليزور ثم يوصلانه إلى ينبع ثانياً وأخذ منهما الضمانات على ذلك لأنه قد كان توجه في ٧ محرم من مكة إلى جدّة مع قافلة من الچاوا وغيرهم تحتوي على ٢٠٠ جمل ومعها نحو ٥٠ نفراً من العساكر خوفاً من العربان فلما وصلوا لجدّة بلغهم أن العربان هجموا في الليلة الماضية على قافلة قريباً من بحرة فنهبوا منها نحو عشرين جملاً وقتلوا منها شخصين فلم يصدهم هذا القول وتقدموا بالنظر لوجود العساكر معهم ولكثرتهم ولما

---

(١) اشتراها من رومة الغفاري.

أتوا بحرة لم يجدوا بها أحداً من العربان فجدوا في المسير حتى صاروا بين بحرة وقهوة العبد في س ٣ من الليل فلم يشعروا إلا والعربان قد هجمت على مقدّم القافلة بالويل وارتفع من القافلة الضجيج وصارت الجمالة يدافعون النهابة بالعصى والسكاكين ولولا العساكر واطلاقهم السلاح الناري منعاً لهم من التقدم إلى الركب لأتوا على سائر القافلة بالقتل والنهب وصار هؤلاء اللصوص يطلقون على العساكر أسلحة نارية ليمنعوهم من التقدم إليهم ليتمكنوا من توزيع ما نهبوه من الجمال والأحمال فوق رؤوس هاتيك الجبال ثم انصرفوا عن القافلة المنهوبة بعد حوزهم الأموال المسلوبة فانكشف الغبار عن ثمانية من الحجاج ومثلهم من الجمالة المقتولين سوى من وجد بعد هذه المعركة من المجروحين وقد قطع الأشقياء التلغراف الموصل من جدة إلى مكة لقصد الفساد ومكث من كان في القافلة بجدة بعد وصولهم إليها نحو عشرة أيام حتى جاء وابور وحملهم إلى ينبع وأنزلهم بها ليكمل هناك حمولته وكان فيها وابورات متعددة ومن متأخري الحجاج نحو ٣٠٠٠ منعهم من ركوبها غلوّ الأجرة وعدم المقدرة فقد ارتفعت أجرة الشخص الواحد من جدة إلى السويس حتى بلغت ثلاثة جنيهات ونصفا بعد أن كانت سبعة فرنكات من السويس إلى جدّة ولاشك أن هذا من الظلم الذي تجاوز في الأذى حدّه فحصل لهم عطل كثير وضرر من التأخر كبير وكاد أغلبهم من المشقة يموت وباعوا أمتعتهم لأجل القوت منتظرين أن يرحمهم قابودانات الوابورات ولا يأخذوا منهم في مقابلة الأجرة هذا المبلغ الكبير الذي كان طلبه منهم سبباً التأخير وقد تيسر لي العود إلى جدة ومكة في را سنة ٣٠٣ وسألت عن هذا الخبر فقيل إن العربان قد سطوا على قافلة بالقرب من بحرة فأرسل من مكة عساكر لتأديبهم وتشتيتهم فاقتفوا أثر هؤلاء الأشرار وسقوهم كؤوس الدمار وأتوا برأسي اثنين منهم إلى مكة عبرة لغيرهم .

وفي يوم الأربعاء ٢٧ منه سار الركب بعد س ١ من النهار وكانت الحرارة ١٧ سنتجراد في أرض متسعة بين جبال متجهاً إلى الغرب وبعد س ٢ و ق ٢٥ إلى الشمال الغربي في البقعة التي كان يترآى من البعد أنها قطعة قماش منشورة لارتفاعها عن الأرض السالفة وهي أرض مستوية ذات حشائش وبعد س ٦ كانت

رياضة وبعد س ٧ سار وفي س ٨ بلغت الحرارة ٣١ سنتجراد وبعدت جبال اليمين وكثر الحشيش وبعد س ٩ و ق ٤٥ نزل بمحطة (الملليح) أو النضيف في بقعة متسعة سهلة فيها فحائر عذبة الماء عمقها عن سطح الأرض نحو متر وعند غروب شمس هذا اليوم شكى حريمي مغصاً شديداً ولم أجد منجداً لإسعافها وحكيم الركب لم يمكنه شيء لأن الأجزاخانه تربط مع الأحمال عند المسير ولا تحل إلا عند المبيت يعني من بعد اثنتى عشرة ساعة أو أكثر فإذا مرض شخص في مدّة السير لم يجد ما يلجأ إليه غير الصبر والتحمل إلى وقت المبيت وهيهات أن يجتمع عليه لأنه متى نزل الركب اشتغل الحكيم بمباشرة نصب خيمته وجمع أمتعته فيها وتحضير عشائه وبذا يضيع زمن طويل لاسيما إن صادف نزول الركب ليلاً لأن الحكيم حينئذ يركن كغيره إلى النوم ولا يلتفت إلى من يشكو مرضاً أو ألماً من القوم إلا إذا كان هذا المريض من العساكر فيجبر على أن يتوجه إليه مع كونه يتضجر ثم اشتد المغص عليها فسهرت معها طول ليلي في معالجتها .

السجوة

وفي يوم الخميس ٢٨ محرم س ١٢ سار الركب وحريمي لم تزل في تعب ولم يتأت لنا المكث لمسير الركب وبعد س ١ قربت جبال اليمين وأشرقت الشمس وبعد ق ١٠ تقاربت جبال اليسار وبعد س ٢ اتجه إلى الغرب في أرض متسعة ذات أشجار بين الجبال وبعد س ٢ و ق ٤٥ في درب على اليمين مبحراً وبعد س ٣ و ق ١٠ تقاربت جبال اليسار وبعد ق ٢ سار في مصعد متسع وبعد س ٣ ونصف انحدر إلى هبوط وبعد س ٤ اتجه إلى الشمال الغربي في واد متسع ذي حشائش كثيرة وعلى اليمين جبل قريب وظهر على البعد جبل فوقه بناء كالطابية يُعرف بقصر عبلة وبعد س ٥ و ق ٤٥ نزل للرياضة في أرض ببحريها بئر على بعد نحو ساعة ولم أزل أتردّد على حريمي لأنظر في حالها وما يلزم لصحتها من العلاج وبعد س ٧ سار في واد متسع وبعد س ٩ وربع سار في زلط وظهر من البعد قلعة الشامي على اليمين وهي من أعلام طريق الحج الشامي وبعد س ١٠ مرّ بجبل على اليسار وهو قصر عبلة المار ذكره وبعد س ١٠ و ق ٤٥ بتل صغير على اليسار وعلى بعد جبال وعلى اليمين

جبال أيضاً متجهاً إلى الشمال الغربي في أرض سهلة وبعد س ١١ و ق ٤٥ نزل بمحطة (السجوة) في أرض متسعة صالحة لسير العربات لا ماء فيها وهناك قلعة وبت طول الليل متكدّراً مشغولاً بأمر حرمتي وبعد س ٧ ونصف توفاها اللّه إلى رحمته وكساها حلل الغفران وكانت تقية صالحة محسنة عشنا معاً في أرغد عيش نحو ٣٤ سنة ومن إكرام اللّه تعالى لها أن وجد في الحج مغسلة وبعد تجهيزها والصلاة عليها وضعت في صندوق صنع لها في الحال وسُيّر نعشها إلى المدينة الشريفة على بعض الجمال مع خمسة من العربان والخدّام للدفن هناك في البقيع الذي دفنها به كان لها غاية المرام فإنها وصلت إلى المدينة يوم السبت بعد العصر الذي هو ثاني يوم وفاتها ودفنت بجوار قبة آل البيت الكرام عليهم بعد النبي أفضل الصلاة والسلام طيّب اللّه ثراها وأكرم مثواها ومن فرط حزني على فقدها وأسفي على بُعدها نظمت أثناء الطريق بعضاً من الأبيات على سبيل الرثاء لها وكان إسمها ألفا رحمة اللّه عليها

الوجد يزداد يا ألفا بذكراك	لولاك ما ناح جفني اليوم لولاك
فارقت دار الفنا في عفة وتقى	وارحمتاه لقلب ليس يسلاك
أبكي عليك بكاء لا مزيد له[1]	مادمت حيا أعز اللّه مثواك
قد فزت بالدفن في أرض البقيع كما	قد حزْت عفواً من الرحمن مولاك

(والتاريخ)

الست ألفا الشهيده	حجت وزارت ولبت
في ليل (كط ٢٩) محرم	من عام (غشج ١٣٠٣) توفت

وبعد س ٢ و ق ٢٠ من يوم الجمعة ٢٩ محرم سار الركب وأنا مع التأسف والحزن على ما تمّ وعم جميع من في المأتم وفي س ٣ و ق ٤٥ مرّ على بعد من جبل

(١) وردت «بكاء ليس أقطعة» ص ٢٢٢ أعلاه.

شاهق فوقه أكمة عالية يسمى باصطبل عنتر أو (قصر عبلة) وبعد س ٦ و ق ٢٠ وصل إلى مفرق الدرب الشامي حيث على الجانبين جبال وبعد س ٦ و ق ٤٥ نزل للرياضة وبعد س ٧ و ق ٢٥ سار صاعداً بين جبلين إلى واد وفي س ٨ صار عرض الطريق من خمسين متراً إلى مائة متر وتسلسلت الجبال على الطرفين كالتلال وفي س ١١ ابتدأ نزول المطر وبعد ربع ساعة نزل الركب للمبيت بمحطة (آبار حلوه) قريبة من جبل وبها خمس آبار عذبة الماء على يسار الطريق ببقعة متسعة معتدلة محاطة بالجبال ونصبت الخيام على البلل وعند الغروب نزل السيل وامتدّ واشتدّ وغمر الأحمال والفرش حتى لم يمكن وضع شيء على الأرض ليجلس عليه إلا ابتل أسفله وأعلاه وفي نصف الساعة الأولى من الليل امتنع المطر وقضى كل شخص ليلته بقضاء وقدر بين رطوبة الأرض وفرشه ومن كانت له سحارة ونام عليها صارت كنعشه وأما الفقير الذي ليس عليه إلا القميص وما له خيمة ولا غطاء فكان فرشه الماء أعني الأرض ببلها وغطاؤه الهواء وخيمته السماء ويفعل اللهّ بخلقه ما يشاء .

الحفائر

وفي يوم السبت بعد س ١٢ سار إلى الشمال الغربي ماراً من طريق أخرى لعرب عنزة بحري الطريق المعتادة التي سنذكرها بعد التابعة لعرب جهينة الصعبة السلوك لسبخها وسيولها بخلاف هذه والتي تليها من جهة اليمين فإنهما ينسبان إلى عرب عنزة المقيمين بناحية الشام المخالفين للسنّة الذين يتزوجون بالمرأة ثاني يوم طلاقها ولايعتبرون العدة وبعد س ١ و ق ١٠ سار في واد متسع ذي حشائش وعن يمينه تلال وعن يساره جبال متسلسلة بعيدة وبعد س ٣ و ق ٤٠ مرّ على جبل على اليسار منفرد وسط الوادي وبعد س ٥ اتسع الوادي طولاً وصارت الأرض مرملة مستوية وبعد س ٦ كانت رياضة بوادي الحمض والطريق المعتادة خلف جبال اليسار وبعد س ٦ و ق ٥٠ سار في واد متسع مستوٍ ذي حشائش متجهاً إلى جبل هرمي قبليّ الجبال على بُعد وبعد س ٩ و ق ١٠ مرّ على أحجار وبعد س ١١ و ق ٥ على تلال عن اليمين وأحجار منتشرة وعند آخرها نزل للمبيت في س ١١ ونصف بأرض سبخة ذات حفائر قيسونية المياه ولذا تُسمى (بالحفائر) أو النقارات ومياه هذه الطريق في أغلبها

لزوجة وبها بعض ملوحة ويغلب فيها وجود الصودا أي النطرون كما يغلب على مياه الطريق الشرقي وجود الصودا وكبريتات الباريت .

وأما الطريق الأخرى المعتادة من آبار حلوه إلى الفقير المسكونه بأعراب جهينة المحرّمين أكل لحوم الأرانب المعتقدين أن قسمة عود من الحشيش أو خوصة بين الزوج وولي الزوجة هو عقد نكاح فالركب نزل بالبعد عن آبار حلوه بجوار الجبل الموجود على يمين الوادي في مكان كثير الحشائش غير لائق للمبيت كأرض محطة آبار حلوة وفي ثاني يوم سار وكان البرد شديداً في واد متسع أرضه سهلة وفي س ٦ استراح وبعد نصف ساعة قام وفي س ١٠ و ق ١٥ مرّ على زلط وتلال على اليسار وفي س ١٠ و ق ٤٠ مرّ بست آبار على اليمين ماؤها فيه ملوحة قليلة وهناك محطة (النقارات) نزل بها الركب وقد أوضحنا الطريقين المتبوعتين بالحج .

محطة الفقير

وفي يوم الأحد غرة صفر سنة ١٣٠٣ بعد الساعة واحدة سار إلى الغرب الشمالي وبعد س ٢ سار في أرض مستوية صلبة يعلوها زلط وبعد ق ١٠ كثر السباخ والملح وبعد س ٢ و ق ٣٥ كثر العبل وبعد س ٣ وربع سار في سبخ ومجاري مياه كثيرة يصعب المرور منها عند نزول السيل وبعد س ٤ ونصف قل العبل وبعد س ٥ مرّ بجبل هرمي أسود عن اليمين وسط الوادي وبعد س ٥ و ق ٤٥ أتى على ملح وعبل وبعد س ٦ وربع نزل للاستراحة وبعد س ٦ و ق ٥٠ سار من طريق سبخة يعلوها ملح وبعد س ٧ ونصف مرّ بتل أسود على اليسار وسط الوادي وعلى اليمين بعد مسافة تلول وبعد س ٧ و ق ٥٥ نزل بمحطة (الفقيّر) تحت جبال بأرض سبخة بها خمس آبار ماؤها قيسوني وبالأرض قطع أحجار صغيرة ذات خطوط كالخشب المحجر بطول الزمن وعلى حسب الموقع ومن المعتاد سنوياً الإقامة ثاني يوم الوصول في هذه المحطة لراحة الركب والدواب لأن المسافة من المدينة إلى الوجه اثنا عشر يوماً ويلزم أن يكون في كل خمسة أيام أو ستة إقامة يوم للاستراحة ولكن سار الركب برأي الأمير على خلاف العادة .

وفي يوم الاثنين ٢ صفر بعد أخذ مياه لثلاث مفازات لعدم المياه العذبة إلى محطة الخوثلة سار بعد س ٤ و ق ٢٥ في طريق بواد مستوٍ ذي رمل ثابت محاط بالجبال المتسلسلة يساراً وبعد ربع ساعة جبال على اليمين وفي س ٥ وربع ضاق الطريق إلى عشرين متراً مع هبوط يسير إلى واد متسع وجبال من الجانبين تقرب تارة وتبعد أخرى وفي س ٥ و ق ٣٥ وجد على اليسار آثار بناء وحائط قائمة طولها ٥٠ متراً وارتفاعها متران تسمى (بالقصر الأحمدي) أو قصر جحا عند العامة وفي س ٥ و ق ٥٥ استراح وفي س ٦ و ق ٤٥ سار وبعد س ٨ وربع قربت جبال اليسار واتجه الركب إلى الشمال الغربي وبعد س ٩ ونصف مرّ من منفذ بين جبلين عرضه عشرون متراً وطوله مائة متر ثم اتسع الطريق وفيه كثير من السعتر وأشجار مسوّسة وبعد س ٩ و ق ٥٠ مرّ ببناء منهدم والغالب أنه كان قلعة من القلاع المبنية قديماً وقد تركت من عهد بعيد لعدم أهميتها وبعد س ١٠ ونصف نزل للاستراحة وبعد ق ١٠ سار في درب متجه من الغرب إلى القبلي بين جبال عالية في اتساع ٥٠ متراً بل أكثر ثم اتسع وبعد س ١١ وثلث مرّ على أشجار سنط وفي س ٢ و ق ١٠ من الليل اعتدل الدرب إلى الغرب تقريباً وفي س ٢ وثلث نزل للمبيت بين جبال وفي س ١١ ليلاً سار متجهاً بين القبلي والقبلي الشرقي ثم إلى القبلي وبعد س ٢ وربع من يوم الثلاثاء وصل إلى جبل أمامه وانعطف عنه يميناً متجهاً إلى الغرب بين جبلين وبعد ق ٥ نزل بمحطة (العُقلة) بضم العين بجوار بئر مالحة لايصلح ماؤها إلا لشرب الدواب ، وقد ماتت ٨ جمال من الركب من التعب وذلك من عدم تدبير الأمير وبعد س ٦ سار بين الغرب والشمال الغربي في أرض متسعة سهلة ثم غرّب والجبال من الشمال إلى الجنوب وبعد س ١١ اتجه إلى الشمال الغربي وبعد ربع ساعة مرّ في متسع بين جبلين وبعد س ٣ و ق ١٠ من الليل نزل للمبيت بين جبال في مكان ليس به ماء وفي هذا اليوم ماتت ١٠ جمال من طول المسافة وثقل الأحمال واتفق أن أربعة من الجمالة انحرفوا قليلاً عن الركب لجمع الحشيش لجمالهم فنهبت العرب جمالهم وسلبتهم لباسهم ونجوا بأنفسهم حفاة عراة وحمدوا الله على ذلك .

العقلة

وبعد س ١١ ونصف من الليل سار وبعد ربع ساعة مرّ من مضيق إلى متسع وبعد س ١٢ و ق ٥٠ من صبيحة يوم الأربعاء كثر العبل ولعدم استواء الأرض وكثرة الحجارة يتعسر السير ليلاً فلم يمر إلا جملان جملان فقط في أغلب المواضع وبعد س ١ و ق ١٠ خف ذلك واتسع الطريق وبعد س ١ و ق ٤٥ وجد اتساع مع استواء بين الجبال وبعد س ٢ اتجه من الشمال الغربي إلى الغرب وبعد س ٣ مرّ بمحجر على اليسار وبعد س ٤ بأشجار وحفرة فيها ماء على اليمين بخيف الجبل وبعد ق ١٠ نزل للاستراحة وبعد س ٥ و ق ٤٠ سار متجهاً إلى جبل شاهق أمامه على البُعد ذي هرمين أسفله محطة (الخوثلة) وبعد س ٧ بعدت جبال اليسار وبعد ق ٤٠ مرّ بتلال على الجانبين وبعد س ٩ ونصف مرّ بجبل على اليمين من الشرق إلى الغرب ثم بجبال على الجانبين وحشائش في أرض مستوية وبعد س ٩ و ق ٥٥ اتجه إلى الغرب وبعد س ١٠ و ق ١٠ مرّ بأحجار ذات صعود يسير ثم هبوط وبعد عدة انعطافات على حسب الجبال اتجه إلى الغرب وبعد ق ١٠ مرّ بجبال قليلة الارتفاع وبعد س ١٠ و ق ٢٥ مرّ بين جبلين في عرض سبعة أمتار وطول مائة متر ثم في متسع وبعد ق ١٠ مرّ في صعود ثم هبوط ثم صعود بين تلال ثم هبوط وهكذا تارة يمر الجمل وتارة يمر الجملان في هذه المحاجر بين الصعود والهبوط والمضيق والاتساع والانعطاف إلى س ١٠ و ق ٥٣ ثم اتجه مغرّباً في طرق متسعة مرملة سهلة وبعد

س ١١ و ق ١٠ صعد إلى محجر لم يمر منه إلا الجملان فالجملان ثم هبوط ثم صعود من محجر آخر ثم هبوط إلى متسع وبعد س ١١ و ق ٣٧ صعد إلى محجر ثم هبط بصعوبة ثم اتجه إلى الشمال الغربي بين جبال وبعد ق ١٣ من الغروب اتجه للغرب وبعد ق ٢ نزل للمبيت بجوار جبال بأرض ليس بها ماء فصار الركب في شدة الضنك من فقد الماء إلى س ٢ من الليل حتى جاء السقاؤون به من محطة الخوثلة وكانت على نحو ربع ساعة من مكان المبيت فشربوا حينئذ وسبب عدم الوصول إليها ليلاً هو مرض الأمير وعدم ثبات قول الدليل .

محطة الخوثلة

وفي يوم الخميس٥ منه بعد س١سار وبعد ق ١٥ نزل بمحطة (الخوثلة) في أرض متسعة فيها ٩ آبار عذبة الماء جداً وسلسول ماء جار من سنين وقد قطعنا المسافة بين العقلة والخوثلة في الدفعة الأولى بأقل من هذه وهو أن الركب قام منها في س ١ صباحاً وفي س ٦ و ق ٣٠ استراح وفي س ٧ و ق ١٥ اتبع البراح مغرّباً وفي س ٨ و ق ٢٠ اتجه مبحراً وبعد ق ١٥ سار مغرّباً مبحراً وفي س ١١ و ق ١٥ نزل للمبيت وفي هذا اليوم مات ١٨ جملاً من طول المسافة وثقل الأحمال وفي س ٩ و ق ٢٠ من الليل سار إلى أن طلع الصباح وفي س ١ منه استراح وبعد ق ٣٠ قام وفي س ٥ مرّ فوق تلال وانحرف إلى بحري بقدر ق ٧ ثم عاد إلى اتجاهه الأوّل ، وفي س ٥ و ق ٣٥ اتجه مبحراً بين أكمات من صعود وهبوط وبعد ق ٥ استقام وفي س ٧ و ق ١٠ نزل بمحطة (الخوثلة) وقد أوضحنا ذلك ليعلم السير وفرقه في الدفعتين .

وبالخوثلة سوق يباع فيه التمر والغنم واللبن الرائب والأرز والبقصماط وقابلنا الشيخ سليمان شيخ قبيلة (بلي) التي مبدأ دركها من هذه المحطة إلى الوجه ليخفر المحمل كما هي العادة وأقمنا هناك يومنا وبعد س ٩ من الليل سار آخذاً معه ما يحتاجه من المياه إلى محطة الوجه ماراً من محجر خفيف إلى واد ذي عبل كثير كبير وبعد ق ٣٠ صعد من طريق مستوٍ عرضه ١٥ متراً إلى درب متسع فيه عبل قليل وفي س ١٠ اتجه مبحراً بين جبال كالتلال وبعد ق ٥ اعتدل إلى الغرب الشمالي في متسع وفي س ١٠ و ق ١٥ وصل إلى مبتدا تلال وجبال وفي س ١١ و ق ٢٥ مرّ في زلط وأحجار ثم رمل في اتساع بين الجبال وبعد ق ٥ وصل إلى ابتداء جبال ضرب المحشرة وبعد س ١٢ و ق ١٥ من صبيحة يوم الجمعة مرّ في متسع بين جبال ذي رمل مستوٍ وبعد ق ٢٠ نزل للرياضة وصلاة الصبح وبعد س ١ و ق ١٠ سار بين الغرب والغرب الشمالي وبعد ق ٢٥ وصل إلى انتهاء درب المحشرة وجبال اليسار بأرض رملها ثابت وبعد س ٢ و ق ١٥ سار في أرض بها سنط تعرف (بالمحشرة) وجبال خفيفة عن اليمين وبعد س ٣ و ق ٤٥ انتهت جبال اليمين واتسع الوادي باستواء واتجه إلى جبلين غرباً وثلاث أكمات يميناً متفرّقة على البُعد في امتداد

الطريق وبعد س ٦ نزل للرياضة وبعد س ٧ و ق ١٠ سار وبعد س ٧ و ق ٣٥ صعد إلى سطح مرتفع غير مستوٍ متجهاً إلى الشمال الغربي بالقرب من محطة (أم حرذ) ولعدم الآبار بها سار في أرض سهلة بالقرب من (مفرق الدربين) أعني هذا الدرب والدرب الموصل إلى ينبع البحر وبعد س ١٠ و ق ٥٥ صعد إلى سطح بين جبال وبعد س ١١ نزل للمبيت في مكان ليس فيه مياه وبعد س ٩ و ق ١٠ من الليل سار وبعد س ١١ هبط بين أكمات وبعد س ١٢ و ق ١٠ نزل لصلاة الصبح .

وفي يوم السبت ٧ منه سار بعد مضي ق ٤٠ من النهار بين أكمات ذات اعوجاج وازورار متجهاً إلى الشمال الغربي ثم مرّ بين أكمتين تسميان (بالنهدين) إلى طريق متسع وبعد س ١ مرّ على جبال صغيرة عن اليمين وتلال متسلسلة عن اليسار وبعد س ١ و ق ٥٥ مرّ بين صخور صغيرة مع صعود يسير وبعدت الجبال والتلال وبعد س ٢ و ق ٢٥ مرّ على أحجار وعلى اليمين تلال وبعد ق ١٥ مرّ بين جبلين صغيرين ثم تسلسلت التلال يميناً ثم بعدت وفي الأمام على بُعد جبل يساراً وبعد س ٣ و ق ٢٥ ظهراً البحر على بُعد وبعد س ٣ و ق ٥٥ مرّ في صعود يسير على تل ثم هبوط بعد ق ٢ والجبال من الجانبين ممتدة إلى محطة الوجه وبعد س ٤ و ق ٧ على رمال خلفها الجبل المار ذكره ثم هبوط منها ويتجه إلى قلعة الوجه إذا أراد القلعة ويصلها بعد س ١ و ق ٣٠ وأما إذا أراد المينة فيتبع طريقها وهو في س ٥ يمر في براح متسع مستوٍ إلى البحر وبعد س٧ في أرض مرتفعة يساراً تؤخذ منها أحجار للبناء وبعد ق١٣ مثل ذلك يميناً وعلى اليسار تل وبعد ٧ و ق٤٠ نزل بجوار (مينة الوجه) وكان بها الوابور المسمى بالمنصورة منتظر الركب ليوصله إلى السويس.

ولنترك الآن المينا والسفر منها بحراً إلى السويس ونذكر العود براً من القلعة إلى السويس لكن إنما نذكر المفيد الذي لم نذكره ولا حاجة لتكرار السير والمعالم بالمحطات التي ذكرت ومر منها المحمل ذاهباً بل نذكرها مجملة وهي محطة (اصطبل عنتر) و (ازلم) و (سلمى) و (كفافة) و (المويلح) و (عيون القصب) و (مغائر شعيب) و (الشرفا) و (ظهر حمار) و (قلعة العقبة) و (بئر أم عباس) و (قلعة نخل) و (وادي الحصن) و (وادي التيه) حتى وصل إلى (الناطور الأخير) من وادي

التيه وسار مقبلاً في واد متسع به رمال هابطة وصاعدة وبعد س ٤ نزل الركب من هذا الناطور (بعيون موسى) بالقرب من شاطىء البحر في فلاة متسعة لأجل الكرنتينة وبها مأمور والكرنتينة وسوق مؤقتاً لبيع ما يلزم للحجاج والمياه اللازمة للشرب تجلب من السويس بواسطة الفناطيس والمراكب .

وفي يوم الجمعة ٢٠ صفر حضر محافظ السويس ومعه حكيمباشي الكرنتينه والمأمورون فنظروا الحجاج وأخذوا تعدادهم وتعداد دوابهم وهم واقفون بالبعد عنهم وجعلوا ثمانيا وأربعين ساعة كرنتينة على الحجاج ولوجود الجمال معهم أوصلوها إلى اثنين وسبعين ساعة من ابتداء وصول الحاج إلى محل الكرنتينة وأما الخيول والبغال والحمير فأمروا بإبقائها بالكرنتينة أحدا وعشرين يوماً ثم توجهوا فحضرت المرتبات والعلائق والبياعون في الحال كالعادة عند وصول الحجاج وكان تعداد الآدميين من عساكر ومستخدمي الصرة وأتباعهم ٥٩٣ سوى الأغراب والفقراء .

عيون موسى

وفي يوم السبت ٢١ ص أقام الركب بالكرنتينة وبالبعد عن محلها بنحو أربعين دقيقة إلى الشرق (عيون موسى) بواد سهل مرمل به خمسة بساتين لبعض الأوروباويين القاطنين بالسويس ينتقلون إليها صيفاً وفيها نخيل وبعض أشجار مثمرة والأرض هنالك مزروعة شعيراً وقمحاً فقط بسبب الرمال وعدم السباخ لزرع الخضار وبأحد هذه البساتين ثلاث حفائر ماؤها قيسوني عمقها عن سطح الأرض نحو المتر والمترين ومن هذه البساتين ثلاثة في كل منها عينان وهذه العيون منها ما هو صالح لشرب البهائم ومنها ما هو مالح نوعاً وبالبستان الخامس عين ماؤها عذب وبالبعد عن هذه البساتين بثلاث دقائق أرض مرتفعة نحو مترين عن أرض البساتين مع انحدار بها نخلة عالية وبجانب جذعها عين قيسونية عمقها من سطح الأرض ثلاثون سانتي وقطر دائرة الحفرة متر واحد وبالبعد عن النخلة بمسافة ستين متراً تل مرتفع نحو ستة أمتار سطحه مستوٍ بقدر عشرة أمتار وفي وسطه ماء معين قيسوني مساوٍ للسطح .

وفي يوم الأحد ٢٢ صفر حضر صباحاً سعادة محافظ السويس وحكيمباشي الصحة ومأمور الكرنتينة وفرزوا الآدميين والمواشي وأفرجوا عمن بالكرنتينة إلا الخيل والبغال والحمير ، وفي س ٧ و ق ٢٠ قام الركب واتجه إلى بحري محاذيا للمالح ومتباعداً عنه بمسافة قليلة في أرض مرملة كثيرة السباخ تاركاً العساكر والخيول والحمير بالكرنتينة إلى حين انقضاء المدة . وفي س ١١ و ق ٢٠ وصل إلى (القنطرة) فلم يمكن المرور عليها لكونها مفتوحة لمرور المراكب فنزل بالقرب منها في موضع يعلوه كثير من الأملاح والسباخ فبات هناك متكدراً من عدم وجود الطعام والمياه العذبة ومن عدم إمكان وضع مايجلس عليه لشدّة رطوبة الأرض وكثرة سبخها وقد اشتدت الرطوبة ليلاً على الحجاج من هذا السباخ .

وفي يوم الاثنين ٢٣ ص حضر سعادة المحافظ قبل الشروق ومعه العساكر والخيالة للسير مع الركب وأمر بإغلاق القنطرة ، وفي س ١ من النهار مرّ أوّل الركب وانتهى آخره في س ٣ و ق ٣٠ وسار إلى أن وصل إلى محطته المعتادة بالقرب من السويس في س ٥ و ق ٣٠ وصار استلام التعيينات اللازمة لحدّ مصر من الشونة وفي هذا العام لم يصر وكب المحمل وفي س ٩ ليلاً شدّت الأحمال على الجمال وسار الركب مهتدياً بالمشاعل بدون إشعار أحد من أهل البلد فمر من كوبري الترعة الحلوة واتجه لطريق مصر ليلاً بأرض ناشعة من المالح حتى صارت الجمال تتقدم رويداً إلى أن وصل الركب في س ١١ إلى بئر (السويس) ونزل للاستراحة وفي س ١٢ جد السير في الطريق الذي قطعه عند طلعته ، وفي يوم الخميس ٢٦ صفر الساعة ٣ نهاراً ٢٧ يناير وصل العباسية وكان هناك جم كثير من الأهالي ينتظرون الأقارب والخلان وبلقائهم ازداد فرحهم ودخلوا معهم مصر آمنين بعضهم بالطبل والموسيقى والبعض متلفع بالشيلان وصار ما كابده الحجاج من التعب كأنه ماكان بل ترك في حيز النسيان فسبحان خالق الأكوان المنفرد بالبقاء وكل من عليها فان .

فكرة

وإذ قد أنهينا الكلام على الحاج المصري من مبدء خروجه حتى عاد إلى الأوطان

فلنذكر نبذة خطرت على الأذهان وهي أن الحجاج يكابدون بالبرّ المشاق التي لا مزيد عليها في النفوس والأجسام ، أما في النفوس فحرمانهم لذة الطعام إما لعدم وجوده في الطريق أو لأنه لقصر الاقامة بالمحطات لايتمكن من إنضاجه كما يليق أو لتناولهم على الدوام من الطعام ما ليس بعادتهم كالبقصماط والجبن والزيتون بسبب حاجتهم وكالعدس على حدته أو مع الأرز إن وجد الماء العذب فإنه لاينضج مطبوخه بالماء المالح وحرمانهم أيضاً من لذة الشراب لتنوّع المياه مع قلتها في أغلب الأحيان فتارة مُرّة وتارة قيسونية وتارة لزجة أو نتنة من الاختزان فإنها متى مكثت في القرب أكثر من يومين عرض لها النتن ، وأما المشاق التي يكابدونها في الأجسام فهي تغيّر أوقات منامهم وقيامهم ومقاساتهم مشاق السفر من ركوب الجمال ولو في المحفات مع ادامة القرفصاء والنوم بها مع أضغاث الأحلام والفزع عند القيام بحيث تعرض لرؤوسهم وأعناقهم وأوساطهم في أقرب وقت الآلام من الاهتزاز ليلاً ونهاراً على الدوام ويستمرون على هذه الحالة ثلاثة أشهر بالتمام فضلاً عن الإقامة شهراً بمكة وبمدينة خير الأنام وإن عرض لأحدهم في أثناء سيره البول لم يمكنه النزول عن دابته إلا بالمشقة لقضاء حاجته خوفاً من التأخر عن متاعه ورفقته ومن كان منهم على ظهر حصانه لم يستطع دوام الركوب مع عدم النوم ومن كان ماشياً على قدميه عرض له الحفا وصار من شدة التعب على شفا ما لم يكن سائساً أو محترفاً بحرفة الحمارة ، ومع هذا فمن هؤلاء من يكل ويتأخر لطول مشيه ليله ونهاره ومنهم من يمشي وهو في حالة منامه قائداً الجمل بما حمل من زمامه كما شاهدنا ذلك مراراً في هاتيك المسالك وما يكابدون من شدة البرد لاسيما إذا كان ذلك بالليل وما يلحقهم ودوابهم من المتاعب عند نزول السيل وهذا كله يسير بالنسبة للخوف من الأعراب المتعرضين لنهب الحجاج وقتلهم إلا أن جميع هذا الضرر البين ليس له تأثير عند المسلم المتدين بل يحتسبه عند ربه طامعاً أن يجازيه على ذلك بغفران ذنبه لأنه متى خرج من بيته مهاجراً إلى بيت الله الحرام ثم إلى زيارة قبر نبيه عليه أفضل الصلاة والسلام واستولى هذا المقصد على لبه وتسلطن عليه آخذاً بمجامع قلبه تعلقت آماله بالوصول إليه وأنفق في مرضاة الله تعالى ورسوله كل ما لديه وتحمل جميع المشاق مع الصبر والحزم محصياً الأيام والساعات وما مضى منها وما هو آت لايخطر غير

هذا بفكره ولايشتغل عنه بشيء غيره مؤملاً بلوغ مأربه فلولا أن للحاج أياماً معدودات يقرّبها مرور الأوقات ويدنيها تتابع الساعات لنحل جسمه من شدّة الشوق أو مات ، وأما يوم الوصول فياله من يوم تكل عن وصفه الألسنة وتندهش بمشاهدته العقول ومتى أديت هذه الفريضة الشرعية بمناسكها المرعية واكتسب كل من الأجر على حسب أفعاله المرضية وما وفق إليه من خلوص النية ثنيت الأعنة إلى الأوطان واشتد الشوق إلى لقاء الأهل والخلان فعند ذلك يلتهب القلب ويشتعل وبالقرب من الأحبة على الدوام يشتغل وتحسب الأوقات بالثواني والثوالث ويزداد القلق والأرق بانتظار المكاتيب وخوف الحوادث حتى يصلوا إلى المواطن ويلتقي المسافر والقاطن فعند ذلك يفتخرون بمشاهدة هاتيك الآثار الشريفة ويتفاوضون في كيفية أداء تلك المناسك المنيفة ويتمثل من يحركه الشوق بما يعزي إلى حضرة الإمام أبي حنيفة وهو:

كيف الوصول إلى سعاد ودونها ... قلل الجبال ودونهن حتوف

والرجل حافية ومالي مركب ... والدرب وعر والطريق مخوف

وعند وصولنا إلى مصر عرضنا على أولي الأمر صعوبة السير براً فصدرت الأوامر بتوجه المحمل بحراً من الآن فصاعدا كما ذكرناه سابقا .

ولنرجع الآن إلى مينا الوجه ونذكر السفر بحراً إلى السويس فنقول إن هذه المينا المذكورة عبارة عن سوق مستطيلة على يسارها دكاكين وقهاوي على البحر وعلى يمينها سطح مرتفع به بعض بيوت وطابية فيها أربعة من الطوبجية وستة أنفار بيادة ومدفعان من الحديد من الطراز القديم وكان بها برج قديم ثم هدم والآن جار بناؤه بمقاولة ٢٢٥٦ جنيه وارتفاعه عن سطح البحر اثنا عشر متراً ونصف وعن القاعدة ستة أمتار والمدفعان أحدهما جبلي والآخر قبوس وبهذه المينا ١٢ طوبجياً ماهية كل منهم ٢٢٠ قرشاً ومن البيادة ٣٤ بماهية ١٣٠ مكفي للنفر وبلوكباشي واحد وأسطة طوبجية واحد بماهية ٥٠٠ قرشاً وجميعهم من الأهالي وماهياتهم تصرف لهم من مصر في كل ستة أشهر وعدد الأهالي نحو ألف نفس من القصير وينبع والوجه والصعيد وبها محافظ بوظيفة صاغقول أغاسي وبها من الصهاريج خمسة يملأها

السيل يحمل الماء منها إلى محطة ضبا وإلى القصير وهناك آبار بقلعة الجبل على مسافة ساعتين وأربعة آبار على مسافة ثلاث ساعات ماؤها قيسوني صالح لشرب الدواب وفي بيوتهم صهاريج تمتلىء من السيل أيضاً وبالبعد عن قلعة الجبل بنحو ق ١٥ وفي الجهة الشرقية حفائر عذبة الماء جداً وبها ثلاثة جوامع وزاويتان و ١٥٠ منزلاً مبنية منها ماهو دور واحد وأغلبها دوران وفي صباح يوم الأحد توجهت مع الأميرالي وابور المنصورة لرؤية أماكنه وترتيبها للمتوظفين على حسب درجاتهم وعند رجوعنا وجدنا شاباً من الحجاج السائرين صحبة المحمل قتل غلاماً صغيراً فقبض عليه وأتى به في الحال إلى خيمة الأمير وقميصه ملوث بدم القتيل ومعه سكين ماضية ملوثة بالدم أيضاً فكتب بذلك محضر بعد إقرار القاتل بالقتل وهذا المحضر مكوّن من كل من محافظ البندر وقاضيه ومن المتوظفين وحوفظ على القاتل ليصير تسليمه إلى محاكم مصر ليجازى بمقتضى القوانين وأصل هذا القاتل مسيحي من أقباط مصر اسمه بخوم مخائيل وسنّه نحو ٢٢ سنة وعلى ماقيل أسلم وخرج للحج خادماً لإحدى المخدّرات المشهورات بمصر وتسمى بأحمد أمين وكان مع هذه الست بنتاها وجاريتها ووكيلها وولده الذي قتل وسنّه نحو ١٢ سنة وقد حرّر لهذا القاتل في مكة إعلام شرعي بإسلامه ، ولما توجه المحمل إلى المدينة رافقوه فحصل بين القاتل والوكيل أثناء الطريق مشاجرة وقبل الوصول إلى المدينة بيومين حضر الوكيل عند الأمير متشكياً من هذا الخادم وأخبر أنه على دينه الأصلي وبأن بينه وبين الست اتحاداً وبأن ادعاءه الإسلام غش فأمر الأمير بمنعه من دخول المدينة لزيارة حرم الرسول عليه الصلاة والسلام وقد حصل وبعد قيام المحمل من المدينة إلى طريق الوجه أمر الأمير بتخلية سبيله وأن يمنع من مخالطة خيمة سيدته فلما وصلوا إلى الوجه أراد القبطي الانتقام من الوكيل فاغتال ولده خلف إحدى الخيام في س ٣ من النهار فكفاه على الأرض واحتز رأسه بالسكين فقطع على الفور نصف عنقه فمات حالاً وكان بالقرب منهما شخصان سمعا صرخة القتيل فأقبلا لإغاثته فوجداه قد مات فشدوا وثاق القاتل إلى أن عدنا من الوابور وعمل المحضر كما ذكرنا وقد اتهم هذا القاتل سيدته بأنها هي التي أغرته على ذلك وأن إحدى ابنتيها أعطته السكين وجاريتها أمسكته له من يده ورجله ليقتله ذبحاً لكن ظهر كذب دعواه في مساعدة

الجارية له على ذلك لأن الشخصين الشاهدين المذكورين شهدا بأنه قتله وحده ولما وصلوا إلى مصر سلّم القاتل إلى محكمة مصر ليحاكم فيها وحصل له المساعدة من أبناء جنسه وعوقب عقاباً يسيراً .

وفي يوم الاثنين ٩ ص حضر قبودان الوابور فأعطى غير أرباب الوظائف الذين مع المحمل تذاكر بالأجرة عن السفر في الدرجة الأولى ٤ جنيهات وماعداها اثنين جنيه ثم تنازلت إلى ٢ بنتو وعن الجمال ٥ جنيها وعن الخيل والحمير ٤ جنيهات وبعد الزوال نقلت المهمات إلى الوابور ثم الركاب وانتهى ذلك قبيل الغروب وكان به من الركاب ٢٠٠ نفر بالأجرة و ٤٠٠ تبعة المحمل وخيول ٤٤ وفقراء ٤٨ مجاناً .

وفي يوم الثلاثاء ١٠ منه بعد س ٣ سار الوابور من الوجه قاصدا الطور .

الكرنتينا بالطور

وفي يوم الأربعاء بعد س ٢ و ق ٥٠ مرّ على أشجار ونخل يميناً على شاطىء البحر وتراءت بلدة الطور من البعد وبعد س ٣ و ق ٦ ضربت مدافع السلام من الوابور ، وبعد س ٣ و ق ١٥ رسا على (مينا الطور) وكان يقطع في الساعة الواحدة ٨ أميال وفي الطور على شاطىء البحر جامع وكنيسة ونحو ٢٥ بيتاً سكانها أروام وأربعة أبيات للمسلمين وحمام معدني على مسافة نصف ساعة محاط بالنخيل بناه المرحوم عباس باشا وهناك بلوكباشي واحد وأربعة من العساكر واثنان من الخفراء للسانيتا ومحل على شاطىء البحر على بعد ثلثي ساعة يسمى بالقروم به نخيل وعدة مساكن لمسلمين من عربان وفلاحين نحو ١٢٠ وفي الجهة البحرية موضع يسمى مسيعد فيه نحو ٤٠ نفساً من العربان وفي بحري المينا موضع آخر يسمى الوادي به ١٥٠ من العربان وأما الدير الذي على جبل الطور فبينه وبين المينا ١٨ ساعة بالهجين و ٥٦ بالجمال وفي زمن الحج يحجزون الحجاج عند عودهم في هذه المينا لأجل الكرنتينا ويحضر إليها من مصر حكيم ليقيم بها مدّة الحج ومحل الكرنتينا في أرض براح مرملة بعيداً عن شاطىء البحر وفيه اسبتالية وبناءان معدان للمخازن وبالبعد عنهما بألف متر زمالك من الخشب منها أربعة كبار واثنان صغيران

جميعها خرب يمر الريح منها كيف شاء وبالبعد عنها بنحو مائتي متر ألف خيمة مضروبة قبابها سليمة ودوائرها بالية ممزقة من جميع جوانبها يمرض الصحيح إن بات بها في ليالي الشتاء لاسيما إن نزل المطر وهذه الخيام مرتبة صفاً وصفاً وبين الصف والذي بعده مسافة تختلف وذلك لينزلوا عند مجيء الوابورات جماعة كل وابور بخيمة متباعدة عن غيرها من الخيم متى ورد هناك وابور أو وابوران أو ثلاثة في أيام متعاقبة ويأخذون عن كل نفس ريالاً مجيدياً مقنناً وأربعة قروش في مقابلة التعدية من الوابورات ذهاباً وإياباً إلا المستخدم والفقير جداً ومتى زادت الكرنتينا عن ٤٨ ساعة زاد المقنن على حسب تلك الزيادة وفي العام الماضي لما أتى وابور المحمل إلى هذه المينا لم ينزل من ركابه أحد ومكث المدّة وأخذ الشهادة من الحكيم وتوجه إلى السويس وأما في هذا العام فحكيم الكرنتينا المسمى بالليلى تلياني البلدة فإنه أمر بإنزال جميع الحجاج من أمير وفقير حتى الحريم ولم يترك بالوابور إلا عساكره ونحو خمسة عشر نفساً لخدمة الخيول فترجاه الأمير أن يبقيه مع حريمه وبعض المتوظفين النازلين في الدرجة الأولى فإنه أبقى به بعضاً من الحجاج لخدمة الخيول على أن محافظ السويس معه أوامر بإبقاء نحو خمسين شخصاً في كل وابور فأبى بالكلية وأنزل جميع من كان في الوابور فياليت شعري ما فائدة الكرنتينا إذا اختلط بعد انتهاء مدتها من نزلوا إلى البر بمن بقي في الوابور ثم عادوا معاً إلى السويس وأيضاً قد أقام بالزمالك بعض المتوظفين وبعضهم أقام بالخيام وقد كان قبودان الوابور يتردّد منه إلى من في الكرنتينا بلا حرج ومن العجائب أنه صار منع المقيمين بالخيام من الاجتماع بمن في الزمالك مع أنهم من وابور واحد وقد توجهت من الزمالك إلى الخيام وما منعني أحد لا في الذهاب ولا في الإياب ووجدتها على أسوء حال من هبوب الرياح فيها من جميع الجوانب ومن كونها عرضة للبرد فضلاً عن أنها لاتقي منه أحداً وشممت داخل بعضها نتن جيفة فأخبرت الحكيم بذلك فأمر بنقل الخيمة وأخبر بأن هذا المكان مقبرة فتعجبت من السانيتا كيف تنصب الخيام المعدّة للصحة على العفونات والقاذورات وتفتخر بأنها أدّت وظيفتها السنية وقامت بواجبات الصحة العمومية والحال هو ما شرحته فإن الحقيقة أن بعض الحجاج الذين تقدّمونا توفى أحدهم أثناء الكرنتينا فدفنه أصحابه سراً داخل الخيمة وقد أشيع

وبلغني من عبد الحميد أفندي معاون مأمورية الكرنتينا أن شخصاً مستخدماً بالسانيتا أخذ هو وحكيم الكرنتينا من قومندان وابور شبين أحد عشر جنيها على سبيل السمسرة في مقابلة نزول بعض الحجاج من وابور يسمى راجي كريم إلى وابوره لايخفى أن هذا مخلٌ بالشرف ثم فيما بعد في السنين الآتية صار تنظيم الكرنتينا على ما يرام .

وفي يوم الجمعة ١٣ص بعد س ٦ و ق٣٠ رخّص للحجاج في النزول إلى الوابور فنقلتهم القطائر إليه وبعد س ٩ سار وبعد ق ٣٠ من صباح يوم السبت ١٤ص وصل إلى مينا السويس ، وبعد الساعة الأولى رسا ، وبعد س ٤ و ق ٣٠ حضر الحكيم وأتباعه فأمر بفك الكرنتينا ثم رسا الوابور على الرصيف وأخرج مافيه من المهمات وحرر إلى مصر تلغراف بطلب إرسال عربات السكة اللازمة لنقل المحمل وأتباعه فحضرت إلى السويس قبل الشروق .

وكب المحمل بالسويس

وبعد س ٤ من يوم الأحد أتت إلى رصيف البحر ونقل بها ما في الوابور وقامت بعد س ٨ ووصلت إلى السويس بعد ق ٢٠ فوكب المحمل وطاف بشوارع السويس وابتهج به جميع أهلها فرحاً وسرورا ثم أعيد إلى العربات وبعد س ٣ و ق ٣٠ من الليل سار .

الوصول إلى مصر

وفي يوم الاثنين ١٦ ص بعد س ١ و ق ١٥ وصل إلى محطة مصر بالعباسية فنزل بها بعض الركاب وفي ثاني يوم وكب منها إلى ميدان محمد علي في جمع عظيم ومحفل جسيم وسُلِّم إلى يد الحضرة الفخيمة الخديوية كالمعتاد .

قمح الصدقة

وفي شهر (ربيع الأوّل) سنة تاريخه تعينت من المالية لتسليم قمح صدقتي مكة المكرمة والمدينة المنوّرة بجدّة عن سنة ١٣٠٢ أعني سنة ١٨٨٥ مسيحية المحضر من

بومباي بالهند مشترى للحكومة المصرية من الخواجه بيل وشركائه وذلك لارتفاع السعر بمصر وكان مقداره ٢٠٧٨٨ أردب وأصل هذا الترتيب من خلافة سيدنا عمر رضي اللّه عنه كما سبق ذكره وكان مقداره (١٠٠٠٠٠) إردب بحسب الروايات ثم انقطع شيئاً فشيئاً ثم أعيد في مدّة السلطان سليم وكان يصنع خبزاً أقراصاً ويفرق باسم جراية صدقة على الفقراء وفي مدّة المرحوم محمد علي باشا استبدل ذلك بتفرقتها حباً بدل الأقراص فصدقة مكة تبلغ ١٢٠٠٠ اردب وصدقة المدينة ٨٠٠٠ اردب مع زيادة ٧٨٨ اردب في مقابلة مصاريف المشال من ينبع إليها وأما مصاريف النقل إلى شونتي جدّة وينبع فتخص الحكومة المصرية ومنهما إلى مكة والمدينة تخص أرباب الصدقة والاردب المصري بجدّة يساوي ٥٤ كيلة وذلك على حسب حجم مكاييل هذه الجهات وأما بمكة فيحسبون الاردب ٥٣ كيلة والفرق يجعلونه في نظير العجز الذي يحصل من المشال من جدّة إليها وقد توجهت من السويس في ١٢ را سنة ١٣٠٣ وصلت جدّة في ١٦ منه صباحاً ومنها توجهت إلى مكة ثاني يوم على حمير الأجرة بدون لجام ولا ركاب كما هي العادة في اثنتي عشرة ساعة منها ساعة ونصف استراحة بالمحطات وأما الجمل فيصل بعد ٣٣ ساعة كما سبق ذكر ذلك وفي محطة (حدّة) بالحاء وتشديد الدال رأيت من العساكر الشاهانية نحو طابور أعني خمسمائة نفر ومدفعاً واحداً متوجهين إلى جدّة ثم إلى ينبع البحر لإطفاء الثورة التي قامت بها من عربان بني إبراهيم فإنهم هجموا على السجن وأطلقوا منه شخصين وقتلوا أربعة من عساكر الضبطية وفي اليوم الثاني تقابلت مع سعادة والي الحجاز عثمان باشا نوري وسعادة أمير مكة الشريف عون الرفيق باشا وقد بلغت الحرارة في هذا اليوم ٢٩ درجة سنتجراد ودعاني سعادة الشريف إلى وليمة صنعها بقصر المرحوم حسين باشا الشهيد بالهجيلية بطريق جدة بعيداً عن مكة بثلثي ساعة فتوجهت مع سعادة الوالي في ١٩ منه صباحاً وكان هناك بعض من الشرفاء والضابطان والأعيان وجرى إطلاق بعض المدافع بالكلل للتجربة في ميدان متسع أمام القصر وكانت الموسيقى العسكرية والنوبة التركية يترنمان بجميع الألحان ، وبعد العشاء والعشاء أطرب العود والقانون كل مشتاق ولهان وكانت ليلة بهجة سرّت قلوب الحاضرين وانصرفوا في منتصف الليل حامدين شاكرين ، وفي صباح ٢٠ منه

بعد س ٢ فتح بيت اللّه الحرام للغسل كما هي العادة السنوية في ٢٠ را ،وفي ثاني يوم عدت إلى جدّة وعند حضور الوابور من بومباي بقمح الصدقة صار نقل القمح منه بواسطة فلايك إلى البر ثم الشونه وتلك الفلايك تسمى سنابك والمفرد سنبوك وأجرة مشال الاردب من الوابور إلى البر ومنه للشونة قرشان بعملة جدة وجرى إعمال المعدّل بها بواسطة القادوس والكيل المصري بحضور قومسيون تشكل لذلك يكون التسليم والتسلم للأهالي بموجبه وتحررت الشروط اللازمة عن ذلك وعند انتهاء التسليم أعطيت السند اللازم إلى وكيل المتعهد بالمقدار الوارد بالشونة كالأصول وسيق مرتب مكة إليها شيئاً فشيئاً على حسب وجود الجمال وأما حصة المدينة فصار نقلها إلى ينبع على مرات بوابورات البوسطة الخديوية ثم توجهت ثانياً إلى مكة مع ثلاثة من عساكر جدة بمبلغ ٧١٧٥ جنيه مصري بدل ثمن قمح متأخر من مرتب سنة ١٣٠١ لمكة والمدينة باعتبار كل اردب جنيه مصري واحد وكانت الأمنية انتشرت بالطريق بسبب وضع عساكر للخفر في جميع المحطات من جدة إلى مكة لمنع تعدي العرب على المسافرين كما قد حصل بعد الحج وشتتهم العساكر وقطعوا رأسين من هؤلاء العرب وأرسلوهما إلى مكة عبرة لغيرهم ، وبوصولي إلى مكة أجريت تسليم الجنيهات إلى سعادة الوالي كأمر المالية وصار تفرقة حصة مكة لأربابها وأخذت سنداً دفتراً بذلك وقد اشتد البرد ليلاً حيث صادف ذلك شدّة الشتاء بتلك الجهات وبلغت الحرارة ١٧ درجة سنتجراد ثم عدت إلى جدة وركبت وابور البحر وتوجهت إلى ينبع للنظر في توريد مرتب المدينة إلى شونتها وايصال ما خص أهالي المدينة من المال المذكور إلى يد سعادة شيخ الحرم المدني بالمدينة ، ولما وصلت إلى ينبع بعد س ٢٤ وجدت شونة الميري أوسع وأمتن من شونة جدة والوابور يرسو على بُعد ١٥٠ متراً من الرصيف وأجرة نقل الاردب الواحد من الوابور إلى الشونة قرش واحد والقرش المصري سبعون فضة ومرتب المدينة تستلمه من الشونة التجار الموكلون عن أهالي المدينة وقد اشتروا أغلبه من أصحابه ليبيعوه لخلافهم ويرسلوه إلى المدينة شيئاً فشيئاً.

وينبع مشهورة بكثرة الذباب للعفونات عن عدم المراحيض بالمنازل ، فأما أهاليها من نساء ورجال فيتبرزون بالأزقة وعلى شاطىء البحر كما ذكر سابقاً

ووجدت العساكر مجتهدة في بناء سور للبلدة طوله ثلاثة آلاف ذراع تحفظاً من هجوم الأعراب الأغراب وتسهيلاً للهجوم على المعتدين منهم وصيانة للذخائر ولم يمكني التوجه إلى المدينة لانقطاع الطريق من ابن حذيفة حتى اني وجدت قافلة منتظرة التوجه إليها من مدة بالصفراء وكان ابن عاصم أيضاً قاطعاً لطريق جدة ووجدت كتاباً من سعادة شيخ الحرم النبوي يأمرني فيه بتسليم المال الذي معي إلى الأمين المتعيّن من طرفه لاستلام القمح بينبع لانقطاع الطريق فسلمته ذلك بالسند اللازم وعدت إلى جدة في مركب شراع تسمى سنبوك لعدم وجود وابورات ولا أقدر على شرح ما تمّ لي من عدم الراحة وكثرة المشقات والخوف من الأشعاب وتلاعب الرياح وقد انكسر في هذا الشهر أربع مراكب بالأشعاب التي بين جدة وينبع ووصلت إلى جدة في أربعة أيام وحمدت المولى العلام والسير كان نهاراً فقط على حسب الريح وكان المركب يرسو بالقرب من البر قبل الغروب بساعة وكانت الحمى متسلطنة في هذا الطقس بتلك البلاد ويتداوون منها بالملح الإنكليزي شربة وبسلفات الكينا تعاطياً وهيهات أن يكتسبوا الصحة كما ينبغي ثم توجهت إلى مكة ، وفي ١٧ منه عدت إلى جدة وانتظرت مجيء وابور البوستة ، وفي ١٩ تقابلت مع قائممقام الولاية بها الجديد لحضوره أمس من الحديدة وكان حاكماً ببلدة بيت الفقيه ورتبته أمير الأمراء المضاهية لرتبة القائممقام الجهادي ، وفي غرة ج سنة ١٣٠٣ الموافق ٦ مارث سنة ٨٦ ركبت وابور البحر ووصلت إلى السويس ثم وصلت إلى مصر ثاني يوم وقدّمت أوراق مأموريتي إلى المالية حسب الأصول والطريقة الحسنة في تسلّم قمح صدقتي مكة والمدينة هي أن يصير توريد مرتب أهالي مكة بجدة ويباع منه جانب لدفع أجرة المشال إلى مكة ويساق شيئاً فشيئاً إلى التكية المصرية ثم يوزع أوّلاً فأوّلا على حسب الدفتر بمعرفة المأمور المعيّن من مصر حيث أن متوظفي التكية يمكنهم القيام بهذا التوزيع بدون وضعه في شون الميري وحسبان ماهيات خدمتها على أصحاب المرتبات بدون اقتضاء لكن يلزمهم أن يكونوا منقادين للمأمور في الصرف وتحقيق صحة وجود أصحاب المرتبات وعدمه بحسب دفتر الأسماء المحضر معنا صورته من غير تداخلهم في الأخذ والإعطاء وإن وجد محلول فبمعرفة المأمور يعطي للمستحقين من الفقراء بعد أخذ الشهادة اللازمة ويلاحظ حركة التكية لأن أهمية

ذلك من جملة الاصلاحات الخيرية ، ويلزم أن يكون المأمور ذا رتبة مؤتمناً خبيراً بأحوال تلك الجهات مرفوعاً عند الأعيان ليتيسر له التسهيل والتشهيل في التسليم والتسلم والمشال لأن ذلك يحتاج إلى همة زائدة ويمكن صرف أغلب المرتبات بجدة لوكلاء أصحابها وللتجار الذين اشتروا أغلب حصصهم والباقي يصرف لهم بالتكية وكذا حصة المدينة تصرف بينبع للوكلاء كما شاهدنا ذلك ، وتوريد المرتب قمحاً فيه منفعة عظيمة لسكان مكة والمدينة بتنازل الأسعار إلا أن التجار تحوزه وتكتسب منه مبالغ جسيمة ، وأما الأوفر للحكومة فهو توريده دراهم بدلاً عن القمح كما حصل سابقاً وإنما يلزم الحكومة المخابرة مع سعادة والي الحجاز مقدّماً في ذلك بإرسال مأمور التسليم والتسلم وأن تنتظر الاتفاق على ذلك تلغرافياً فإن كان قمحاً استلمه المأمور بجدة وصرفه بمعرفته كما ذكرنا وإن كان نقداً أرسل إلى المأمور بواسطة البوسطة الخديوية وبعد استلامه لذلك يفرقه بمعرفته على حسب الدفتر ويلزم الحكومة مراعاة المندوب من جهة مصاريفه ومكافأته احتراماً وشرفاً للحكومة الخديوية وإرسال بعض الهدايا اللائقة لبعض المتوظفين هناك على حسب درجاتهم لتحصل الممنونية للجميع وحسن الالتفات للمندوب إذ الدرهم هو مركز دائرة السلوك

بين الأمير والصعلوك كما شاهدته في تلك الجهات والآن جار توريدها

بواسطة أوروباوية لنهبها بالكلية والله الموفق للصواب وإليه المرجع والمآب

(يقول خادم تصحيح العلوم بدار الطباعة العامرة ببولاق مصر القاهرة الفقير إلى اللّه تعالى محمد الحسني)

بحمد ذي الجلال والإكرام الذي فضل على سائر الأماكن بيته الحرام وحث على أداء المناسك وأعدّ جزيل الأجر لمن حل بتلك المعاهد وارتوى من زمزم والتزم الملتزم واستلم الحجر الأسود والركن والمقام والصلاة والسلام على سيدنا محمد أفضل من ثج وحج ولبى وصلى وصام وعلى آله الناسكين نسكه المقتفين أثره وأصحابه الكرام البررة (أما بعد) فقد تم طبع هذا الكتاب الوافي البيان الصافي المورد والمنهل الحافل الكافل ببيان المنازل من مصر إلى مكة المشرّفة والمدينة المنوّرة على أتم وجه وأكمل السالك بقارئه من فجاج تلك الديار كل فج وهو المسمى (دليل الحج) يصف لك هاتيك المنازل والأماكن فلا تكاد تحتاج إلى معرفتها عند مرورك عليها إلى معرّف ولا دليل ، ويعرّفك قبائل العرب الحجازية وفصائلها وأخلاق بعضها ومساكنها على وجه جميل مهذب المباني محرّر المعاني تأليف الملحوظ بعين عناية مولاه الخالق حضرة محمد باشا صادق * على ذمة حضرته حفظه اللّه ومن كل سوء وقاه * في ظل الحضرة الفخيمة الخديوية وعهد الطلعة المهيبة الداورية من بلغت به رعيته غاية الأماني حضرة أفندينا المعظم (عباس باشا حلمي الثاني) ملحوظاً هذا الطبع الجميل ينظر من عليه أخلاقه تثنى حضرة وكيل المطبعة الأميرية (محمد بك حسني)

وكان تمام طبعه في أوائل ذي القعدة الحرام من عام ثلاثة عشر

بعد ثلثمائة وألف من هجرته عليه وعلى

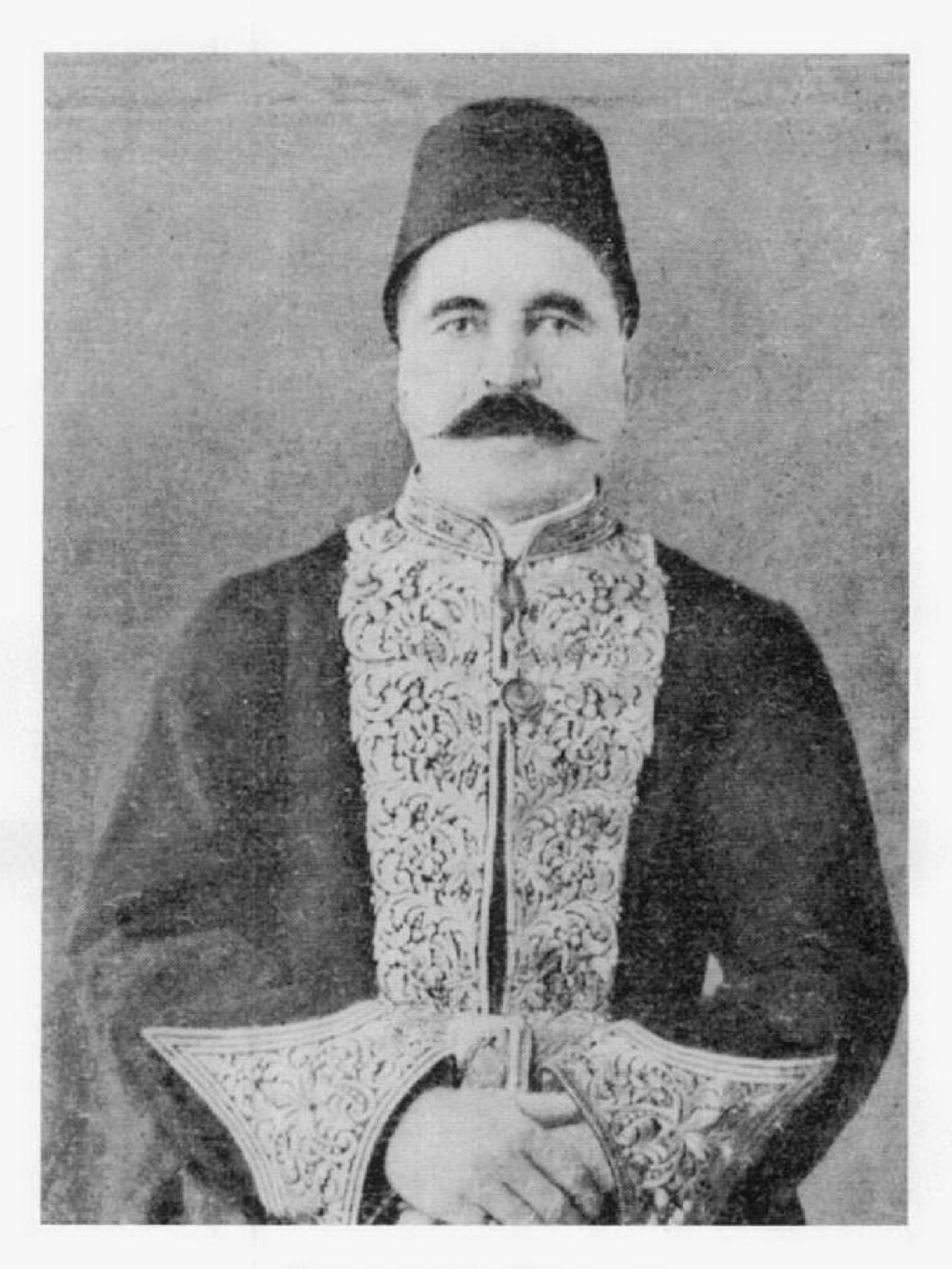
آله وصحبه أفضل الصلاة

والسلام

(م)

فهرس الأماكن

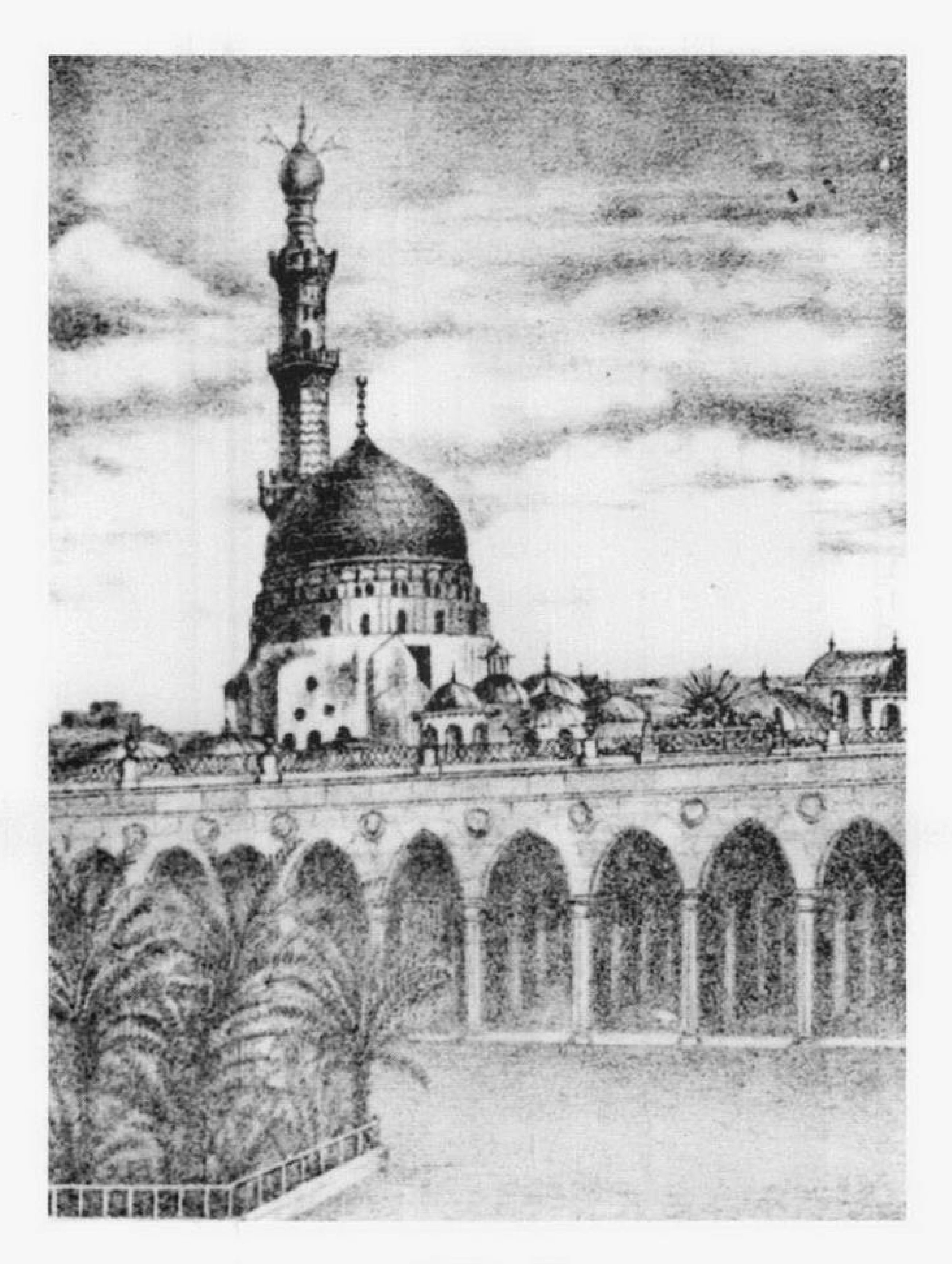
فهرس الأشخاص



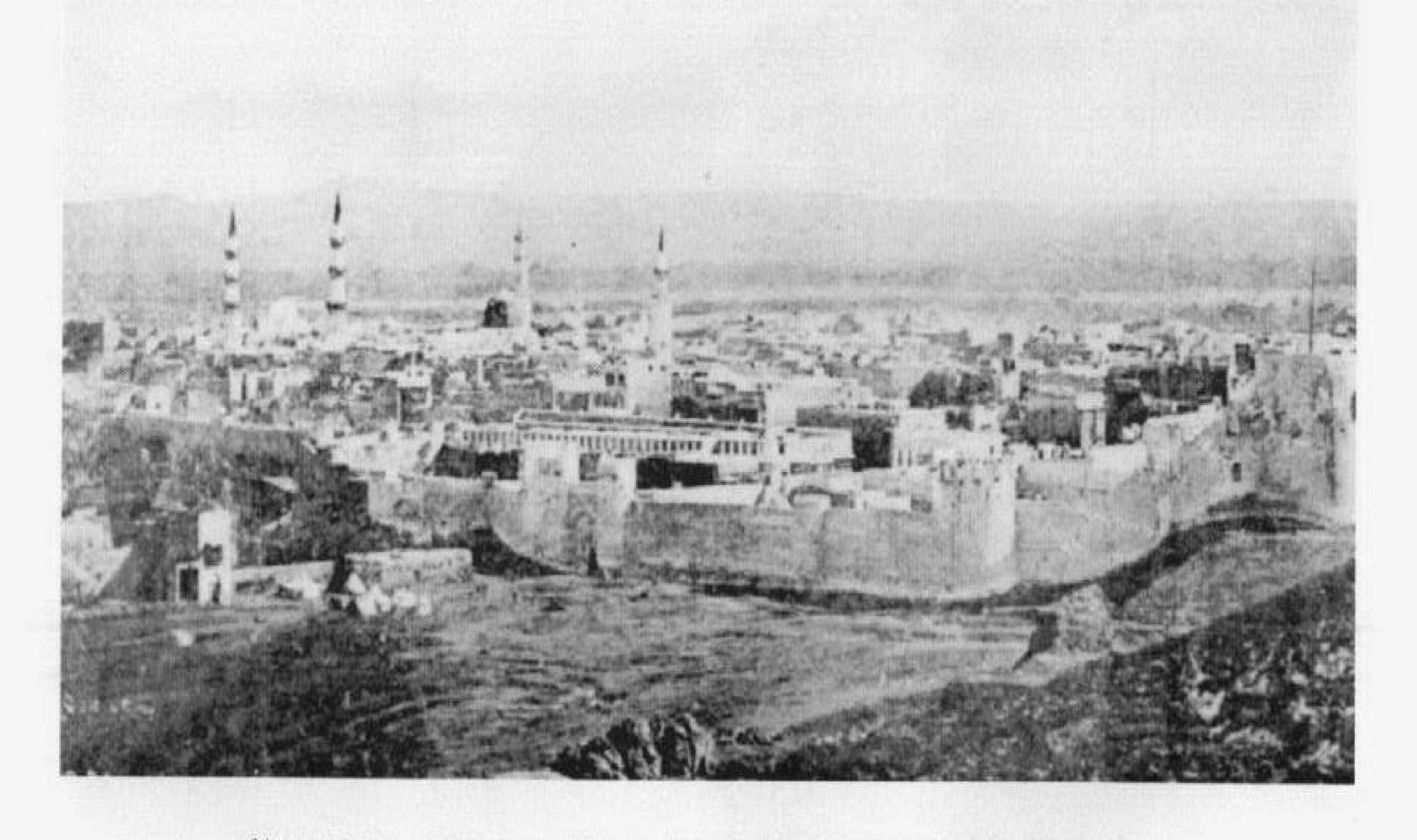
محمد صادق باشا (١٨٣٢-١٩٠٢)



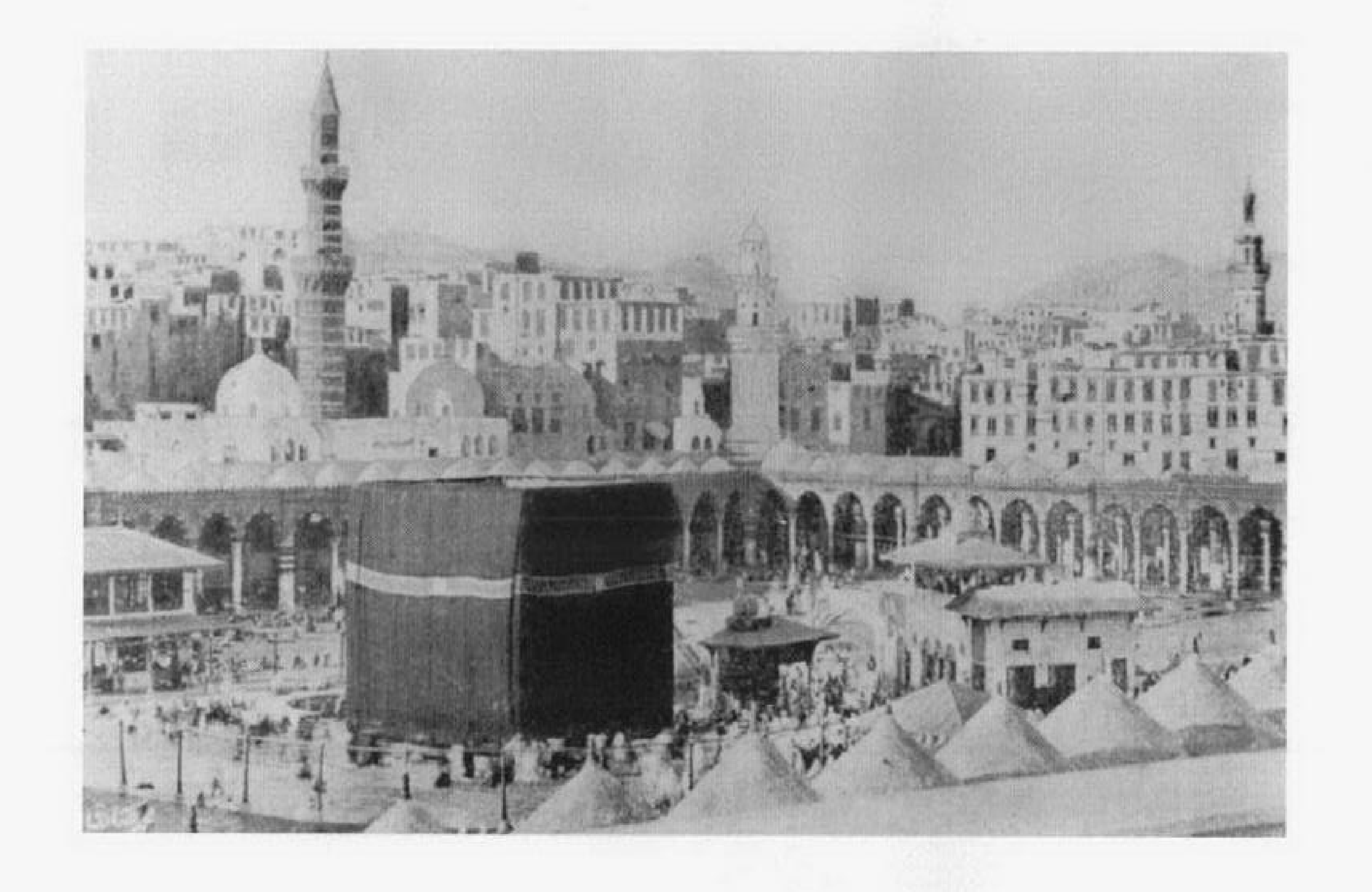
المدينة المنورة



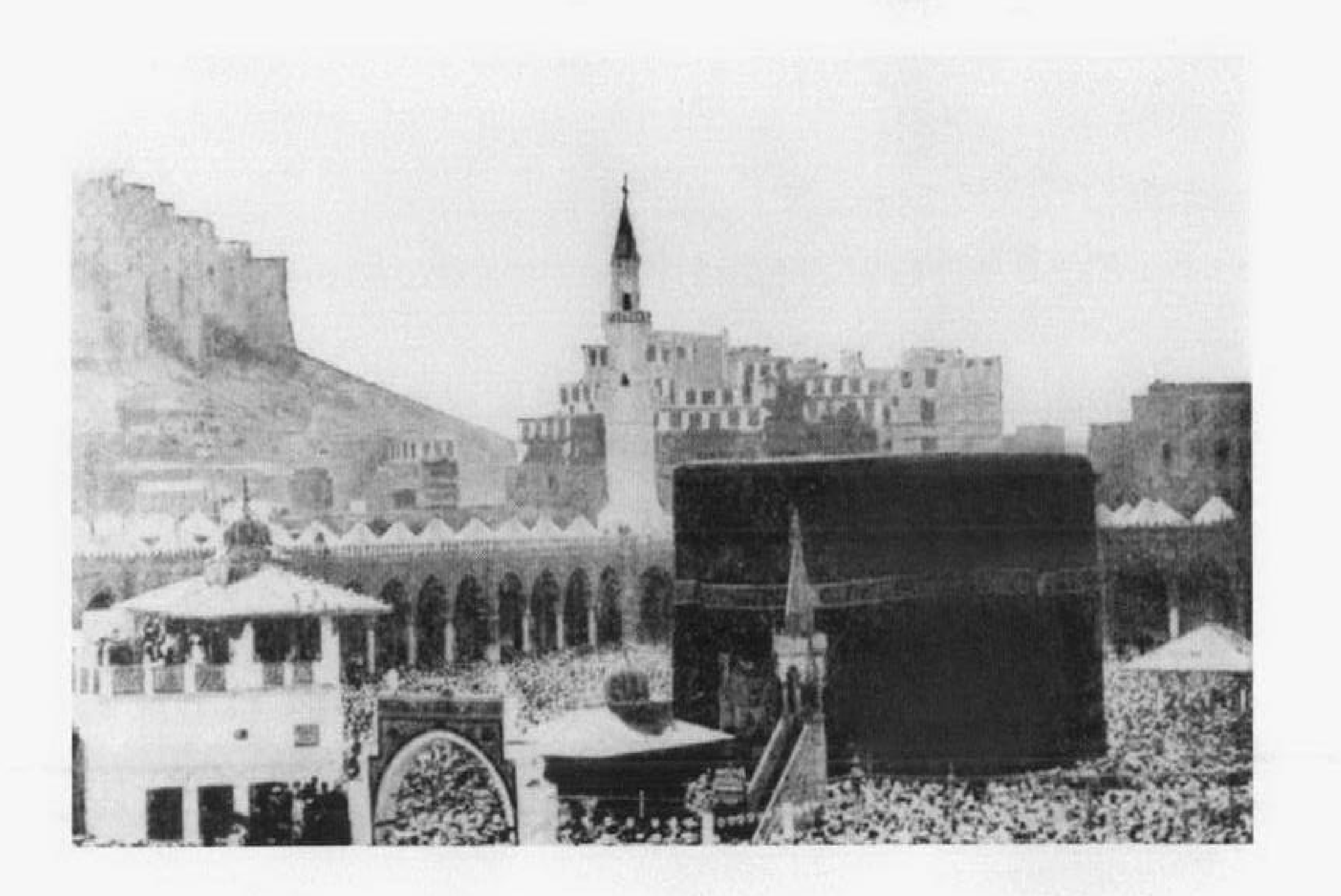
الحـــرم المدنـي



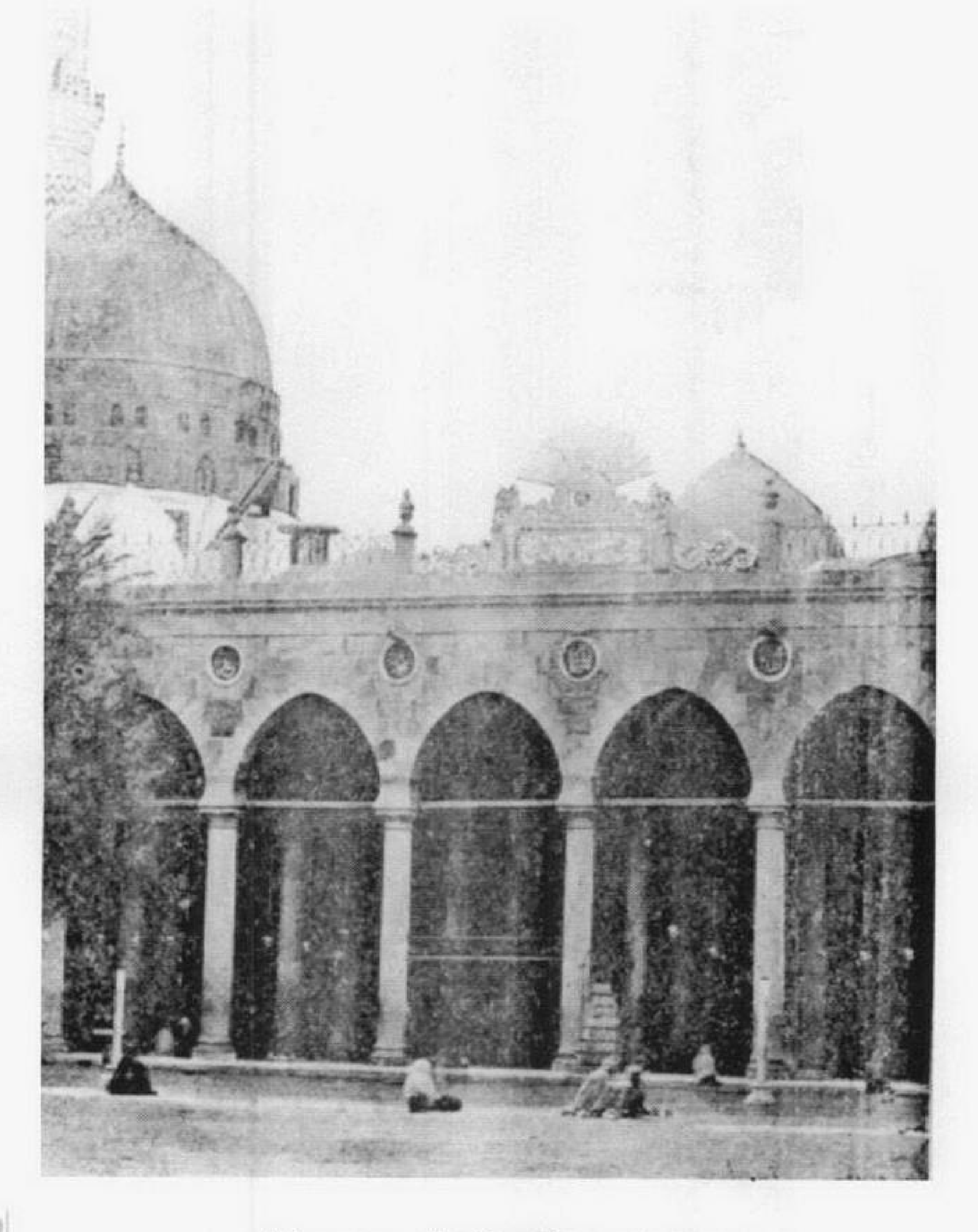
منظر المدينة المنورة من جهة الباب الشامي (تصوير محمد صادق ١٨٨٠)



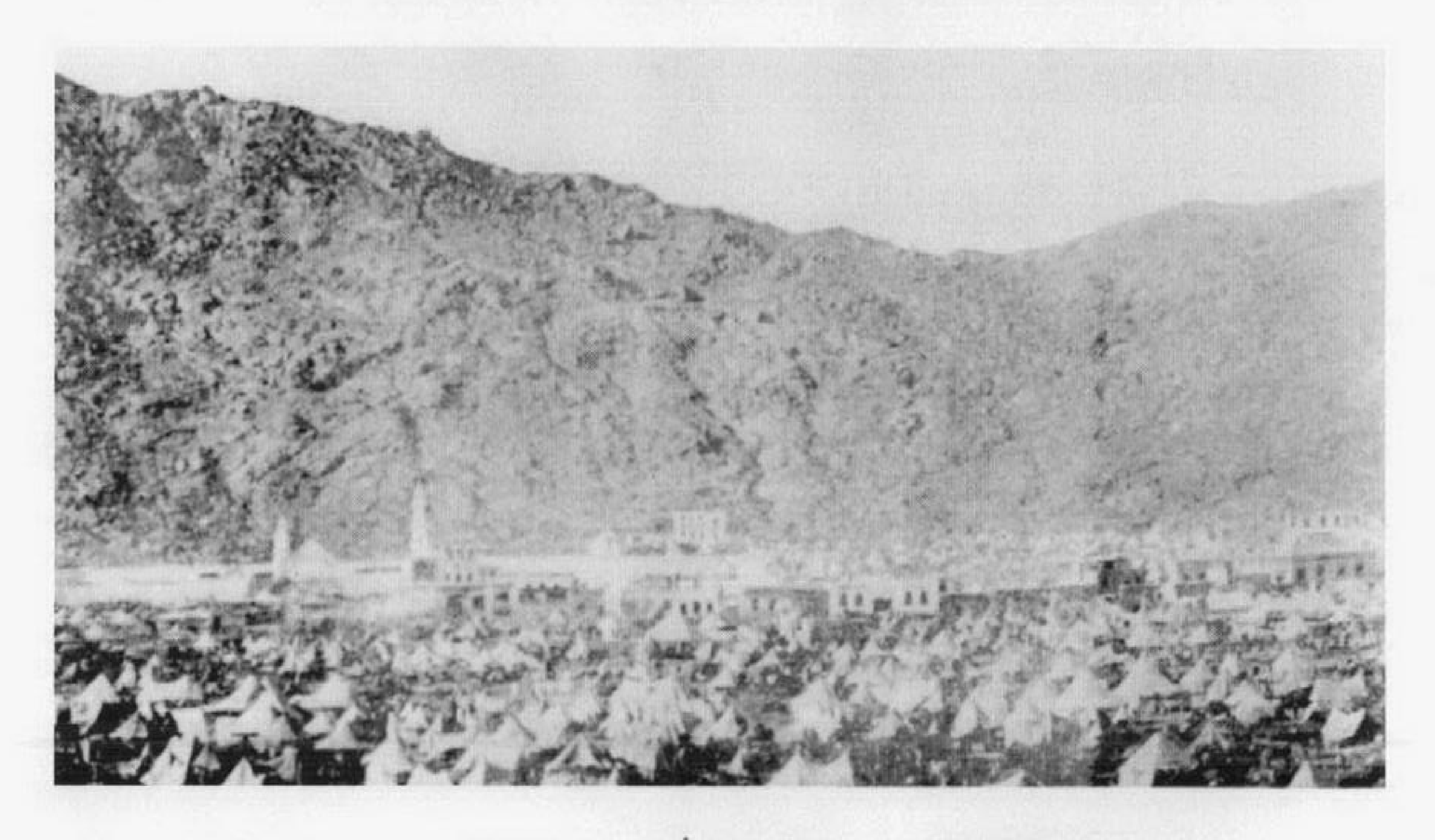
الجهة القبلية و الغربية من الكعبة (تصوير محمد صادق ١٨٨٠)



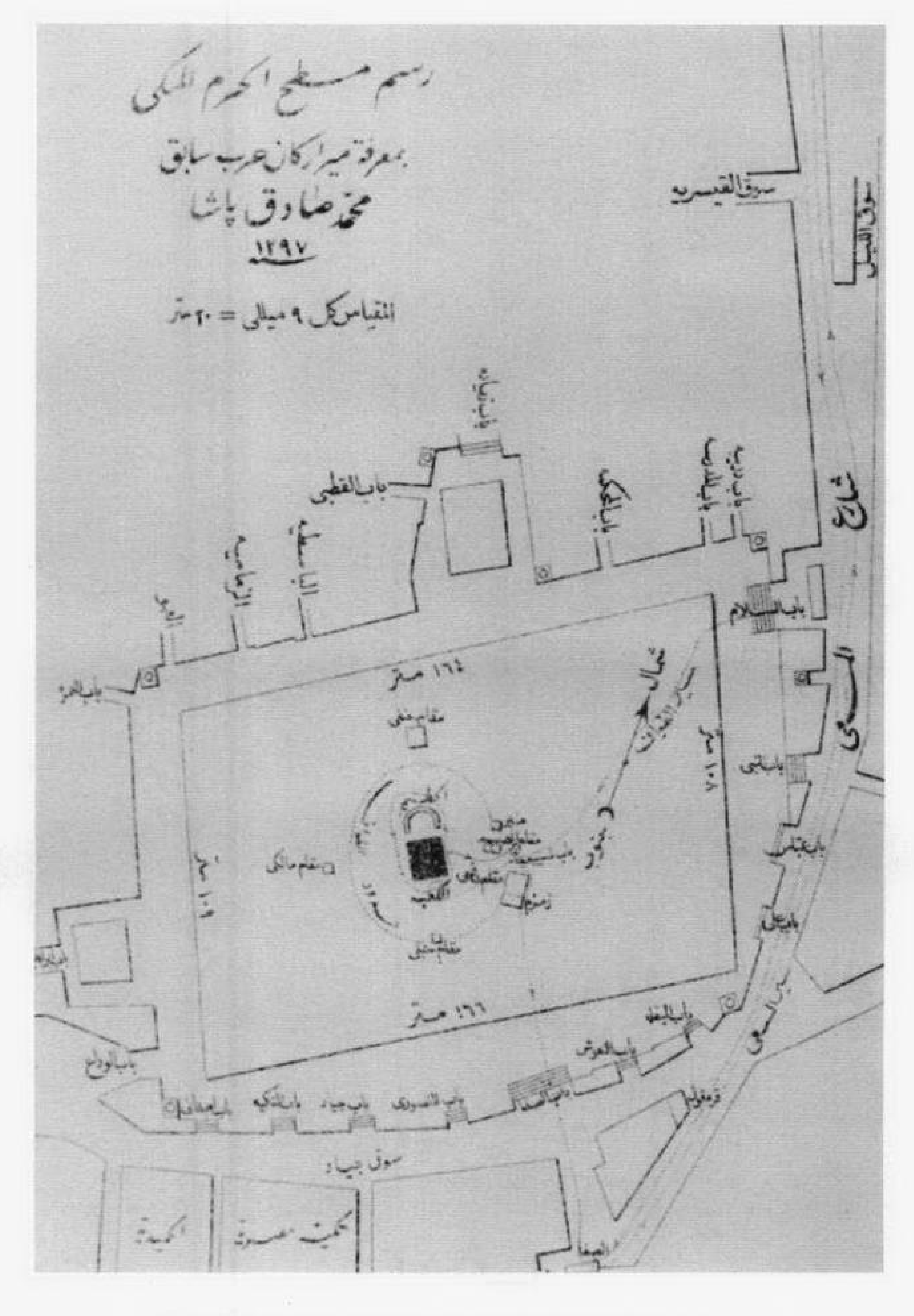
الصلاة حول الكعبة



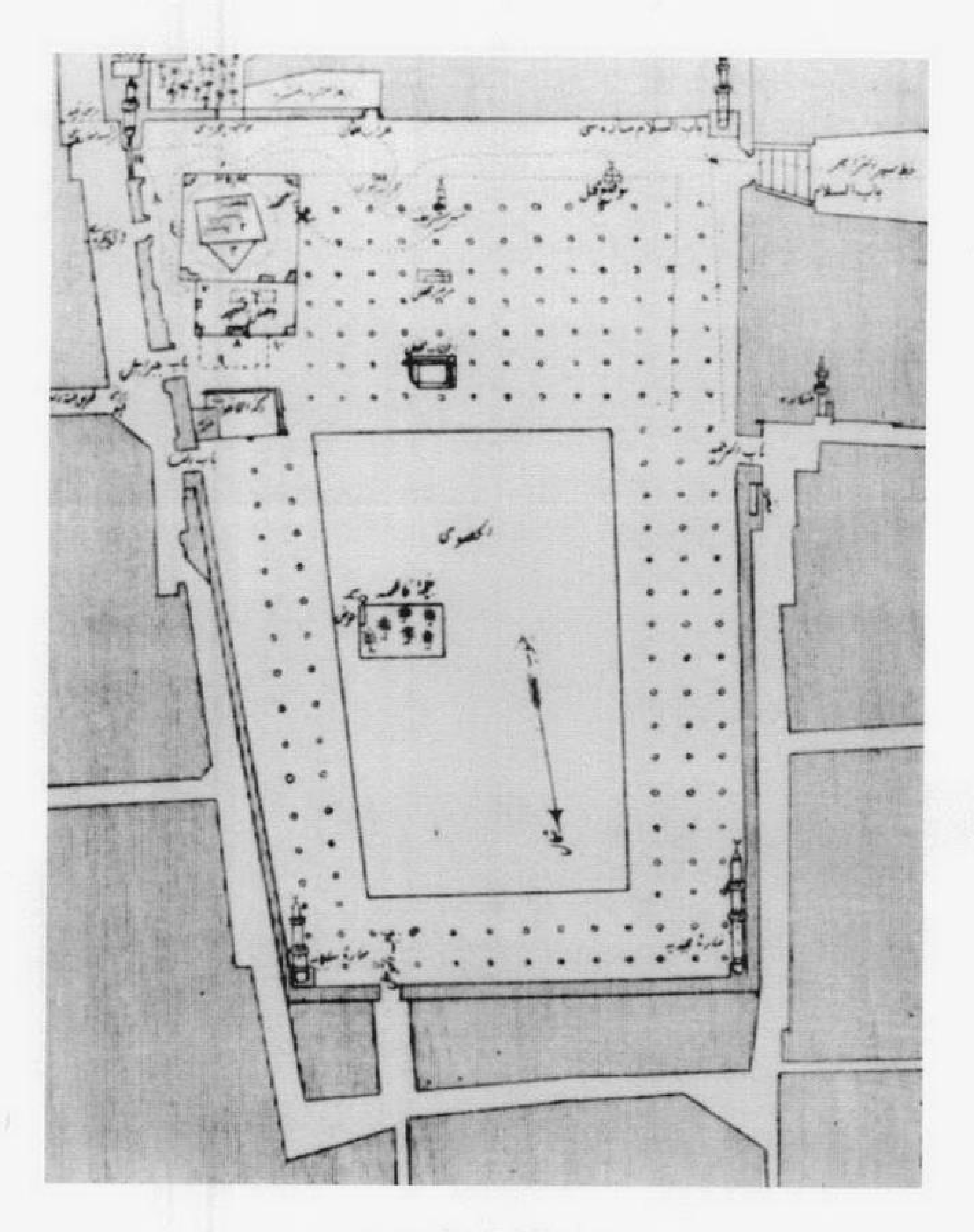
منظر الحرم وفيه مقام النبي محمد صلعم



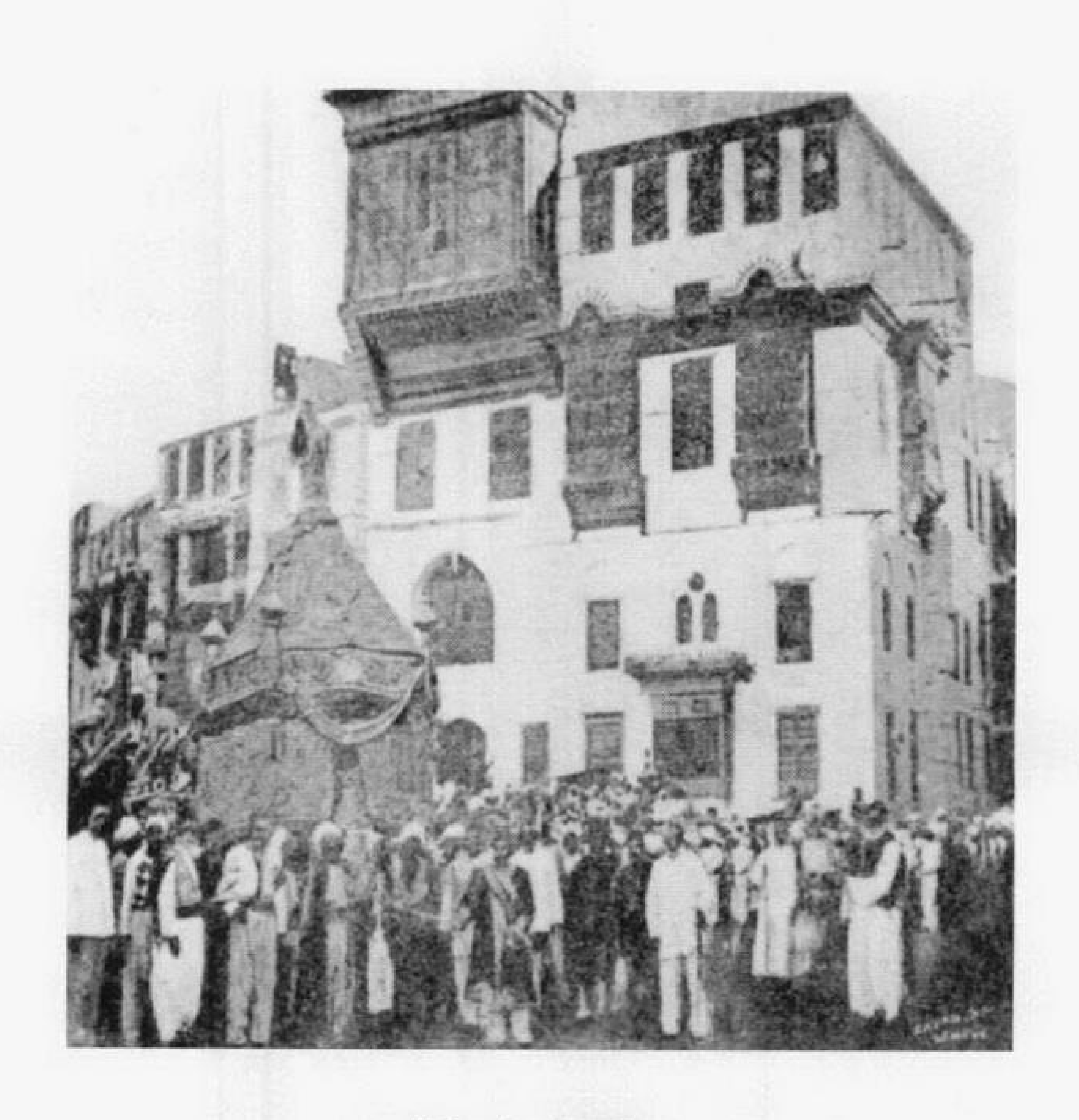
الحجاج بمنى يوم العيد الأكبر جامع الخيف



رسم مسطح الحرم كما وضعه محمد صادق عام ١٨٦١



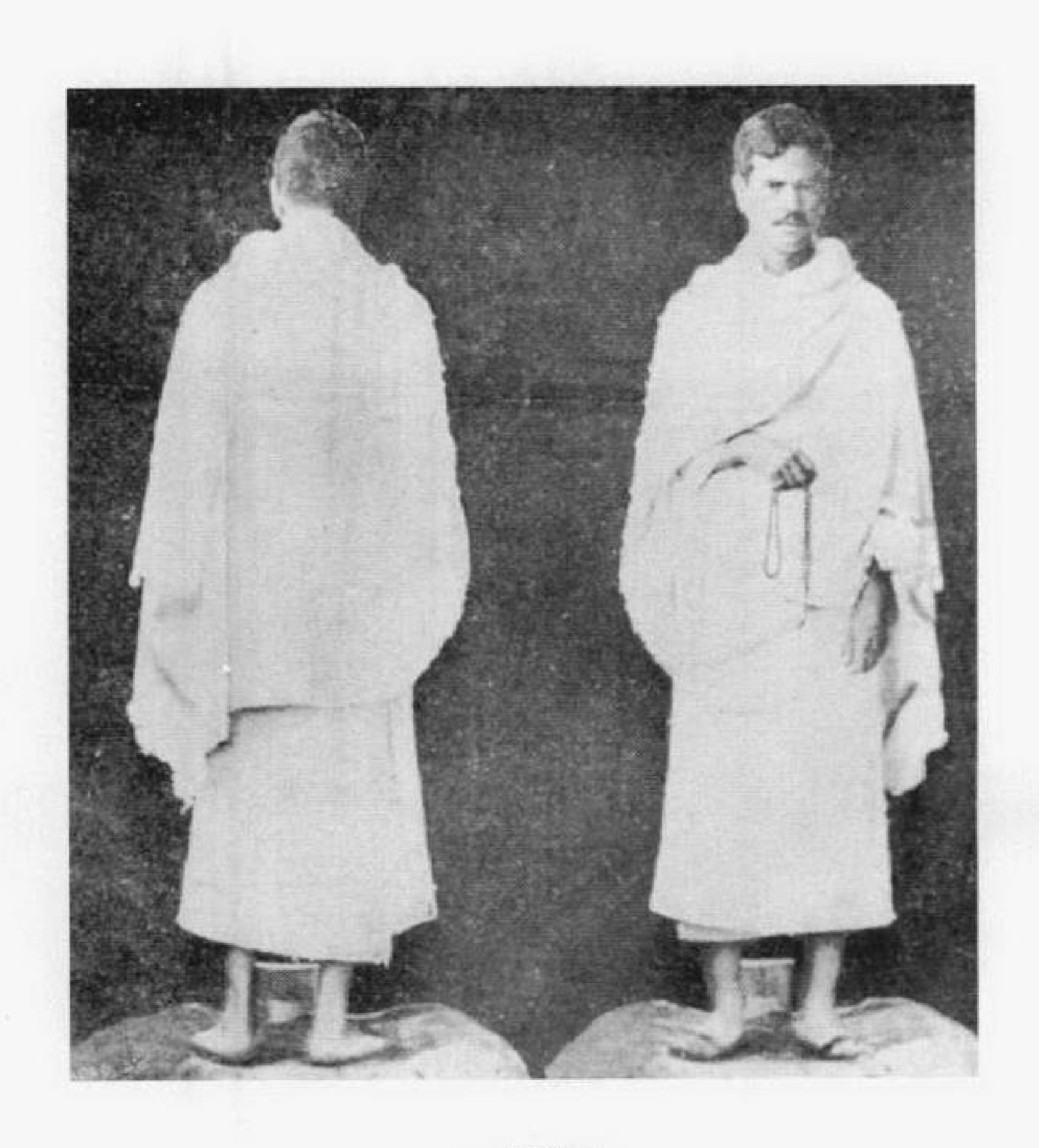
رسم الحرم النبوي



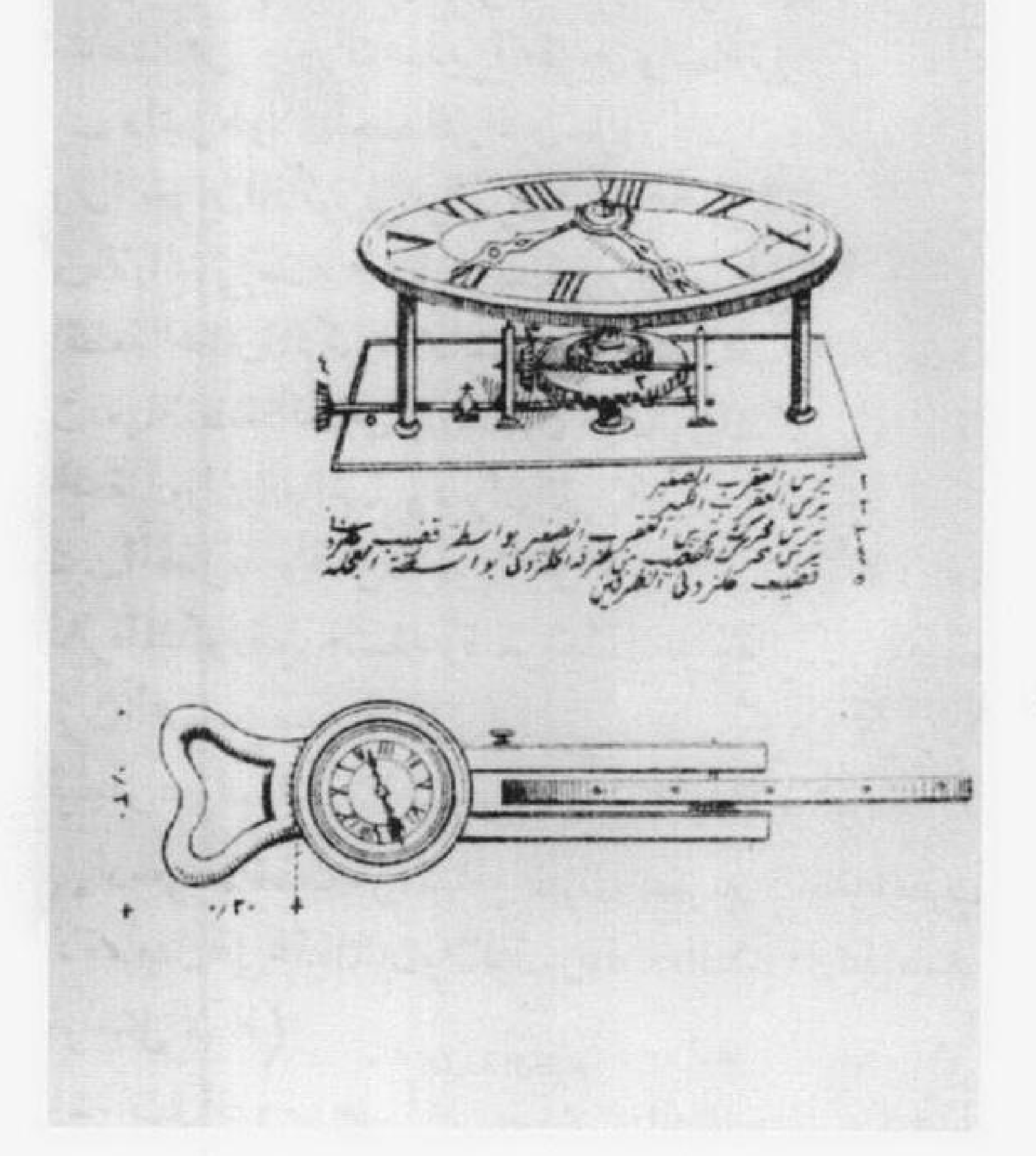
موكب المحمل بمكة



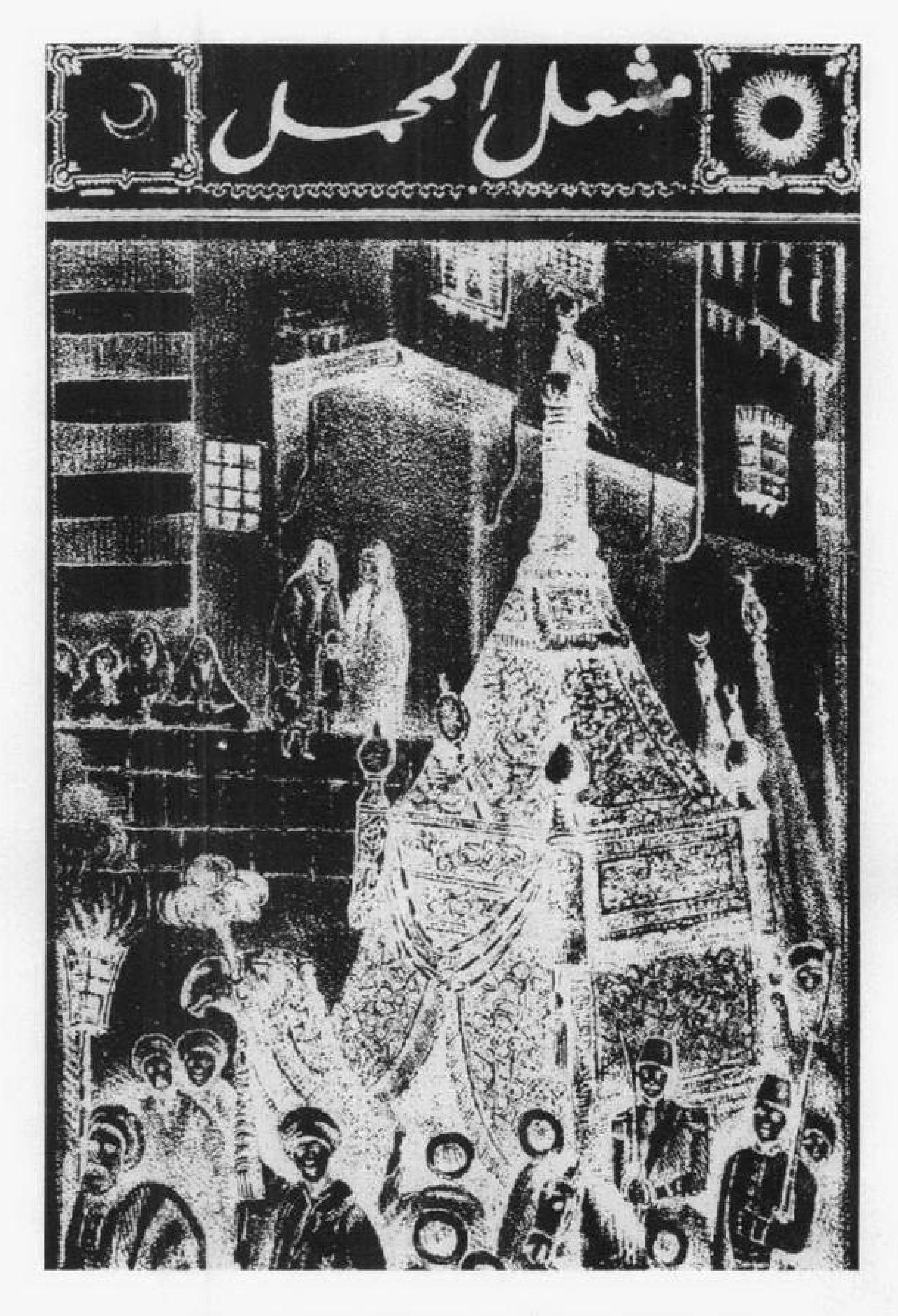
المحمــل



هيئة المحرم



الآلة المقياسية



غلاف الطبعة الأولى من كتاب (مشعل المحمل)

دليل الحج

للوارد الى مكة والمدينة

من كل فج

تأليف

حضرة محمد باشا صادق
من ضباط أركان
حرب سابق

سنة ١٣١٣ هجريه / ١٨٩٦ مسيحيه

﴿ الطبعة الاولى ﴾
بالمطبعة الكبرى الاميريه ببولاق مصر المعزيه
سنة ١٣١٣
هجريه

غلاف الطبعة الأولى من كتاب دليل الحاج